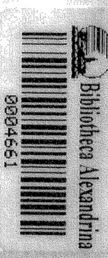
الدكتور صلاح مصطفى الفوال

مناهج البحث في العلوم الاجتماعية



سلسلة كتب علم الاجتماع والتنمية

مناهج البحث في العلوم الاجتماعية

الدكتور صلاح مصطفى الفوال

أستاذ علم الاجتماع المساعد

جامعة وهران ـ الجزائر

مكتبة غريب

٣٠١ شارع كامل صدقي (الفجالة)

تليفون ٩٠٢١٠٧

الاهــداء

الى روح أمى
الى النفس المطمئنة
التى رجعت الى ربها
راضية مرضية
الى روح أمى
التى فرحت بلقاء ربها
فلبت نداءه
بغير خوف او حزن
فدخلت فى عباده
ودخلت جنته
مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا

صلاح الفوال

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

قليلة هى الكتب التى تناولت مناهج البحث العلمى باللغة العربية ، وبحيث لاتزال الحاجة تدعو بالحاح لأن يكون تحت يد قراء العربية أكثر من كتاب لأكثر من مؤلف عن المنهجية وخاصة تلك التى تعالج قضايا المنهجية فى العلوم الاجتماعية من خلال نظرة شمولية تؤكد التواصل بين العلوم المسماة بالاجتماعية أو الإنسانية من جهة ، وتفتح أمامها الآفاق من جهة أخرى لتنهل من زاد المعرفة الذى سبقتها إليه العلوم الطبيعية والحيوية ، ولتواكب من جهة ثالثة آخر معطيات العصر وبصفة خاصة فى مجال تكنولوجيا المعرفة وما تفرزه كل يوم بل كل ساعة وكل لحظة من كم هائل فى المعلومات والمعطيات :

ولقد شجعنى هذا الفراغ المنهجى فى مجال العلوم الاجتماعية أن أقدم إلى المكتبة مؤلفا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » منذ عام تقريبا ، ولكن نظرا للطبيعة الخاصة لذلك الكتاب باعتباره يدور فى فلك فلسفة مناهج البحث فى اطار العلوم الاجتماعية ، اقول نظرا للطبيعة الخاصة لذلك الكتاب وما لمسته من طلابى الأعزاء — خاصة طلاب الدراسات العليا — على امتداد وطننا العربى من تقبل صادق واقبال مشجع على كتاب « منهجية العلوم الاجتماعية » شجعنى على ان أدفع بهذا الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارى عن « مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية » لا ليكمل مسيرة شقيق له سبقه ولكن ليملأ فراغا وليحتل مكانة أسأل الله سبحانه وتعالى ان يكون جديرا بها بين كتب مناهج البحث القليلة لزملاء كرام أعتز بصداقة معظمهم وأعترف ان إسهاماتهم كانت خير عون لى على انجاز « مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية » بهذه الصورة التى هو عليها الآ ن .

واسمح لى عزيزى القارئ ان أخالف ما تعودته معك عبر كل مؤلفاتى السابقة حيث لن أطوف معك على محتويات الكتاب لأنى سأترك لك هذه المهمة لتقوم بها وحدك ويكفينى ان أرقبك على البعد آملا ومبتهلا لله العلى القدير حتى تجد خلال صفحات الكتاب ما يشبعك ويروى ظمأك لمعرفة ترجوها وتنشدها .

وقبل أن أختم حديثي معك عزيزي القارئ عبر هذه المقدمة القصيرة .. أذكر بالشكر طلابي من دارسي الاجتماع والعلوم الاجتماعية على امتداد الوطن العربي ، وأخص منهم أبنائي وبناتي طلاب ومعاهد العلوم الاجتماعية بجامعتي قسنطينة وعنابه بالجمهورية الجزائرية حيث أتاحوا لي عينة ذكية وواعية قومت من خلالها معظم المواد التي ضمها هذا الكتاب .

كما أسجل هنا كل الشكر للصديقين للعزيزين عبد الحميد وهاني غريب ناشر وطابع هذا الكتاب ولكل العاملين معهما ، فلولا أياديهم البيضاء ما ظهر كتاب « مناهج البحث في العلوم الاجتماعية » بالصورة التي هو عليها الآن .

مرة أخرى عزيزي القارئ ، أستودعك الله حتى تطوف وحدك بين صفحات هذا الكتاب ، وأسأل الله جلت نعمته أن يكون « مناهج البحث في العلوم الاجتماعية » خطوة على الطريق الصحيح حتى تعوض أمتنا العربية والاسلامية بالعلم والعمل مجدا كان لها يوما .. وكان منارة الدنيا التي بها اهتدت من الظلمات الى النور .

والله ولي التوفيق .

القاهرة ـ العجوزة — دكتور صلاح مصطفى الفوال

١٩٨٢/٩/١٢

الباب الأول

اتجاهات البحث العلمى
وطبيعته فى العلوم الاجتماعية

- المسارات التاريخية للمعرفة عبر التفكير الانسـانى .
- طبيعـة البحث العـلمى فى العـلوم الاجتماعية .
- المشـكلات والحقـائق والنظـريات فى البحوث العلمية
- الفروض كحـلول احتمـالية لمشـكلات البحوث العلمية .

الفصل الأول

المسارات التاريخية للمعرفة

عبر التفكير الانسانى

- مقدمة •
- المعرفة التى مصدرها التقاليد وأهل الثقة •
- المعرفة التى مصدرها الغيبيات •
- المعرفة التى مصدرها التراث •
- المعرفة التى مصدرها أهل الخبرة •
- المعرفة التى مصدرها الخبرة الاستردادية •
- المعرفة التى مصدرها التفكير الاستنباطى •
- المعرفة التى مصدرها التفكير الاستقرائى •
- المعرفة التى مصدرها المنهج العلمى الجديد •
- الخلاصة •

المسارات التاريخية للمعرفة

عبر التفكير العلمى

مقـــدمة :

الانسان منذ الخلق يسعى الى المعرفة ، ولقد اتخذ لذلك من الوسائل والسبل على قدر علمه ، وعلى قدر ما وسعه ذلك العلم من طاقة وجهد ، ولقد اتسمت مسيرة الانسان نحو المعرفة بالمحاولة والخطأ تارة ، وتارة أخرى فى اللجوء الى الغيبيات فيما استعصى عليه فهمه .

ثم فتح المنطق أمام ذلك الانسان آفاقا أرحب للعلم والمعرفة ، حيث وضعه ذلك المنطق المرتكز على المنهج الاستنباطى أمام الخطوات الصحيحة للتفكير العلمى وبخاصة بعد أن استبدل فرانسيس بيكون المنهج الاستنباطى فى التفكير بالمنهج الاستقرائى .

ونحن هنا سنحاول أن نبرز فى إيجاز شديد الملامح الأساسية لمسيرة التفكير العلمى عبر العصور وذلك من خلال النقاط المحددة الآتية :

●

المعرفة التى مصدرها التقاليد واهل الثقة :

التقاليد مع أهل الثقة أو مصدر القوة شكلا أحد المصادر الهامة للمعرفة منذ أقدم العصور ، فعندما يلجأ الشخص الى زعيم القبيلة أو ساحرها أوممارس الطب فيها آملا فى إزالة كرب أو مستبشرا فى أمر ما أو طامعا فى الشفاء من مرض ، فهو يطلب المعرفة من أشخاص لهم مكاناتهم الاجتماعية الخاصة بين قومهم .

كما أن لجوء ذلك الشخص الى تراث أجداده ليستلهم سلوكياتهم من خلال ما كان لهم من عادات وتقاليد حتى تكون له هادية ومرشدا ، هو فى حقيقة الأمر طلب للمعرفة التى يرجوها وينشدها .

صحيح أن هذا النمط كان سمة للتفكير خلال فترات تاريخية سابقة ، ولكن ما زالت بعض حلقات هذه المرحلة متصلة حتى اليوم مع الاختلاف فى الشخصيات والادوار حيث حل ممثلو السلطة محل زعيم القبيلة وحل الاخصائيون فى العديد من المهن محل السحرة وحل الطبيب محل سلفه التاريخى فى تقديم العلاج .

أما التقاليد فمازالت مصدرا لسلوكيات الانسان المعاصر ولمعارفه فى كثير من المواقف وحتى سخافات التقاليد وأساطيرها مازال لها صداها فى تراث الشعوب وثقافاتها .

وعلى كل حال نحن هنا لسنا فى حاجة الى أن نؤكد أن المعرفة المتحصل عليها خلال هذا النمط هى معرفة قاصرة وان كانت ليست بالضرورة خاطئة فى جملتها فكما حملت لنا كتب التاريخ معلومات كثيرة صحيحة فانها حملت لنا أيضا مواقف لأهل الثقة وللتقاليد وهم يشكلون عقبة كأداء فى سبيل تحصيل المعرفة الصحيحة أو فى محاربة الوصول الى الحقيقة على الرغم من وضوحها أحيانا (١) .

●

المعرفة التى مصدرها الغيبيات :

كثيرا ما يلجأ الانسان فى سعيه لمعرفة أمور يجهلها أو فشل فى تحصيل المعرفة حولها إلى نسب تلك الأمور إلى قوى مجهولة .. خارقة وقاهرة ، وخاصة أن وسيلة ذلك الإنسان فى تحصيل المعرفة لم تكن تخرج كثيرا عن حواسه وذاته .

هذا ويلعب اقتناع الانسان أو ايمانه بديانة ما إلى اعتبارها المصدر الوحيد للمعرفة ، أو إلى الاعتقاد فى المختصين أو القائمين بشعائر تلك الديانة على أنهم أحاطوا بكل شيء علما من خلال اكتشافهم لكامل الحقيقة ، ومن هنا يجب الأخذ عنهم دون حتى مجرد التفكير فى طبيعة المعرفة المتحصل عليها .

المهم أن مصادر المعرفة خلال هذا النمط كانت هى العرافين وممارسى الشعائر الدينية لاسيما الغيبية منها ، وقد يظن القارئ أن هذا النمط قد عفا عليه الزمن أو انقرض ، ولكنه على الرغم من شيوعه لدى الكثير من المجتمعات المعاصرة فان الكثير من ملامحه قد تطورت وخاصة مع بروز سيطرة المعتقدات الدينية المسيحية والاسلامية مثلا .

الا أن السمة الغالبة لهذا النمط هى الايمان المطلق بالغيبيات وعدم الشك فى المعتقدات

السائدة ولافيا يقوله الكهنة والحواريون ورجال الدين باعتبارهم قد اكتشفوا الحقيقة الأبدية التي تصلح لكل زمان ومكان .

●

المعرفة التي مصدرها التراث :

والتراث الذي نعنيه هنا هو التراث المأخوذ عن مشاهير العلماء ، حيث سادت قناعة بأن قدماء العلماء لهم نفس قداسة رجال الدين .. فهم منزهون عن الخطأ وكل ما يقولونه هو دائما صحيح لا يقبل جدلا ولا حتى مجرد شك باعتبارهم قد ملكوا الحقيقة المطلقة .

ومن الأمثلة الطريفة التي تروى في هذا الخصوص أن ارسطو ادعى يوما أن أسنان النساء أكثر عددا من أسنان الرجال .. وقبلت مقولة أرسطو كإحدى المسلمات التي لاتجوز مناقشتها على الرغم من ان الحقيقة لاتبعد كثيرا عن أفواه من يريدها ! !

وهذه القناعة هي نفسها التي دفعت علماء الدنيا كلها إلى رفض إدعاء جاليليو عن وجود أقمار المشتري التي اكتشفها بتليسكوبه لا لشيء الا لأن أرسطو لم يذكر شيئا في تراثه عن تلك الأقمار . .

وهناك مئات الروايات الأخرى عن رفض معارف صحيحة بل ومحاربتها وسجن وتشريد بل وقتل المنادين بها لمجرد أنها كانت لاتتفق مع التراث العامي الموروث لعلماء عاشوا حتى قبل الميلاد ، والعجيب أن الرافضين كانوا ينتمون للعصور الوسطى وان كان بعضهم — أي بعض الرافضين — لا يزال يعيش بين ظهرانينا .. ! !

والمعرفة الناتجة عن هذا النمط هي معرفة صحيحة وخاطئة في آن واحد، وأن المحك لذلك كله هو قدرة الانسان الباحث عن الحقيقة على الادراك الصحيح والسليم لها وعلى قدر ما تيسر تحت يديه من وسائل وأدوات ولو أن الأهم من ذلك كله هو قدراته العقلية القادرة على التمييز بين ما هو غث وما هو سمين .

●

المعرفة التي مصدرها اهل الخبرة :

وأهل الخبرة هنا .. هم المتخصصون ، وماداموا متخصصين فلابد أنهم ملكوا فنون المعرفة وتقنياتها . لذلك تجب الثقة بهم وأخذ المعرفة عنهم ، لكن هل الاستعداد بقبول آراء هؤلاء استعداد مطلق أو غير مشروط ؟ !

وجواب السؤال بالنفي . حيث يجب التأكد أولا من أنهم أهل خبرة ، وأخذ آرائهم ثانيا بتحفظ قليل أو كثير من خلال اتباع منهج الشك للتأكد من أن أولئك الخبراء يملكون أولا كل الحقائق المتصلة بموضوع المعرفة ، وقادرون ثانيا على بحثها . وباستطاعتهم ثالثا أن يقدموا التفسيرات الملائمة لها .

لكن من يملك هذه النظرة النقدية غير الخبراء أو الباحثين العلميين ، وبحيث يصبح اتباع منهج الشك ذاته محل شك وخاصة من قبل غير المتخصصين ، وبحيث تصبح المعرفة النابعة عن ذلك المصدر هي أوسع أبواب المعرفة انتشارا وثقة . ولو أن الخطر يبقى ملازما للقبول المطلق لآراء الخبراء والمتخصصين بغير تمحيص ونقد .

●

المعرفة التي مصدرها الخبرة الاستردادية :

ونقصد بالخبرة الاستردادية الخبرة الذاتية التي يسترجعها الانسان عندما يواجه مشكلة ما ويسعى الى حلها ، ومصدر هذه الخبرة واحد من اثنين ، اما ممارسة ذاتية نتجت عنها معرفة ما خلال مواقف مشابهة ، وأما خبرة منقولة عن صديق أو كتاب أو أي مصدر سماعي آخر :

والذي يحدث بمجرد أن تواجه الانسان مشكلة ما . . هو أن يسترجع أو يجتر ذكرياته حولها فقد يجد خلالها ما يعينه على حلها ، والأمثلة على المعرفة التي ترتكز على الخبرة الذاتية كثيرة في حياتنا العامة والخاصة ، ولكن يعيب تلك المعرفة أنها قد تكون معرفة انتقائية حيث لا يختار الإنسان من المعرفة إلا ما يتواءم مع خبراته الذاتية فقط :

ولمزيد من الشرح نفترض أن هناك باحثا مبتدئا يواجه مشكلة بحثية معينة فماذا يصنع ؟!

(ا) يختار من البراهين ما يتفق مع خبرته الذاتية ومعنى هذا أنه يتجاهل بعض البراهين الأخرى .

(ب) يختار وسائله بناء على ذاتيته أو على الأقل يبني قناعته بها على أسس غير موضوعية ، وهذا معناه اغفال بعض الجوانب الخاصة بالموضوع المبحوث . . .

(ج) مادامت وسائل الباحث وبراهينه متحيزة أو معبرة عن ذاتيته فلا شك أن ملاحظاته بل والنتائج التي سيتم التوصل اليها سوف تكون منحازة كذلك ولا تفسر تماما الموقف أو الموضوع المطروح للبحث .

وعلى الرغم من ذلك تبقى الخبرة الاسترشادية مصدرا هاما من مصادر المعرفة لاسيما بالنسبة لغير المتخصصين ، ولكن على الباحثين أن يتخذوا من الاحتياطات مالا يجعلهم فريسة سهلة لخبراتهم الباطنة أو المختزنة .

●

المعرفة التي مصدرها التفكير الاستنباطي :

الاستنباط ينهض على مبدأ أن ما يصدق على الكل إنما يصدق بالضرورة على الجزء ، لذا فالانسان يسعى من خلال الاستنباط الى اثبات أن الجزء يقع منطقيا فى اطار الكل ، ووسيلة الانسان فى تحقيق هدفه الاستنباطى هى القياس .

والقياس فى سعيه لاثبات أن الخاص جزء من العام انما يعمل على اختبار صدق نتيجة ما أو حقيقة معينة ، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة ، لأن القياس ينهض على ثلاث قضايا الأولى والثانية قضيتان تمهيديتان .. مهمتهما الأساسية التمهيد للوصول الى النتيجة ، لذلك فهما مقدمتان ، أما القضية الثالثة فهى بالطبع النتيجة التى مهدت لها المقدمتان :

ولمزيد من الشرح نقدم القضية الاستنباطية المشهورة التى تقول :

كل البشر ميتون « مقدمة كبرى » الامبراطور بشر « مقدمة صغرى »

اذن .. الامبراطور ميت « نتيجة » (٢) .

هذا وللقياس عدة صور منها القياس الحملى ، الفرضى أو الشرطى ، التبادلى ، وأخيرا القياس المنفصل ، ويرى « فان دالين » أن القضايا الحملية تمثل مرحلة معينة من اليقين فى المعرفة ، وتعتبر النتائج المشتقة اشتقاقا صحيحا من القياس الحملى غير قابلة للشك وفقا للمثال السابق .

أما القضايا الفرضية فتمثل مرحلة غير يقينية فى التفكير والمعرفة ، ويؤكد « فان دالين » على أن التفكير الفرضى يحدث على مستويات مختلفة تمتد من حل المشكلات البسيطة فى الحياة اليومية والكشف عن الجريمة ، إلى أساليب التحقيق والتصنيف فى العلم والبحث عن القوانين العلمية عن طريق صياغة الفروض واختبار صدقها .

---

(٢) انظر المصادر والشروح لتتعرف على نماذج من القضايا القياسية المتعددة ص ص ٢٤ – ٢٧ من هذا الكتاب .

أما القضايا التبادلية فهى تعبر عن معرفة غير مؤكدة أو غير يقينية ولكن فى حدود معينة حيث يقع البديل غالبا فى تطاق ما يمكن استبعاده أو اثباته ، أما القياس المنفصل فيقرر « فان دالين » أنه مزيج من المعرفة والجهل مثله فى ذلك مثل القياس التبادلى وان تميز القياس المنفصل بأنه أكثر تحديدا من حيث أنه يصل الى النتيجة عن طريق استخدام ما هو معروف أو مؤكد فى المقدمة الكبرى (٣) :

والخلاصة أن التفكير الاستنباطى ظل وحده مصدر المعرفة الموثوق به قرونا عديدة ، وليس معنى ذلك أنه قد صار فى خبر كان ، لأن الصحيح أنه مازال مستخدما فى حل مشكلات عديدة تواجه ملايين من البشر مع كل يوم ، بل والأكثر من هذا أنه يكاد يكون السلاح الوحيد فى يد الباحثين عن الحقيقة فى نطاق عدة مهن كالمحاماة والشرطة بل والطب أحيانا ، فضلا عن أن الكثير من الباحثين المعاصرين يستخدمون التفكير الاستنباطى خلال الكثير من خطواتهم البحثية (٤) :

هذا مع عدم اغفال مجموعة من المحاذير التى تصاحب المعرفة المرتكزة على التفكير الاستنباطى والتى من أهمها :

(أ) أن التفكير الاستنباطى يفيد كثيرا فى حل العديد من المشكلات الا أن قدرته على ذلك تبقى رهنا بالإمكانيات العقلية للمستنبط .

(ب) الاستنباط خلال التفكير الاستنباطى ينهض على الألفاظ وما تحتويه من رموز ، وكثير من الكلمات قد تكون غير واضحة أو تحمل أكثر من معنى أو تتغير مداولاتها مع مرور الوقت .

(جـ) الاستنباط حتى فى أقوى صوره وهو القياس الحملى ليس فى مقدورة أن يفرز لنا معرفة الا فى اطار ما هو معروف بالفعل ، وبمعنى آخر فان قدرة القياس محدودة فى اطار المعرفة المتوافرة سلفا أما أن يستنبط من المجهول فهو أمر خارج عن طاقته :

(د) التفكير الاستنباطى على الرغم من المعارف المتوافرة باستخدامه الا أنه يحد كثيرا من الطاقات الإبداعية لممارسيه لأن النتيجة المستخلصة يجب أن تستنبط من مقدمات معروفة .. جزء يقاس على الكل .. أو خاص يقاس على عام .

(هـ) القياس فى رأى الكثيرين ليس أكثر من وسيلة تبعية ، تسعى لتتبع نتائج القضايا المتعارف عليها ، لذلك فهو فى رأيهم أيضا ليس أداة صالحة تمكن من الحصول

على معرفة جديدة أو مبتكرة ، ومن هنا فإن الاعتماد على القياس وحده كأداة بحثية لن يساعد في الكشف عن جديد .

●

المعرفة التي مصدرها التفكير الاستقرائي :

الاستقراء بنوعيه التام والناقص يشكل أحد المصادر الهامة للحصول على المعرفة وخاصة مع عجز التفكير الاستنباطي عن تقديم الحقيقة كاملة ، نظرا لأن نتائج التفكير الاستنباطي لا تصدق الا اذا كانت نابعة عن مقدمات صادقة ، ومن هنا كان الأستقراء هو البديل القادر على استكمال النقص فى المعرفة المستنبطة عن التفكير الاستنباطي أولا ، والقادر ثانيا على التحقق من صدق القضايا الاساسية المتضمنة خلال ذلك النمط من التفكير .

والسمة الأساسية للاستقراء هى جمع الأدلة التى تساعد على اصدار تعميمات محتملة الصدق ، بمعنى أن الاستقراء ينطلق من الجزء الى الكل على عكس الاستنباط الذى ينطلق من الكل الى الجزء .

ولمزيد من الشرح ، فان الباحث يجمع من الأدلة حول الموضوع المبحوث من خلال ملاحظته لجزئيات الظاهرة المبحوثة ، ومن ثم يصبح فى امكانه أن يقرر نتيجة عامة عن كل الفئة التى تنتمى إليها الجزئيات أو الوقائع التى لاحظها .

أما كيف يكمل الاستقراء عمل القياس .. فان الباحث فى مقدوره أن يستخدم النتيجة التى توصل اليها من خلال الاستقراء كقضية كبرى ينهض عليها استدلال استنباطي .

وكما أسلفنا فان للاستقراء جناحين .. أحدهما تام والآخر ناقص .. الأول معنى بحصر كل الحالات الجزئية الواقعة فى اطار فئة معينة ويقرر ما توصل اليه فى نتيجة عامة أو بعبارة أخرى أنه يستقصى كل الحالات التى تقع فى اطار فئة معينة ، أما الثانى « الاستقراء الناقص » فانه معنى بالوصول الى النتيجة من خلال ملاحظة بعض الحالات التى تنتمى الى فئة ما فقط (٥) .

وعلى كل فان الاستقراء يتجنب الكثير من مخاطر الاستنباط ، ولو أن الباحثين فى كثير من الحالات لا يمكنهم استخدام الاستقراء التام لصعوبة الحصر الشامل لكل الحالات أو عدم امكانية فحص كل الحالات الجزئية المتضمنة فى موضوع البحث ، ومن هنا يشيع استخدام الاستقراء الناقص بصورة أكثر لأن الباحث فى هذه الحالة يمكنه أن يقصر

جهوده على فحص بعض الحالات فقط ، وبالطبع يمكنه بعد ذلك أن يستخلص نتيجة عامة يمكن تطبيقها على كل الحالات المشابهة وخاصة تلك التى لم يتيسر له ملاحظتها (٦).

وقبل أن نختم الحديث عن المعرفة التى مصدرها التفكير الاستقرائى ، يجب أن نوضح أن « فرنسيس بيكون Francis Becon » قد هاجم بعنف الاعتماد على التفكير الاستنباطى الذى كان سائدا خلال العصور الوسطى ، وقال ان استخلاص النتائج من مقدمات مسلم بصحتها سلفا أمر غير معقول ، لأن ذلك يجعل الانسان فى الواقع عبدا لآراء غيره ، ودعا بدلا عن ذلك الخضوع المطلق لافكار الآخرين أن يقوم الباحث بدراسة الطبيعة بنفسه وبكل العناية التى تمكنه من اصدار نتائج عامة مستنبطة من الملاحظة المباشرة .

ويرى بيكون أن ذلك هو البديل لقبول المقدمات - سواء أكانت تعليمات أو نظريات - التى وصلت للباحثين على أنها حقائق مطلقة بينما هى مجرد معلومات وصلتهم عن طريق السلطة (٧) :

واقترح بيكون منهاجا يعتبره كثير من العلماء منهاجا شاقا للوصول الى المعرفة من خلال التعميمات ، ومنهاج بيكون هذا يبدأ بنصائح موجهة للباحثين بضرورة تبويب كل الحقائق المتصلة بالطبيعة باعتبارها موضوعا للملاحظة ، وأن يقوموا بدراسة تلك الحقائق بحثا عن جوهر الظواهر .

وحتى يتحقق ذلك اقترح بيكون على الباحثين أن يصنفوا ظواهرهم ضمن جداول ثلاثة تضم أولاها الحالات الموجبة .. وهى الحالات التى وجدت فيها الظاهرة المبحوثة ، ويضم الجدول الثانى الحالات السالبة أى تلك التى لا تضم الظاهرة المبحوثة ، أما الجدول الثالث فيحتوى على الحالات التى وجدت فيها الظاهرة ولكن بدرجات مختلفة وبصور متفاوته ..

ومن رأى «فرنسيس بيكون» أن تلك الجداول المقترحة تساعد الباحثين فى تحديد الخصائص التى ترتبط دائما بصورة ما ، ويقرن بيكون حل أية مشكلة بجمع كل الحقائق المتصلة بها (٨) .

ويقرر «فان دالين» أن قول «بيكون» بضرورة أن يبادر الباحثون بجمع الحقائق أولا حول الظاهرة المبحوثة هو قول له وجاهته إلا أن ما اشترطه «بيكون» من حصر لجميع الحقائق المتصلة بالظاهرة هو أمر فوق طاقة البشر (٩) .

المعرفة التى مصدرها المنهج العلمى الجديد :

أدى هجوم «بيكون» على المنهج الاستنباطى الى بروز منهاج جديد للمعرفة ، صحيح أن «بيكون» طالب أو نادى بجمع المعلومات بطريقةعشوائية ومرهقه لكن منهجه فى البحث كان قائما على تبنى الوقائع التى يمكن ملاحظتها فقط ، ولقد دفع هذا المسلك من«بيكون» العديد من العلماءليس فقط لأن يحذوا حذوه وانما شرع بعضهم «كنيوتن وجاليليو»فى تصميم مناهج أكثر فاعلية فى تحصيل معارف موثوق بها ، وبقدر ما استفاد هؤلاء من«بيكون» فقد حاولو الجمع بين عمليات كل من الاستدلال والاستقراء فى مزيج واحد قوامه إعمال الفكر والملاحظة فى آن واحد ليكونا معا محور المنهج العلمى الحديث (١٠) .

ولكن ما هى ملامح ذلك المنهج العلمى الجديد ؟!

حدد « جون ديوى John Dewey » ملامح ذلك المنهج العلمى الجديد باعتباره نشاطا انسانيا يعمل الانسان الباحث خلاله على الجمع الهادف للحقائق متنقلا بين الاستنباط والاستقراء فى اطار من التفكير التأملى ، وبحيث يمر حل أى مشكلة خلال الخطوات أو المراحل الخمس الآتية :

(أ) الاحساس بالمشكلة :

ويحدد « جون ديوى » حالات ثلاثا تحدد نطاق تصرف الانسان عندما يواجه عقبة أو خبرة أو معضلة تحيره ، فهو قد تنقصه الوسيلة للوصول الى الفرض المطلوب أو قد يواجه صعوبة فى تحديد خصائص ذلك الموضوع ، أو قد يعجز عن تفسير الحدث غير المتوقع الذى يواجهه .

(ب) حصر المشكلة وتحديدها :

ويتم ذلك من خلال قيام الانسان بجمع العديد من المعلومات والملاحظات التى تساعده كثيرا على تحديد مشكلته بشكل أو بطريقة أكثر شمولية ودقة .

(ج) اقتراح الحلول للمشكلة :

على الانسان من خلال الدراسات المبدئية للحقائق التى يقوم بها أن يستنبط مجموعة من التخمينات الذكية « الفروض » باعتبارها حلولا ممكنة للمشكلة المطروحة أو باعتبار تلك الفروض تعميمات مقترحة لتفسير الحقائق التى يرى الانسان أنها سببت المشكلة .

(د) استنباط نتائج للحلول المقترحة :

فى مقدور الانسان الباحث أن يستنبط – مستخدما فى ذلك المنهج الاستنباطى – أنه مادامت فروضه التى تصور انها تحل المشكلة البحثية المطروحة صحيحة « مقدمة » ، فلابد أن تترتب على تلك الفروض بالتالى نتائج معينة « نتيجة » .

(هـ) الاختبار العملى للفروض :

ويتم اختبار الفروض عمليا من خلال البحث عن دليل مادى أى يمكن ملاحظته لاثبات إما أن النتائج المترتبة على الفرض قد حدثت فعلا أو لم تحدث ، ومن خلال ذلك الاختبار العملى للفروض يهدف الباحث الى بيان أى من الفروض المقترحة يتفق مع الحقائق التى تمت ملاحظتها وبالتالى يمكن الاعتماد عليها فى تقديم اجابة أكثر صدقا للمشكلة المطروحة (١١) .

وواضح من خلال تلك الخطوات الخمس لعملية التفكير التأملى – على حد تعبير فان دالين – كيف يعمل كل من الاستنباط والاستقراء معا كجناحين للعلم بدونهما لن يصل الى الحقيقة حيث يمهد الاستقراء لتكوين الفروض ويعمل الاستنباط على الكشف عن النتائج المنطقية المترتبة عليها وذلك بهدف استبعاد الفروض التى لاتتفق مع الحقائق ، ثم ما يلبث الاستقراء أن يعود مرة أخرى ليساهم فى تحقيق الفروض الباقية وهكذا حتى يتم التأكد من صدقها أو عدمه (١٢) .

ويرى البعض أن ذلك حال الباحث ينتقل دوما بين جمع الحقائق ومحاولة اصدار تعميمات أو فروض لتفسر تلك الحقائق واستنباط نتائج تلك الفروض ، ثم البحث عن المزيد من تلك الحقائق لاختبار صدق هذا الفروض ، ويظل الباحث على تنقله حتى يصل من خلال الاستخدام الأمثل لكل من الاستنباط والاستقراء إلى المعرفة التى يمكن الوثوق بها (١٣) .

ولكن هل تشكل كل خطوة من تلك الخطوات مرحلة فكرية متميزة فتسير بالتالى وباستمرار من خلال نفس التتابع ؟!

والجواب أن المعرفة المرتكزة على المنهج العلمى الجديد قد قدمت على هيئة خطوات متتابعة حتى تزداد عمليات ذلك المنهج وضوحا كما يقرر المتخصصون لأن تلك الخطوات لاتسير دوما بنفس التتابع كما أنها ليست بالضرورة مراحل فكرية منفصلة ، لأنه كثيرا

ما يحدث التداخل بينها وقد يتردد الباحث بين كل من تلك الخطوات عدة مرات ، فضلا عن أن هناك من المراحل ما يتطلب جهدا أكثر أو جهدا أقل (١٤) :

والخلاصة أن تلك الخطوات الخمس تكون معا فى تلاحمها وتضافرها الملامح الاساسية لطبيعة المعرفة الناتجة عن اتباع ذلك المنهج العلمى الجديد .

●

كيفية تطبيق المنهج فى البحوث العلمية ؟!

لابد من استخدام ذلك المنهج العلمى الجديد كأداة فعالة لحل العديد من أنماط المشكلات البحثية ، حيث لاغنى للباحثين العلميين فى شتى المجالات عن استخدامه واتباع خطواته سواء وهم يسعون لاكتشاف معلومات جديدة عن الكون وأسراره أو حتى وهم يعملون على تطوير سلعة مابشكل يساعد مباشرة على تحسين الأحوال الراهنة للمعيشة(١٥) :

وسواء أكان تطبيق المنهج العلمى يتم فى اطار النمط من البحوث المعروفه باسم « البحوث النظرية » أو فى اطار النمط الآخر المسمى بنمط « البحوث التطبيقية » ، فان طبيعة المنهج العلمى وأسسه واحدة فى الحالتين (١٦) .

هذا و«لجيمس آنجل G. Angell »مقولة مأثورة فى هذا الشأن حيث يقول « أن أغراض ودوافع البحوث فى العلوم البحتة «النظرية » قد تختلف عنها فى العلوم التطبيقية إلا أن الأسلوب المستخدم فى الحالتين واحد لا يتغير » ، كما يؤكد آنجل أن المنهج العلمى للتفكير التأملى (١٧) يعطينا مفتاحا للتقدم فى كل من البحوث البحتة والتطبيقية(١٨) :

●

الخلاصـــــة :

أن التفكير العلمى خلال مسيرته التاريخية الطويلة قد مر بالعديد من المراحل خلال سعيه للوصول الى المعرفة ، وكان منهجه فى البحث عن الحقيقة مع كل مرحلة يزداد تطور ويزداد نضوجا ، ولعل أهم مميزات ذلك المنهج أن الباحث خلاله كلما ازداد قربا من الحقيقة وامتلاكا لتراث معرفى يمكنه من الاجابة على كل التساؤلات المطروحة كلما وجد الباحث نفسه أيضا أكثر قربا من المجهول سواء من جراء التطور المستمر الذى يلحق بوسائل ذلك الانسان الباحث عن الحقيقة ، أو لاتساع نطاق الحقيقة ذاتها وتشعبها بدرجة تصعب الاحاطة بها ان لم تجعل تلك الاحاطة هى المستحيل ذاته ، الأمر الذى قلل لدى

الباحثين الشعور بامتلاكهم للمعرفة اليقينية التى تكاد تحيط بكل شىء علما وخاصة مع ذلك الانفجار الهائل الذى حققه العلم سواء على مستوى الكم الضخم من المعلومات أو بالنسبة لوسائل القياس وما تلا ذلك من تحطم لكثير من النظريات التى كانت فى الماضى من الرواسخ التى لا يمكن زعزعة الايمان المطلق بها .

المهم أن الثورة العلمية فى العصر الحديث جعلت الباحثين أكثر تواضعا وأقل ثقة فى رسوخ أرصدتهم من المعرفة وجعلتهم أكثر ميلا للشك فيما تحت أيديهم من نظاريات وقوانين ، ونادرا ما نجد باحثا يدعى أنه معصوم من الخطأ . وكثيراً ما نجد باحثين يلحون فى طلب العون من الآخرين لتأييد أو تعديل أو حتى إثبات بطلان ما توصلوا إليه من معارف ..

ومن هنا سادت قناعة بأن المنهج العلمى الجديد لا يؤدى اتباعه إلى تأكيدات مطلقة ومع ذلك يمكن الاعتماد عليه بصورة أكثر يقينا من تلك المناهج الأخرى التى تسعى إلى تحصيل المعرفة بوسائل جامدة أو مشكوك فى قدرتها على الوصول إلى تلك المعرفة المنشودة .

ويؤكد كل من « ناجيل وكوهين » على أن الفرق الجوهرى بين المنهج العلمى الجديد وبين ما سبقه من مناهج يكمن فى اتسام تلك المناهج بالجمود نتيجة لإفراطها فى الثقة فيما تنتهى إليه من معارف ، حيث أدى الإحساس بعصمتها من الخطأ إلى غفلة تلك المناهج عن توفير الضمانات الكفيلة بتصحيح ما قد ينتج من أخطاء .

وذلك على العكس من المنهج العلمى الجديد الذى يتسم بالشك ، والشك يستلزم لدحضه يقينا مدعوماً بأفضل ما يتوافر من أدلة وبراهين ، والأكثر من هذا أن عملية الشك هذه دينامية .: شك جديد يتلوه دليل جديد وهكذا حتى صار الشك واليقين — من خلال الدليل — جوهراً للمنهج العلمى وصارا معا — أى الشك واليقين — جزءاً متكاملا من المعرفة المتوافرة الأمر الذى ساعد على تطور العلم من خلال عدم الثقة المفرطة فى نتائجه (١٩) ..

وهناك اتفاق على أن المنهج العلمى المستخدم فى البحث عن الحقيقة قد يكون عملية بطيئة ، ولكن الشىء المؤكد أن ما يقدمه ذلك المنهج من حلول للمشكلات المطروحة يمكن قبولها بثقة أكبر من تلك الحلول الظنية التى تنهض على التخمينات أو الفروض التعسفية أو القرارات الكهنوتية ؛ لأن المعرفة الناتجة عن غير طريق المنهج العلمى لا يمكن لها أن تخبر عن الحقيقة فضلا عن أنها معوقة لاستمرارية البحث .

ويشبه « فان دالين » المنهج العلمى بالشعلة القوية التى تنير طريق الإنسان وتمكنه من اكتشاف آفاق جديدة من الحقيقة ، ويضيف ، أن الإنسان لم يتوصل بعد إلى منهج كامل للبحث عن تلك الحقيقة رغم ما أدخله من تحسينات على أساليبه البحثية وذلك على الرغم من أن المنهج العلمى الجديد قد أثبت فاعليته كوسيلة للبحث. وبصفة خاصة خلال العلوم الطبيعية (٢٠) :

هذا ويرى « كونانت J.B. Conant » نفس ما انتهى إليه « فان دالين » حيث يقرر أنه يندر وجود من يدعى أن مايسمى بالمنهج العلمى يمكن تطبيقه لحل معظم مشكلات الحياة اليومية فى عالمنا الحديث (٢١) .



المصادر والشروح

(١) من أوضح الأمثلة على ذلك شيوع العديد من الأفكار والنظريات الخاطئة وإحجام العديد من العلماء عن تمحيصها والتأكد من صحتها ، ومن أمثلتها نظريات بيضاوية الأرض وثباتها فوق قرنى ثور هائل ودورانها حول الكواكب ، وعلاج الأمراض عن طريق السحر والتمائم .. والخ .

(٢) هناك عدة أنواع للقياس ، أولها القياس « الحملى » ويتضمن عبارتين يفترض صدقها وبينهما من الارتباط ما يحمل منطقياً نتيجة معينة ، فاذا قبل شخص المقدمتين وجب عليه أن يوافق على النتيجة التى تعقبها ، هذا عن القياس الحملى ، أما النوع الثانى من القياس فهو قياس فرضى ينهض الاستنباط خلاله على هذا النحو :

إذا اشتعلت النار فى المدرسة ، أصبح الأطفال فى خطر .

اشتعلت النار فى المدرسة .

إذن الأطفال فى خطر .

أما النوع الثالث من القياس فهو قياس تبادلى ينهض الاستنباط خلاله على النحو الآتى :

إما أن أحصل على درجة النجاح فى هذا الامتحان أو أرسب فى هذا المقرر .

لن أحصل على درجة النجاح فى هذا الامتحان .

إذن سوف أرسب فى هذا المقرر .

أما النوع الرابع من القياس فيعرف بالقياس المنفصل والذى ينهض على هذا النحو :

ليس من الصحيح أن اليوم المطير يوم مناسب لإقامة مهرجان .

المدرسة فى الهواء الطلق .

اليوم مطير .

إذن ليس اليوم مناسباً لإقامة مهرجان المدرسة في الهواء الطلق .

ويقرر « فان دالين » أن كل قياس يسمى من واقع الأمثلة السابقة وفقاً لنوع القضية التي جاءت في المقدمة الكبرى ويستخدم كل نوع للدلالة على درجة معينة من درجات التأكد من المعرفة .

للاستزادة انظر :

Deobold B. Van Dalen, Understanding Educational Research, An Introduction. McGraw Hill, New York, 1962, Chap. 2.

(٣) المصدر السابق : . الفصل الثاني .

(٤) للاستزادة انظر :

دكتور صلاح الفوال ـ منهجية العلوم الاجتماعية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ؛

(٥) للاستزادة حول استخدام المنطق العقلي في البحوث العلمية انظر :

المصدر السابق ص ص ١٥٧ ـ ١٧٢ .

(٦) من أمثلة الاستقرار التام أو الكامل المثال الآتي :

إذا ما أراد باحث أن يحدد أنواع التخصصات التي ينتمي إليها أساتذة دائرة الاجتماع بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة وهران مثلا وأخذ يسأل كل عضو من أعضاء هيئة التدريس البالغ عددهم ثلاثين عضواً وأخذ يدون نتائجه على النحو الآتي :

الدكتور الفوال صلاح	(أ ١)	إجتماع	(ب ١)
الآنسه عمراني ليلى	(أ ١)	إجتماع	(ب ٢)
ـ		ـ	
ـ	(أ٣٥)	ـ	(ب ٣٠)

والنتيجة أن كل أعضاء هيئة التدريس بدائرة علم الاجتماع التابعة لمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة وهران بالجزائر ينتمون إلى تخصص علم الاجتماع .

ومن المثال السابق يتضح أن الاستقراء الكامل أو التام إن هو إلا وسيلة للحصول على المعرفة اليقينية ، ويتساءل « فان دالين » ونحن معه :: كم من المرات تتاح الفرصة للإنسان

كى يفحص كل الجزئيات التى تشير إليها نتائج بحثه؟ .. والرد على ذلك التساؤل .. أنه لا يمكن استخدام هذه الطريقة خلال معالجة معظم المشكلات.

(٦) للاستزادة انظر فان دالين – مصدر سابق – الفصل الثانى .

(٧) للاستزادة انظر .

Becon, Francis, Novum Organum, 1620.

(٨) المصدر السابق .

(٩) فان دالين – مصدر سابق – الفصل الثانى .

(١٠) انظر فى ذلك :

دكتور صلاح الفوال – منهجية العلوم الاجتماعية – مصدر سابق ص ص ١٦٣ – ١٦٥ ، الجزء الخاص بالمحاولات التوفيقية لاستخدام الاستدلال العقلى .

(١١) بتصرف عن المصدر الآتى :

Dewey, John, How we Think, D.C.Heath and Company, 1910, 1933, PP. 12 — 14.

(١٢) للاستزادة انظر :

- Searles, Herbert L., Logic and Scientific Methods, The Ronald Preps Company New York, 1948, P. 4.

(١٣) فان دالين – مصدر سابق .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) انظر :

دكتور صلاح الفوال – منهجية العلوم الاجتماعية – مرجع سابق ص ص ١٢٥ – ٢٢٦ .

(١٧) يقصد بالمنهج العلمى للتفكير التأملى .. المنهج الجديد بالصورة التى حللناها قبلا لا سيما من حيث اعتباره للاستدلال والاستقراء كجناحين للمعرفة .

(١٨) للاستزادة انظر :

Angell, James R., «The Organiz of Research,» Journal of Proceedings and Addresses of the Association of American Uni. Chicago : Uni of Chicago Press, 1919, P. 27.

(١٩) للاستزادة انظر :

Cohen, M. and Nagel, E, An Introduction to Logic and Scientific Method, Harcourt, Brace and World, Inc., New York. 1934, PP. 194 — 195.

(٢٠) للاستزادة انظر :

فان دالين — مصدر سابق — الفصل الثانى ؛

(٢١) للاستزادة انظر :

Conant, James B, On Understanding Science, Yale University Press, New Haven, 1951 Chap. I, 1947, PP. 9 — 10.

وانظر أيضاً :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — مصدر سابق .



الفصل الثانى

طبيعة البحث العلمى
فى العلوم الاجتماعية

- مقـدمة ٠
- ما هى البحوث العلمية ؟!
- انماط البحوث العلمية ٠
- وظائف البحث العلمى ٠
- سمات البحث العلمى ٠

طبيعة البحث العلمي

في العلوم الاجتماعية

مقـــدمة :

يدعى البعض أن المنهج العلمى الحديث لا يمكن استخدامه إلا فى مجال العلوم الطبيعية ، ولقد كان لنا مع ذلك الزعم حديث طويل .. امتد على صفحات مؤلفنا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » بالكامل من ألفه إلى يائه ، ونحن لا نريد هنا تكرار لما سبق أن سقناه من أدلة أو براهين تثبت اتباع العلوم الاجتماعية لنفس أسس وقواعد المنهج العلمى الحديث ، بل وتوضح أيضاً أن هناك تبادلية بين المناهج والأدوات المستخدمة فى مجال كل من العلم الطبيعى والعلم الإنسانى بشكل أدى ليس فقط إلى إثراء طرق تحصيل المعرفة فى مجال كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية ، بل أدى كذلك إلى نمو المعرفة ذاتها سواء فى مجال العلم الطبيعى أو الإنسانى (١) .

ولو أضفنا إلى ذلك ما يؤكده عدد غير قليل من علماء المنهجية من أن تحصيل المعرفة لا يمكن أن يكون نتيجة لاتباع منهج وحيد للبحث ، وتأكيد عدد آخر من الباحثين على أنه ليس ممكنا أن نصوغ مجموعة جامدة من القواعد ونطلب من الباحثين فى شتى مجالات المعرفة إنسانية كانت أو طبيعية ضرورة اتباعها ، وذلك نظراً لاختلاف طبيعة كل علم من العلوم التى تفرز تلك المعارف (٢) .

إلا أنه من الملاحظ أنه على الرغم من تعدد مناهج البحث إلا أن هناك العديد من السمات العامة التى تميز البحوث العلمية والتى تجعل وحدة المنهج العلمى للبحث ضرورة منهجية (٣) .

مرة أخرى نحن لا نرغب فى تكرار ما سبق أن قلناه خلال مؤلفنا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » المشار إليه لا بالنسبة لطبيعة المنهجية فى البحث ، ولا بالنسبة لطبيعة العلوم الاجتماعية ذاتها ، ولكننا هنا فقط نسعى إلى إعطاء فكرة ولو موجزة عن طبيعة البحث العلمى ذاته ومايلاقيه من مشكلات أو مصاعب هى أوضح ما يكون فى العلوم الاجتماعية

عنها فى العلوم الطبيعية نظراً لوجود العديد من الفوارق غير المذكورة بين كل من العلم الطبيعى والعلم الاجتماعى خاصة فى مجال الوسائل والتقنيات .. ! !

●

ما هى البحوث العلمية ؟!

تعددت محاولات تعريف البحث العلمى فى محاولة لتحديد هويته ، ولسوف نعرض هنا للعديد من تلك المحاولات من خلال النقاط المحددة الآتية :

١ — البحث العلمى عبارة عن « تقص أو فحص دقيق يهدف إلى اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة ، كما أنه نمو للمعرفة الحالية والتحقق منها » .. (٤) .

٢ — البحث العلمى عبارة عن « عمليات فحص أو تقص دقيقة بهدف الوصول إلى حقائق أو قواعد عامة ثم التحقق منها » .. (٥) .

٣ — البحث العلمى عبارة عن « محاولة دقيقة وناقدة تستهدف التوصل إلى حلول للمشكلات التى تؤرق الإنسانية وتحيرها » .. (٦) .

٤ — البحث العلمى عبارة عن « عملية تقص عن الحقائق ومعانيها وتطبيقاتها بالنسبة لمشكلة ما » .. (٧) :

٥ — البحث العلمى عبارة عن « استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن توصيلها والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمى » .. (٨) .

٦ — البحث العلمى عبارة عن « وسيلة للدراسة يمكن عن طريقها الوصول إلى حل لمشكلة معينة ، وذلك من خلال التقصى الدقيق والشامل لمختلف الشواهد والأدلة القابلة للتحقق والتى لها علاقة بالمشكلة المطروحة » .. (٩) :

٧ — البحث العلمى « لايعدو أن يكون سعيا وراء معرفة جديدة ولو أنه مع ذلك واحد من أوجه النشاط المعقدة المحيرة » .. (١٠) .

٨ — هناك من يرى أن تعريف البحث العلمى يختلف باختلاف أنواع البحوث ومجالاتها وأهدافها ووسائلها وأدواتها ، ومن هنا فإن من الأوفق ألا يشغل الدارس نفسه بمسألة التعاريف هذه اكتفاء بالتأكيد على نوعية وخصائص البحث الجيد (١١) :

●

مفهوم البحث العلمي كما نراه :

البحث العلمي مفهوم دينامي ينهض على منهج أو عدة مناهج علمية تتيح للباحثين قدرة أكثر سواء عند دراسة واكتشاف الحقائق المتصلة بالمشكلة المطروحة ، أو عند استنباط حقائق جديدة حول الظاهرة المبحوثة ، أو عند إعادة التأكد من صحة التفسيرات حول ما سبق بحثه من ظواهر أو وقائع :

●

انماط البحوث العلمية :

تختلف أنماط البحوث العلمية باختلاف الظاهرة المبحوثة وبحسب الهدف الذى تسعى إليه تلك البحوث من خلال دراستها العلمية ، كما قد تختلف تلك الأنماط بحسب مناهج البحث المستخدمة خلالها ، وعلى كل فنحن سنحاول هنا أن نتعرض لتلك التصنيفات التى حددت أنماط البحوث العلمية وذلك على النحو الآتى :

١ — هناك من يصنف البحوث العلمية :: إلى بحوث تنقب عن الحقائق ، وبحوث تسعى إلى التفسير السببى ، وبحوث كاملة ، والنمط الأول يهدف إلى التنقيب عن حقائق معينة دون محاولة للتعميم أو لاستخدام هذه الحقائق فى حل مشكلة معينة ، أما النمط الثانى فيعتمد على التدليل المنطقى بغرض الوصول إلى حلول للمشاكل وخاصة إذا ما كانت تلك المشاكل متعلقة بالأفكار أكثر من تعلقها بالحقائق ، أما النمط الثالث فهو يسعى إلى حل المشكلات ووضع التعميمات بعد التنقيب الدقيق عن جميع الحقائق والأدلة (١٢) :

٢ — هناك من يرى أن البحوث إما أن تكون بحوثاً مسحية أو بحوثا تعنى بالمناهج والأدوات ، أو بحوثاً تطبيقية أو أخيراً بحوثاً اختبارية (١٣) .

ولمزيد من الشرح فإن البحوث المسحية : : هى تلك البحوث التى تعنى بصفة أساسية بالبحث عن المتغيرات وكيفية ترابطها لذلك فهى بحوث استكشافية ، أما البحوث التى تعنى بالمناهج والأدوات المستخدمة فى عملية الملاحظة :: فهى تهتم بتصميم أدوات بحثية جديدة أو تعنى بالمقارنة بين أداة وأخرى للأفضلية بينها عند الاستخدام ، أما البحوث التطبيقية — كما يتصورها أدواردز — فهى تلك التى تعنى بالمناهج من حيث الابتكار أو الأفضلية ولكن القرار بشأنها لايتخذ إلا من خلال دراسة تطبيقية تجرب خلالها تلك المناهج ، أما النوع الرابع والأخير وهو البحوث الاختبارية التى تعنى باختبار مجموعة

من الفروض لتكون محكا للفصل بين توقعات الباحث وبين ما أسفرت عنه دراسة المشكلة على الطبيعة .

٣ — هناك من يرى أن البحوث تندرج تحت خمسة أنماط رئيسية :: أولها البحث المسحى ، وثانيها البحث الوصفى على المدى الطويل ، وثالثها بحث دراسة الحالة ، ورابعها البحث الذى يعنى بتحليل العمل والنشاط ، أما النمط الخامس والأخير فهو نمط البحوث الوثائقية والمكتبية (١٤) .

٤ — هناك من يرى أنه توجد أربعة نماذج رئيسية تندرج تحتها البحوث العلمية.: وهذه النماذج هى :: النموذج الفلسفى ،والنموذج التنبؤى ، والنموذج السوسيولوجى ، وأخيرا النموذج الإبداعى (١٥) .

ولمزيد من الشرح حول تلك النماذج نقول أن :

ا — النموذج الفلسفى للبحث ، يهدف إلى سبر غور البيانات المتوافرة عن البحوث العلمية والتعرف على دلالاتها الحقيقية وهى فى سبيل ذلك تقيم لها من الأبنية النظرية ما يكفل لها تحقيق أهدافها (١٦) .

ب — النموذج التنبؤى للبحث ، وهو يستهدف الكشف عن الطريقة التى ستسلكها متغيرات معينة فى المستقبل ، ولقد نبه هويتنى إلى أن التنبؤية المقصودة هنا ليست تلك التى يتسم بها العلم بصفة عامة ، ولكن التنبؤ المقصود مرتبط بسلوك بعض المتغيرات مستقبلا (١٧) :

ج — النموذج السوسيولوجى للبحث ، ويشمل نطاق البحث السوسيولوجى مختلف ميادين البحث الاجتماعى ، وواضح أن هذا النموذج يرتبط بالبحوث الاجتماعية ويمكن فى المقابل أن تكون هناك نماذج تاريخية وأخرى اقتصادية وثالثة نفسية ... الخ :

د — نموذج البحث الإبداعى ، وهذا النموذج يختص أساسا بالبحث حول مختلف العوامل التى تحكم عمليات الإبداع فى مختلف مجالات العلم والفن والتكنولوجيا (١٨) :

٥ — وهناك من يرى أن البحوث تندرج من حيث طبيعتها والدوافع التى تجرى إليها تحت نمطين رئيسيين أولها ما يعرف بالبحوث الأساسية أو البحتة ، وثانيها هو البحوث التطبيقية ، والنوع الأول الذى قد يعرف كذلك بالبحوث النظرية عبارة عن نشاط علمى يستهدف بصورة مباشرة التوصل إلى حقائق ونظريات علمية وبصرف النظر عما تؤدى إليه

تلك الحقائق أو القوانين أو النظريات العلمية المكتشفة من آثار تطبيقية ، أما النمط الثانى فيضم البحوث التطبيقية باعتبارها نشاطا علميا متجها بصورة أساسية ومباشرة نحو غايات تطبيقية ، سواء تم ذلك على مستوى تطبيق المعارف المتوافرة ، أو تم على مستوى اكتشاف معلومات ومعارف جديدة تكون مفيدة فى حل عدد من المشكلات المجتمعية الراهنة (١٩) :

٦ ــ وهناك من يرى أن البحوث تنقسم من حيث الموجهات الدافعة لها إلى نمطين أساسيين ، أولهما مايعرف بالبحث الحر ، وثانيهما مايعرف بالبحث الموجه ، والنمط الأول فى إيجاز شديد بحث لاينطلق من أية مقيدات أو موجهات سوى إرادة الباحث الحرة ، والنمط الثانى بحث توجهه أيديولوجية مجتمعية معينة لتحقيق غايات بذاتها (٢٠) :

٧ ــ وهناك من يرى أن البحوث العلمية تنقسم وفقاً للمناهج والأساليب المستخدمة خلالها إلى ثلاثة أنماط رئيسية هى .. البحوث الوصفية والبحوث التاريخية والبحوث التجريبية :

ولمزيد من الشرح نقول أن :

ا ــ البحوث الوصفية Descriptive Research ، بحوث تهدف إلى وصف ظواهر أو وقائع و أشياء معينة من خلال جمع الحقائق والمعلومات والملاحظات الخاصة بها وبحيث يرسم ذلك كله صورة واقعية لها ، هذا وقد لاتكتفى تلك البحوث بمجرد وصف الواقع أو تشخيصه وتهتم بتقرير ما ينبغى أن تكون عليه الأشياء أو الظواهر موضوع البحث .

ب ــ البحوث التاريخية Histroical Research ، وهى الأخرى لها نفس الطبيعة الوصفية حيث تصف تلك البحوث وتسجل الوقائع والأحداث التى حدثت فى الماضى وفقاً لقواعد وإجراءات خاصة ، ولكن ذلك الوصف يتم بهدف تحليل الماضى وتفسيره بطريقة تمكننا من اكتشاف تعميمات تساعد ولا شك فى فهم الحاضر وتمكن بالتالى من التنبؤ بالمستقبل .

ج ــ البحوث التجريبية Experimental Research ، وهى تلك البحوث التى تنهض فى دراستها للمشكلات والظواهر على أساس من التجريب العلمى القائم على الملاحظة المنظمة وفرض فروض يمكن التحقق منها من خلال التجربة .. والتجربة المعملية بالذات الأمر الذى يوفر سمة الضبط لتلك البحوث (٢١) .

٨ — وهناك تصنيف آخر يختلف مع التصنيف السابق ويتفق معه فى عدة أمور ، حيث يرى أن البحوث إما أن تكون بحوثاً كشفية أو وصفية أو تشخيصية :

ولمزيد من الشرح نقول أن :

ا — البحوث الكشفية ، تهدف إلى زيادة ألفة الباحث بالظاهرة المبحوثة وذلك عن طريق اكتشاف معارف أو أفكار جديدة تمكن فى النهاية من تحديد مشكلة البحث بطريقة أكثر دقة ، وتطوير الفروض بصورة يسهل اختبارها ، هذا وترتكز البحوث الكشفية بصفة أساسية على استثمار نتائج البحوث والدراسات السابقة عليها :

ب — البحوث الوصفية ، وتكاد تنحصر أهداف البحوث الوصفية فى العرض الدقيق والصحيح للخصائص العامة لوضع اجتماعى ما سواء أكان ذلك العرض مبنيا على افتراض مسبق أو لم يكن كذلك :

ج — البحوث التشخيصية ، وتعرف هذه البحوث بالبحوث التى تختبر فروضا سببية لأنها تتناول مختلف الأسباب المحتملة المؤدية إلى حدوث الظواهر المبحوثة وما يمكن إجراؤه لتعديل بعضها (٢٢) :

٩ — وهناك تصنيف لايعترف بكل ما سبق من أنماط ويقترح أن يتم تحديد أنماط البحوث العلمية على أسس أخرى تختلف عن أسس التنميط السابقة ، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن البحوث تصنف إما على أساس المستوى ، أو على أساس التحكم فى المتغيرات أو على أساس نوع الفائدة (٢٣) :

ولو حاولنا أن نتتبع أهم ملامح هذا التصنيف لوجدناه ينهض على الأسس التالية :

أولا — أبحاث المستوى ، والمستوى يتحدد هنا بعدد الخطوات التى تستغرقها طريقة البحث ، حيث توجد أبحاث تنهض فقط على أولى خطوات البحث العلمى وهى « تحديد مشكلة البحث » لذلك فمن أشهر أنماطها البحوث الكشفية والاستطلاعية ، وهناك الأبحاث التى تنتهى خطواتها عند تحليل المشكلة إلى متغيرات وما يمكن أن يقوم بين هذه المتغيرات من علاقات ومن أمثلتها الأبحاث الوصفية أو المسحية والتتبعية والارتباطية ، وهناك الأبحاث التى تستهدف الكشف عن الأسباب التى تكمن وراء الظاهرة وتعرف هذه الأبحاث بالأبحاث التجريبية :

ثانيا — أبحاث التحكم فى المتغيرات ، ويندرج تحت هذه الأبحاث نمطان أساسيان

أولها الأبحاث التجريبية وثانيها الأبحاث الميدانية، والنمط الأول مرهون بتحكم الباحث فى متغيرات الظاهرة وقدرته على تغيير بعضها ورصد ما يحدث من تغيرات معمليا ، والنمط الثانى يحدث نتيجة لعدم قدرة الباحث على التحكم فى متغيرات الظاهرة ورصدها كما تحدث فى مجالها الطبيعى ؛

ثالثا – أبحاث الفائدة ، ويرتبط التصنيف خلالها بالفائدة المرجوة من وراء البحث فان كانت الفائدة الناتجة عنه فائدة علمية أكاديمية كان البحث أساسيا ، وإن كانت الفائدة الناتجة عنه عملية كان البحث تطبيقياً .

رابعا – يجمع هذا الاتجاه التصنيف المقترح للبحوث العلمية وفقاً للتنظيم الآتى :

ا – المستوى الأول ، وتطلق على الأبحاث المنضوية تحته .. الأبحاث الاستقصائية ومن أهمها الأبحاث الكشفية والاستطلاعية .

ب – المستوى الثانى ، وتعرف الأبحاث المتدرجة تحته بالأبحاث الوصفية ومن أهم نماذجها البحوث المسحية والتتبعية والارتباطية ؛

ج – المستوى الثالث ، وينهض على الأبحاث السببية والتى من أهمها البحوث التجريبية .

د – المستوى الرابع ، أبحاث التحكم واللا تحكم ، ويضم البحوث المعملية والتجريبية كنموذج لأبحاث التحكم ، والبحوث الميدانية كنموذج لأبحاث اللا تحكم ؛

هـ – المستوى الخامس ، أبحاث الفائدة ، وتضم البحوث الأساسية لو كانت الغاية أو العائد منها علميا فقط ، والبحوث التطبيقية لو كانت الغاية أو العائد عمليا (٢٤) ؛

●

وظائف البحث العلمى :

لاتختلف كثيراً وظائف البحث العلمى عن وظائف العلم بشكل عام ، وهذه الوظائف ببساطة شديدة هى المعرفة وصولا للتفسير ، والتفسير كركيزة للتنبؤ ، والتنبؤ باعتباره وسيلة للضبط والتحكم .

ولو تأملنا هذه الوظائف لوجدناها سلسلة متتابعة الحلقات ، وفى إطار البحوث

العلمية يمكن أن تشكل كل حلقة من تلك الحلقات هدفا قائماً بذاته ، ولكن من خلال العلم لابد أن تتكامل هذه الحلقات في تتام وتتابع ، وذلك لأن العلم هو المحتوى الأشمل والأعم أو الإطار الذى تتم خلاله البحوث العلمية ، أو بمعنى آخر .. العلم هو الهدف .. والبحوث العلمية هي الأداة ، لذلك قد نجد من البحوث ما هو كشفى أو وصفى أو تشخيصى ، وقد نجد منها ما هو كل ذلك جميعاً ، ولكننا لايمكن أن نجد العلم الحق أبدا إلا فى صوره المتنامة حيث تتكامل وظائفه فى تتابع منطقى .

وعلى كل سنحاول هنا أن نوجز وظائف البحث العلمى على النحو الآتى (٢٥) :

١ ـ التفسير :

يعد التفسير وظيفة أساسية للبحوث العلمية ، لأن الباحثين خلاله يتجاوزون مجرد وصف الظواهر إلى تقديم التفسيرات الملائمة لها انطلاقاً من الفروض المفسرة لأن هدف البحث العلمى يجب أن يكون معرفة الأسباب التى أدت إلى حدوث الظاهرة بالشكل الذى حدثت عليه ، لأن ذلك بدوره سوف يقود إلى صياغة تعميمات قابلة للتحقق ومفسرة للطريقة التى تعمل بها مختلف المتغيرات المتضمنة فى الموقف المبحوث .

إذن التفسير ـ كأحد وظائف البحث العلمى ـ هو فهم سببى يستهدف تحديد الأسباب التى لولاها ما حدثت الظاهرة بالشكل الذى حدثت عليه ، والتفسير عملية عقلية أكثر منها عملية حسية ، ويؤدى التفسير بالضرورة إلى التنبؤ .

٢ ـ التنبؤ :

التنبؤ لغة . . هو التكهن بوقوع أمر ما قبل أن يقع ، أو هو نوع من الحكم المسبق بوقوع أمر ما على صورة معينة ، لكن المفهوم العلمى للتنبؤ يرتكز على وجود العلة أو غيابها ، وإمكانية التنبؤ متوافرة فى نطاق العلم الاجتماعى كما هى متوافرة فى نطاق العلم الطبيعى (٢٦) .

المهم أن التنبؤ يعد من أهم وظائف البحث العلمى حيث لايقنع الباحثون عادة بصياغة تعميمات تفسر الظواهر بل يسعون إلى التنبؤ بالطرق التى ستعمل بها تلك التعميمات مستقبلا .

٣ ـ الضبط والتحكم :

التحكم أو الضبط هو نتيجة منطقية لكل من التفسير والتنبؤ ، بمعنى أنه مادام التنبؤ ممكنا من خلال تكرار حدوث الظاهرة بشكل ما إذا ما توافرت علات وقوعها فإنه من من الممكن بالتالى التحكم فى إمكانية ذلك التكرار من عدمه :

ومع التسليم بامكانية التحكم فى مجال العلوم الطبيعية إلا أن هناك شكا كبيرا فى إمكانية التحكم خلال العلوم الاجتماعية ، ولكن ليس من الضرورى أن يكون ذلك التحكم واقعياً أو ماديا فى كل الأحوال وإنما يكفى أن يكون ذلك التحكم من النوع النظرى أو الفرضى إذا ما كان بناء الظاهرة بصورة عملية أمراً غير ممكن كما هو الحال فى العلوم الاجتماعية (٢٧).

وعلى حال فإن إمكانية التحكم أو الضبط خلال البحوث العلمية تتوقف أولا وأخيراً على تحديد مختلف الظروف والعوامل أو المتغيرات التى تؤدى إلى حدوث الظاهرة بالشكل الذى حدثت أو المتوقع أن تحدث عليه .

●

سمات البحث العلمى :

من الأمور التى لاتحتاج لجدل كثير وخصوصاً إذا ماكان من ذلك النوع التعصبى بحكم الانتماء ، أن البحث العلمى فى مجال العلوم الطبيعية والحيوية قد بلغ درجة عالية من التقدم المحقق لغايات العلم فى الوصف والتفسير والتنبؤ والتحكم ، ومن الأمور المتفق عليها كذلك أن البحث العلمى فى بعض مجالات العلوم الاجتماعية يكاد يكون له نفس سمات التقدم التى لنظيره فى العلوم الطبيعية والحيوية ، لكن فى المقابل توجد كثير من العقبات أو المصاعب التى تكاد تشكل السمة الأساسية للبحث العلمى فى مجال كثير من العلوم الاجتماعية .

ونحن لسنا مع الذين يدعون أن العلوم الاجتماعية نتيجة لتلك المصاعب لن تكون أبدا علمية ، لأن ذلك ادعاء لايستحق حتى عناء المناقشة ، ولسنا كذلك مع الذين يقولون أن العلوم الاجتماعية فى طريقها لأن تكون علمية ، ولقد كان لنا مع هذه النقطة حديث طويل إمتد بطول وعرض كتابنا عن منهجية العلوم الاجتماعية كله ، كما أننا لسنا بطبيعة الحال مع الذين يقولون أن البحوث العلمية فى إطار العلوم الاجتماعية قد بلغت درجة من الكمال وبحيث لم يعد فى الإمكان أبدع مما كان .. وذلك لأن العلم لا نهائى وديناى يتغير مع كل يوم بل مع كل لحظة .

ولو أننا نحب أن نلفت النظر أنه حتى البحث فى مجال العلوم الطبيعية والحيوية ليس بحثا بغير مصاعب أو متاعب ، حيث تعانى من مخاطر التجريب والاحصاء بالذات فضلا عن اشتراكها مع العلوم الاجتماعية فى المصاعب الناتجة عن عدم الموضوعية (٢٨) .

وعودة إلى محاولة تحديد سمات البحث العلمى فى العلوم الاجتماعية من خلال المصاعب التى تواجهه ، توضح أن هذه السمات هى (٢٩) :

١ ـ اتسام المادة المدروسة بالتعقيد :

على الرغم من اشتراك كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية فى دراسة مادة واحدة فى كثير من الأحيان ، إلا أن الباحث الطبيعى يهتم بالظواهر الفيزيقية ، وعلى الرغم من وجود عناصر فيزيقية فى الوقائع الاجتماعية ، إلا أن تفسير الظواهر الاجتماعية يحتاج فى كثير من الأحيان — كما يقرر فان دالين — إلى شىء آخر غير قوانين الفيزياء أو علم وظائف الأعضاء :

ويضرب « فان دالين » مثالا لذلك قائلا أنه إذا ما ضرب المدرس طفلا ، فإن قوانين الفيزياء والكيمياء والفسيولوجيا تقدم لنا تفسيرات جزئية عن الحادث ، ولكنها تعجز عن تقديم تبرير لبعض الجوانب الهامة للواقعة باعتبارها فعلا اجتماعيا ، فهى مثلا تفشل فى توضيح :: لماذا ضرب المدرس الطفل ؟! وكيف كان شعور الطفل المضروب ؟ ! : : وما هو رد الفعل سواء لدى والدى التلميذ المضروب أو لدى إدارة المدرسة؟! :. ثم ما هى الإجراءات التى اتخذت إزاء ذلك الفعل ؟! .. (٣٠) .

والخلاصة أن المادة المعالجة من خلال البحوث فى مجال العلوم الطبيعية أبسط من مثيلتها فى العلوم الاجتماعية لأن الباحث خلال العلوم الطبيعية يتعامل مع مختلف الظواهر على مستوى واحد هو المستوى الفيزيقى فلو أضفنا إلى ذلك أن المستوى الفيزيقى لا يتضمن عادة سوى عدد قليل من المتغيرات التى يمكن قياسها بدقة وسهولة فى معظم الأحوال :. نقول لو راعينا كل ذلك لاتضحت مدى السهولة النسبية للبحث خلال العلوم الطبيعية ، أما على الجانب الآخر فإننا نجد العكس :. حيث تتعامل العلوم الاجتماعية مع حالات أكثر تعقيداً باعتبارها تتعامل مع الإنسان وهو فى مختلف حالاته الفردية والجماعية والمجتمعية ، فضلا عن ذلك فإن المشكلات أو الظواهر الاجتماعية تتضمن قدراً كبيراً من المتغيرات التى تصعب من مهمة الباحث وخاصة وهو يواجه مختلف الاحتمالات بالنسبة لها .

٢ ـ صعوبة ملاحظة الظواهر الاجتماعية :

الظواهر الاجتماعية كمواد للدراسة يصعب ملاحظتها ملاحظة مباشرة ، فالباحث الاجتماعى مثلا لا يستطيع — مهما بلغت وسائله — أن يرى أو يسمع أو يلمس أو يذوق ظاهرة حدثت فى الماضى ، كما أنه ليس فى مقدوره أن يكرر الأحداث الاجتماعية السابقة لكى يلاحظها بشكل مباشر ، وكل ما يمكن للباحث فى مجال العلوم الاجتماعية أن يفعله هو ملاحظة بعض الظواهر الاجتماعية الراهنة ولكنه لا يستطيع ملاحظة البعض الآخر

حتى يأخذه فى اعتباره أثناء عملية البحث ومن أمثلة هذا البعض الآخر الذى لايخضع للملاحظة أو الفحص المباشر : . المشاعر المضمرة والدوافع والأحلام ... الخ .

هذا ومن أبرز سمات الوقائع الاجتماعية أنها أكثر تباينا من مثيلاتها فى مجال العلوم الطبيعية علاوة على ولع تلك الوقائع بالتغيير المستمر .

٣ ـ الظواهر الاجتماعية اقل قابلية للتكرار :

الظواهر الطبيعية على درجة عالية من الوحدة والتواتر ولذلك فمن اليسير تجريدها وصياغتها والتعبير عنها فى صورة كمية بل وتعميمها على هيئة قوانين ونظريات دقيقة ، أما الظواهر فى مجال العلوم الاجتماعية فهى على العكس من ذلك حيث الوقائع خلالها محددة وتتناول أموراً مفردة ولايمكن أن تتكرر بنفس الصورة بأى حال من الأحوال .

ويرى البعض أنه على الرغم من أننا نستطيع أن نصوغ بعضا من التعميمات عن الحياة الاجتماعية والسلوك الإنسانى مثل التعميمات التى يمكن صياغتها عن السمات المشتركة للثورات والحروب : .. الخ ، إلا أن الظاهرة الاجتماعية تتسم بشخصية متفردة وغير متكررة .

لذلك فان صياغة القوانين الاجتماعية وتحقيقها أمر أكثر صعوبة بالمقارنة بمثيلاتها فى العلوم الطبيعية وذلك راجع بالقطع إلى أن الظواهر الاجتماعية أقل وحدة وتكرارا من الظواهر فى مجال العلوم الطبيعية (٣١) .

٤ ـ الاحساس المتبادل بين الباحث والظاهرة المبحوثة :

الباحث من خلال العلوم الطبيعية يتعامل مع ظواهر بغير عواطف أو شعور ذاتى ، حيث لا يجد العالم الطبيعى نفسه مضطراً لأن يراعى عواطف الكواكب والمحيطات أو حتى الكائنات العضوية ، لأن المادة التى يعالجها ليست لها عواطف أو دوافع كما أنها لاتتأثر برغبة الإنسان ودوافعه ، وهذا على العكس من الظواهر فى مجال العلوم الاجتماعية التى تمتاز بحساسية أكثر لأن محورها هو الإنسان فى حالاته المختلفة وخاصة أن ذلك الإنسان مخلوق غرضى ــ كما يقول فان دالين (٣٢) ــ يسعى للوصول إلى أهداف معينة وفى وسعه أن يختار من الوسائل ما يحقق غرضه بل ويملك القدرة على تعديل سلوكياته بما يتواءم مع أهدافه ، وهنا تكمن مشكلة العلوم الاجتماعية حيث إنها تتوقف كثيراً على إرادة ذلك الإنسان وأهدافه وما يلحق بها من تبدلات وتحولات .

هذه واحدة :: أما الثانية فإن الباحث فى مجال العلوم الطبيعية يملك قدراً كبيراً من الاستقلال الذاتى إزاء الظاهرة المبحوثة فليس بينه وبينها لغة تخاطب مشتركة ولا تجمعهما تقاليد واحدة أحيانا ولا يخفق قلبه لمشاعر الألم أو الفرح التى قد تبديها تلك الظواهر ، لا لشئ إلا لأن الظواهر الطبيعية لا تملك فعلا هذه الخاصية وذلك بعكس الظواهر الاجتماعية حيث يجد الباحث نفسه واحدا من المجتمع الذى يبحثه أو هو شريك فى موقف اجتماعى ما مع الظاهرة المبحوثة .

المهم أن الاحساس المتبادل بين الباحث فى مجال العلوم الاجتماعية وبين الظاهرة المبحوثة قد يجعلها شريكين فى علاقة اجتماعية مشتركة مع ما يترتب على تلك العلاقة من بروز للأحكام التى تنبع عن القيم والآراء والمعتقدات والعواطف الخاصة .. وهذا معناه البعد عن الموضوعية أو التحيز .

وبعد :. تلك كانت بعض المصاعب التى ترتبط بمجالات البحث فى العلوم الاجتماعية والتى تشكل سمة أساسية من سمات البحث العلمى خلالها ، وليس معنى هذا أن تلك المصاعب قد صارت قدراً لا مهرب ولا مفر منه بالنسبة للعلوم الاجتماعية ، وإنما يوجد الكثير من الطرق والضمانات التى تهيئ أكبر قدر من الموضوعية للبحوث فى مجال العلوم الاجتماعية ، ولقد كان لنا مع هذه الضمانات حديث طويل فى غير هذا المكان (٣٣) :



المصادر والشروح

(١) للاستزادة انظر :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — مصدر سابق :

(٢) انظر على سبيل المثال :

Brown, Clarence W., and E.E. Chiselli, Scientific Method In Psychology, McGraw-Hill BookCompany, Inc., New York, 1935, Chap. I PP. 5 — 6.

(٣) انظر — منهجية العلوم الاجتماعية مصدر سابق ص ص ٧ — ١٣ :

(٤) هذا التعريف قدمه J. Francis Rummel خلال مؤلفه عن

An Introduction to Research Procedures»

والذى نشره Harper and Row Publishers فى New York عام 1946
انظر ص ٩ منه :

(٥) صاحب هذا التعريف هو Woody ولقد أورده F.L., Whittney,
ضمن مؤلفه عن The Elements of Research والذى صدر فى New York
عام 1946 انظر ص ١٨ منه .

(٦) أورد Van Dalen هذا التعريف على لسان الدارسين للبحث العلمى ضمن مؤلفه عن « مناهج البحث » المشار إليه قبلا — انظر الفصل الأول منه ص ٩ .

(٧) هذه التعريف أورده Whittney ضمن مؤلفه المشار إليه قبلا ، ولقد أشار هويتنى أن هذا التعريف نقلا عن « جماعة زملاء التربية » ، انظر ص ١٩ من المصدر المذكور :

(٨) صاحب هذا التعريف هو N, Polansky أورده ضمن Social Work Research ص ٢ ، ولقد ورد هذا المصدر فى :

دكتور : أحمد بدر — أصول البحث العلمى ومناهجه — وكالة المطبوعات — الكويت — الطبعة الخامسة ١٩٧٩ ص ١٩ .

(٩) صاحب هذا التعريف هو T, Hillway وقد أورده ضمن مؤلفه عن Introduction to Rescarch الذى أصدره فى Boston عام 1964 انظر ص ٥ منه :

(١٠) صاحب هذا الرأى هو Beveridge وقد ضمنه مؤلفه عن The art of Scientific Investigation»

الذى أصدر فى New York الطبعة الثالثة منه عام 1957 ، انظر ص ٥ من مقدمة الكتاب المذكور .

(١١) للاستزادة انظر :

Carter V. Good, Introduction to Educational Research, Applento. Century crafts, New York, 1963, P. 2.

(١٢) للاستزادة حول هذا التصنيف انظر :

دكتور أحمد بدر — مصدر سابق ص ص ٢٠ — ٢٨ .

(١٣) للاستزادة حول هذا التصنيف انظر :

Edwards, A.L. Experiments : Theirplanning and execution, Handbook of Social Psychology ed., 1954, PP. 250 — 289.

(١٤) ذكر هويتنى Whitney ذلك خلال كتابه Elements of Research الذى صدر فى New York عام 1946 ، أثناء تصنيفه لمناهج البحث العلمية ، وقد ضمن هويتنى هذه الأنماط الخمسة تحت المنهج الوصفى ، انظر ص ص ١٥١— ١٨٧ من المرجع المذكور ه

(١٥) صاحب هذا التصنيف هو أيضاً هويتنى « انظر المصدر السابق » .

(١٦) مع العلم بأن جون ديوى— كما ذكر هويتنى — قد حذر من الفهم السطحى لمهام البحوث الفلسفية ، للاستزادة انظر المصدر السابق ص ص ٢٤٧ — ٢٤٨ ».

(١٧) انظر هوبنى — مصدر سابق وانظر أيضاً :

الدكتور جمال زكي والسيد يسن — أسس البحث الاجتماعي — دار الفكر العربي — القاهرة — ١٩٦٣ ص ص ٥٠ — ٥١ .

(١٨) للإستزادة انظر :

Hatfield, H.S., The inventor and his world, Pelican Books, 1948.

(١٩) الاستزادة حول البحوث النظرية والتطبيقية انظر :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — مصدر سابق ص ص ٢٢٢ — ٢٢٦ .

(٢٠) للاستزادة حول نمطى البحث الحر والبحث الموجه انظر :

المصدر السابق ص ص ٢٢٨ — ٢٤٠ .

(٢١) للاستزادة حول التجريب والعلوم الاجتماعية انظر :

المصدر السابق ص ص ١٢٩ — ١٥٦ .

(٢٢) للاستزادة حول هذا التصنيف انظر :

دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع :: المفهوم والموضوع والمنهج — دار الفكر العربي — القاهرة — ١٩٨٢ ص ص ١٥٦ — ١٥٨ :

(٢٣) للاستزادة انظر :

دكتور فؤاد البهى السيد — علم النفس الاجتماعي — دار الفكر العربي — القاهرة — ١٩٨١ ص ص ٨٨ — ١٠٣ :

(٢٤) لمزيد من التفصيل حول هذا التصنيف انظر :

المصدر السابق ص ص ٩٠ — ٩٨ :

(٢٥) من أراد الاستزادة عليه أن يعود إلى :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — مصدر سابق ص ص ٨٧ — ٨٨.

(٢٦) للاستزادة حول هذه القضية انظر :

المصدر السابق ص ص ٧٢ — ٧٤ ؛

(٢٧) للاستزادة حول قضايا التحكم انظر :

المصدر السابق ص ص ٧٤ — ٧٥ :

(٢٨) للاستزادة حول مخاطر التجريب والإحصاء فى العلوم الطبيعية انظر :

المصدر السابق ص ص ١٣٩ — ١٤٣ .

(٢٩) هناك سمات أخرى كثيرة ولكنها تعود كلها إلى طبيعة البحث ذاته كالموضوعية والحيدة . : : الخ ، ولكن السمات التى نعنيها هنا هى سمات تعود إلى طبيعة الموضوع المبحوث .

(٣٠) للاستزادة انظر :

فان دالين — مصدر سابق — الفصل الثالث :

(٣١) نفس المصدر السابق :

(٣٢) المصدر السابق :

(٣٣) للاستزادة حول تلك الضمانات انظر :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — مصدر سابق ؛

***

الفصل الثالث

المشكلات والحقائق والنظريات
فى البحوث العلمية

- مقـدمة ·
- المشكلات فى البحوث العلمية ·
- الحقائق فى البحوث العلمية ·
- النظريات والبحوث العلمية ·
- محكات اختيار مشكلة البحث ·

المشكلات والحقائق والنظريات

فى البحوث العلمية

مقـــدمة :

المشكلة شرط مسبق لقيام البحث العلمى ، والحقائق والنظريات هنا الهدف الذى تسعى إليه البحوث العلمية ، أو هما حصادها وإلا صار الجهد المبذول خلال البحث العلمى جهداً بلا قيمة حقيقية :

والمشكلة باعتبارها أساسا لقيام البحوث العلمية ، والحقائق والنظريات باعتبارهما حصاداً لتلك البحوث بينهما حد فاصل لابد من اجتيازه :: ونعنى بذلك الحد الفاصل :: حل المشكلة أو تصور حلها وفقاً لمجموعة من الافتراضات ، ويصبح ذلك الحد الفاصل أداة وصل بين المشكلة والحقيقة لو تم حل المشكلة وصولا للحقيقة مترجمة إلى نظريات أو قوانين :

وليست النظريات والقوانين هى نهاية المطاف فى البحث العلمى بالضرورة ، فقد تكون بدايته أو هى يجب أن تكون كذلك فى الكثير من الحالات ، حيث تنطلق بحوث عديدة من نظريات أو قوانين قائمة بالفعل لتكون هادية وموجهة لها تارة ولتكون موضوعاً للبحث خلالها تارة أخرى إثباتا أو نفيا أو حتى مقارنة :: ! !

●

المشكلات فى البحـوث العلمية :

مشكلة البحث هى موضوعه ، الأساس الذى ينطلق منه الباحث نحو غاياته البحثية ، المشكلة فى البحوث العلمية هى العقدة والحل معاً :. لذلك فإن البداية الصحيحة لأى من البحوث العلمية لابد أن تنطلق من سؤال قد يسأله الباحث لنفسه أو قد يسأله له الآخرون ، والسؤال هنا قد لايكون بالضرورة سؤالا بسيطا ولكنه دوما سؤال مركب :. أى سؤال تتلوه أسئلة موضحة له أو نابعة عنه :: والسؤال دوما هو :

هل تم تحـــديد المشكلة المطروحة للبحث بوضوح ؟!

وإجابة هذا السؤال لابد أن تسبقها الإجابة على ثلاثة أسئلة تتبعية أخرى هى على الترتيب :

– هل تم تحديد المتغيرات التى تتضمنها المشكلة المطروحة بوضوح ؟ !

– هل تتوافر لدى الباحث المهارات والإمكانيات التى تتيح له حلا علمياً لمشكلة البحث المطروحة ؟ !

– هل قدم الباحث إطارا نظريا وتصميما عمليا يمكنانه من حل مشكلة البحث المطروحة ؟ !

والإجابة على الأسئلة الثلاثة السابقة هى التى سوف تتيح للباحث أن يجيب على السؤال الأساسى المطروح وهو : هل تم تحديد المشكلة المطروحة للبحث بوضوح ؟ !

ولكن كيف يمكن تحديد المشكلة فى البحوث العلمية ؟!

يجيب علماء المنهجية على هذا السؤال من خلال عدة وجهات نظر نطرحها على الوجه التالى :

أولا – «يرى جود Good »أن هناك العديد من الاعتبارات التى يجب أن تراعى عند اختيار مشكلة مناسبة للبحث ، وهذه الاعتبارات باختصار تدور حول النقاط السبع الآتية :

١ – حداثة المشكلة المقترحة للبحث .

٢ – أن تكون للمشكلة أهمية وقيمة علمية .

٣ – أن تكون لدى الباحث الخبرة والقدرة لدراسة المشكلة .

٤ – أن تتوافر مصادر لجمع بيانات المشكلة .

٥ – أن يكون هناك إشراف على الباحث أثناء دراسة المشكلة .

٦ – أن يكون الباحث نفسه مهتما بالمشكلة المقترحة .

٧ – أن يتوافر الوقت والمال اللازمين لدراسة المشكلة (١) .

ثانيا – يرى « هويتنى Whitney » أن هناك بعض القواعد العامة التى يمكن للباحثين أن يسترشدوا بها عند اختيار مشكلاتهم البحثية ، وهذه القواعد بإيجاز شديد هى :

١ – الشعور أو الإحساس بالمشكلة ؛

٢ – أن يكون للموضوع المقترح للبحث قيمة علمية ؛

٣ – أن تتوافر المراجع العلمية التى يمكن للباحثين أن يعودوا إليها أثناء بحثهم للمشكلات المطروحة ؛

٤ – أن تتوافر لدى الباحثين الإمكانيات اللازمة لحل مشكلة البحث المقترحة ؛

٥ – عدم اللجوء إلى اختيار المشكلات المتشعبة أو التى يصعب خلالها على الباحث إحكام السيطرة عليها (٢) ؛

ثالثا – يرى « فوسكت Foskett » أن اختيار البحث – وهو يعنى بذلك اختيار مشكلة أو موضوع للبحث – مشكلة كبرى ، يجب أن يحلها الباحث بنفسه من خلال القرارات التمهيدية قبل أن يدخل مباشرة فى موضوع بحثه . ولابد بطبيعة الحال أن تتوافر لدى الباحثين وخاصة المبتدئين منهم مهارة استخدام الكتب والمكتبات باعتبارها مهارة ضرورية ليس فقط لتحديد مشكلة البحث ، ولكن باعتبارها ضرورية لمختلف مراحل البحث كله ؛

ويشير « فوسكت » بهذا الخصوص إلى ضرورة اطمئنان الباحث على وجود أعمال أخرى تتصل بالموضوع الذى يبحثه وأن يكون له موقف خاص بالنسبة لها سواء من حيث التأثير أو المعارضة أو الاستفادة (٣) ؛

رابعاً – يرى « بفردج Beveridge » أن الصدفة تلعبت دوراً كبيراً فى اختيار موضوع البحث ، ويؤكد على أن تاريخ البحث فى مجال العلوم الطبيعية والحيوية مفعم بألوف البحوث التى لعبت الصدفة دوراً أساسياً فى اختيارها أو فى تحويل مسارات اهتماماتها ، وينصح « بفردج » الباحثين لاسيا المبتدئين منهم أن يكونوا متيقظين للتعرف على الصدفة عندما تقع ، وقال بفردج أن الباحث يجب أن يتخذ لنفسه شعاراً هو « انتبه لما هو غير متوقع » .. (٤) .

ويضيف « بفردج » عاملا آخر هو « الفضول » ويؤكد على دوره فى تحديد واختيار مشكلات البحوث العلمية ، ويرى أن الباحث العلمى ما هو إلا شخص اتجه فضوله نحو البحث عن تفسيرات للظواهر غير المفهومة بالنسبة له ؛

هذا ويضيف «بفردج» عاملا ثالثا من عوامل اختيار المشكلات في البحوث العلمية ألا وهو عامل « النقاش » باعتبار أن النقاش يساعد على التفكير المنتج وما يسفر عنه ذلك التفكير المرتكز على النقاش — وخاصة إذا ما كان بين علماء — عن توليد مشكلات جديدة تصلح للدراسة والبحث (٥) :

كما يضيف «بفردج» إلى ذلك كله عاملين آخرين يراهما حاسمين في اختيار المشكلات ألا وهما « الحدس » و « الذوق العلمي » وذلك على النحو الآتي :

١ — الحدس ، يرى «بفردج» أن الحدس كمداول يعبر عن الفكرة الموضحة التي تطرأ على الذهن فجأة ، ولو أنه لا توجد طريقة تثبت أن الحدس دوما صحيح ، ويرى أيضا أن هناك عدة ألفاظ مرادفة للحدس هي « الوحي ، الإلهام ، الاستنارة » أو هي تستخدم لوصف مدلول الحدس Intuition في بعض الأحيان ، ويضرب « بفردج » مثالا لاعتبار الحدس مصدرا لتحديد مشكلات البحوث العلمية بما استلهمه « دارون » من قراءة كتاب « مالتوس » عن السكان خاصة بفكرة البقاء للأصلح ، هذا ويحدد «بفردج» فن التنقيب عن الحدث ولقتناصه — على حد تعبيره — وفقاً للشروط الآتية :

ا — التفكير في المشكلة والوقائع المتصلة بها وقتاً طويلا حتى يتشبع الذهن بها ، ولابد أن يكون لدى الباحث اهتمام كبير بمشكلته ورغبة صادقة منه لحلها :

ب — التحرر من المشكلات أو الاهتمامات الأخرى التي تشغل الذهن وخاصة القلق المتصل بالأمور الخاصة :

ج — التحفيز الإيجابي للنشاط الذهني من خلال إيجاد نوع من الاتصال الذهني مع الآخرين كأن يتناقش الباحث مع زميل أو أي شخص آخر غير متخصص ، أو أن يتحدث عن المشكلة التي تشغله ، أو يقرأ مقالات تدور حول موضوعات ذات علاقة بالمشكلة :

٢ — الذوق العلمي ، ويفسر « بفردج » « الذوق العلمي » بأنه كالذوق الأدبي أو الفني باعتبار أنه إحساس بالجمال ، ويؤكد بفردج على أن الشخص الذي لديه الفطنة لاختيار اتجاهات البحث الجدية يكون قادراً أكثر من غيره على رؤية المزيد من الآفاق التي يمكن أن يؤدي إليها البحث لأنه اعتاد على استخدام خياله في التطلع إلى الأمام بدلا من قصر تفكيره على المعلومات المسلم بها والمشكلة العاجلة التي تواجهه .

هذا ويؤكد «بفردج» على أهمية الذوق العلمى ودوره ليس فقط بالنسبة لاختيار الموضوعات المثمرة للبحث وإنما بالنسبة لبقية خطوات البحث الأخرى (٦) .

خامساً — هناك من يرى أن المصادر التى تستمد منها المشكلات يجب أن تدور حول :

١ — تخصص الباحث : باعتبار أن تخصص الباحث يتيح له فهما أكثر للموضوعات التى مازالت تحتاج لمزيد من الدراسة والبحث .

٢ — الدراسات المتصلة بموضوع تخصص الباحث أو القريبة منه ، وذلك باعتبار أن شبكة العلوم الاجتماعية متصلة الخيوط ويمكن أن يفتح اطلاع الباحث على دراسة ما فى علم النفس أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الأنثربولوجيا ، يمكن أن يفتح ذلك أمامه باباً جديداً لبحث موضوع جديد ، وحتى الموضوعات البعيدة عن تخصص الباحث يمكن أن تتيح له هى الأخرى من خلال الاطلاع عليها آفاقاً جديدة للبحث .

٣ — القراءات العامة ، باعتبار أن اطلاع الباحث سواء على الأبحاث أو الكتب يتيح له فرصة أكبر سواء عند اختيار موضوع للبحث أو عند بلورة هذا الموضوع بشكل تام .

٤ — إحساس الباحث بالمشكلة ، باعتبار أن الدوافع الذاتية تعد محكا أساسيا عند اختيار مشكلة بعينها للدراسة .

٥ — المشكلات والأزمات المجتمعية ، تعد هى الأخرى مصدراً خصبا يلهم الباحثين موضوعات كثيرة للبحث مساهمة منهم فى إيجاد حل علمى لتلك المشكلات والأزمات .

٦ — وفرة البيانات عن موضوع ما ، قد يغرى الباحث باختيار هذا الموضوع بالذات للدراسة لاستثمار تلك المعلومات المتوافرة ، ولكن تبقى سهولة الحصول على البيانات حول الموضوع المختار للبحث أمراً ضرورياً لإتمامه .

٧ — قد تكون طرافة الموضوع أوجدته حافزاً للباحث على اعتباره مشكلة لبحث حتى يستجلى جوانب الغموض فيه (٧) .

●

الحقائق فى البحوث العلمية :

إذا كانت المشكلة هدف بداية للبحث ، فإن الحقيقة هى هدف النهاية بالنسبة له ، ولكن ما هو مفهوم الحقيقة ؟ !

لا يهمنا كثيراً مفهوم الحقيقة بالنسبة لغير الباحثين ، ولكن مفهوم الحقيقة عند الباحث أو العالم فى رأى الكثيرين ليست شيئاً واضحاً بذاته ، وإنما هى بيانات يكشف عنها البحث الهادف ، فضلا عن أن الحقيقة ليست كاملة أو نهائية وإنما تخضع دوما للتغيير مع تطور البحث ونموه ، فضلا عن أنها تخضع لإعادة التفسير أو التنقيح حينما يتوصل الباحث إلى استبصار أفضل بالظواهر المبحوثة (٨) .

هذا وتنقسم الحقائق إلى نوعين أساسيين ، أولها ما يعرف بالحقائق الشخصية أو الذاتية ، وثانيهما ما يعرف بالحقائق العامة أو الموضوعية ، ونظراً لما تتصف به الحقائق الشخصية من طبيعة دفينة أو مضمرة فإنها تكون أصعب عند التفسير من تلك الحقائق التى تتصف بالعمومية أو الموضوعية ، وذلك نظراً لقابلية النوع الثانى — الحقائق العامة — للاختبار والبحث فضلا عما تتسم به من ثبات ودقة وبدرجة تسمح بفحصها والتأكد منها بواسطة باحثين متعددين .

ويرجع كثير من علماء المنهجية إلى هذه النقطة بالذات — نقطة قابلية الحقائق الموضوعية للفحص ولإعادة الفحص — سر تقدم العلوم الطبيعية بينما لاتزال العلوم الاجتماعية عاجزة عن تحقيق مثل ذلك التقدم الحاسم نظراً لاتسام الحقائق محل البحث فيها بالكثير من الخواص الذاتية (٩) .

●

النظريات والبحــوث العلمية :

للنظريات دور هام فى البحوث العلمية ، وقد يكون هذا الدور قبلياً وقد يكون بعديا ونقصد بالدور القبلى للنظرية .. هو أن تعمل كموجهات أساسية للبحوث سواء عند اختيار مشكلة البحث أو عند وضع الفروض باعتبارها حلولا متصورة لتلك المشكلات ، أو قد تكون النظرية نفسها هى موضوع البحث ومشكلته .

هذا عن الدور القبلى للنظرية فى البحوث العلمية ، أما ما نعنيه بالدور البعدى ..:

فهو ما تقوم به النظرية من توفير التفسيرات المنطقية والملائمة للحقائق المتضمنة فى البحوث العلمية .

وانطلاقاً من هذا الدور البعدى للنظريات يرى كثير من علماء المنهجية أن مجرد تجميع كميات ضخمة من الحقائق المنعزلة يمكن أن يساهم بقدر ضئيل فى تقدم المعرفة ، ويعتبرون أن المهمة الأساسية للبحث العلمى هى ليست مجرد تجميع الحقائق وإنما تنمية النظريات التى توضح جانباً معينا من الظواهر ، لذلك فهم ينصحون الباحثين بعدم الاعتماد كلية على الاستقراء وإنما يجب اللجوء إلى الاستدلال .. حيث ينهض الاستقراء على ملاحظة الحقائق بينما يعنى الاستنباط بصياغة نظريات عن هذه الحقائق .

أما كيف يتحقق ذلك فإن فان دالين يرى أنه مادامت الحقائق غير قادرة على التعبير عن نفسها فإن على الباحث أن يحاول رؤية العلاقات بينها وأن يقوم ببناء مفاهيم تخيلية تمده بالحلقات المفقودة وأن يظل الباحث متناولا لمختلف الأفكار بالمعالجة الذهنية حتى يعثر على مفهوم جوهرى يمكنه من تنظيم الكثير من الحقائق فى نمط ذى معنى ، وعن طريق الاستدلال الدقيق يكون بناء نظريا يوضح الحقائق والعلاقات السببية المتبادلة بينها .

لذلك فالنظريات ليست مجرد تأملات لأنها تبنى جزئيا على الحقائق ، والحقائق المنفصلة – كما يقرر المختصون – قليلة الجدوى ما لم يقم الباحثون ببناء نظرية تضع تلك الحقائق داخل نمط ذى معنى (١٠) .

●

محكات اختيار مشكلة البحث :

إن اختيار موضوع البحث يعد أولى الخطوات المنهجية فى التفكير العلمى ، وبدون العثور على موضوع مناسب للبحث لايمكن أن يكون هناك بحث أصلا ، ويجب ألا يقع الباحثون فى شرك التصور الواهم بأن اختيار مشكلة للبحث أمر سهل :. لأن اختيار موضوع للدراسة أمر يحتاج إلى خبرة تكتسب من الممارسة الطويلة إلى جانب الإحساس الصادق من الباحثين بالموضوع المبحوث فى نطاق « الشعور بالمشكلة » ، وهذه الخبرة تكتسب من المعايشة اليومية للحياة المجتمعية بما تضمه من مثيرات وتفاعلات تعد بالضرورة أحد الإلهامات الرئيسية لاكتشاف مشكلة أو موضوع ما جدير بالحل أو بالدراسة ، وتكتسب هذه الخبرة من معايشة الكتب والأبحاث والمراجع لأنها تفتح أمام الباحثين أبواب المعرفة

على مصراعيها وتنمى لديهم الذوق العلمى وتضع أيديهم على الموضوعات أو المشكلات الجديرة بالبحث سواء لتدعيم فكرة أو لنفيها أو لاستكمال البحث حولها :. الخ ، كما تكتسب هذه الخبرة بالاحتكاك بذوى الخبرة أنفسهم :. سواء أكانوا زملاء أو أساتذة أو مشرفين أو حتى متخصصين فى فروع أخرى للمعرفة قريبة أو بعيدة عن مجال تخصص الباحث ، حيث يمكن التعلم منهم كيفية اختيارهم لمشكلات بحوثهم .. وكيفية صياغتهم لها بشكل يحسن التعبير عنها وتحديد معالمها :

وليس معنى هذا ألا يعايش الباحث مجتمعه أو يندمج مع الكتب والمراجع والأبحاث أو يتصل بالخبراء والمتخصصين إلا عند رغبته فى اختيار موضوع للحل فقط ، وإنما يجب أن يكون كل ذلك جزءاً من طبيعته وتكوينه العلمى :

وليس معناه أيضاً أن ينقاد الباحث لكل مايرى أو يسمع أو يقرأ بغير مناقشة أو فحص ، وإنما عليه أن يكون اذ حيثية علمية .. والحيثية العلمية هنا تعنى قدرة الباحث الناقدة على التميز بين ما هو غث وما هو سمين ، كما تعنى أيضاً عدم الخضوع لإرادات الآخرين خضوعاً أعمى ، وإنما يجب أن تكون للباحث شخصيته المستقلة الناقدة والواعية حتى يكون قادراً على اتخاذ قرار فيما يجب عليه أن يعمله .

وبقيت نقطة أخيرة حول محكات اختيار المشكلات المطروحة للبحث ، والغرض من المحكات التى سنذكرها هنا هو إجراء نوع من التقييم للمشكلة المختارة للبحث وذلك حتى لايكتشف الباحث بعد فترة أنه كان يسير فى الطريق الخطأ أو المسدود ، ومحكات تقييم المشكلة المطروحة للبحث تنبع من أن مشكلة البحث هى فى حقيقتها إما أن تكون خياراً شخصياً أو خياراً مجتمعيا ، والخيار الشخصى تدعمه رغبة الباحث الذاتية فى البحث من أجل البحث ، والخيار المجتمعى تفرضه حاجات مجتمعية ملحة تستلزم توجيه طاقات البحث العلمى نحو حل مشكلات بعينها :

ولو أن هناك حقيقة هامة يجب ألا تغيب عن الذهن وهى أنه لاتوجد انفصالية بين الأهداف الذاتية أو المجتمعية للبحث مادام ينتهج خطا علميا :

هذا وتتمثل تلك المحكات فى خمسة عشر سؤالا يجب على الباحث أن يجيب عليها قبل الاختيار النهائى لمشكلة بحثه ، وهذه الأسئلة تنهض على حوار بين الباحث ونفسه على الوجه الآتى :

١ ــ هل أنا مهتم بالمشكلة حقيقة بغير خضوع لأية تعصبات أو ضغوط ذاتية قوية هى التى تدفعنى لإختيار هذا الموضوع بالذات ؟ !

٢ ــ هل أمتلك الآن أو مستقبلا القدرات والمهارات والخبرات التى تعيننى على دراسة المشكلة وإيجاد الحلول لها ؟ !

٣ ــ هل فى مقدورى أن أجد الأدوات والوسائل « بما فيها المعامل والأجهزة » ومواد الدراسة « بما فيها المبحوثون » اللازمون لإجراء البحث حول المشكلة ؟ !

٤ ــ هل أملك ــ حاليا أو مستقبلا ــ الوقت والمال اللازمين لإتمام البحث ؟ !

٥ ــ هل فى مقدورى أن أحصل على البيانات اللازمة لحل مشكلة البحث وبصورة كافية ودقيقة ؟ !

٦ ــ هل المشكلة التى اخترتها تتفق مع مجال أو أهداف أو متطلبات الجهة التى سأقدم لها حل المشكلة ؟ !

٧ ــ هل من الممكن الحصول على مساعدات فنية أو إدارية أو مالية سواء من الزملاء أو المشرفين أو الإدارة أو أية جهات أخرى معنية بالمشكلة المطروحة للدراسة ؟ !

٨ ــ هل يؤدى حل المشكلة البحثية المطروحة إلى تقدم مفيد فى مجال المعرفة النظرية ؟ !

٩ ــ هل النتائج التى سأتوصل إليها بعد حل مشكلة البحث ستكون ذات نفع تطبيقى سواء بالنسبة للمجتمع ككل أو بالنسبة للخبراء والمتخصصين أو رجال الأعمال أو حتى بالنسبة لرجل الشارع ؟ !

١٠ ــ ما هو مدى استثمار نتائج البحث سواء بالنسبة للأفراد أو المؤسسات وما هى مجالات ذلك الاستثمار وكم من الوقت ينتظر له أن يستمر ؟ !

١١ ــ هل هناك صلة بين الموضوع الذى أبحثه وبين موضوعات أخرى تبحث بواسطة باحثين آخرين وما هى طبيعة هذه الصلة ؟ !

١٢ ــ هل البحث الذى أجريه مكرر ، وإذا كان الأمر كذلك فما هى أوجه التشابه وماذا يمكننى عمله حتى يكون لبحثى سمة تميزه سواء من حيث طبيعة الموضوع المدروس أو من حيث طبيعة المعالجة ؟ !

١٣ — ما هو مدى الثبات والصدق الذى أتوقعه ليس فقط بالنسبة للأدوات والوسائل المستخدمة لجمع البيانات ولكن بالنسبة أيضاً للنتائج المتوقع أن أحصل عليها كذلك ؟ !

١٤ — هل تم تحديد موضوع البحث بدرجة كافية تسمح بأن تتم معالجته بطريقة شاملة تجعله ذا مغزى أو أهمية تبرر القيام ببحثه ؟ !

١٥ — هل ستؤدى دراسة المشكلة إلى إثارة الوعى بها والتشجيع على استمرار دراستها سواء لأغراض علمية أو تطبيقية ؟ !

وبعد.. تلك كانت هى المحكات الرئيسية التى لو اتبعت لتقييم أى موضوع مطروح للبحث لوفرت الكثير من الموضوعية والمنهجية له .. وتيسرت بالتالى أمامه سبل النجاح ، وقد يسأل سائل : هل هذه الوصايا الخمس عشرة.. واجبة الاتباع بنفس التسلسل أو بغير زيادة أو نقصان؟!.. والجواب أنها تتحرك معا فى ديناميكية وبحيث يمكن أن يكون السؤال الأخير هو السؤال الأول وهكذا .: فليس المهم هو ترتيب الأسئلة ولكن الأهم هو تحديد إجابة مقنعة عليها ، وبالطبع يمكن للباحث أن يقسم هذه الأسئلة إلى أخرى جزئية أو فرعية وبالطبع فى مقدوره أن يضيف ما يشاء إليها بغير حشو .. المهم أن يقيم الموضوع المطروح للبحث بدرجة تسمح له — أى للبحث — بأن يكون منتميا إلى حظيرة البحوث العلمية ! !

❊ ❊ ❊

المصادر والشروح

(١) للاستزادة انظر :

(أ) C. Good and D. Scates, Methods of Research. Educational, Psychological, Sociological, New York 1954, PP. 40 — 49.

(ب) Carter. V. Good, Introduction to Educational Research Appletno. century. crofts, New York, 1963, Chops 1, 2

(٢) بتصرف عن المصدر الآتى :

Whitney, F.L., The Elements of Research, New York, 1946, Chap. 1.

وانظر أيضاً :

Ludberg, G.A., Social Research, New York, 1942, Chap 1.

(٣) اعتمدنا بتصرف على المصدر الآتى :

D.S. Foskett, How to Find out Education : Research, Pergamon Press, London, 1967, PP. 62 — 63.

(٤) للاستزادة انظر :

W.L.B. Beveridge, The Art of Scientific Investigation, New York, 1957. Chap 3.

(٥) Ibid., Chap 5.

(٦) نفس المصدر السابق .

(٧) للاستزادة انظر :

دكتور صلاح الفوال — محاضرات فى الإشراف على الأعمال الشخصية « المذكرة » معهد العلوم الاجتماعية — جامعة عنابة بالجزائر ١—٨ « محاضرات منشورة » ؛

(٨) للاستزادة انظر :

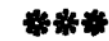
Van Dalen, Op. Cit., Shap. 4.

(٩) للاستزادة حول هذه النقطة انظر :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — مصدر سابق ص ص ٨٩ — ١٠٩ .

(١٠) للاستزادة انظر :

Van Dalen, Op. Cit., Chaps 4, 7.



الفصل الرابع

الفروض كحلول احتمالية
لمشكلات البحوث العلمية

■ مقـدمة :

■ اسـتخدامات الفـروض فى البحـوث العلمية ٠

- الفروض تمكن من تحديد المشكلات ٠
- الفروض تحدد العلاقة بين الموضوع المبحوث والحقائق المتصلة به ٠
- الفروض تحـدد الأطـر التصميمية للبحوث العلمية ٠
- الفروض تقدم التفسيرات المحتمـلة للمشكلة المطروحة ٠
- الفروض تقدم الاطار المناسب لمعطيات البحث ٠
- الفروض مصدر الهام لبحوث جديدة

■ كيف تسـتنبط الفـروض فى البحـوث العلمية ؟!

- التراث المعرفى ٠
- قدرات الباحث التخيلية ٠

- الاستنباط والقياس ٠
- المناقشات والحوار كمصدر للفروض ٠

■ الضوابط المنهجية للفروض فى البحوث العلميـة ٠

- قدرة الفرض على تقـديم تفســـير معقول ٠
- امكانية التحقق من التفسيرات التى تقدمها الفروض ٠
- التـــواؤم بين الفــروض وحقــائق المشكلة ٠
- التناسق فى بناء الفروض من حيث الشكل والمضمون ٠

الفروض كحلول احتمالية
لمشكلات البحوث العلمية

مقـــدمة :

هناك اتفاق بين علماء المنهجية على أنه ليس فى مقدور أى عمل علمى أن يحقق أهدافه دون أن يكون منطلقاً من فروض علمية مناسبة ، ويرون أن البحث بغير فروض أشبه ما يكون بعمل يؤدى فى الظلام ، ويعتبرون أن الفروض أدوات لاغنى لها حيث انها تمكن الباحث من تحديد معالم الكشف عن الظاهرة المبحوثة على اعتبار أن الفروض تتيح انتقاء ووزن العوامل الملاحظة ونظامها التصورى (١) :



استخدامات الفروض فى البحوث العلمية :

يمكن تحديد الاستخدامات المختلفة للفروض فى البحوث العلمية على النحو الآتى :

١ ـ الفروض تمكن من تحديد المشكلات :

انطلاق الباحث نحو حل مشكلته البحثية بغير فروض ، يؤدى فى معظم الأحيان إلى البعد به عن تحقيق ذلك الهدف فضلا عن ضياع ما بذله من جهد ووقت ومال دون فائدة حقيقية . وذلك نظراً لاعتماده على الصدفة فى تحقيق هدفه والصدفة لا يمكن الوثوق بها وحدها على الأقل لحل المشكلات فى البحوث العلمية ، ومن هنا فان لجوء الباحث لاستخدام الفروض يباعد بينه وبين المعالجات السطحية من جهة ، ويتيح له من جهة أخرى تحليل كل العناصر المتصلة بالمشكلة ، كما تمكنه من تحديد مختلف العوامل والمعلومات المتصلة بموضوع بحثه وربطها معا فى سياق تصورى منظم والتعبير عن ذلك كله فى عبارات شاملة .

٢ ـ الفروض تحدد العلاقة بين الموضوع المبحوث والحقائق المتصلة به :

جمع واختيار المعلومات والحقائق المتصلة بالموضوع المبحوث أمر له خطورته وأهميته فى حل المشكلة البحثية المطروحة ، ولو سار الباحث فى جمعه لمختلف الحقائق التى يتصور

أنها تتصل بموضوع بحثه دون تمييز أو تمحيص ،فسوف ينتهى به المطاف إلى حشد كم هائل من الحقائق التى لا تجمعها وحدة منطقية أو لاتخدم الموضوع المبحوث ، ولكن انطلاق الباحث من فروض معينة سوف يمكنه من أن يجمع من الحقائق ما يتصل بموضوع بحثه فقط وخاصة أن الفروض سبق أن مكنته من التحديد الدقيق لمشكلة بحثه .

والبديل للإعتماد على الفروض فى جمع الحقائق المتصلة بموضوع البحث ، البديل هو الاعتماد على المحاولة والخطأ ، وهى أمر تجاوزه العلم من زمن فضلا عما تنطوى عليه المحاولة والخطأ من إعاقة للجهود المبذولة نحو إيجاد الحل الملائم للمشكلة المطروحة .

٣ ـ الفروض تحدد الشروط التصميمية للبحوث العلمية :

باعتبار أن الفروض هى حلول احتمالية للمشكلة المطروحة للبحث ، فإن الفروض تعمل كموجهات تقود الباحثين إلى تحديد مختلف الإجراءات المتصلة بالعملية البحثية ، فالفروض مثلا يمكن أن تساعد فى تحديد واختيار الأدوات الملائمة لجمع المعلومات ، ويمكن أيضاً أن تساعد فى تحديد شكل الأسئلة وطريقة اختيار العينة وكيفية التعامل مع المعطيات المجموعة إحصائياً .. الخ .

٤ ـ الفروض تقدم التفسيرات المحتملة للمشكلة المطروحة :

لاتلعب الفروض دوراً مؤثراً فى تحديد المشكلة المطروحة للبحث ولا فى تحديد نوعية الحقائق المتصلة بها ولا فى توضيح أى الطرق والأدوات أنسب فى جمع تلك الحقائق فقط ، وانما تقوم الفروض بتقديم أو على الأقل تيسير تفسير معقول للأسباب التى أدت إلى حدوث الظاهرة بالصورة التى حدثت عليها .

وقد يقول البعض أن التفسير هو مهمة العلم قبل أن تكون مهمة الفروض .. والحقيقة أنه لا اعتراض بين العلم والفروض ولا تعارض .. العلم باعتباره حقيقة واقعة .. والفروض باعتبارها حلولا محتملة أو خيالية ، والباحث الحقيقى هو الذى يمزج بين الحقيقة والخيال من خلال الفروض حتى يمكن من خلال ذلك المزج اكتشاف المجهول وتحديد هويته أو أو بلغة المنهجية حتى يمكن تفسير الأسباب الكامنة وراء حدوث الظاهرة .

٥ ـ الفروض تقدم الاطار المناسب لمعطيات البحث :

الفروض باعتبارها احتمال أو تعميم مبدئى يفسر الظاهرة المبحوثة ، الفروض من هذا الوصف الاحتمالى أو التخمينى تدفع الباحث إلى جمع الحقائق أو المعلومات مستعيناً بطرق

البحث وأدواته الملائمة ، وذلك بهدف تأكيد أو نفى صحة تلك الفروض ، والإثبات أو النفى يستوجب وضع معطيات البحث فى إطار يمكن من استخلاص النتائج منه لتجيب على الفرض باعتباره احتمالا أو زعما يحتاج إلى دليل يؤيده أو ينفيه .

ولابد حتى يتحقق هذا الهدف أن يقوم الباحث بوضع بياناته فى إطار يمكنها من أن تكون ذات معنى لتتمكن من الإجابة على الفرض باعتباره حلا ظنيا أو احتماليا للمشكلة المطروحة للبحث .

٦ - الفروض تعد مصدر الهام لبحوث جديدة :

الفروض العلمية ليست غاية فى حد ذاتها ، وإنما هى وسيلة تفسيرية لاستجلاء الأسباب التى أدت إلى حدوث الظاهرة بالشكل الذى حدثت عليه ، وقد تفسر الفروض المقترحة المشكلة وقد لاتفسرها ، وفى كلتا الحالتين سوف تثير أمام الباحثين عدة تساؤلات سواء حول طبيعة الفروض أو حول طبيعة المشكلة المبحوثة ذاتها ، وهذه التساؤلات هى فى حد ذاتها فروض احتمالية تنم عن أن جانباً من المشكلة لم يأخذ حظه من الاهتمام الواجب ، أو قد تنم عن صلة المشكلة المبحوثة بمشكلة أخرى تحتاج إلى دراسة ، وهكذا تتولد عن الفروض تساؤلات ، والتساؤلات تتجمع فى نسق فكرى مترابط لترسم إطار مشكلة جديدة وجديرة بالبحث والدراسة .

هذا وهناك كثيرون من علماء المنهجية يعتقدون أن أكثر الفروض نفعاً وقيمة هى تلك التى تخلق قاعدة تنبع عنها فروع جديدة للبحث فى اتجاهات متعددة (٢) .

●

كيف تستنبط الفروض فى البحوث العلمية ؟!

الفروض كما سبق أن أسلفنا هى حلول احتمالية لمشكلة البحث المطروحة أو هى حقائق متصورة نبعت من خيال الباحث فى محاولة لتفسير حالات أو أحداث لم تتأيد بعد عن طريق الحقائق المعروفة .

ولما كانت الفروض عبارة عن تخمينات محسوبة أو ليست مجرد مصادفة سعيدة وإنما هى نتائج مثمرة لعقول موهوبة واسعة المعرفة ، فان علماء المنهجية يرون أن نوع وكم الفروض التى بوسع الباحث أن يبنيها رهن بعاملين : الأول هو سعة وثراء المعرفة التى استطاع الباحث أن يحصلها قبلا وأن يتمثلها أو يطوعها لخدمة المشكلة المطروحة ، وثانيهما

مرونة الباحث وعدم جموده وقدرته على التمييز التى تظهر أثناء عملية انتقاء وتنظيم وإعادة ترتيب المفاهيم فى أنماط تفسيرية مبتكرة (٣) .

ولو حاولنا إجابة على السؤال المطروح أن نحدد المصادر التىتستنبط منها الفروض لاتضح لنا أنها تدور حول النقاط الآتية :

١ ـ التراث المعرفى :

قد يكون ذلك التراث ..دراسة سابقة أو كتابا أو ثقافة عامة أو فنا من الفنون ، المهم أن ذلك الإطار المعرفى الواسع يشكل أساسا صالحا لإلهامات الباحثين وهم يتخيلون حلولا للمشكلات البحثية المطروحة ، لذلك يجب على الباحث ألا يكون منعزلا عن ذلك التراث ويجنح للملاحظة أو الجهد الشخصى وحده عند محاولته خلق أو إيجاد الفروض المفسرة لمشكلة البحث ، حيث يؤدى اطلاع الباحث على الدراسات السابقة حول موضوع بحثه يؤدى به ذلك الى التوصل الى العلاقات الأساسية أو ما يبحث عنه من بيانات تساعده على تفسير الظاهرة التى حيرته ، وكذلك اطلاع الباحث على كتاب يدور حول الموضوع المبحوث قد يتيح له الالمام ببعض الحقائق التى تكمل لديه سلسلة الحقائق التى سينظمها على هيئة فروض مفسرة لأسباب حدوث الظاهرة المبحوثة ، كما أن اطلاع الباحث على التراث الشعبى أو السير الشعبية أو بعض الحكم والأمثال والأقوال المأثورة أو حتى اطلاعه على مسرحية أو فيلم سينمائى أو قراءته لرواية أو قصة .. الخ ، كل هذه الامور تشكل الهامات يبدع من خلالها الباحثون فروضهم حول الظاهرة المبحوثة .

وذلك لأن التراث الانسانى أبدع بواسطة كثير من العقول الناضجة والقادرة على العطاء ويجب الا يعزل الباحثون أنفسهم عن ذلك التراث لأنه يعد أحد المصادر الاساسية لاستنباط الفروض .

٢ ـ قدرات الباحث التخيلية :

الفرض فى رأى كثيرين من علماء المنهجية يعد أهم وسيلة ذهنية لدى الباحث ووظيفته الاساسية هو أنه يوحى بتجارب أو ملاحظات جديدة (٤)، اذن هناك علاقة بين القدرة الذهنية للباحث وبين الفروض.وتتضح هذه العلاقة من خلال قدرة الباحث الذهنية أولا على تخيل العلاقات بين الأشياء وعلى طاقته الذهنية وثانيا على الابتكار ، لأن قدرة الباحث على تخيل العلاقة بين المشكلة والاسباب التى تؤدى اليها هى التى سوف تدفعه إلى ابتكار الحلول التى يعتقد أنها مناسبة للمشكلات التى يبحثها .

وقدرات الباحث التخيلية لاتبرز فجأةوانما تمهد لها ممارسات طويلة من القراءةوالبحث ، وهذه الممارسات تنمى لدى الباحث ليس فقط قدرته التخيلية وانما تحرره من أنماط التفكير التقليدية وتجعله قادرا على المواءمة بين الحقيقة وبين انماط تفسيرية مبتكرة وذات معنى :

٣ ـ الاستنباط والقياس :

عندما يلاحظ الباحث اتساقا أو انحرافا ما للظاهرة المبحوثة مع النظام العام للمجتمع فانه يستنتج أن ذلك الاتساق أو الانحراف انما يحدث نتيجة لأسباب يحتمل أن تكون هى العامل المؤثر فى حدوث ذلك الاتساق أو الانحراف ، وهذه الأسباب المحتملة هى الفروض بالطبع ، وكل ما قام به الباحث هو أنه استنبط أن الانحراف مثلا عن القوانين الاساسية للطبيعة من خلال الظاهرة المبحوثة ربما يكون راجعا لأسباب معينة .

أما القياس . . فينهض على قياس المجهول على المعلوم ، بمعنى أن الباحث وهو يبحث عن حل لمشكلته عليه أن ينظر فى السوابق عسى أن يكتشف بعض أوجه التشابه ومن ثم يحلل ذلك التشابه بين ما انتهى اليه بحث مشكلة قديمة وبين مشكلته هو .. ويقرر إلى أى مدى يمكن أن يفيده ذلك فى طرح حلول احتمالية لمشكلته . وعندئذ قد ينطلق الباحث من ذات الفروض وقد يطورها وذلك على حسب درجة التشابه بين الموقفين .. القديم والجديد مع الأخذ فى الاعتبار أن الاستنباط والقياس إن لم تدعمها خبرة بحثية ومراس قد يكونان عاملى تعويق وتضليل .

٤ ـ المناقشات والحوار كمصدر للفروض :

قد يجد الباحث فى مناقشة يجريها مع زميل أو استشارة لأستاذ أو حوار مع مسئول ، قد يجد الباحث فى ذلك مصدراً لفروضه فيما يبديه كل هؤلاء من حلول مبدئية للمشكلة المطروحة لأنه خلال الحديث يدلى كل واحد بتصوراته حول أنسب الحلول ، وعلى الباحث عندما يركن إلى نفسه أن يقلب كل وجهات النظر تلك على وجوهها المحتملة وسوف تقوده عملية اجترار الحوار هذه إلى صياغة فروض ربما كانت فى متناول يده قبلا أو لم تخطر له على بال من قبل .

●

الضوابط المنهجية للفروض فى البحوث العلمية :

الباحث لايضع فروضه كيفما اتفق ، وإنما هناك أسس وقواعد أو ضوابط منهجية يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند الحكم على مدى صلاحية فرض من الفروض للقيام بمهمته التفسيرية للأسباب المؤثرة فى المشكلة المطروحة ، وهذه الضوابط بإيجاز هى :

١ ــ ما هو مدى قدرة الفرض على تقديم تفسير معقول ؟ !

٢ ــ هل التفسيرات المقترحة ممكنة التحقق أم لا ؟ !

٣ ــ هل هناك تواؤم بين الفروض والحقائق المتصلة بالمشكلة المطروحة ؟ !

٤ ــ هل بناء الفروض متناسق من حيث الشكل والمضمون ؟ !

ولو حاولنا أن نجيب على كل سؤال من الأسئلة الأربعة السابقة لتبين لنا أن :

١ ــ قدرة الفرض على تقديم تفسير معقول للمشكلة المطروحة :

إن الوظيفة الأساسية للفروض كما سبق القول هى تقديم حلول احتمالية للمشكلة المطروحة . . ومن هنا تأتى أهمية السؤال المطروح .. هل يقدم الفرض حلا احتماليا معقولا وملائما ؟ ! والملاءمة هنا تعنى .. ملاءمة التفسير للمشكلة المطروحة ، والمعقولية تعنى ألا يكون الحل المقترح خياليا أو غير ممكن التطبيق .

ولمزيد من الشرح نقول .. سنفترض أننا بصدد دراسة مشكلة الانفجار السكانى فى مصر أو فى الجزائر أو فى الكويت على سبيل المثال ، وكان الاقتراح المطروح هو تعقيم الرجال حتى لاينجبوا .. صحيح أنه حل معقول لكنه حل غير ملائم لأنه يتعارض مع قيم المجتمع العربى وظروفه ، أما لو كان الاقتراح هو وأد الطفل الثالث أو الرابع مثلا فهو حل غير معقول لأن الوأد مرحلة تجاوزتها البشرية من زمن فضلا عما فيه من مخالفة صريحة لتعاليم الدين الإسلامى .

٢ ــ امكانية التحقق من التفسيرات التى تقدمها الفروض :

الفروض تبقى دوما حلولا احتمالية حتى يمكن التحقق منها إما عن طريق التجربة أو الملاحظة أو أى دليل عقلى آخر « الاستقراء أو الاستنباط » .

وبصرف النظر عن الصعوبة البالغة التى تعترض التحقق من صحة الفروض فى مجال العلوم الاجتماعية من خلال التجربة باعتبارها محكا لايكذب فى معظم الأحوال ، نقول بصرف النظر عن هذه العقبة ، فان التفسيرات القائمة على الفروض العلمية يجب أن تكون ممكنة التحقق ، بمعنى أنه ليس بذى جدوى أن نطرح فرضا مؤداه أن الانفجار السكانى فى مصر أو الكويت أو الجزائر إنما يعود إلى ارتباط طوالع سكان هذه البلاد ببرج الثور أو الحوت مثلا الذى من سماته الإخصاب وما يؤدى إليه من كثرة الإنجاب :

لاشك أن تفسيراً كهذا غير ممكن الاختبار تماما كما لو قلنا أن هناك روحاً شريرة هى التى تدفع السكان إلى زيادة نسلهم .. لأن هذا الفرض هو الآخر غير ممكن التحقق لا من خلال الملاحظة ولا التجريب ! !

وإمكانية التحقق من التفسيرات التى تقدمها الفروض تنبع من وجود متغيرات يمكن قياسها أو ملاحظتها ، أما إذا ما فقد الفرض قابليته للاختبار فإن ذلك يخرجه عن نطاق الفروض العلمية :

كما قد تكون هناك بعض الفروض الممكنة الاختبار ولكن هذه الإمكانية لانهائية أو غير محدودة ، وعلى سبيل المثال .. لو كنا بصدد وضع تصور للإجابة عن القضية المشهورة .. من الأصل .. الدجاجة أم البيضة أو الدجاج أو العظام بلغة المغرب العربى؟! فلو قلنا أن الدجاج هو الأصل والعظام هى الفرع لكان ذلك صحيحاً ، ولو قلنا أن البيضة هى الأصل والفرخة هى الفرع لكان ذلك صحيحاً أيضاً ، ثم لو أردنا أن نتحقق من أى من الإفتراضين لظل ذلك قائما إلى ما شاء الله .. ! !

٣ ـ التواؤم بين الفروض وحقائق المشكلة :

تنهض الفروض أساسا على تفسير الحقائق المتصلة بالمشكلة المبحوثة ، لذلك فلابد أن تتكامل الفروض فى تقديم تفسيرات منطقية ومعقولة وممكنة التحقق للحقائق المتصلة بالموضوع المبحوث ، بمعنى أنه لايجب تفسير بعض جوانب المشكلة وإهمال بعضها الآخر كما أنه لايجب فى ذات الوقت أن نتطوع باعطاء تفسيرات لحقائق غير موجودة أوغير متصلة بالمشكلة المطروحة :

ومن هنا كان التواؤم الواجب بين التفسير وبين الحقيقة من خلال الفروض ، حيث يستلزم الأمر ألا تكون الفروض قليلة من حيث الكم بشكل يعجزها عن تفسير كل جوانب المشكلة ، كما لايجب أيضاً ألا تكون طويلة بدرجة تخرجها عن إطار الحقائق

المتضمنة فى المشكلة المطروحة مع ما فى ذلك من مخاطر منهجية أبسطها كثرة البيانات أو المعلومات المجموعة بغير جدوى أو نفع حقيقى على الرغم من الجهود التى بذلت فى سبيل جمعها والتعامل معها إحصائياً خلال مراحل تصنيف وتحليل البيانات (٥) .

٤ ـ التناسق فى بناء الفروض من حيث الشكل والمضمون :

والتناسق الذى نعنيه يتعلق بصياغة الفروض ومدى وضوحها وعدم تناقض كل منها مع الآخر ، حيث يستلزم ذلك كله :

(ا) أن تكون الكلمات المعبرة عن الفرض موجزة واضحة لاتحتمل أكثر من معنى أو تكون بعيدة عن الذوق اللغوى العام أو تكون فضفاضة أو براقة بشكل لايسمح باختبار الفروض ولا التعامل مع البيانات المجموعة على أساسها إحصائياً فيما بعد .

(ب) أن تكون الفروض مصاغة على هيئة قضايا استنباطية ، لأن صياغة على غير هذا الشكل تجعل الفروض غير ممكنة التحقق .

(ج) أن يكون كل فرض من خلال صياغته متضمنا لأكبر عدد من الحقائق المتعلقة بالمشكلة المطروحة ، بمعنى .. أنه إذا كان الفرض الأول مثلا يفسر الحقيقة الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، فإنه يكون أحسن من الفرض الثانى الذى يفسر الحقيقتين الأولى والثانية فقط :

(د) أن تكون الفروض خالية من التناقض ، بمعنى ألا تقدم الفروض تفسيرات أو حلولا متناقضة لمشكلة البحث ، فى مشكلة كمشكلة الهجرة من الريف الى المدينة ، لايكون الحل مرة زيادة الرقعة الزراعية أو تحسين وسائل وطرق الزراعة فى الريف ، ويكون الحل المتضمن فى فرض آخر هو بناء مصانع جديدة فى المدن المجاورة .

(ﻫ) ألا يكون هناك تناقض بين الفروض وبين النظريات والقوانين أو المسلمات العلمية المتفق عليها ، لأن ذلك سوف يحد من القدرة التفسيرية لهذه الفروض ويصعب مهمة التحقق منها ، ولو أن ذلك ليس معناه الدعوة الى الجمود فكم من نظريات ثبت بطلانها وسقطت عنها هالة التقديس من خلال فروض وضعها علماء مغامرون أو شجعان .

المهم أن الفروض يجب أن تكون متناسقه مع النظريات أو القوانين القائمة حيث توجد بين كل من الفروض والنظريات صلات قوية باعتبار أن كلا منهما – الفرض والنظرية – ماهو إلا تصور ذهني يسعى لتفسير الظاهرة المبحوثة ، كما توجد نفس الصلة بين الفرض والقانون ولكن من زاوية أن الفروض التى تلقى تأييدا كافيا سوف تصبح ذات قيمة يقينية أعلى وهى نفس خاصية القانون .. والفرض من خلال تحوله إلى قانون يصبح قادرا على تقديم تفسير أكثر شمولية للظاهرة ويصبح ممكن التطبيق على نطاق أكبر من الظاهرات :



المصـــادر

١ – للاستزادة انظر :

Dewey, John, Logic : The Theory of Inquiry, Holt, Rinchart and Winston. Inc., New York, 1936, P. 71.

٢ – للاستزادة حول هذه النقطة انظر :

Ryans, David G, Characteristics of Teachers, American Council on Education, Washington R.C., 1960, PP. 394 — 401.

٣ – انظر :

Van Dalen, Op. Cit., Chap. 8.

٤ – انظر :

W.L.B. Beveridge, Op. Cit, Chap 4

٥ – انظر :

دكتور صلاح الفوال – علم الاجتماع – المفهوم والموضوع والمنهج – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٨٢ .



الباب الثانى

منهج البحث الوثائقى وطرقه
فى العلوم الاجتماعية

- منهج البحث الوثائقى ٠
- دور المنابع الوثائقية فى البحوث العلمية ٠
- دور المكتبة فى البحث العلمى ٠
- تحليل المضمون والبحوث العلمية ٠

الفصل الخامس

منهج البحث الوثائقى

- مقـــدمة حـــول طبيعة منهـــج البحث الوثائقى ·

- مفهوم منهج البحث الوثائقى ·

- مجالات استخدام منهجالبحث الوثائقى·

- انماط الوثائق التى ينهض عليها منهج البحث الوثائقى ·

- القـــواعد المنهجيـــة التى يرتكز عليهـــا منهج البحث الوثائقى ·
  - الفحص الناقد للمنابع الوثائقية ·
  - تـــكوين الفـــروض وصـــــياغتها فى البحوث الوثائقية ·
  - الملاحظـــة والتجريب فى البحـــــوث الوثائقية ·
  - التصـــميم والتنبـــؤ خلال البحـــوث الوثائقية ·

منهج البحث الوثائقى

مقدمة حول طبيعة منهج البحث الوثائقى (١) :

منهج البحث الوثائقى .. منهج قديم وجديد فى آن واحد :: قديم اذا ما أخذنا فى الاعتبار أن علماء التاريخ ومعهم كثيرون فى مجالات العلوم الاجتماعية الأخرى يستعينون بفنون هذا المنهج تحت نطاق « المنهج التاريخى للبحث » .. وهو منهج جديد إذا ما اعتبرنا محاولة « هلواى Hillway» التى تمت عام ١٩٦٤ هى أول محاولة منظمة * لإلقاء الضوء على هذا المنهج الجديد فى البحث ، حيث تم توضيح بعض المعالم الأساسية لمنهج البحث الوثائقى الذى يعتمد بصفة أساسية على وضع الأدلة المستنبطة من الوثائق أو السجلات أو غيرها من المنابع الوثائقية الأخرى ، فى اطار منطقى متناسق ، والاعتماد على تلك الأدلة فى تكوين النتائج التى تعد حجر الزاوية فى تأسيس حقائق جديدة أو عند تقديم تعميمات سليمة سواء عن الوقائع السالفة أو الحاضرة أو عن الصفات والدوافع والأفكار الانسانية بصفة عامة (٢) .

اذن منهج البحث الوثائقى منهج قديم باعتبار التلاحم الموجود بينه وبين منهج البحث التاريخى لاحتوائهما على العديد من الخصائص والسمات المشتركة ، ومنهج جديد يتعامل مع الوثائق من منظور أوسع وعلى النحو الذى سنشرحه خلال سياق حديثنا عن منهج البحث الوثائقى .

●

مفهوم منهج البحث الوثائقى :

منهج البحث الوثائقى عبارة عن طريقة علمية للبحث تنهض أساسا على جمع البيانات والمعلومات المتوافرة فى المنابع الوثائقية (٣) وفق تصورات معينة ، ثم نقد تلك البيانات والمعلومات المجموعة للتأكد من صحتها أولا ولحسن تعبيرها عن الحقائق موضوع البحث ثانيا . وذلك تمهيدا لتحليلها واستخلاص الحقائق منها ؛

---

* هويتنى كان قد أشار هو الآخر إشارة عابرة لهذا المنهج خلال تقسيمه للبحوث العلمية انظر ص ٣٤ من هذا الكتاب :

وانطلاقا من هذا المفهوم .. فإن منهج البحث الوثائقى ينهض على ركيزتين .. الأولى الوثائق بأنماطها المتعددة ، والثانية .. طريقة التعامل مع هذه الوثائق بحثا عن الحقيقة .

●

مجالات استخدام منهج البحث الوثائقى :

تزاد أهمية منهج البحث الوثائقى خلال العلوم الاجتماعية مع بروز العديد من المصاعب والمخاطر التى تحد من حركتها فى استخدام منهج البحث التجريبى من جهة ، ومع عدم قدرة البحوث الميدانية — كبديلة للتجريب — عن الوفاء بكل متطلبات الحقيقة ، فضلا عن تميز منهج البحث الوثائقى بقدرة فريدة على الغوص فى أعماق التاريخ واستنباط شواهده ليس فقط من أجل رسم صورة صحيحة قدر الإمكان عن الماضى ، وإنما فى سبيل اتخاذ معرفة الماضى ركيزة للتنبؤ بالمستقبل .

ومن هنا .. فإن استخدامات منهج البحث الوثائقى ليست قاصرة على مجالات العلوم الاجتماعية وحدها .. وانما يمتد ذلك الاستخدام ليضم مجالات العلوم الطبيعية والحيوية أيضا ، ويمكن أن يضاف الى ذلك كله علوم الطب واللاهوت « الدين والإلهيات » وغيرها كثير .

فلو أضفنا الى ذلك أن المجال الزمنى للبحوث الوثائقية ليس قاصرا على الماضى فقط وانما يمتد ليضم الحاضر أيضا ، لاتضحت لنا صورة المجالات الواسعة والمتعددة التى تمتد اليها استخدامات منهج البحث الوثائقى .

وبقيت نقطة أخيرة حول مجالات استخدام منهج البحث الوثائقى ، تتعلق بلجوء الباحثين فى شتى المجالات وحتى فى اطار العديد من مناهج البحث الأخرى ، الى استخدام فنون منهج البحث الوثائقى — حتى من منظوره التاريخى — لتساعدهم فى تقييم دراسات سابقة لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوعات التى يبحثون فيها وخاصة ما تعلق منها بالمشكلة المطروحة للبحث والطرق التى استخدمت فى دراستها والأدوات والأساليب التى اتبعت فى جمع البيانات والمعلومات والظروف التى أحاطت بتلك الدراسات ولعبت دورا فى تحديد نتائج تلك الدراسات السابقة . . فضلا عن طبيعة النتائج ذاتها ومدى اتفاقها مع المعطيات الحديثة للعلم .. الخ .

●

انماط الوثائق التي ينهض عليها منهج البحث الوثائقي :

من أبرز تلك الأنماط .. الوثائق سواء الرسمية أو الشخصية ، المطبوعات « الكتب والصحف والدوريات » والمسجلات « وسائل سمعية أو بصرية » ، والسجلات « التي تضم إحصاءات وبيانات تصدرها هيئات رسمية أو شبه رسمية عن شتى النشاطات الإنسانية » ، البحوث والدراسات العلمية التي تم إنجازها « تقارير البحوث العلمية سواء تلك التي تمت بمعرفة هيئات أو أفراد وتم إيداع نسخ منها في المكتبات الجامعية أو العامة أو الخاصة » ، ثم الشواهد والآثار التاريخية القديمة والفلكلوريات وأخيراً شهود العيان .

هذا وسوف نتناول العديد من هذه الأنماط سواء من حيث إلقاء مزيد من الضوء عليها ، أو من حيث طريقة التعامل المنهجي معها خلال فصول تالية هي :

١ — دور المنابع الوثائقية في البحث العلمي .

٢ — دور المكتبة في البحث العلمي .

٣ — تحليل المضمون والبحوث العلمية .

حيث ستغطي هذه الفصول أنماطا عديدة ، كالوثائق والمطبوعات والسجلات والبحوث والدراسات العلمية والوان متعددة من النشاطات الأدبية والفنية ، وبحيث لم يتبق سوى القاء الضوء على الشواهد والآثار التاريخية كأحد المنابع الوثائقية علاوة على شهود العيان الذين عايشوا أو عاصروا أحداثا تاريخية معينة .. كالمجاهدين القدماء الذين شاركوا في النضال ضد الإستعمار الفرنسي للجزائر أو الإستعمار البريطاني لمصر أو الإيطالي لليبيا .. الخ .

وشهود العيان يمكن التعامل معهم مباشرة من خلال المقابلات ، أو بطرق غير مباشرة من خلال ما تركوه من مذكرات أو ما كتب عنهم في وسائل الإعلام المختلفة .. إلخ .

أما عن الشواهد والآثار التاريخية .. كالأهرامات ومعابد المصريين القدماء وآثارهم المتعددة ، وكذلك ما خلفه الرومان والإغريق من شواهد وآثار ، وما خلفه المسلمون في العصور الإسلامية المتقدمة من عمائر وآثار إسلامية وغير ذلك من الشواهد التي مازالت تعتبر دليل حياة لحقبات حضارية سالفة (٤) ، كل هذه الشواهد والآثار يتم التعامل معها من خلال منهج البحث الوثائقي وفقاً لنفس القواعد المنهجية التي تتعامل بها المنابع الوثائقية

الأخرى، كما تؤدى البيانات المستخلصة عنها نفس الدور وفقاً لخطوات الطريقة العلمية للبحث .

ولو أننا نحب أن نضيف أنه ليس من الضرورى أن تكون كل الشواهد والآثار .. شواهد وآثارا حضارية ، بل يمكن أن تضم شواهد وآثارا جيولوجية أو نباتية أو حيوانية .

وإلى جوار شهود العيان والشواهد والآثار التاريخية توجد « الفلكاوريات » كما تبدو من خلال الأدب الشعبى المتمثل فى الأساطير والحكايات القديمة (٥) .

ومن الطبيعى أن تخضع الفلكلوريات لنفس القواعد المنهجية المتبعة خلال « تحليل المضمون » سواء عند التعرف على ما تحويه من دلالات أو عند الاستثمار مستقبلا .

هذا وتوجد كل الأنماط الوثائقية إما فى صورتها الأصلية أو فى صور مستنبطة عن الصورة الأصلية ، سواء باعتبارها مصدراً أصليا ، أو باعتبارها مصدرا فرعيا أو ثانويا من خلال التقليد أو من خلال التحقيق العلمى « فى الأدبيات واللغويات » أو من خلال إعادة العرض . . الخ ، على حسب طبيعة النمط الوثائقى المأخوذ عنه .

●

القواعد المنهجية التى يرتكز عليها منهج البحث الوثائقى :

منهج البحث الوثائقى يرتكز على نفس القواعد المنهجية التى تنطلق منها البحوث العلمية وخاصة ما تعلق منها بخطوات التفكير العلمى (٦) ، إلا أن منهج البحث الوثائقى يكاد يختلف إلى حد ما فى اتباعه لتلك القواعد نظراً لأنه يتميز عن غيره من مناهج البحث باعتماده على مصادر تنتمى إلى الماضى .. والماضى السحيق فى القدم أحيانا .. فضلا عن تميز المعرفة الناتجة عنها بأنها معرفة غير تامة وذلك نتيجة لقصور تلك المصادر عن تقديم صورة صحيحة عن الماضى ، فضلا عما قد تحويه تلك المصادر من معلومات قد تكون غير حقيقية بالمرة نظراً لأنها إما مختلفة أو غير معبرة بالمرة عن الأحداث التى جرت فى الماضى ، أو هى فى أحسن الأحوال معبرة وصادقة فقط بالنسبة لجزء من حقيقة تلك الأحداث .

ولو حاولنا أن نحدد القواعد التى ينطلق منها منهج البحث الوثائقى لاتضح لنا أنها كالتالى :

أولا – الفحص الناقد للمنابع الوثائقية :

وهذه القاعدة هامة جداً لإثبات الحقائق المتضمنة فى المصدر الوثائقى ، وخاصة إذا ما كان ذلك المصدر ضاربا فى القدم ، ويهدف هذا الفحص الناقد إلى التحقق من صدق المنبع الوثائقى ومصدره .

ولكن ما هى الوثائق أو المصادر التى تعد حجر الزاوية لمنهج البحث الوثائقى فى مجال العلوم الاجتماعية ؟ !

حددت « بولين يونج Pouline Young » هذه المصادر خلال مؤلفها Surveys and research Scientific Social الذى أصدرته فى New York عام 1953 حددت المصادر الوثائقية التى يستخدمها الباحثون الاجتماعيون من خلال علم الاجتماع بالمصادر الثلاثة الرئيسية الآتية :

ا – الوثائق والمصادر التاريخية المختلفة التى يستخدمها المؤرخ نفسه .

ب – مواد التاريخ الحضارى ومواد التاريخ التحليلى .

ج – المصادر الشخصية الخاصة بالملاحظين والشهود الموثوق بهم .

.. واعتبرت بولين يونج من قبيل الوثائق المصادر الفرعية الآتية :

« سلاسل الأنساب ، علوم التقاويم ، السجلات التاريخية ، سير الأشخاص وتراجم حياتهم ، الكتابات القانونية ، المعاهدات والاتفاقات ، القوانين الوضعية ، الآثار والمبانى القديمة ، النقود والأدوات والأوانى ، السجلات الإدارية ، وأخيراً التراث الشعبى التقليدى « الفلكلورى » .. (٧) .

ولكن ما هى حدود استخدامات تلك الوثائق ؟ !

تجيب «بولين يونج» أيضاً بأن الوثائق ممكنة الاستخدام فى حالتين وغير ممكنة الاستخدام فى حالة واحدة ، فالوثائق لاتستخدم عندما تكون الحوادث المتضمنة فى تلك الوثائق قد سبق التعامل معها بواسطة محللين آخرين لاسيما التاريخيين منهم أوقد سبق تداولها فى أوضاع تاريخية معاصرة ، وتستخدم الوثائق عندما يستلزم البحث الاجتماعى التحقق من صحة جوانب معينة وخاصة تلك التى لم ترد بصورة واضحة فى كتابات المؤرخين ، كما تستخدم الوثائق لاستكمال حلقة مفقودة من حلقات المعرفة التاريخية المتصلة بموقف اجتماعى معين (٨) .

ولكن ما هى حدود الفحص الناقد لتلك المنابع الوثائقية ؟ !

ترى « بولين يونج » أن الباحث فى نطاق العلوم الاجتماعية لاسيما الباحث الاجتماعى عليه أن يعنى بالأمور الآتية :

١ – ألا يهتم بالتفاصيل إذا ما كانت ذات طابع شخصى أو ذاتى ، وكذلك بالنتائج إذا ما كانت مشكوكا فى صحتها .

٢ – أن يميز بين ما هو تاريخ حقيقى وبين ماهو مزيف من خلال ترتيب المعلومات وتصنيفها على أساس العلاقات المتبادلة بين ما تتضمنه الوثيقة من حقائق .

٣ – ضمان أن تكون المعلومات المتضمنة فى الوثيقة محل ثقة عن طريق مرورها من خلال عمليتى الفحص الخارجى والداخلى ، حيث يعنى الفحص الخارجى بتوضيح مكانة المؤرخ وسمعته وأسلوبه فى كتابة التاريخ والمصادر التى أستعان بها ، بينما يعنى للفحص للداخلى التأكد من دقة وتكامل وموضوعية ومنهجية الحقائق المتضمنة فى الوثيقة ، فضلا عن الكشف عن أية انحرافات قد تقلل من القيمة العلمية للوثيقة .

٤ – أن تكون الوثائق متضمنة لحقائق من ذلك النوع الشامل ، وأن تكون خاصة بأحداث معينة مازالت جذورها ممتدة فى أعماق الجماعات والمجتمعات المعاصرة ، مع مراعاة ألا تكون تلك المعلومات قاصرة على ظواهر خاصة أو منعزلة (٩) .

ثانيا – تكوين الفروض وصياغتها فى البحوث الوثائقية :

عندما يجمع الباحث من خلال منهج البحث الوثائقى أدلته ويحللها تحليلا ناقداً ، فإنما هو يسعى – كغيره من الباحثين – إلى التحقق من بعض التصورات التى انطلقت منها دراسته تمهيداً لوضع الفروض المفسرة للظاهرة المبحوثة .

ولاشك أن هناك صعوبة بالغة فى التحقق من أسباب الأحداث كما تبدو فى المنابع الوثائقية ، لأن المادة المعالجة خلالها معقدة فضلا عن تميزها بعدم الثبات ، فكثير من العقبات تواجه الباحث التاريخى مثلا وهو يحاول أن ينتقى الظروف المحتملة التى سبقت الحادث التاريخى وكانت سبباً مباشراً له ، كما يجد الباحث نفس الصعوبة وهو يحدد العوامل المسئولة عن حدوثه ، وتلك الصعوبة تعود للأسباب الآتية :

١ – بعض العوامل المرتبطة بالحدث الماضى يصعب تحديدها .

٢ – كثير من تلك العوامل لا يمكن قياسها .

٣ – قد تكون هناك عوامل كثيرة متصلة بالحدث لم يتم تسجيلها لسبب أو لآخر .

٤ – قد يكون الحدث التاريخى مسبوقا بمقدمات كثيرة متشابكة ومتفاعلة وبحيث يصعب عزلها عن الحدث نفسه .

لذلك يمكن الاعتماد على مبدأ الفروض المتعددة والذى ينهض على أساس تقديم مجموعة من التصورات المفسرة لحدث ما ، وذلك لأن العديد من الحوادث التاريخية لا يمكن تفسيرها بشكل مقنع اعتمادا على سبب واحد .

وترى كثير من المصادر أن المؤرخ اذا ما تحدث عن السبب فإنه لا يعنى أبدا السبب الوحيد وانما يقصد أهم الأسباب وسط مجموعة معقدة من الظروف المسببة ، أو يقصد الظرف الذى كان أكثر حسما من غيره فى وقوع الحدث الذى جرى ، أو ذلك الظرف الذى أدى الى شئ من الاختلاف بين ما حدث فى وجوده وما يحتمل حدوثه فى غيابه (١٠)

وفى مقارنة بين الفروض فى مجال منهج البحث الوثائقى ومنهج البحث التجريبى ، نجد أن الباحث فى مجال العلوم الاجتماعية وفى مجال العلوم الطبيعية يصوغ فروضا ويجمع الأدلة حولها بعناية ويحللها تحليلا ناقدا حتى يتحقق من فروضه وبالذات من أنها تقدم تفسيرا أكثر اقناعا من غيرها من الفروض الأخرى ، ولكن نوع الفروض وعمليات الاختبار التى يستخدمها المؤرخ – كما يقرر البعض – تختلف عن تلك التى يستخدمها العالم الطبيعى ، وعليه فإن المؤرخ يعانى صعوبة بالغة وعلى النحو السابق لنا شرحه وهو يحاول أن يخرج بنتائج حاسمة أو قاطعة مثل زملائه المشتغلين بالعلوم الطبيعية لأن المادة التى يتعامل معها أكثر تعقيدا وتغيرا فضلا عن أن البيانات أو المعلومات التى يحصل عليها أقل كما وأصعب قياسا (١١) .

ثالثا – الملاحظة والتجريب فى البحوث الوثائقية :

سبق أن قلنا فى غير هذا المكان أن كلا من الملاحظة والتجريب يمثلان وجهين لعملة واحدة ، بمعنى أن الملاحظة إن هى إلا تجربة غير مضبوطة ، بينما التجربة ملاحظة مضبوطة بمعنى أن الفرق بين كل من الملاحظة والتجريب انما هو فرق فى تعمد الملاحظة ، لأن

التجربة إنما تعنى ادراك ما يجرى فى ظاهرة نحن أحدثناها وفى امكاننا تغيير مختلف ظروفها أما الملاحظة فتعنى ادراك ما يجرى فى ظاهرة لانود ولانقدر على أن نتحكم فى ظروفها(١١).

ولاشك أن الظواهر التاريخية أو الحوادث المتضمنة فى المنابع الوثائقية هى من ذلك النوع الذى لانقدر على أن نتحكم فى ظروفه وذلك راجع بطبيعة الحال للمصاعب التى نوهنا عنها قبلا .

لذلك فهناك قناعة بأن الباحثين فى مجال التاريخ مثلا لايمكنهم استخدام التجريب باعتباره ملاحظة مضبوطة بنفس المنطق الذى تستخدم فيه التجربة فى العلوم الطبيعية أو الحيوية ، بمعنى أنه لايمكن إعادة خلق الشخصيات والظروف بنفس الصورة التى كانت لها قبلا حتى يمكن فحصها ومعالجتها .

اذن فإن المؤرخين ليس فى مقدورهم أن يقيموا تجربة يضبطون عواملها الأساسية ويحذفون منها أو يضيفون اليها عوامل معينة ويقيسون أثر ذلك كله على الحالة ، ويعود عجز المؤرخين عن إقامة التجربة الى أن كل ما حدث فى الماضى فريد وغير قابل لأن يكرر أو يعاد فى المعمل ، لذلك فان الباحثين يجدون أنفسهم مضطرين الى الاكتفاء بفحص ما تيسر لهم من بيانات خلال تفسيرهم لحدث وقع فى الماضى .

وتضيف بعض المصادر أنه نظرا لأن الباحثين ليس فى مقدورهم معالجة الظواهر التاريخية من خلال ملاحظتها بصورة مباشرة ، فإن البديل هو محاولة زيادة فهمهم لتلك الظواهر من خلال عقد المقارنات وإنشاء التكوينات الفرضية التى تسعى الى المقارنة بين حدث معاصر ما وبين نظير له حدث فى الماضى لاكتشاف نقاط التماثل والتباين ، كما قد يحاول هؤلاء الباحثون تصور ما كان من المحتمل حدوثه لو أن حدثا ما لم يقع ويجيبون على تصوراتهم تلك وفقا لدرجات مختلفة من الاحتمال (١٣) .

ويضيف « فان دالين » أنه نظرا لأن المؤرخين ليس فى مقدورهم مشاهدة الإجراءات التربوية — مثلا — التى كانت تمارس منذ مئات السنين ، فلا خيار أمامهم سوى الاعتماد على ملاحظات الآخرين ممن كانوا يعيشون خلال تلك العصور أو فى فترات تاريخية قريبة منها ، وفى وسع هؤلاء المؤرخين أيضا فحص آثار تلك الأيام ، ولو أن فان دالين يرى أن الملاحظات غير المباشرة ليست مرضية بنفس درجة الملاحظات المباشرة التى تمارسها العلوم الطبيعية مثلا ، الا أن التأكد من صحة الروايات حول التربية باعتبارها وسائل

غير مباشرة للملاحظة من خلال اخضاعها للنقد الداخلي والخارجي الصارم يجعلها أكثر مدعاة للثقة ، ولو أن ــ فان دالين ــ يرى أن صدق تقدير البحث التاريخي لايتوقف على الدرجة التي تم بها فحص ملاحظات الشهود فقط ، وانما يرتبط أيضا بعمق وسعة معرفة الباحث التاريخي بالماضي والحاضر (١٤) .

ويشارك « بلوك Block » « فان دالين » نفس الرأي تقريبا عندما يقرر أن سوء فهم الحاضر انما هو نتيجة حتمية للجهل بالماضي ، لأن الخبرة أو الفهم المحدودين سواء بالنسبة للحاضر أو الماضي قد يدفعان الباحث إما لإهمال شواهد وأدلة لها أهميتها ، أو قد يجعلانه يسيء فهمها وبالتالي يسيء تفسيرها من خلال ما يصدر عنه من تقارير بشأنها (١٥) .

وقبل أن نختم الحديث عن الملاحظة والتجريب في البحوث الوثائقية ، نقول أن التجريب ممكن الاستخدام من خلال البحوث التاريخية ، ولقد ناقشنا هذه القضية خلال مؤلفنا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » المشار اليه ، وقلنا أن من الممكن استخدام التجارب المعروفة باسم « التجارب الوصفية » ، وقلنا أيضا أن هذه التجارب لاتجبر الباحثين على إجراء أية قياسات كمية دقيقة حول الظاهرة المبحوثة (١٦) :

رابعا ــ التعميم والتنبؤ خلال البحوث الوثائقية :

امكانية التعميم والتنبؤ استنادا على المعلومات المتوافرة باستخدام منهج البحث الوثائقي هي مثار جدل بين كثير من العلماء ، ويعتبر ذلك الجدل صدى للاختلاف القائم أصلا حول التاريخ وهل من الممكن اعتباره علما يسعى الى الوصول الى تعميمات عريضة أي نظريات وقوانين مفسرة للأحداث والظواهر ؟ !

واذا ما كان الأمر كذلك . . هل في وسع التاريخ كعلم أن يقدم لنا تعميمات تفسر الكثير من الاحداث أو الاحوال الفردية التي تبدو في أغلب حالاتها غير مترابطة ولا منطقية ؟ ! .

وبغير أن تأخذنا دوامة المؤيدين والمعارضين لعلمية التاريخ بعيدا (١٧) عن هدفنا في محاولة الكشف عن قدرة منهج البحث الوثائقي على التعميم والتنبؤ ، نقول أن هناك ثلاث وجهات نظر حول امكانية منهج البحث الوثائقي على التنبؤ والتعميم هي كالآتي : :

١ ــ فريق يرى أن التعميم من خلال العوامل المتكررة الشائعة أمر يخرج كلية عن نطاق البحث التاريخي ، ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن واجب الباحثين التاريخيين هو تحصيل

المعرفة الغنية بالتفاصيل عن حالة أو حدث معين جرى فى الماضى فى زمان ومكان معينين وتتبع ماسبقه وما أعقبه ، ولكن البحث فى نطاق التاريخ لايهتم بما يحدث دائما أو ما يحدث وفقا لنمط ما أو ما يحدث عادة ، كما لايهتم الباحثون التاريخيون بأوجه التشابه بين الأحداث أو الجوانب المتكررة فيها ، بل يهتمون أساسا بالعوامل المنفردة المرتبطة بواقعة ما والتى تجعلها مختلفة عن غيرها من الأحداث ، ويرى هذا الفريق أيضا أن أية حقيقة تفقد ارتباطها بالماضى بمجرد أن تصبح جزئية ضمن الاطار العام لقاعدة أو لقانون عام ما :

ولكن هل معنى هذا أن الباحثين التاريخيين لايهتمون بإظهار العلاقات السببية بين أجزاء الحدث ؟ !

والجواب من خلال نفس وجهة النظر السابقة .. أن الباحثين التاريخيين قد يظهرون تلك العلاقة السببية بين مكونات الحدث أو بين الأحوال التى مهدت له والتى أعقبته ، ولكنهم لايهدفون بالقطع الى التعميم بين خصائص الواقعة وما يماثلها ، بل يتركون — كما يقرر فان دالين — مهمة اصدار التعميمات أو القوانين التى تتنبأ بما يقع حتما تحت ظروف معينة لعلماء الاجتماع والنفس على سبيل المثال (١٨) :

٢ — وهناك رأى معارض تماما للرأى السابق ، ومؤيد لإمكانية التعميم والتنبؤ من خلال البحوث التاريخية ، بل ويرى أنه من واجب المؤرخين أن يتخطوا مجرد وصف الحوادث الجزئية التى وقعت فى الماضى وتفسيرها ، ومن هنا تسود قناعة بأنه يمكن اشتقاق تعميمات واسعة أو قوانين من خلال دراسة الحقائق التاريخية ، وأكثر من هذا فإن عالما مثل « سوسيديس Thucydides » يؤمن بأن ما حدث مرة سوف يحدث مرة ثانية وفقا لقوانين الطبيعة الانسانية (١٩) ، المهم أن أصحاب هذا الرأى على قناعة تامة بأن المؤرخين فى مقدورهم اكتشاف وصياغة القوانين الثابتة التى تحكم الأحداث الانسانية مثلهم فى ذلك مثل علماء الطبيعة الذين اكتشفوا القوانين الطبيعية التى تحكم ظاهرات العالم المادى .

٣ — هناك وجهة نظر أخرى أكثر تواضعا على حد تعبير «فان دالين» ، حيث يؤمن البعض بأن مسئوليتهم هى اصدار تعميمات عن الأحداث الماضية ولكن ليس فى قدرتهم التنبؤ بالأحداث المستقبلية ، ويذهب آخرون الى أن بوسعهم عن طريق القياس التاريخى وتتبع الاتجاهات التاريخية ، بوسعهم من خلال ذلك أن يقترحوا فى بعض الحالات عددا

من النتائج التى يمكن توقع واحدة أو أكثر منها وفقا لعدة احتمالات (٢٠) فى وسعها أن تزودنا بالمعرفة الأساسية التى تمكن من الاختيار بين عدة مسارات مختلفة ، ولكن أصحاب هذا الرأى لايتوقعون أن تتيح تلك المعرفة صياغة تعميمات شاملة لها نفس قوة التنبؤ التى تتمتع بها القوانين الناتجة من العلوم الطبيعية (٢١) :

هذا ولبولين يونج رأى جدير بالتسجيل فى هذا المجال حيث ترى أنه :

(أ) على الباحث ألا ينظر الى التاريخ باعتباره سلسلة من الحوادث وانما عليه أن يهتم بالتعليل العلمى لأحداث التاريخ ، حيث يساهم تحليل الماضى فى معرفة إلى أى حد تأثرت النظم والافكار والعادات والمشاكل اجتماعية بمثيلاتها لاالتى حدثت فى الماضى والى أى حد سوف تستمر فى التأثر بها مستقبلا (٢٢) :

(ب) على الباحث أن يدرك أن التاريخ لايمكن أن يخلو من الخلط والخطأ مهما كان مصدر ذلك التاريخ ، ومن هنا فواجب الباحث أن يدخل فى اعتباره أن المعلومات التاريخية المستخلصة من عدة مصادر والتى تم اختيارها بحكمة والتى تم فحصها بدقة ، عليه أن يدرك أن تلك المعلومات التى لها تلك المواصفات تعد ذخيرة من المعرفة لاغنى عنها فى فهم وتعميم الظواهر والنظم الاجتماعية (٢٣) .



المصادر والشروح

١ – منهج البحث الوثائقى رؤية جديدة للكاتب ، فلم يكتب عنه – حسب علمنا – الا فى مصدرين اثنين ، أولهما باللغة الانجليزية وأوردناه فى الفقرة (٢) ، أما الثانى فهو باللغة العربية حيث اشار اليه الدكتور أحمد بدر خلال مؤلفه عن « أصول البحث العلمى ومناهجه » عام ١٩٧٩ « الطبعة الخامسة » ص ص ٢٣٤ – ٢٣٦ ، ولكن من منظور مختلف وفى نطاق منهج البحث التاريخى .

٢ – للاستزادة انظر :

Hillway, Tyrus, Introduction to Research. 2nd ed. Houghton Miffin Company, Boston, 1964. PP. 307 — 309.

٣ – يقصد بالمنابع الوثائقية .. كل الوثائق التى تدل على الإنجازات الانسانية سواء تلك التى حدثت فى الماضى أو التى تحدث فى الحاضر .. ومن أمثلتها .. كل ما تضمه السجلات والشواهد والآثار والمطبوعات سواء أكانت كتبا أو بحوثا أو دوريات..الخ.

٤ – للاستزادة حول الشواهد والآثار الحضارية انظر :

دكتور صلاح الفوال – سوسيولوجيا الحضارات القديمة – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٨٢ ، فى مواضع كثيرة منه .

٥ – للاستزادة حول الفلكاوريات انظر :

دكتور صلاح الفوال – علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية – عالم الكتب – القاهرة. ١٩٨٢ ص ص ١٧٢ – ١٧٤ .

٦ – للاستزادة حول خطوات التفكير العلمى انظر :

دكتور صلاح الفوال – منهجية العلوم الاجتماعية – مصدر سابق – ص ص ٤٧–٦٤.

٧ ـ للاستزادة انظر :

Young, Pauline : Scientific Social Surveys on Research : An introduction to the backyround ; content, methods, principles, and analysis of Social Studies, Prentice-Hall, New York, 1953, P. 190.

٨ ـ المصدر السابق ص ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

٩ ـ للاستزادة انظر :

المصدر السابق ص ص ١٩٥ ـ ١٩٩ .

١٠ ـ للاستزادة انظر :

Roport of the Committce on Historiography, Theory and Practice in Historical study : Social Science Research Council, New York, 1946, PP. 110 — 111.

١١ ـ للاستزادة انظر :

١٢ ـ أنظر : Van Dalen, Op. Cit., Chap., 9.

دكتور صلاح الفوال ـ منهجية العلوم الاجتماعية ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٥ :

١٣ ـ للاستزادة انظر :

Roport of the Committee Op. Cit., PP. 112 — 113.

١٤ ـ فان دالين ـ مصدر سابق الفصل التاسع .

١٥ ـ للاستزادة انظر :

Block, Marc. The Historian's Craft ; Alfred A. Knopf. Inc., New York, 1953, PP. 42 — 43.

١٦ ـ للاستزادة انظر :

دكتور صلاح الفوال ـ منهجية العلوم الاجتماعية ـ مصدر سابق ص ص ١٤٩ ـ ١٥١ :

١٧ ـ للاستزادة حول هذه النقطه انظر :

دكتور صلاح الفوال ـ علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية ـ مصدر سابق ص ص ١٥ ـ ١٨ :

١٨ ـ فان دالين ـ مصدر سابق :

١٩ — للاستزادة انظر :

Thueydides, The History of the Peloponnesian War, translated by H. Dale, G. Bell and Sons., Ltd., London, 1912.

٢٠ — Report of the Committce, Op. Cit., P. 139.

٢١ — فان دالين — مصدر سابق :

٢٢ — بولين يونج — مصدر سابق ص ص ١٩٦ — ١٩٧ :

٢٣ — المصدر السابق ص ١٩٨ ، وانظر أيضا :

دكتور محمد طلعت عيسى — البحث الاجتماعى — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة الطبعة الثالثة — ١٩٦٣ ص ٢٢١ :

***

الفصل السادس

دور المنابع الوثائقية
فى البحوث العلمية

- مقـدمة .
- ماذا تضم المنابع الوثائقية .
- جدوى المنابع الوثائقية .
- الضرورة المنهجيـة لاستخدام المنـابع الوثائقية .
- كيفية الاستفادة من المنابع الوثائقية ؟!
- شروط الاستفادة من المنابع الوثائقية .

دور المنابع الوثائقية

فى البحث العلمى

مقـــدمة :

المعرفة لا تحدث فقط عندما ينزل الباحثون الى الميدان ليجمعوا بيانات عن مجتمعاتهم البحثية مستخدمين فى ذلك طرقا وأساليب شتى لجمع تلك البيانات ، كما أن تلك المعرفة لا تحصل فقط نتيجة توافر باحث أو أكثر داخل معمل من المعامل وقد استغرقتهم تجربة ما يستهدفون منها اثبات أو نفى فرض أو مجموعة من الفروض .

وإنما المعرفة يمكن أن تحصل من مصادر أخرى متعددة ، منها المصادر المطبوعة بمختلف أنماطها التى سنتناولها عند حديثنا عن دور المكتبة فى البحث العلمى (١) ، ومنها الآثار والوثائق بمختلف صورها وأنماطها وطرق التعامل معها وعلى النحو الذى عرضناه عند حديثنا عن منهج البحث الوثائقى (٢) ، ومنها كذلك مختلف البيانات المتضمنة فى سجلات والمحفوظة — كوثائق — بمعرفة جهات حكومية أو رسمية (٣) . وهذا النمط الأخير من مصادر المعرفة ونعنى به « المنابع الوثائقية » هو الذى سنلقى عليه الضوء فى هذا المجال لنتعرف على كيفية التعامل معها وما جدوى ذلك بالنسبة للبحوث العلمية .

●

ماذا تضم المنابع الوثائقية ؟!

تضم المنابع الوثائقية الكثير من البيانات المختلفة التى تم جمعها فى فترات سابقة لأغراض شتى قد يكون من بينها أغراض البحث العلمى ، وقد تم تبويب وجدولة وتصنيف تلك البيانات بطريقة تسهل الاستفادة منها لاسيا فى أغراض وضع السياسات الاقتصادية والاجتماعية وكذلك وضع الخطط والبرامج المنفذة لتلك السياسات :

أو قد تضم تلك المنابع مجموعات متفرقة من الحوادث المجتمعية التى يتم تسجيلها بطريقة آلية باعتبارها من الأحداث اليومية للمجتمع .

وعلى كل فإن عدداً من علماء المنهجية يصنف البيانات المتضمنة فى المنابع الوثائقية إلى نمطين أساسيين أولهما . . أن تكون تلك البيانات متضمنة فى سجلات إحصائية ، وثانيهما أن تكون بيانات خاصة بالتعدادات المختلفة ، وسنتحدث عن كل منهما على النحو الآتى :

(أ) البيانات المتضمنة فى السجلات الاحصائية :

والبيانات المدونة فى السجلات الإحصائية تخضع من حيث نوع المعلومة المسجلة أو طريقة تسجيلها للعديد من النظم واللوائح بل والقوانين أحيانا ، وهذه البيانات تغطى معظم وقائع الحياة المجتمعية فى كل الدول المتحضرة بغير استثناء ، وتعتبر فى رأى الكثيرين سجلا ضخما لمختلف مجالات الحياة المجتمعية وخصوصاً أن هناك الكثير من الأجهزة المتخصصة قد أنيط بها القيام بهذه المهمة (٤) .

هذا ويسوق عدد من علماء المنهجية عدة أمثلة لما تغطيه البيانات المتضمنة فى السجلات الإحصائية على النحو الآتى :

١ — الحوادث اليومية ، وتشمل وقائع الميلاد والموت والزواج والطلاق .

٢ — التعليم ، وتشمل عدد الطلبة والطالبات فى كل المراحل التعليمية ونسب الحضور والغياب فى المعاهد التعليمية ، وكذلك نسب النجاح والسقوط ودرجات التلاميذ فى الاختبارات التى طبقت عليهم ... الخ .

٣ — الجريمة ، وتشمل بيانات عن الجرائم التى علمت بها الشرطة وعدد المقبوض عليهم وما صدر ضدهم من أحكام .. الخ .

٤ — البيانات الخاصة بمن لهم حق الانتخاب أو من أدوا الخدمة العسكرية أو أعفوا منها ، أو مالكى السيارات وأنواعها ، أو البيانات الخاصة بالقوى العاملة ، أو الأعضاء المنتمين إلى المنظمات والهيئات الخاصة .. الخ (٥) .

(ب) البيانات المتضمنة فى التعـدادات :

حيث تهتم معظم المجتمعات المتحضرة باجراء تعدادات معينة « كتعداد السكان مثلا » على فترات دورية »

ويعرف بعض علماء المنهجية التعداد بأنه « جمع دورى للبيانات عن جمهور ما ، ويتم ذلك الجمع عادة من بيت إلى بيت » .. (٦) .

ويهتم تعداد كتعداد السكان مثلا بجمع بيانات متنوعة عن السكان بهدف التعرف على مختلف خصائصهم من حيث الأعمار والنوع والديانة والحالة الصحية والتعليمية والاجتماعية فضلا عن محاولة التعرف على حجم الأسر وبعض البيانات الأخرى التي تحدد عادة خلال تصميم التعداد .

ولو أننا نرى أن المنابع الوثائقية تنهض على المصادر الآتية :

١ ـ تعداد السكان :

وهو عملية تقوم بها حالياً جميع الدول على فترات دورية بهدف التعرف ليس فقط على عدد السكان المقيمين فوق التراب الوطني في وقت معين ، وإنما بهدف التعرف كذلك على مختلف الخصائص السكانية ، الأمر الذي يمكن من إعطاء صورة إحصائية سليمة عن الحالة السكانية حتى تكون هذه الصورة أمام مخططي السياسة الاجتماعية وهم يضعون سياساتهم سواء على مستوى الوطن ككل أو على مستوى كل قطاع منه على حدة .

٢ ـ الاحصاءات الحيوية :

ويقصد بها إحصاءات المواليد والوفيات ، وهي إحصاءات تتم في كثير من الدول طبقاً للقانون وتتولاها أجهزة متخصصة على مستوى قطاع الصحة ، ومايلبث قطاع الصحة ـ مكاتب السجل المدني كما هو الحال في جمهورية مصر العربية مثلا ـ أن يبعث بسجلاته المتضمنة للإحصاءات الحيوية إلى الجهاز المسئول عن الإحصاءات على مستوى التراب الوطني ككل ، الذي يقوم بدوره بنشر تلك الإحصاءات والتعليق عليها بصفة دورية .

٣ ـ الاحصاءات الخاصة بالزواج والطلاق :

وهي كاحصاءات الميلاد والوفاة ضرورية وتحتمها القوانين في العديد من الدول . وتقوم عليها هيئات متخصصة ـ كمصلحة السجل المدني في ج. م . ع مثلا ـ وتتولى تسجيل كل حالات الزواج والطلاق حتى يتم التعامل معها بعد ذلك بنفس الطريقة السابقة .

٤ ـ الاحصاءات الخاصة :

ويقصد بها تلك الإحصاءات التي تصدرها هيئات متخصصة ، وتتضمن تلك الإحصاءات مختلف صور النشاطات التي تقوم بها تلك الهيئات سواء في شكلها الكمي أو الكيفي ، ومن أبرز صور تلك الإحصاءات :

(ا) إحصاءات الأمن العام : التي يتضمنها تقرير سنوى تصدره الإدارات المعنية بالأمن — كإدارة الأمن العام فى ج.م.ع مثلا — ويتضمن ذلك التقرير إحصاء بأنواع الجرائم مكيفة حسب وضعها القانونى « جناية ، جنحة ، مخالفة » وماصدر بشأنها من أحكام قضائية ، فضلا عن تصنيف تلك الجرائم وفق مسمياتها « جناية قتل أو سرقة بالإكراه أو جنحة إزعاج أو مخالفة مرور ... الخ » .

٥ ــ الاحصاءات الاجتماعية :

وهى إحصاءات تصف مختلف صور النشاطات الاجتماعية سواء تلك التى تمارسها الهيئات الحكومية أو الهيئات الشعبية موزعة توزيعاً جغرافياً « بحسب أماكن تواجدها » ووظيفيا بحسب طبيعة النشاط ذاته « دور حضانه ، أندية ، إيواء ، مساعدات ، مراكز تدريب مهنى . . توجيه أسرى .. الخ » ، مع بيان الهيئات المنوطة بكل نشاط على حدة وطرق الاستفادة منه ، وعادة ماتتضمن تلك الإحصاءات فى تقارير تصدرها مثلا وزارة الشئون أو المجلس الأعلى للشباب والرياضة أو الاتحاد العام للجمعيات والهيئات والمؤسسات الخاصة فى ج.م.ع مثلا .

(ج) الاحصاءات الرسمية بمختلف انماطها وخاصة التعليمية منها والصحية والاقتصادية والفنية وذلك على النحــو الآتى :

١ ــ الاحصاءات التعــليمية :

وتتضمن كافة البيانات الخاصة بالنشاط التعليمى بمختلف مستوياته على كامل التراب الوطنى ، حيث يضم عدد الطلاب فى كل مرحلة تعليمية على حدة وعددهم بالنسبة لكل إقليم وعدد الذكور والإناث خلال كل ذلك ، فضلا عن إحصاء بعدد المدارس والمعاهد والكليات ، وإحصاء بعدد أعضاء هيئات التدريس موزعين حسب التخصص وحسب جهات وأماكن العمل .. الخ .

وعادة ما تصدر هذه البيانات وزارات التربية والتعليم ، والتعليم العالى والبحث العلمى وقد تصدرها مباشرة أو عن طريق الأجهزة القومية المتخصصة فى الإحصاءات كالجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء فى جمهورية مصر العربية مثلا .

٢ ـ الاحصاءات الفنيـة :

وتضم كافة البيانات الخاصة بمختلف النشاطات الفنية « مسارح ، سينما ، مراسم ، معارض ، أوبرا ، متاحف ، مراكز تسجيل التراث .. الخ » ، ومن أمثلتها عدد دور السينما وعدد الرواد وعدد الأفلام السينمائية المنتجة ، وعدد المسرحيات وعدد المسارح وعدد جمهور المسرح وتوزيع كل ذلك جغرافياً .. الخ .

وعادة ما تصدر هذه الإحصاءات وزارات الثقافة أو أكاديميات الفنون إما بنفسها مباشرة أو عن طريق الجهاز القومى المختص بالإحصاء والنشر .

٣ ـ الاحصاءات الصحية :

وهى إحصاءات تتعلق بالصحة العامةوتضم عدد المستشفيات وتخصصاتها وعدد الأطباء بها وتخصصاتهم وعدد المترددين عليها وأمراضهم وعدد الأسرة، وعدد من أقام بالمستشفيات للعلاج لمدد زمنية معينة وعدد من تردد منهم على العيادات الخارجية فقط ونسبة الذكور إلى الإناث خلال كل ذلك .. الخ .

وعادة ما تصدر هذه الإحصاءات أجهزة وزارة الصحة ولو أن الأمر لايمنع من نشرها بالصورة السابقة .

٤ ـ الاحصاءات الاقتصادية :

وهى تلك التى تتضمن بيانات عن الأنشطة الزراعية والصناعية والتجارية سواء على مستوى القطاع العام أو الخاص ، وعادة ما تصدر تلك الإحصاءات وزارات الزراعة والصناعة والتجارة والمالية « الخزانة » إما بنفسها مباشرة أو عن طريق الجهاز القومى المختص .

●

جدوى المنابع الوثائقية ؟!

من العرض السابق تتضح مدى ضخامة المعلومات المتضمنة فى المنابع والسجلات الوثائقية سواء من حيث الكم أو الكيف ، فضلا عن أن معظمها يعد بمعرفة أجهزة متخصصة ويتم على فترات دورية ، كل هذا يجعل لتلك السجلات الوثائقية جدوى مؤكدة من حيث الاستخدام خلال البحوث العلمية وخاصة أن تلك السجلات تتسم بالخصائص الآتية :

١ — ثباتها وصدقها بالمقارنة بغيرها من أدوات البحث كالملاحظة أو المقابلة مثلا ، لأنها تسجل وقت وقوعها وبغير أن يكون لذاتية الباحث أى دور سواء أثناء الوقوع أو عند التسجيل .!

٢ — تحررها من سيطرة المبحوثين وتدخلاتهم ، حيث لاتتطلب السجلات الوثائقية تعاون جمهور البحث فى إعطاء البيانات المتضمنة فيها ولو بشكل مباشر على الأقل ، لذلك فالسجلات الوثائقية تعتبر أداة غير متحيزة لجمع البيانات بالمقارنة بوسائل أخرى غيرها كالإستمارات بأنواعها أو المقابلة .. الخ .

٣ — تضمنها لمختلف الاتجاهات التطورية حيث تجمع البيانات خلالها على فترات دورية « كل سنة أو سنتين أو ثلاث أو أربع مثلا » ، وهو أمر يتيح للباحثين التعرف على مختلف اتجاهات الظواهر المجتمعية بصورة تطورية كل فى مجال تخصصه .

●

الضروره المنهجية لاستخدام المنابع الوثائقية :

هل هناك ضرورة للاستعانة بتلك المنابع أو السجلات الوثائقية ، وما هى شروط وأشكال تلك الاستعانة ؟ !

سؤال طويل .. لكنه ضرورى حتى نتعرف أولا على الضرورة المنهجية التى استوجبت الاستعانة بتلك السجلات ، ثم نحدد ثانيا شروط ومواصفات تلك الاستعانة .

أولا — كيفية الاستفادة من المنابع * الوثائقية ؟!

يرى عدد من علماء المنهجية أن أوجه الاستفادة المؤكدة من المنابع الوثائقية تتمثل فى النقاط الآتية :

(أ) فيما يختص بطرح مشكلة البحث :

المعلومات الكثيرة المتوافرة عن المنابع الاحصائية يمكن أن تشكل مصدر الهام للباحث أو تلفت نظره نحو دراسة ظاهرة أو مشكلة أو موضوع ما لفت نظر الباحث من خلال اطلاعه على تلك السجلات الوثائقية .

---

* نستخدم أحيانا مصطلح « السجلات » كبديل لمصطلح « المنابع » .

وعلى سبيل المثال .. أثناء اطلاع باحث على بيانات الجريمة المتضمنة فى إحصاءات الأمن العام مثلا ، ولفت نظره أن هناك أعدادا كبيرة من مرتكبى تلك الجرائم تحت السن القانونية « أحداث » ، فيدفعه ذلك نحو دراسة الأسباب التى تؤدى إلى انحراف أولئك الأطفال الصغار .

(ب) فيما يختص بالفروض التى تنطلق منها البحوث العلمية :

نفس البيانات والاحصاءات المتضمنة فى المنابع الوثائقية والتى ألهمت كثيراً من الباحثين الكثير من موضوعات الدراسة ، نفس تلك البيانات يمكن أن تشكل ركيزة تنطلق منها تصورات الباحثين نحو حل تلك المشكلات .

صحيح أن صياغة الفروض تعتمد بالدرجة الأولى على قدرة الباحثين على تصور العديد من الأسئلة المتصلة بمشكلة البحث ، وصحيح كذلك أن البيانات الاحصائية المتضمنة فى السجلات الوثائقية جمعت وسجلت لأسباب تختلف أو تتفق مع الأسباب التى من أجلها تطرح البحوث العلمية ، لكن الثابت أن طرح الفروض من خلال البحوث إنما هو لغرض أساسى ، ألا وهو تفسير المشكلة المطروحة أو إيجاد الحلول لها بتعبير آخر ، والثابت أيضاً أن البيانات المتضمنة فى السجلات الوثائقية هى فى حقيقة الأمر إجابات لأسئلة كثيرة قد تكون مطروحة بصورة ضمنية أو علنية .

وإنطلاقا من كل تلك الحقائق فإن الباحثين العلميين مطالبون بأن تكون صياغاتهم لأسئلتهم مرنة بدرجة تمكن من احتواء الإجابات المتضمنة فى البيانات والاحصاءات المتوافرة فى السجلات الوثائقية .

وهذا المطلب لايمكن أن يتحقق بالطبع فى غيبة إلمام الباحثين بمختلف السجلات الوثائقية المتضمنة لبيانات قد تفيدهم فى موضوعات بحوثهم ، أو فى غيبة الوضوح المنهجى لديهم الذى يمكنهم من التمييز بين ما هو صالح للاستخدام خلال بحوثهم من تلك البيانات وبين ما هو غير ذلك .

وإذا ما تجاوزنا نقطة استنباط الفروض ، نجد أنه يمكن استثمار البيانات والاحصاءات المتوافرة فى السجلات الوثائقية أثناء مرحلة التحقق من صحة الفروض الموضوعة للبحث ، ولقد ضربت سيللتيز وزملاؤها مثلا لذلك من واقع الدراسة الشهيرة عن الانتحار التى قام بها دوركايم لتفنيد بعض الفروض الخاصة بظاهرة الانتحار حيث مكنته البيانات الاحصائية من أن يثبت فساد بعض الفروض المفسرة لأسباب الانتحار (٧) .

إذن هناك ضرورة منهجية للاستعانة بتلك البيانات والإحصاءات سواء عند استنباط الفروض أو عند التحقق منها ، ولقد ذهب «بارسونز» فى ذلك أبعد مما ذهبت إليه سيللتيز وزملاؤها ، حيث قرر من خلال دراسة « دوركايم» عن الانتحار أيضاً ، أنه يمكن اختبار صدق النظرية برمتها — لا مجرد اختبار صدق الفروض — عن طريق استخدام البيانات الإحصائية وهو نفس الشيء الذى فعله « دوركايم» من وجهة نظر «بارسونز» ، ولقد مكن «دوركايم» من ذلك — فى رأى بارسونز — ما كان يمتلكه من قدرة على المثابرة فى التفكير اعتماداً على عدد قليل من الافتراضات الأساسية (٨) .

(ج) اختيار الحالات الدراسية وكذلك عينات البحوث العلمية :

أوضحت «سيلليتز» وزملاؤها ، أن البيانات الإحصائية فى إمكانها أن تفيد الباحثين كثيراً فى اختيار حالات تصلح لإجراء مزيد من الدراسات المتعمقة وفقاً لما تتمتع به تلك الحالات من سمات خاصة ، كما أن تلك البيانات يمكن أن تزيد من استبصار الباحثين بموضوعات بحوثهم ، فضلا عن قدرتها على مدهم بأطر صالحة للعينات العشوائية المستخدمة فى دراساتهم (٩) .

ونفس هذا الرأى تقريباً انتهى إليه «آنجل» فيما يتعلق بقدرة البيانات الإحصائية على مد الباحثين سواء بحالات للدراسة أو بعينات تعين عليها (١٠) .

(د) استكمال البيانات التى تم جمعها والتأكد منها :

تستخدم البيانات الاحصائية فى كثير من البحوث العلمية لاستكمال البيانات التى تم جمعها باستخدام وسائل جمع البيانات الأخرى لا سيما البيانات المجموعة بواسطة الاستمارات بأنواعها المختلفة أو تلك المجموعة عن طريق استخدام الاختبارات السيكلوجية .

هذا عن استخدام البيانات الاحصائية كمكملة للبيانات المجموعة بالأدوات الأخرى ، أما عن استخدامها كمحك لاختبار مدى صدق تلك البيانات فإن ذلك يتم من خلال مقارنة البيانات فى كلتا الحالتين ، ومدى التطابق بينهما هو الذى سيؤكد صحة البيانات المجموعة بالوسائل الأخرى من عدمه .

ثانيا — شروط الاستفادة من المنابع الوثائقية :

استخدام البيانات والإحصاءات المتوافرة عن السجلات الوثائقية يمكن أن يعد نوعاً من البحث الوثائقى الذى ينهض على دراسة الوثائق والسجلات ، أو هو نوع من

البحث المكتبي الذى يعتمد بصفة أساسية على البيانات المتوافرة عن المصادر المطبوعة سواء أكانت كتبا أو وثائق أو إحصاءات مسجلة .. الخ .

والبحث الوثائق أو المكتبي ينهض على بيانات تم جمعها فى الماضى القريب أو البعيد ، كما أنه يستهدف فهم الحاضر على ضوء الماضى ، لذلك فللبحث الوثائق الكثير من خصائص البحث التاريخى ، وهذا يعنى أننا إذا ما أردنا الاستفادة من البيانات والاحصاءات التى توفرها المنابع الوثائقية فلابد لنا من التزام الضمانات الآتية :

١ ــ تجميع تلك البيانات وتصنيفها بطريقة تيسر التعرف أولا على هويتها ، وتمكن ثانيا من التعامل معها والاستفادة منها وفقاً للموضوع المطروح للبحث ؛

٢ ــ على الرغم من أن البيانات والاحصاءات المأخوذة عن المنابع الوثائقية قد تتسم بالتفرد باعتبارها معبرة رقميا أو كيفيا عن عدة ظاهرات متفرقة ، إلا أنه لايجب التعامل مع الجوانب المختلفة التى تنهض عليها تلك البيانات من وجهة نظر إنفصالية وإنما يجب النظر إليها ككل مادامت تدخل كلها ضمن نطاق الموضوع المبحوث .

٣ ــ من المهم جداً ترتيب الأدلة المأخوذة عن المنابع الوثائقية ترتيباً منطقيا حتى يمكن الاستفادة منها على النحو السابق لنا توضيحه وخاصة إذا ماكنا بصدد الاعتماد على تلك البيانات فى استخلاص نتائج تتخذ كركيزة لحقائق جديدة .



المصادر والشروح

(١) انظر الفصل السابع — من هذا الكتاب .

(٢) انظر الفصل الخامس — من هذا الكتاب .

(٣) ولو أن الأمر لايمنع أن تقوم إحدى الهيئات أو المؤسسات غير الحكومية بجمع تلك البيانات وحفظها سواء بتكليف من الحكومة أو بوازع ذاتى منها وفقاً للأغراض التى تسعى إلى تحقيقها ، وتعتبر البيانات المجموعة والمحفوظة بمعرفة تلك الهيئات الأصلية وثائق خاصة إذا ما كانت تلك الهيئات محل ثقة الخبراء والمتخصصين :

(٤) للاستزادة انظر :

Angell, R.C. and Freedam, R., The Use of Documents, Records, Census Materials, and Indices, in : Research Methods in the Benhavioral Sciences, edited by : Festinger et. al., Social Pressures in Informal Groups, 1950, pp. 310 — 325.

(٥) للاستزادة انظر المصدر السابق ، وانظر أيضاً :

دكتور جمال زكى والسيد يسن — مصدر سابق ص ص ٣٥٢ — ٣٥٤ ، مع مراعاة أن تلك البيانات هى مجرد أمثلة حيث توجد إلى جوارها عشرات الأنماط الأخرى من البيانات الإحصائية .

(٦) آنجل — مصدر سابق ص ٣١٥ :

(٧) للاستزادة أنظر :

سيلليتز وزملاؤها — مصدر سابق ص ٣١٣ .

وانظر ايضاً :

دكتور صلاح الفوال — معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٨٢ ص ص ٨٩ — ٩١ .

(٨) للاستزادة انظر :

Parsons, T., Structure of Social Action, New York, 1937.

(٩) للاستزادة انظر :

سيلليتز وزملاؤها ــ مصدر سابق ص ص ٣١٩ ــ ٣٢١ .

(١٠) للاستزادة انظر :

آنجل وزملاؤه ــ مصدر سابق ص ص ٣١١ ــ ٣١٣ .

***

الفصل السابع

دور المكتبة فى البحث العلمى

- مقدمة ٠
- ما هى المكتبة ؟!
- ماذا تضم المكتبات ؟!
- كيفية استخدام المكتبة لأغراض البحث العلمى ؟!
- كيفية الاســتفادة من المــواد الموجــودة بالكتب ؟!
- اسس الاستفادة من المصادر ٠

دور المكتبة فى البحث العلمى

مقـــدمة :

استخدام المكتبة أمر لاغنى عنه لكل الباحثين وبصفة خاصة الذين يبحثون منهم فى مجالات العلوم الاجتماعية ، وبقدر ما يعتبر استخدام المكتبة ضرورة علمية فإن ذلك الاستخدام يشكل فى ذات الوقت مهارة تستحق حتى تكتسب كل ما يبذل فى سبيلها من عناء .

ولقد أدركت الكثير من الجامعات فى شتى دول العالم تلك الحقيقة فخصص بعضها برامج دراسية للمكتبات تحتوى على مواد نظرية وعملية لاكتساب تلك المهارة ، بينما خصص البعض الآخر للمكتبات والتوثيق أقساما وكراسى خاصة باعتبارها – أى المكتبات والتوثيق – علما له خبراؤه وممارسوه وخاصة فى ظل ظاهرة التزايد الرهيب فى وسائل الإعلام والتى يطلق عليها ظاهرة « الانفجار الإعلامى » .

المهم .. أن الاستخدام الصحيح للمكتبة يتوقف عليه الكثير .. وهو فى رأينا خطوة ضرورية ولاسيما خلال المراحل الأولى أو التمهيدية لاعداد البحوث العلمية وخاصة عند اختيار موضوع البحث أو عند تحديد المفاهيم المتصلة به أو عند استنباط الفروض .. ولو أن الأمر لايمنع من العودة الى المكتبة فى بقية مراحل البحث الأخرى وخاصة فى مرحلة التحليل والتفسير واستخلاص النتائج .

●

ما هى المكتبـــة :

المكتبة كبناء أو كشكل .. عبارة عن مكان مخصص لحفظ الكتب والمطبوعات والوثائق وعرضها بطريقة تيسر الاطلاع عليها ، وقد يكون ذلك المكان ضمن منزل أو مدرسة أو مؤسسة أو جامعة أو مركز من مراكز البحث العلمى .

أما المكتبة كمضمون .. فهى عبارة عن مجموعة الوسائل المقروءة والمسموعة والمتضمنة لمختلف المعارف الإنسانية والمرتبة بشكل علمى يمكن من الاستفادة من تلك الوسائل التى تضم عادة الكتب ، دوائر المعارف ، القواميس ، الأطالس ، الدوريات ،

والنشرات والصحف ، فضلا عن المعارف المتضمنة فى العديد من الأفلام التسجيلية أو شرائط الكاسيت أو الفيديو أو الميكروفيلم .

ومن المكتبات ما هو عام وما هو خاص .. ومفهوم العمومية والخصوصية هنا قد ينسحب على الملكية أو الانتفاع ، كأن تكون مكتبة خاصة ملكا لشخص أو لمؤسسة ما أو مكتبة عامة تملكها الدولة أو أحد أجهزتها ، كما قد ينسحب ذلك المفهوم على طبيعة المعرفة المتوافرة فى المكتبة .. هل هى مكتبة من ذلك النوع العام الذى يضم مختلف المصادر فى مختلف مجالات المعرفة وفنونها .. أم هى مكتبة متخصصة فى قطاع أو حتى فرع دقيق من قطاعات المعرفة وفروعها ؟ !

ومن المكتبات ما هو تقليدى ومنها ما هو مستحدث .. ويقصد بالمكتبات التقليدية .. تلك المكتبات التى تعتمد على الكتاب أو على المرجع بصورة مباشرة وتعرضه للاستخدام بطريقة يدوية متبعة فنون التصنيف التقليدية :

أما النمط المستحدث أو الحديث من المكتبات .. فيقصد به تلك المكتبات التى أدخلت برامج حديثة سواء بالنسبة للحفظ أو للاستغلال مستثمرة فى ذلك معطيات تكنولوجية خاصة كالاستعانة بالميكروفيلم أو الميكروفيش أو الحاسبات الألكترونية ... الخ .

●

ماذا تضم المكتبات ؟!

وحديثنا هنا سوف يكون قاصرا على المكتبات العامة من مفهوم الملكية الذى سبق أن شرحناه أى تلك المكتبات التى تتبع الدولة أو أحد أجهزتها المتخصصة ، كدور الكتب الرسمية أو دور الكتب التابعة للولايات أو البلديات أو الجامعات أو مراكز البحوث العلمية الخ . أما المكتبات ذات النفع الخاص فهى أعجز من أن تكون محتوى لمختلف ما أنتجته العقول البشرية فى شتى مجالات العلوم والفنون والآداب وخصوصا فى ظل الانفجار الهائل للمعلومات الذى يعم مختلف أرجاء العالم وبكل اللغات العالمية منها والمحلية .

وعودة الى السؤال المطروح : ماذا تضم المكتبات ؟ !

الاجابة المتعجلة للسؤال .. تقول أن المكتبات تضم بالضرورة كتبا .: والاجابة المتأنية ترى أن المكتبة تحتوى حقيقة على الكتاب . . ولكن نوعية الكتاب تختلف : : فنه الكتاب الذى قد يمتعك أو يروح عنك أو حتى يقنعك بفكرة أو رأى ما .. ومن أمثلته القصص والروايات وكتب الفكر والأيديولوجيات ، ومنها الكتاب الذى يحوى

معلومات وحقائق معينة وان كانت تبدو فى كثير من الأحيان غير متصلة أو غير مترابطة ، ومن الكتب ما يضم موضوعا علميا أو ثقافيا أو أدبيا أو تاريخيا .. الخ .. أو عدة موضوعات مترابطة .

النمط الأول تقرؤه بالضرورة كله حتى تحصل على المتعه ولإشباع أو تكوين الرأى أو الاتجاه مع أو ضد ما حواه ذلك الكتاب وعادة ما تنقطع صلة القارئ بذلك الكتاب عقب الاطلاع عليه .

أما النمط الثانى فليس من الضرورى أن يقرأ كله وانما يكتفى بالرجوع الى المعلومة أو الحقيقة المطلوبة .. ومن أوضح أمثلة هذا النمط .. القواميس ودوائر المعارف .

أما النمط الثالث .. فغالبا ما يحتوى على موضوعات علمية متخصصة ويلزم بالضرورة قراءته كله أو على الأقل الأجزاء التى تكفى للكشف عن الحقيقة المراد التعرف عليها .. ويطلق على هذا النمط مع النمط الثانى مصطلح « المراجع » حيث يرجع اليها كلما دعت الحاجة الى ذلك ، وان كان يشترط فى الكتاب الذى يعد « مرجعا » أن تكون الحقائق المتضمنة فيه مرتبة أو منظمة بطريقة تسمح بالاستفادة منه بغير كبير عناء أو جهد .

هذا وسنعرض هنا لبعض أنماط الكتب التى تضمها المكتبات والتى يلجأ اليها الباحثون بالضرورة خلال أبحاثهم .

أولا ـ كتب المراجع أو كتب الكتب :

كتب الكتب Books about books ، يقصد بها الكتب التى تتضمن معلومات حول الكتب بقصد التعريف بها أو تيسير الاستفادة منها ، وهذا النمط عادة ما يضم الأنواع الفرعية الخمسة الآتية :

١ ـ الفهارس الخاصة بالمكتبات :

وتصدرها عادة المكتبات العامة للتعريف بما تضمه من كتب ودوريات وأرقام كل منها لتيسر الاطلاع عليها دون عناء .

٢ ـ البيليوجرافيات :

البيليوجرافيا Bibliography ، هى « علم معرفة الكتب والمخطوطات وتواريخها » .. (١) ، أو هى العلم الذى يصف الكتب ويعرف بمحتوياتها على أسس وقواعد خاصة .

ويرى علماء المكتبات أن الببليوجرافيا تحتل مكان الصدارة من حيث أهميتها كمراجع إرشادية للباحثين والقراء على حد سواء من خلال ما تقدمه لهم من حصر شامل لما تحتويه المكتبات من كتب ولما تحتويه هذه الكتب من معلومات ومواد .

والببليوجرافيا من حيث المحتوى إما أن تكون تحليلية أو نقدية أو وصفية ، وهى من حيث الحصر ، قد تكون شاملة لكل المصادر أو محتوية لعينة مختارة منها ، ومؤلف الببليوجرافيا هو الذى يحدد عادة الفترة الزمنية التى تختار منها الكتب المعروضة ، بمعنى أنها قد تضم كتبا تعود من حيث التأليف الى التاريخ القديم أو الوسيط أو المعاصر أو الحديث ، أو قد يكون لها بعض من ذلك كله .

المهم أن الببليوجرافيا تحتاج فى اعدادها لقواعد معينه ولفنون خاصة .. باعتبارها أحد علوم المكتبات .

٣ ــ ناقدات الكتب :

وهى التى تتولى عرض الكتب بطريقة نقدية ويطلق على هذه الناقدات مصطلح Book Reviews وغالبا مـا تتصدى هذه الناقدات لمختلف الكتب فى مختلف مجالات النشاط الفكرى .

٤ ــ المطبوعات الرسمية :

وهى مطبوعات تصدرها الدولة وكثيرا ما تحتوى على الرأى أو الموقف الرسمى للدولة فى شتى المسائل ذات الصلة بالنشاط الرسمى للدولة ، وتعتبر مرجعا يعتد به فى مجال الاحصاءات والسياسات العامة وما اليها .

٥ ــ الرسائل أو البحوث العلمية :

وخاصة ما قدم منها لنيل درجة علمية فيما بعد الليسانس أو البكالوريوس ، وهذه الرسائل تعد أحد المراجع العلمية الهامة التى تفيد الباحثين العلميين وخاصة فيما تحتويه من مصادر ودراسات سابقة وتقنيات ومناهج وأدوات للبحث العلمى .

ثانيا ــ الدوريات :

الدوريات Periodical وخاصة الصحف والمجلات ، تكتسب أهميتها من تصديها لنشر ما ينتجه العقل البشرى أو لنشر آخر معطيات العلم فى مختلف فروع المعرفة ؛ وهذه

الدوريات تصدر عادة مطبوعة وعلى فترات متعاقبة منتظمة معظم فى الأحيان وغير منتظمة أحيانا .

ويقارن البعض بين الدوريات وبين الكتب ، ويرى أن الدوريات تعد من حيث المعلومات التى تقدمها أحدث من تلك التى تقدمها الكتب مهما كانت درجة حداثتها ـ أى الكتب ـ (٢) .

هذا ومن رأى د.ج فوسكت D.J. Foskett أن الدوريات على الرغم من أنها من بين أهم وثائق البحث إلا أنها تخلق مشكلات خاصة بالتخزين الأمر الذى يجعل البحث عن المواد العلمية خلالها أمراً صعباً ولا يمكن أن يتم إلا من خلال الفهرس وحده (٣) .

ثالثا ـ كتب حول الكلمات :

ومن أشهر أمثلة كتب الكلمات Books about words هذه ، القواميس والمعاجم اللغوية ، وكما هو واضح تهتم هذه الكتب بالمفردات اللغوية موضحة كيفية نطقها وطرق استعمالاتها مع شرح موجز لمعانيها ووصف لمرادفاتها وما يضادها من كلمات إن أمكن ، ومن أبرز خصائص المعاجم أنها تضم جميع المفردات الموجودة فى اللغة مصنفة وفق ترتيبها الهجائى ، هذا وقد تعنى القواميس بشرح مفردات اللغة المكتوبة بها دون غيرها : كلسان العرب ومختار الصحاح .. الخ فى اللغة العربية ، وقد تعنى بشرح هذه المفردات بما يقابلها لغات أخرى إنجليزية أو فرنسية مثلا أو العكس .. أى تشرح مفردات اللغة الأجنبية بما يقابلها من مفردات باللغة الوطنية ومن أشهرها القاموس العصرى والمورد والمنهل ... الخ .

وهناك قواميس الفصحى ، وهناك أيضاً القواميس التى تكتب باللهجات الدارجة أو العامية ومنها كذلك قواميس المختصرات والمترادفات ، ومنها أيضاً قواميس المصطلحات التى تضم الكلمات المستخدمة فى العلوم النظرية أو التطبيقية كالاجتماع والطب والهندسة والزراعة والصناعة والفلسفة .. الخ :

رابعا ـ كتب حول الأماكن :

والتى يطلق عليها Books about places ، وتمثلها الأطالس سواء تلك التى تحتوى الرسوم والخرائط فقط ، أو تلك التى تضم الكلمات والمصطلحات والشروح لكل موقع على الخريطة أو الرسم .

والأطالس بصورتيها الصماء أو المفسرة ضرورية لأنها تجيب على استفسارات كثيرة للقراء أو للباحثين وخاصة فى المجالات الجغرافية والبيئية ، وكلها ذات تأثير قوى على مقدرات البحث العلمى فى مختلف مراحله .

خامسا ـ كتب حول الناس :

والكتب التى تكتب حول الناس Books about people ، ككتب التراجم والسير تعد من المراجع التى تفيد فى إعطاء معلومات عن الباحثين والعلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء والزعماء ... الخ ، وقد تكون المعلومة مكتوبة بمعرفة ذلك « العلم » بنفسه أو تكون مكتوبة بمعرفة شخص آخر ، وهى فى الأولى كتب سير وفى الثانية كتب تراجم .

سادسا ـ الموسوعات ودوائر المعارف والحوليات :

الموسوعات باعتبارها غطاء للمعرفة العالمية Covering the Universe ، تعنى بتقديم المعرفة فى مختلف مجالاتها ، ولو أن الأمر لا يمنع أن تهتم تلك الموسوعات بتقديم مختلف صور المعرفة منذ القدم وحتى وقتنا الحاضر وفى شتى الموضوعات ، أو أن تهتم بتقديم كل جديد منها لاسيما ما يتفق والأحداث الجارية أو المعاصرة وعلى مستوى العالم كله أيضاً أو على مستوى جزء منه .

والموسوعة فى الحالة الأولى دائرة معارف عامة ، وفى الثانية حولية أو كتابا سنويا ، وهى فى كل الأحوال تنهض على مجموعة من المقالات التى تطول أو تقصر على حسب طبيعة الموضوع المطروح وترتب تلك المقالات إما هجائيا أو طبقاً للعنوان ، وتعتبر الموسوعات إحدى الوسائل التثقيفية الهامة والتى لا غنى عنها سواء بالنسبة للقارئ العادى أو للباحثين العلميين .

سابعا ـ المراجع المتخصصة :

وهى تلك التى يطلق عليها مصطلح Specialized subject reference books وهى تضم تلك الكتب التى تتناول موضوعات بعينها من جوانب المعرفة الإنسانية ، وهى بذلك مراجع أو كتب متخصصة ، وهى كثيرة ومتنوعة فى المكتبات العامة ، وعادة ما تعرف هذه الكتب بأنها text book حيث تعد مراجع أساسية فى مادتها (٤) .

●

كيفية استخدام المكتبة لأغراض البحث العلمى :

والاستخدام الذى نعنيه هنا . . يتصل بالنظم الخاصة بالمكتبات أو بالإجراءات التى تتصل بكيفية الوصول إلى الكتاب الذى يريده الباحث وسط آلاف الكتب التى تضمها المكتبات تمهيداً لمرحلة تالية من التعامل معه فيما بعد .

وعلى كل فإن أولى خطوات تهيئة المكتبة للاستخدام من طرف القراء والباحثين هى كما يقرر علماء المكتبات .. التصنيف .

والتصنيف يعنى ببساطة تنظيم محتويات المكتبة وترتيبها طبقاً لنظام معين الغرض منه تسهيل عمل الباحث أو القارئ من خلال تمكينه من الحصول على الكتب والمراجع والدوريات المتوافرة فى المكتبة بأقل جهد ممكن .

وكان المسئولون عن المكتبات فى الماضى يصنفون الكتب كل على حسب اجتهاده حتى ظهرت فى الأفق عدة نظم حديثة للتصنيف تتفق مع الانفجار الهائل فى المعلومات ومع الكم الرهيب من المطبوعات التى تصدرها دور النشر والمطابع كل يوم .

هذا ويعد التصنيف العشرى أو تصنيف « ديوى العشرى » من أشهر تلك التصنيفات جميعاً على امتداد العالم كله .

●

مفاتيح استخدام المكتبة :

وعلى كل حال نحن هنا سنتحدث فى عجالة عن المفاتيح التى تهيئ استخداما أمثل لما تحتويه المكتبات من مراجع ، وذلك من خلال النقاط التالية :

●

أولا ــ تصنيف ديوى العشرى :

والذى يهمنا فى هذا المجال هو أن ديوى قد صنف الكتب من حيث محتوياتها إلى عشرة مجالات رئيسية يضم كل منها عدة أقسام فرعية وذلك على النحو الآتى :

١ ــ المعارف أو الأعمال العامة	من ٠٠٠ ــ ٩٩
٢ ــ الفلسفة ومن بينها علم النفس	من ١٠٠ ــ ١٩٩

٣ — الديانات	من ٢٠٠ — ٢٩٩
٤ — العلوم الاجتماعية وتضم التربية	من ٣٠٠ — ٣٩٩
٥ — اللغات	من ٤٠٠ — ٤٩٩
٦ — العلوم البحتة	من ٥٠٠ — ٥٩٩
٧ — العلوم التطبيقية	من ٦٠٠ — ٦٩٩
٨ — الفنون « الجميلة »	ن ٧٠٠ — ٧٩٩
٩ — الآداب	من ٨٠٠ — ٨٩٩
١٠ — التاريخ ويضم التراجم والجغرافيا	من ٩٠٠ — ٩٩٩

وكما سبق القول فان كل قسم أو كل مجال من المجالات العشر السابقة يضم العديد من المجالات الفرعية ، وحتى تلك المجالات الفرعية تنشطر هي الأخرى إلى فروع تفصيلية :

ولو أخذنا العلوم الاجتماعية كمثال توضيحي لتبين لنا :

(ا) أن العلوم الاجتماعية تحتل الدرجات من ٣٠٠ — ٣٩٩ .

(ب) أن مجالاتها الفرعية هي على سبيل الحصر من وجهة نظر « ديوى » :

— الاجتماع ، ورقمه ٣٠١ .

— الإحصاء ، ورقمه ٣١٠ .

— السياسة ، ورقمها ٣٢٠ .

— الاقتصاد ، ورقمه ٣٣٠ .

— القانون ، ورقمه ٣٤٠ .

— الإدارة العامة ، ورقمها ٣٥٠ .

— الرفاهية أو الإنعاش الاجتماعي ، ورقمها ٣٦٠ .

— التربية والتعليم ، ورقمها ٣٧٠ .

— التجارة والمواصلات ، ورقمها ٣٨٠ .

— العادات والفلكلوريات ، ورقمها ٣٩٠ .

(ج) لو أخذنا التربية والتعليم ورقمها ٣٧٠ لنتعرف على فروعها التفصيلية لتبين لنا أنها – أى التربية والتعليم – ينشطران إلى ثلاثة وعشرين جزءاً أو فرعا تبدأ من «٣٧٠,١» للنظريات والفلسفات الخاصة بكل من التربية والتعليم ، «٣٧٠,١٥» لعلم النفس التربوى ، «٣٧٠,٧» لتكوين المعلمين وتدريبهم ، «٣٧٠,٧٨» للأبحاث التربوية ، «٣٧١» للتدريس ، «٣٧١,١» للمدرسين ومجالس الآباء ، «٣٧١,٢» لتنظيم وإدارة المدرسة ، «٣٧١,٣٣» للوسائل السمعية والبصرية ، «٣٧١,٣٧» للامتحانات ونظمها ، «٣٧١,٤٢٦» للتعليم الفنى ، «٣٧١,٦» للمبانى المدرسية ، «٣٧١,٧» للتربية الصحية والصحة المدرسية ، «٣٧١,٧٣» للتربية الرياضية ، «٣٧١,٨٠٥» للصحافة المدرسية ، «٣٧١,٩١» لتعليم المعوقين ، «٣٧٢» للتعليم الابتدائى ، «٣٧٣» للتعليم الإعدادى والثانوى ، «٣٧٤» لمحو الأمية وتعليم الكبار ، «٣٧٥» للمناهج التعليمية ، «٣٧٦» للتعليم النسوى أو تعليم البنات ، «٣٧٧» للتعليم الدينى ، «٣٧٨» للتعليم الجامعى والعالى ، «٣٧٩» للقوانين والتشريعات والنظم التعليمية الخاصة بالدولة .

هذا وتعد معرفة القارئ وخاصة لو كان باحثا علميا بالخطوط العريضة لتصنيف «ديوى» أو لأى تصنيف آخر مستخدم فى المكتبة ، تعد هذه المعرفة ضرورية حتى تيسر له التعامل مع المكتبة وتتيح له فرصاً أحسن لاستثمارها بما يحقق غاياته البحثية (٥) .

●

ثانيا – فهارس المكتبة :

واستخدام الفهارس الموجودة فى المكتبة يعد المفتاح الأساسى لاستغلال المكتبة بشكل أمثل من قبل القراء والباحثين حيث تهيئ لهم الفهارس أقصر الطرق إلى ما يريدونه من كتب ومراجع .

صحيح أن الفهارس عملية تنظيمية تخص أمناء المكتبات .. لكن تبقى معرفة كيفية استخدامها مسئولية أساسية للقراء والباحثين ، ومن الطبيعى ألا يكون هناك حسن استخدام بغير معرفة دقيقة بطبيعة الشيء المستخدم .

على كل حال فالفهارس تندرج تحت نمطين أساسيين هما :

١ – الفهرس المصنف :

ويطلق عليه أحيانا « الفهرس البطاقى .. (٦) .. » ، وذلك نظراً لأنه يضم بطاقات لكل ما هو موجود بالمكتبة من كتب ومراجع ودوريات ، ومن الطبيعى أن تحمل تلك

البطاقات نفس الأرقام الخاصة بكل كتاب وفق التصنيف المعمول به في المكتبة ، فإن كان التصنيف العشري لديوى هو السائد رتبت البطاقات من رقم ٠٠٠ حتى رقم ٩٩٩ :

٢ ـ المفهرس القاموسى أو الابجـدى :

واكتسب هذا الفهرس اسمه من الترتيب الأبجدى للبطاقات الخاصة بمحتويات المكتبة حيث يصنف هذا الفهرس الكتب والمراجع وفقاً لترتيب الحروف الهجائية وبنفس النظم المرتبة عليها القواميس « ا ، ب ، ت ، ث ... الخ » .



ثالثا ـ البطاقات المستخدمة فى الفهرس :

تندرج البطاقات المفهرسة لما تحتويه المكتبات من مراجع وكتب تحت ثلاثة أنماط رئيسية هى بطاقات المؤلف والموضوع والعنوان (٧) ، وسنتحدث عن كل نمط منها فى إيجاز على النحو الآتى :

١ ـ بطاقة المؤلف :

وتحتوى هذه البطاقة على البيانات الخاصة بالمؤلف كما وردت على الكتاب ، بمعنى أن يسجل اسم المؤلف كما هو سواء أكان شخصاً واحدا أو أكثر ، وربما كان هيئة أو مؤسسة أو منظمة دولية وهى كلها بدلاء للمؤلف ، وقد يكون المؤلف هنا هو المعد أو المترجم أو المحقق أو الجامع ، هذا مع مراعاة أن الكتاب تكون له أكثر من بطاقة مؤلف إذا ما تعدد مؤلفوه (٨) .

٢ ـ بطاقة العنوان :

وتحتوى هذه البطاقة على عنوان الكتاب ، وترتب بطاقة العنوان تحت أول كلمة وردت فيه ـ أى فى العنوان ـ ، وترى مصادر كثيرة أن يجرد العنوان من أدوات التعريف تسهيلا لعملية التصنيف :

٣ ـ بطاقة الموضوع :

وعادة ما يكتب عنوانها بخط مميز كأن يكتب باللون الأحمر أو يوضع تحته خط ، المهم أن البطاقة توضح موضوع الكتاب ، وأن كانت هناك بعض الكتب التى تضم موضوعات متعددة ، فإن البطاقة تحتوى على هذه الموضوعات ويختار لكل موضوع منها العنوان المناسب على أن ترتب العناوين الفرعية وفقاً للحروف الهجائية (٩) :

هذا وتحفظ كل من بطاقات المؤلف والموضوع والعنوان في دواليب خاصة بكل واحدة منها ، ويطلق عليها أحيانا فهرس المؤلف، فهرس العنوان ، وفهرس الموضوع ، ولكنها في كل الأحوال ترتب وفقاً للنظام العشرى أو الترتيب الأبجدى للمعلومات الواردة في كل منها .

٤ ـ نماذج لانماط البطاقات المفهرسة للكتب والمراجع والدوريات :

(أ) بطاقة المؤلف :

رقم الكتاب ٣٠٠ ص.م	صلاح الفوال مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية ــ مكتبة غريب ــ القاهرة ، ــ ١٩٨٣ . ٤٥٦ ص، « سلسلة كتب علم الاجتماع والتنمية » . مناهج بحث . ٥

(ب) بطاقة العنوان :

رقم الكتاب ٣٠٠ ص.م	مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية صلاح الفوال مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية ــ مكتبة غريب ــ القاهرة ــ ١٩٨٣ . ٤٥٦ ص ، « سلسلة كتب علم الاجتماع والتنمية » . مناهج بحث. ٥

(جـ) بطاقة الموضوع :

رقم الكتاب ٣٠٠ ص.م	مناهج بحث صلاح الفوال مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية ــ مكتبة غريب ــ القاهرة ــ ١٩٨٣ . ٤٥٦ ص ، « سلسلة كتب علم الاجتماع والتنمية » . مناهج بحث . ٥

(د) بطاقة الدوريات (١٠) :

صلاح الفوال « إستراتيجية التنمية فى بلدان العالم الثالث » الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٠٠ (مارس ١٩٨٢) ص ص ١٨ — ٥٤ تنمية اجتماعية . o

●

رابعا — أمناء المكتبات :

أمناء المكتبات أو المسئولون عنها يعتبرون إلى جوار قائمة المطبوعات Catalague من أهم الركائز التى يستند عليها الاستخدام الصحيح لما تحتويه المكتبات من كتب ومصادر ودوريات ، حيث انه من المفروض فى أمين المكتبة أن يكون ملما ليس فقط بما تحويه مكتبته وإنما أيضاً بما تحتويه المكتبات الأخرى ، علاوة على معرفته بالكم الهائل للمطبوعات التى تصدره المطابع فى شتى بلدان العالم كل يوم ، هذا بالنسبة لمحتويات المكتبة أو مقتنياتها بشكل عام ، أما ما تضمه الكتب أو المطبوعات من مواد وموضوعات فلا شك أنها أيضاً مسئولية أمين المكتبة الحديثة .

وقد يتساءل سائل كيف يتسنى لأمين المكتبة كل هذا .. أولا وهو فرد وثانيا وأن هناك كما هائلا من المطبوعات تقذف به المطابع مع كل يوم بل ومع كل ساعة ؟ !

والجواب .. أن أمانة المكتبات فى الوقت الراهن لم تعد مسئولية فرد ، وانما صارت من اختصاص جهاز متكامل يعمل أعضاؤه كفريق تلقى إعدادا وتدريباً نظرياً وعملياً مناسبا يتفق مع المكانة التى بلغها اليوم فن المكتبات كعلم .

فلو أضفنا إلى ذلك الوسائل التكنولوجية الحديثة التى يستعان بها داخل المكتبات سواء لتسهيل عملية الحفظ بها أو لجعل عملية الاطلاع والبحث بها عملية ميسرة وغير مرهقة ، نقول لو أضفنا النوعيات الجديدة من أمناء المكتبات ومن المستحدثات التكنولوجية المستخدمة فى المكتبات .. لكانت مهام أمناء المكتبات بالصورة التى تعرضنا لها قبلا أمراً غير بعيد المنال .

المهم أن أمناء المكتبات لهم دورهم البارز سواء عند توجيه القارئ لكيفية الاستخدام الصحيح لمحتويات المكتبة ، أو بالنسبة لمن يلجأ إليهم من الباحثين طالبا المشورة أو المعونة

عن المواد العلمية التى تساعدهم مثلا فى تكوين إطار نظرى حول الموضوع الذى يرغبون البحث فيه ، أو تمكنهم أكثر من تحديد مشكلات أبحاثهم ، أو تضع أمامهم تصورات أكثر حول طبيعة المفاهيم أو الفروض التى تدور حولها أبحاثهم ..

وكثير من الباحثين لايلجأون فى كل ذلك إلى أمناء المكتبات .. ولكنهم قد يصلون إلى المعلومات التى يسعون إلى جمعها ، لكنهم بكل تأكيد يستغرقون فى ذلك وقتاً أطول وجهداً أكثر بالمقارنة بزملائهم الذين استشاروا أمناء المكتبات أو استعانوا بهم .

مرة أخرى . . أمين المكتبة مفتاح أساسى من مفاتيح البحث العلمى داخل المكتبة ، والاستعانة به أمر ضرورى ... بل هو اليوم ضرورة منهجية حتى يحقق البحث العلمى غاياته التى يسعى إليها .

●

كيفية الاستفادة من المواد الموجودة بالكتب ؟!

بعد أن يصل الباحث إلى ضالته المنشوذة سواء أكانت كتابا أو مرجعاً أو دورية فكيف يتعامل معها . . أو كيف يصل إلى المعلومة التى يريدها .. وكيف يسجلها ؟ وكيف يستثمرها فى بحثه فيما بعد ؟ !

للإجابة على كل هذه الأسئلة توجد مجموعة من الاعتبارات نوجزها على النحو الآتى :

١ ـ التعرف على المكتبة والتعليمات الخاصة بها :

حيث يجب التعرف على مكان المكتبة والإمكانيات المتوافرة خلالها والتعليمات الخاصة بالاطلاع أو الاستعارة ، وكل هذه الأشياء غالبا ما يضمها دليل المكتبة الذى يجب على الباحث أن يحصل عليه خلال جولته الاستطلاعية ، وبعد ذلك على الباحث أن يتعرف على الفهارس المتاحة فى المكتبة للوقوف على الطريقة المصنفة بها الكتب ، ومن ثم تحديد الكتب المتوافرة فى المكتبة والتى لها صلة بموضوع البحث ومعرفة أماكنها على أرفف المكتبة مع أخذ فكرة سريعة عما تحتويه تلك الكتب تمهيداً للتعامل المتعمق معها فيما بعد .

ومن الضرورى للباحث أن يتعرف على إجراءات الاستعارة وتعليماتها وأى الكتب المسموح بإعارتها والمدد المسموح خلالها بالاحتفاظ بالكتب لدى المستعيرين وكذلك أوقات الإعارة وأوقات الاطلاع .. الخ .

٢ - اعداد دليل خاص بالباحث :

حتى لايضيع الباحث وقته سدى فى كل مرة يريد فيها الاطلاع أو الاستعارة ، عليه أن يعد دليلا موجزاً خاصا به يحوى مختلف المعلومات عن المراجع والكتب والمصادر التى ينوى الاستعانة بها ، ويجب أن يضم ذلك الدليل معلومات عن أبرز المؤلفين فى مجال تخصصه، وكذلك معلومات عن إنتاجهم المطبوع الذى سيرجع إليه أثناء بحثه ، وكذلك عن الموضوعات التى يعتقد أنها تخدم بحثه سواء من حيث الإعداد النظرى أو المنهج أو كيفية التعامل مع بيانات بحثه فيما بعد ، والمهم أن تكون تلك البيانات متفقة مع البطاقات المختلفة المودعة بدواليب المكتبة .

٣ - وضع خطة للعمل داخل المكتبة :

بعد أن يزور الباحث المكتبة زيارة، وربما عدة زيارات استطلاعية يتعرف خلالها على مختلف النظم التى تعمل بها ، وبعد أن يضع لنفسه دليلا بأهم الكتب والمراجع التى يراها ضرورية لبحثه ، عليه أن يضع خطة لعمله داخل المكتبة وغالبا ما تكون هذه الخطة جزءاً من الخطة العامة للبحث ولاسيما المتصل منها بالجانب النظرى ، وتستهدف هذه الخطة تحديد نوع وكم المعلومات المطلوبة ومصدرها والوقت اللازم للحصول عليها ، مع مراعاة الظروف الخاصة بالمكتبة وبحركة الباحثين الآخرين أثناء الاطلاع أو الاستعارة .

هذا ولابد لتلك الخطة أن تكون منطقية بحيث تخدم الأهداف الحقيقية للبحث ، وأن تكون واقعية بحيث تراعى أن أمر الاطلاع على المصادر أو استعارتها رهن بظروف ليست كلها تحت سيطرة الباحث .. !!

٤ - تقييم المصادر قبل التعامل معها :

ليس المهم فى كم المصادر التى يجدها الباحث فى المكتبة ويرى أنها تتصل بموضوع بحثه ، لكن المهم هو نوعية المعلومات التى تحتويها تلك المصادر ، لذلك فلابد أن يبدأ الباحث عملية تقييم سريعة للمصادر التى تلفت انتباهه ، وعملية التقييم هذه تبدأ منذ اللحظة الأولى لاطلاعه على البطاقات الموجودة فى أدراج المكتبة .. فاسم المؤلف لابد أن يعنى

شيئاً لدى الباحث :. وعنوان الكتاب لابد أن يجذب انتباهه قربا أو بعداً عما يبحث فيه ؛ وموضوع الكتاب لابد أن تكون له صلة مباشرة نظرية أو منهجية بالموضوع المبحوث :

وحتى بعد أن ينفرد الباحث بالكتاب لايجب أن يستغرق فى قراءته ككل مباشرة ، حيث لابد للباحث أن يتصفح المصدر الذى بين يديه ويدور بين فقراته بسرعة لاسيما المقدمات والمحتويات والمراجع التى يحتويها ، وباختصار على الباحث أن يقوم بجولة استطلاعية مع المصدر يتم خلالها التعرف على محتوياته تمهيداً لاتخاذ قرار عن مدى جدوى أو عدم جدوى المصدر بالنسبة للموضوع الذى يتصدى له الباحث .

المهم أنه خلال تقييم المصدر يجب أن تتوافر الضمانات الآتية :

(ا) أن الباحث قد أحاط بكل محتويات المصدر لاسيما ما تضمنه من مصطلحات أو إرشادات أو رموز ، أو بمعنى آخر أن يكون الباحث قد عثر على لغة مشتركة بينه وبين المؤلف حتى يكون الفهم بينهما كاملا وبالتالى يكون تقرير مدى جدوى المصدر من عدمه أمرا فى محله .

(ب) أن يتصدى المصدر لمعالجة قضايا فى ذات المجال الذى تدور حوله مشكلة البحث المطروحة ، حتى لايكتشف الباحث بعد ضياع وقته وجهده أن الكتاب يبحث فى موضوع آخر غير الموضوع المطلوب .

(ج) أن يكون الباحث متمتعا بأوليات البحث العلمى وبعض الفنون المتصلة به ، والتى من أهمها أن يكون واعيا تماما بمشكلة بحثه حتى يوجه قراءاته نحو حل تلك المشكلة ، وأن يكون ملما بفنون القراءة ذاتها وما تتطلبه من قدرة على التركيز وحسن الفهم ، علاوة على تمتع الباحث بحساسية خاصة نحو ما يقرأ حتى لايأخذ كل مايقرؤه باعتباره قضية منتهية سواء بالنسبة لطبيعة المعلومة أو من حيث جدواها بالنسبة لمشكلة بحثه .

(د) أن يعقد الباحث مقارنة بين ما يقرأ فى مختلف المصادر فى ضوء نظرة تحليلية تبرز الإيجابيات والسلبيات مع الأخذ فى الاعتبار وجهات نظر الباحث ذاته ، لأنه سيكون المسئول وحده بعد كل ذلك عما يضمه بحثه من آراء وأفكار سواء أكانت منقولة أو مقتبسة أو مبتكرة ؟ ! .

●

اسس الاستفادة من المصادر :

الهدف النهائي للقراءة هو الاستفادة : . وقد تكون تلك الاستفادة متعة أو قضاء وقت فراغ كتلك التي تحققها القصص والروايات وبعض صور الإبداع الأدبي والفني الأخرى ولكن الاستفادة التي نعنيها هنا هي الاستفادة التي تقود الباحث العلمي إلى حل مشكلة بحثه في النهاية .

المهم أن الاستفادة العلمية من المصادر ترتكز دائما على الأسس الآتية :

١ ــ كتابة المذكرات :

اتفق كل من فان دالين Van Dalen ، فوسكت D.J. Foskett على أن كتابة المذكرات أو تسجيل المذكرات تعتبر الأساس الأول الذى تنهض عليه الطريقة المنظمة فى الدراسة العلمية (١١) ، وإن كانت كتابة هذه المذكرات ليست غاية فى حد ذاتها ، بل هى وسيلة للمضى قدما فى عملية البحث باعتبارها ــ أى تسجيل المذكرات ــ مثيرة للفكر أكثر منها عملية نسخ (١٢) ، لذلك يجب أن تتم كتابة هذه المذكرات بطريقة منظمة تسهل من استثمارها فيما بعد لحل مشكلة البحث .

ولكن كيف تتم كتابة هذه المذكرات ؟!

ذكر فوسكت أن أفضل الطرق المعروفة لتسجيل المذكرات فى الغالب ، هى الكراسة العادية Note-book ، أو كراسة التطبيق Excercise-book ، وفوسكت يرى أن كراسة التطبيق تلك وسيلة غير مكلفة ومن السهل الحصول عليها كما يسهل حملها فى مظروف أو حتى فى الجيب أو فى حقيبة تحمل فى اليد ، إلا أنه عدد بعض عيوب كراسة التطبيق التى من أهمها عدم مرونتها وبحيث لا يمكن إعادة تنظيمها إلا بتمزيقها وفصلها عن بعضها البعض (١٣) .

ويعترف فوسكت أنه يجب أن تكون هناك طريقة سهلة ومرنة لجمع المادة العلمية حتى يسهل استغلالها بأية صورة من الصور تتطلبها الدراسة . لذلك فإن كثيراً من الباحثين يستخدمون فى هذه الأيام بطاقات Cards ، كتلك البطاقات المستخدمة فى قوائم المكتبات ويحبذ فوسكت فى النهاية استخدام هذه البطاقات لأن الحصول عليها وبأحجام متعددة أمر سهل تماما (١٤) .

المهم ــ كما يقرر فان دالين ــ أن تسجيل المذكرات بطريقة نقدية هو الذى يتيح لها استخداما مثمرا فيما بعد ، أما كتابتها بطريقة سلبية ــ أى غير انتقائية وغير منظمة ــ فإنها تتيح أكواما متشابكة من المادة العلمية التى تعوق حل مشكلة البحث أكثر مما تسهله .

وخلاصة رأى ـ فان دالين ـ أن النظام الجيد لكتابة المذكرات يحفظ أهم الأفكار فى صورة تسمح بنقل مختلف عناصر الموضوع وتجميعها والمقارنة بينها وتنظيمها حسب مقتضيات البحث (١٥) :

ولكن ما هو الحجم الأمثل لبطاقات التسجيل تلك ؟!

يجب ألا تكون تلك البطاقات صغيرة بدرجة لاتسمح بتسجيل مذكرات كثيرة ، ولا كبيرة بدرجة تجعلها صعبة الحفظ ، وانما هناك حجمان مناسبان لتلك البطاقات فهى اما أن تكون فى حجم ٤ × ٦ بوصات أو ٥ × ٨ بوصات طولا وعرضا * :

ويحسن أن تكون البطاقات من الورق المسطر المقوى حتى يمكن استخدامها وتجميعها بسهولة ، لذلك فإن لتلك البطاقات أشكالا شبه تقليدية لدى الحوانيت المتخصصة ، ولو أن الأمر لايمنع استخدام عدة بدائل ميسرة لتلك البطاقات لعل من أهمها استخدام قطع من الورق العادى ليس لها نفس السمك وإن كان لها نفس الحجم مع ثقب تلك الأوراق من الطرف الأيسر حيث لابد لها فى هذه الحالة أن تحفظ فى « كلاسير » خاص وبحيث يخصص كل « كلاسير » بما يضمه من بطاقات لتغطية قسم خاص من أقسام البحث وإذا ما تعددت تلك « الكلاسيرات » يحسن فهرستها طبقاً للموضوع حتى يسهل استثمار ما تضمه من معلومات ومواد فيما بعد .

ثم كيف تكتب بطاقات التسجيل تلك ؟!

بعد أن ينتهى الباحث من تصفح أهم المصادر المتصلة بموضوع بحثه ، وبعد أن يتخذ قراره فى شأن الاستعانة بها ، عليه بعد ذلك أن يحدد المادة العلمية التى سيسجلها بعد أن يصنف تلك المواد تحت موضوعات معينة ، وبحيث تخصص بطاقة أو أكثر لتسجيل كل موضوع على حدة .

ويجب أن يتم التسجيل بخط واضح وبطريقة منظمة ، كما يحسن أن تكون هناك فواصل بين البطاقات التى تعالج موضوعات منفصلة أو أن تحفظ فى دوسيهات مستقلة حتى يسهل الرجوع إليها عند الحاجة ، مع مراعاة أن تضم البطاقات كافة البيانات التى تدل على مصدرها .

---

* البوصة تساوى ٥٤ر٢ سم :

نموذج توضيحي لبطاقة تسجيل

رقم البطاقة : ٢٠٠

الموضوع المسجل : ظاهرة البداوة

مصدر التسجيل: دكتور صلاح الفوال—دراسة علم الاجتماع البدوى— — مكتبة غريب — القاهرة — ١٩٨٣ ص ١٤٩ — ١٥٠ .

تاريخ التسجيل فبراير ١٩٨٣

٤ أو ٥ بوصة

(١) ما هى البداوة ؟

البداوة هى نمط من أنماط الحياة المجتمعية ، تسود بوجه خاص فى المجتمعات البدوية — محلية كانت أو قومية — وتعتبر بداية التكيف الإجتماعى لكل من الفرد والجماعة والمجتمع مع الظروف البيئية الصعبة التى أحاطت به .. الخ .

(٢) بعض خصائص البداوة :

البداوة كانت تمثل منذ القدم حضارة ما قبل التاريخ ، وهى وإن كانت تختلف فى معظم صورها عما هى عليه اليوم إلا أن .. الخ .

٦ أو ٨ بوصة

والرقم المسلسل للبطاقة مفيد فى تيسير الرجوع إليها ، وقد تختلف طريقة الترقيم من باحث إلى آخر ، لأن الطريقة التى ذكرناها هنا هى أبسط الطرق ، والموضوع المسجل يسهل عملية تصنيف المادة المسجلة ، أما مصدر التسجيل فالغرض منه بيان المرجع الذى استقى الباحث منه معلوماته ، هذا ويفيد تاريخ التسجيل فى لفت نظر الباحث أن المادة المسجلة قد مضى عليها وقت طويل ويحسن البحث عن مصادر أحدث كلما كان ذلك ممكنا .

٢ — اهداف تسجيل المذكرات :

تسجيل المذكرات من خلال قراءة المصادر يهدف إلى إستثمار المعلومات المتوافرة عنها لحل مشكلة البحث ، وذلك الاستثمار لايخرج عن الصور الأربع الآتية :

(أ) الاقتبـاس :

الاقتباس هو نقل عبارات المؤلف وكلماته كما وردت فى المصدر المأخوذ عنه بغير تعديل ، وعادة ما تكتب الفقرات التى تم اقتباسها بين علامات التنصيص .

ويرى «فوسكت» أن القيمة الأساسية للاقتباس عن المراجع References تكمن فى أنه يسهل على القارئ مهمة الرجوع إلى المصدر الذى اقتبس عنه (١٦) .

ولابد فى الاقتباس من إثبات المصدر الذى تم الاقتباس عنه وقد يتم الإثبات فى نهاية الصفحة « فى الهامش » ، أو فى نهاية الفصل أو فى نهاية الكتاب مع الإشارة فى كل الأحوال برقم معين أو إشارة معينة تربط ما بين الفقرة المقتبسة والمصدر الأصلى لها .

والشيء الذى لا خلاف عليه هو ضرورة إثبات المصدر على النحو الآتى :

١ ـ اسم المؤلف «وقد يكون مجموعة من المؤلفين أو هيئة من الهيئات » ، ويكتب الاسم كما هو موجود بالضبط على المصدر .

٢ ـ العنوان الكامل للكتاب ، وترى بعض المصادر أن عنوان الكتاب قد يكتب بخط مائل أو يوضع تحته خط .

٣ ـ اسم الناشر ، كما هو موضح فى المصدر .

٤ ـ مكان النشر ، أى البلد الأصلى للناشر كالقاهرة أو الجزائر أو لندن أو باريس أو الكويت .. مثلا (١٧) .

٥ ـ سنة النشر ، ويكتفى بذكر العام الذى صدر فيه المرجع « ١٩٨٣ مثلا » .

٦ ـ رقم الطبعة ، ويحسن أن يكتب رقم الطبعة التى بعد الأولى فقط ، أى لا تكتب الطبعة الأولى ، بل تحذف هذه الفقرة عند كتابة بيانات المصدر إذا كانت الطبعة هى الأولى (١٨) .

٧ ـ رقم الصفحة أو الصفحات التى تم الاقتباس منها ، فإن كان الاقتباس قد تم من صفحة واحدة تكتب ص ٨٠ مثلا أما إذا كان الاقتباس قد تم من أكثر من صفحة متصلة تكتب ص ص ١٠٥ ـ ١١٠ مثلا ، أما إذا كان الاقتباس قد تم من صفحة ثم من صفحة أو صفحات أخرى غير تالية فيكتب ص ٩٠ ، ص ٩٥ أو ص ٩٨ ، ص ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ مثلا .

أما إذا كان الاقتباس قد تم من إحدى الدوريات « مجلة أو صحيفة مثلا » ، فلا خلاف فى إثبات المصدر إلا فيما يتعلق باحلال اسم الدورية محل الناشر مع إضافة رقم الدورية إلى سنة النشر الذى يفضل أن يكتب فى هذه الحالة موضحاً به الشهر مع السنة وعلى النحو الآتى على سبيل المثال :

دكتور صلاح الفوال ـ معوقات التنمية فى المجتمعات المتخلفة ـ مجلة النفط والتنمية ـ بغداد ـ العدد الثالث ـ السنة الثالثة ـ سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٨٢ ص ص ٦٢ ـ ٩٠ .

(ب) تلخيص الأفكار :

يقصد بتلخيص الأفكار هنا : قيام الباحث بتلخيص بعض الأفكار الرئيسية للمؤلف أو تلخيص فصل من فصول المصدر مع المحافظة على البناء الرئيسى لأفكار المؤلف وبنفس لغته كلما كان ذلك ممكنا ، مع اتباع نفس القواعد السابقة فى إثبات المرجع على أن يسبق كتابة المرجع كلمة « للاستزادة أنظر » :

(ج) اعادة صياغة الأفكار :

وتعنى إعادة الصياغة هنا .. قيام الباحث بعد استيعابه للأفكار الأساسية التى أوردها المؤلف ، بالتعبير عن تلك الأفكار مستخدماً لغته هو ـ كباحث ـ وبعيداً عن طريقة وأسلوب التعبير للمؤلف الأصلى ، وفى هذه الحالة أيضاً يثبت المرجع بنفس الصورة السابقة « الاقتباس » مع توضيح أن الاعتماد على المصدر قد تم بتصرف :

(د) التقييم :

ويقصد بالتقييم هنا : أن يسجل الباحث انطباعاته نحو ما يقرأ مع إبراز نقاط الاتفاق والاختلاف مع الأفكار الواردة فى المصدر ، أو إثبات ما بين هذه الأفكار وأفكار أخرى لمؤلفين آخرين من نقاط التقاء أو إختلاف ثم بيان موقفه هو كباحث ضد أو مع كل ذلك .

وفى هذه الحالة تثبت المصادر بنفس الطريقة التى أثبتت بها خلال « الاقتباس » .

***

المصادر والشروح

(١) أنظر :

القاموس العصرى – الطبعة الثالثة عشرة – ص ٨٢ :

(٢) انظر :

دكتور أحمد بدر – أصول البحث العلمى ومناهجه – وكالة المطبوعات – الكويت – الطبعة الخامسة – ١٩٧٩ ص ١٧٣ .

(٣) للاستزادة انظر :

D.J. Foskett, The Documenting of Research, How to Find out : Educational Research, Pergamon Press, London, 1967.

وانظر أيضاً :

دكتور عبدالغنى عبود – البحث فى التربية – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٧٩ ص ص ١١١ – ١١٦ :

(٤) هناك بعض المصادر التى ترى أن المكتبات تضم المراجع الآتية :

١ – الكتب Books :

وترى أن الكتب هى أقدم أشكال التسجيل المعروفة ، ولقد ظلت الكتب حتى القرن التاسع عشر هى الوسيلة المألوفة لنشر البحوث ، ولقد ظل الكتاب حتى مع ظهور أشكال أخرى لتسجيل المعرفة ، ظل أكثر تلك الأشكال ألفة وشهرة ، والكتاب فى رأى أصحاب هذا الاتجاه عبارة عن تقارير مستمرة تروى أعمال مؤلفيها وآراءهم ، وحتى الكتب المتخصصة لا تزيد على أن تكون شيئاً من هذا القبيل :

٢ – الكتيبات Pamphlets :

وهى أحد المصادر الأساسية للحصول على المعرفة إلا أنها تحتل منزلة قليلة الأهمية لو قورنت بالكتب ، فضلا عن أنها تمثل مشكلة من حيث الحفظ لأمناء المكتبات نظراً

لأنها رقيعة وصغيرة الحجم ، إلا أن خاصية صغر الحجم هذه تكاد تكون هى الميزة الوحيدة للكتيبات والتى تساعدها على الانتشار .

٣ – التقارير Reports :

وترى أن التقارير هى نوع خاص من الكتب أو الكتيبات ، والتقارير إما أن تضم محاضر جلسات الاجتماعات التى تمت أو المؤتمرات التى عقدت ، وربما كانت تقارير صادرة عن جهات حكومية أو رسمية ، أو تقارير نابعة من لجان خاصة ، وإما أن تكون التقارير على شكل وثائق غير منشورة كالرسائل العلمية المقدمة لنيل درجات معينة « ماجستير أو دكتوراه » أو تقارير عن بحوث أجريت فعلا أو مازالت فى مراحلها النهائية .. الخ .

٤ – الدوريات Periodicals :

ويقصد بها الصحف والمجلات التى تصدر بصفة دورية .. يومية أو أسبوعية أو شهرية أو ربع سنوية ، وتعتبر من أهم محتويات المكتبة نظراً لأنها تنشر عادة سجلا لما يجرى إنتاجه أو التفكير فيه وعلى كل باحث أو قارئ أن يقرأ العديد منها إذا أراد أن يظل قريباً من الحياة وتطورها .

للاستزادة انظر :

D.J. Foskett, Op. Cit.,

وانظر كذلك :

دكتور عبدالغنى عبود – مصدر سابق – ص ص ٩٧ – ١١٦ .

أما « فان دالين D.B. van Dalen » ، فيرى أن المكتبة تضم :

١ – كتب المراجع :

ويرى أن استخدام المراجع يعتبر خبرة طيبة ومثيرة بالنسبة للباحث المحنك الذى يمتلك الأدوات والطرق الفنية اللازمة للتنقيب عن وفى المصادر المختلفة بهدف الحصول على المعلومات ، وإن كان استخدام المراجع يعتبر فى ذات الوقت خبرة محبطة للباحث المبتدئ الذى لايعرف كيف يحصل على المرجع أو كيف يستخدمه لاستخلاص ما يضمه من معارف ، لذلك فالباحث يلزم أن يكون ملما إلماما جيداً بكتب المراجع التى تساعده فى الحصول على المعرفة .

٢ ــ الموسوعات :

حيث تعتبر مراجع مفيدة للاسترشاد حول أى من الحقائق ، وخصوصاً أن تلك الموسوعات أشبه ما تكون بخزائن المعلومات التى تضم مناقشات جامعة وقوائم منتقاة أعدها متخصصون أكفاء ، والموسوعات قد تكون شاملة لمختلف نواحى المعرفة الإنسانية وإن كان الكثير منها يميل اليوم إلى التخصص .

٣ ــ القواميس :

وتعتبر مصدر المعلومات المتصلة بالنطق والمقاطع والهجاء والاشتقاق والاستخدام والمعنى الصحيح للمفردات ، ويرى ـ فان دالين ـ أن القواميس هى الرفيق الدائم للباحث ، ويحبذ النوع المتخصص والحديث منها لأنه أجدى بالنسبة لأغراض البحث العلمى .

٤ ــ التقاويم والكتب السنوية :

وهى تضم ثروة من المعلومات الحديثة والإحصاءات فى شتى مجالات المعرفة الإنسانية ويضرب مثالا لذلك من خلال « التقويم العالمى World Almanic » الذى يصدر منذ عام ١٨٦٨ وتقويم « معلومات من فضلك Information please Almanac » الذى بدأ إصداره عام ١٩٤٧ ، والتقويم الاقتصادى Economic Almanac الذى يصدر منذ عام ١٩٤٠ ويضم العديد من الإحصاءات عن السكان ومستوى المعيشة والأجور والعمل والعمال .

٥ ــ الكتب السنوية المتخصصة :

حيث تضم العديد من الإحصاءات والمناقشات الحديثة عن المشكلات والفكر والممارسات المتصلة بقطاع كقطاع التربية مثلا ، وتصدر هذه الكتب فى أعداد سنوية ، وتغطى بعض هذه الكتب أحد الموضوعات الجديدة التى تلقى اهتماما معاصراً ، بينما يغطى بعضها الآخر موضوعات أخرى أكثر عمومية ، هذا ويضيف « فان دالين » إلى ذلك كتب الميادين الخاصة ، دليل الأسماء ، مصادر التراجم ومصادر قوائم المراجع وأخيراً الدوريات .

للاستزادة انظر :

فان دالين ــ مصدر سابق ــ الفصل الخامس :

هذا وتصنف بعض المصادر الأخرى الكتب الموجودة بالمكتبات على النحو الآتى :

١ ــ دوائر المعارف :

ومن أشهرها باللغة العربية ، دائرة معارف القرن العشرين ، دائرة المعارف الحديثة ، الموسوعة الذهبية ، دائرة المعارف الإسلامية ، موسوعة الفقه الإسلامى . ومن أشهرها باللغات الأجنبية .. دائرة المعارف البريطانية ، دائرة المعارف الأمريكية ، دائرة معارف العلوم الاجتماعية .

٢ — القواميس :

وتشتمل على القواميس اللغوية العربية أو قواميس « معاجم » التراجم ، ومن أمثلة النوع الأول لسان العرب ، القاموس المحيط ، المصباح المنير ، مختار الصحاح ، والمعجم الوسيط ، ومن قواميس اللغة الإنجليزية المشروحة بالعربية .. قاموس النهضة ، القاموس العصرى ، والمورد ، أما القواميس الأجنبية فأشهرها باللغة الإنجليزية :

1 — Oxford Dictionary

2 — Webster Dictionary

3 — The American College Dictionary.

أما النوع الثانى « قواميس أو معاجم التراجم » فيعطى صوراً مختصرة لسير الشخصيات المعروفة ومن أمثلته معاجم .. الأعلام والأدباء .. إلخ .

٣ — قواميس الموضوعات الخاصة :

وهى تفيد الباحث فى معرفة معانى المصطلحات فى الميادين التخصصية المختلفة ، ومن أمثلتها قواميس التربية ، علم النفس ، الاجتماع ... إلخ .

٤ — التقاويم والكتب السنوية :

٥ — كتب الإحصاءات السنوية :

٦ — الدوريات ومجلات البحوث :

٧ — الرسائل العلمية لدرجتى الماجستير والدكتوراه :

للاستزادة انظر :

دكتور جابر عبدالحميد جابر ودكتور أحمد خيرى كاظم — مناهج البحث فى التربية وعلم النفس — دار النهضة العربية — القاهرة — الطبعة الثانية — ١٩٧٨ ص ص ٧٤ — ٨٩ .

وواضح أن كل التصنيفات السابقة لما تحتويه المكتبات لاتختلف كثيراً عما ذكرناه فى المتن .

(٥) قد يتساءل متسائل .. مال القراء أو الباحثين بطرق تصنيف المكتبة ، إنها أولا وأخيراً مسئولية أمناء المكتبات حيث إنها وسيلتهم التنظيمية لترتيب الكتب والمراجع والدوريات على أرفف مكتباتهم ؟ ! .. والجواب .. أن ذلك صحيح إلى حد ما .. لكن الجهل بطرق التصنيف إن كان مقبولا من القارئ العادى فإنه ليس مقبولا على الإطلاق من الباحث ، حيث تمكنه معرفته على الأقل بالخطوط العريضة للتصنيف المستخدم فى تنظيم المكتبة ، تمكنه تلك المعرفة من التوجه مباشرة إلى الركن الذى يضم ضالته فضلا عن الثقة التى يستشعرها نتيجة تلك المعرفة أثناء تعاملاته المختلفة مع المسئولين عن المكتبة .

(٦) انظر :

دكتور أحمد بدر — مصدر سابق — ص ١٥٣ .

(٧) توجد بعض النظم التى تدمج كلا من المؤلف والعنوان والموضوع فى بطاقة واحدة دون الفصل بينها ، ولكن أكثرية المكتبات تخصص بطاقة لكل منها ونحن نفضل هذا النظام الأخير .

(٨) إلى جوار هذه الأنماط من البطاقات توجد عدة أنماط أخرى :: لكنها غير رئيسية أو غير مؤثرة فى حالة غيابها على تيسير عملية البحث ، ومن أمثلة تلك الأنماط :: البطاقات الخاصة بالسلاسل التى تصدر عنها الكتب :: كسلسلة كتب « علم الاجتماع والتنمية » أو « علم الاجتماع المعاصر » ... إلخ :

(٨) فيما يخص المؤلفين العرب يكتب الاسم أحيانا كما هو .. صلاح مصطفى الفوال :: وأحيانا ما يكتب اللقب ثم يتبع بباقى الاسم .: الفوال .. صلاح مصطفى ، أما فيما يخص المؤلفين الأجانب فإن اللقب أو الاسم العائلى هو الذى يكتب فى الأول باستمرار .

(٩) فلو كنا مثلا فى صدد فهرسة كتاب « دراسة علم الاجتماع البدوى » ، لأخذ هذا الكتاب وفقاً للتصنيف العشرى لديوى رقم ٣٠٠ وهو الرقم العام للعلوم الاجتماعية ، ورقم ٣٠١ وهو رقم علم الاجتماع ، ورقم ٣٠١,٨ وهى الرقم الخاص بالاجتماع البدوى مثلا .

(١٠) تتبع مع المقالات أو الأبحاث المنشورة فى الدوريات « الصحف والمجلات » نفس القواعد السابقة فى التصنيف فيما عدا رقم الكتاب ، حيث يقتصر على المؤلف واسم البحث والدورية والموضوع الرئيسى الذى تندرج تحته المقالة أو البحث .

(١١) انظر د.ج. فوسكت فى دكتور عبدالغنى عبود ــ مصدر سابق ص ١٥٧ :

(١٢) انظر :

فان دالين ــ مصدر سابق ــ الفصل السادس بتصرف .

(١٣) انظر ــ فوسكت ــ مصدر سابق ص ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

(١٤) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(١٥) فان دالين ــ مصدر سابق ــ الفصل السادس بتصرف .

(١٦) فوسكت مصدر سابق ص ١٦٥ .

(١٧) بعض المصادر تضع مكان النشر قبل الناشر ، ولكننا نفضل وضع اسم الناشر أولا .

(١٨) بعض المصادر تضع رقم الطبعة قبل تاريخ الطبع ، وهذا جائز .

* * *

الفصل الثامن

تحليل المضمون والبحوث العلمية

- مقـدمة ·
- ماهية تحليل المضمون ؟!
- مـا هى السـمات الخـاصة لتحليـل المضمون ؟!
- استخدامات تحليل المضمون ؟!
- وحدات تحليل المضمون ·
- فئات تحليل المضمون ·
- خطوات تحليل المضمون ·
- مميزات وعيوب تحليل المضمون ·
- ضوابط استخدام تحليل المضمون ·

تحليل المضمون والبحوث العلمية

مقـــدمة :

لتحليل المضمون أو تحليل المحتوى Content Analysis كطريقة للبحث العلمى مكانة مبرزة بين طرق ووسائل جمع البيانات الأخرى ، وتعود تلك الأهمية لارتباط تحليل المضمون بطرق ووسائل الاتصال التى يتم عبرها إنتقال المعانى والأفكار من وإلى الأفراد والجماعات والمجتمعات وخاصة ما تعلق منها بالكلمة أو الصورة أو كلتيهما معا وعلى اختلاف حالات تلك الكلمة أو الصورة .. بصرية « مقروءة أو مشاهدة » أو سمعية أو كلتيهما معا .

مرة أخرى : . طريقة تحليل المضمون وثيقة الصلة بمحتويات الاتصال Communication بما تضمه من أطراف وأهداف ورموز ومعان :

●

تحليـل المضـمون :

يكاد تعريف « برلسون Berelson » لتحليل المضمون الذى قدمه عام ١٩٥٢ خلال مؤلفه عن « تحليل المحتوى فى البحث الاتصالى » ، والذى قال فيه إن تحليل المضمون عبارة عن « أسلوب البحث الذى يستهدف الوصف الموضوعى المنظم الكمى لمحتويات الاتصال الظاهرة » .. (١) ، نقول أن هذا التعريف الذى قدمه « برلسون » يكاد يكون هو التعريف الوحيد والمتفق عليه فى آن واحد لتحليل المضمون (٢) .

●

ما هى السمات الخاصة لتحليـل المضمون ؟!

من خلال استعراض « برلسون » للتعريفات التى سبقت تعريفه لتحليل المضمون (٣) ، علاوة على تعريفه له ، وضع مجموعة من الخصائص التى يرى أنها ضرورية لتحديد هوية تحليل المضمون بين غيره من طرق البحث العلمى ووسائله ؛

هذا ويمكن إيجاز وجهة نظر « برلسون » فى هذا الشأن على النحو الآتى :

١ – اتجاه تحليل المضمون لوصف المحتوى الظاهر لمادة الاتصال ، وهذا معناه ألا يشغل الباحث نفسه إلا بما هو ظاهر من مادة الاتصال ، ويحذو - برلسون - من اتجاه الباحث نحو المقاصد الباطنة فى محتوى الاتصال ولا ما قد يثيره ذلك المحتوى المستبطن من استجابات أو ردود فعل .

وليس معنى ذلك – كما يقول برلسون – أنه لايمكن تفسير المضمون الكامن فى محتوى الاتصال ، بل العكس هو الصحيح حيث يمكن من خلال تحليل المضمون التعرف على مقاصد الكاتب أو المتحدث ودوافعه من خلال تحليل ما كتب أو ما قال .

٢ – ضرورة أن يتسم تحليل المضمون بالموضوعية ، والموضوعية هنا تعنى الحيدة عند التعامل مع مفردات أو محتويات المضمون (٤) ، لذلك فإن « برلسون » ينصح بتعريف فئات التحليل وتحديدها بدقة تسمح لمختلف الباحثين بتطبيق نفس الفئات على نفس المضمون للوصول إلى نفس النتائج كلما كان ذلك ممكنا .

٣ – ضرورة أن يتم تحليل مضمون مادة الاتصال بطريقة منظمة ، لأن ذلك التعامل المنظم من خلال تحليل المحتوى مع فئات الاتصال سوف يتيح الوصول إلى تصميمات سليمة وعلمية فى معظم الأحوال ، ويرى « برلسون » أن التنظيم هنا يرتكز على محورين .. أولهما ما يتصل بالمشكلة المبحوثة ذاتها أو بمحتوى الاتصال ذاته ، وثانيهما يتصل بكيفية تحليل ذلك المحتوى ، بمعنى أن المشكلة المطروحة للبحث يجب أن تحلل على ضوء مختلف فئاتها الظاهرة ، وذلك تجنباً لتلك التحليلات التى تركز على الفئات الجزئية أو المتغيرة التى لاتقود إلا لتحليل ناقص أو غير علمى وفقاً لتحيز الباحث ولعدم موضوعيته .

هذا علاوة على ما يتيحه التنظيم كمطلب – عند برلسون – من الوصول إلى بيانات صالحة كركيزة للتعميم فيما بعد .

٤ – ضرورة أن يتم التعبير كميا عن مختلف البيانات المتوافرة باستخدام تحليل المضمون وهذا يتطلب رصد مدى التكرارات المتضمنة فى فئات التحليل المختلفة بطريقة رقمية تمكن من التعامل معها إحصائياً فيما بعد خاصة فيما يتعلق بقياس معدلات التركيز النسبى لأى من صور الاتصال ومحتوياته .

ويرى - برلسون - أن هذه الخاصية .. تكاد تكون السمة الأساسية لتحليل المضمون والمميزة له بين غيره من طرق ووسائل البحث الأخرى· (٥)

●

استخدامات تحليل المضمون :

عرفت معظم العلوم الإجتماعية (٦) استخدام تحليل المحتوى وتنوعت استخداماتها له ، وعموما فإن « برلسون » قد حدد أنماط تلك الاستخدامات على النحو الآتى :

١ ـ من حيث تحديد سمات المضمون :

ويمكن أن يضم هذا النمط الدراسات التى تعنى ، بوصف اتجاهات مادة الاتصال ، وبتتبع تطور التعليم ونموه ، والكشف عن الإختلافات الدولية كما تعبر عن نفسها من خلال مواد الاتصال ، ولتحليل وسائل الدعاية ، ولقياس مدى الإقبال على قراءة مواد الاتصال ، وللمقارنة بين وسائل الاتصال وبين مستوياته ، ولاكتشاف سمات الأسلوب المستخدم فى الكتابات الأدبية ، وأخيراً لإنشاء وتطبيق معايير مختلفة للاتصال .

٢ ـ من حيث تحديد أهداف عارضى مواد الاتصال وما اتخذوه من اجراءات خلالها :

ويرى برلسون أن هذا النمط يمكن أن يسمى للتعرف على أهداف وسمات مقدمى مواد الاتصال ، وتحديد الحالة السيكولوجية للأشخاص والجماعات أطراف الإتصال ، وللكشف عن أساليب الدعاية الكامنة فى مواد الاتصال ، أو أن يتم ذلك خدمة لأغراض الأمن القومى وأهدافه .

٣ ـ من حيث جمهور البحث وآثار الاتصال :

ويرى «برلسون» كذلك (٧) أن هذا النمط يمكن أن يهدف إلى الكشف عن اتجاهات الجماعات أو الجماهير المستهدفة من مواد الاتصال وكذلك معرفة اهتماماتهم وقيمهم ، علاوة على الكشف عن بؤر الاهتمام فيما احتواه مضمون الاتصال ذاته بالنسبة لهم ، إلى جوار وصف الاستجابات السلبية لوسائل الاتصال (٨) ومختلف آثارها على جمهور الاتصال سلبا وإيجابا * .

●

---

* أنظر ملاحق الكتاب ، الملحق الثانى » لنتعرف على بعض نماذج استخدام تحليل المضمون فى البحوث العلمية .

وحدات تحليل المضمون :

يوجد اتفاق بين علماء المنهجية على أن هناك خمس وحدات أساسية تتخذ أساسا عند استخدام تحليل المضمون ، وهذه الوحدات الخمس باختصار هى « الكلمة ، والموضوع ، والشخصية ، والمفردة ، وأخيرا وحدة مقاييس الزمن والمساحة » هذا ويمكننا أن نلقى بعض الضوء على كل منها من خلال ما يأتى :

١ - الكلمة :

الكلمة Word كوحدة تعتبر أصغر الوحدات التحليلية المستخدمة فى تحليل المضمون ، مع مراعاة أن مفهوم « الكلمة » هنا ينسحب على مكوناتها كالجمل أو المقاطع ، هذا وتستخدم الكلمة كوحدة للتحليل عندما يراد الكشف عن بعض المفهومات الراسخة لاسيما السياسية أو الأيديولوجية منها ، أو عندما يراد التعرف - من خلال الدراسات الأدبية - على تحديد الألفاظ أو الكلمات الرئيسية المستخدمة من طرف طائفة ما من الأدباء أو الشعراء أو الكتاب بصفة عامة ، وكذلك تستخدم كوحدة للتحليل للتعرف على مدى الصعوبة أو اليسر المتضمنة فى مواد الاتصال ذاتها ومدى قابلية تلك المواد سواء للقراءة أو للفهم .

٢ - الموضوع :

الموضوع Theme باعتباره فكرة تدور حول مسألة ما ، يعتبر فى رأى الكثيرين من أهم وحدات التحليل التى يرتكز عليها تحليل المضمون ، ويكتسب « الموضوع » تلك الأهمية من اعتبار أنه يكشف عن مختلف الآراء والاتجاهات الأساسية الكافية فى مادة الاتصال علاوة على مختلف تأثيراتها كما أن استخدامات « الموضوع » كوحدة للتحليل تتنوع بتنوع مواد الاتصال ذاتها ، حيث قد تتضمن تلك الموضوعات أفكارا سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو قانونية .. إلخ .

٣ - الشخصية :

الشخصية Charcter ، سواء أكانت تاريخية أو خيالية تستخدم كوحدة للتحليل وخاصة عند تحليل محتوى القصص والدراميات وتواريخ الحياة والسير ، مع مراعاة أن القصة ككل - باعتبارها محتوى تلك الشخصيات - تعد هى الأساس الصالح لتحليلها ،

لذلك لابد من الاطلاع على القصة أو الرواية أو المسرحية أو الفيلم أو التراجم أو السير كوحدة واحدة قبل الانطلاق إلى تحليل ما تضمنته من شخصيات .

٤ ـ المفـــردة :

تعد المفردة Item أكثر وحدات تحليل المضمون انتشارا ، هذا ويقصد بالمفردة «الوحدة الطبيعية المستخدمة فى إنتاج أو إبداع مادة الاتصال » ، ويرى علماء المنهجية أن تلك المفردة قد تكون خطابا أو مقالة أو حديثا أو قصة أو برنامجا إذاعيا أو تليفزيونيا أو فيلما أو مسرحية أو أوبرا أو أوبريت .. إلخ ، المهم أن المفردة يعتد بها كوحدة للتحليل إذا كانت توجد بصورة متعددة وإن كان لايوجد بينها فروق جوهرية أوحتى إن كانت هناك فروق ولكنها طفيفة أو غير ذات دلالة أو موضوع ، أما إذا تباينت الفروق بين المفردات وتنوعت الفئات التى تحتويها كل منها فإن « المفردة » تفقد حينئذ صلاحيتها كوحدة للتحليل .

وفى الحالات التى يعتد بالمفردة خلالها كوحدة للتحليل يمكن أن تصنف مادة الاتصال ـ كالقصص مثلا ـ حسب الموضوعات التى تعالجها أو حسب أنماطها كأن تكون قصصا سياسية أو اجتماعية أو بوليسية .. إلخ .

٥ ـ معـايير المساحة والزمن :

تسهم معايير المساحة والزمن Space and Time Measures فى التحليل من خلال تقسيم مضمون الاتصال إلى وحدات مادية كعدد سطور الكتاب أو صفحات القصة أو ساعات المسرحية أو الفيلم أو عدد دقائق الحديث أو البرنامج أو عدد أعمدة الموضوع المنشور فى الصحيفة .. إلخ .

هذا ومما تجدر الاشارة إليه هنا أن وحدات التحليل الخمس المشار إليها غير منفصلة بعضها عن البعض بالضرورة ، أو أن هناك ضرورة منهجية تستوجب التعامل مع أى منها فى غيبة الآخرين ، وإنما هناك اتفاق بين علماء المنهجية على أن استخدام أكثر من وحدة منها فى التحليل إنما يتوقف على طبيعة المشكلة المبحوثة من جهة ، وعلى طبيعة محتوى الاتصال ذاته من جهة أخرى .

هذا وقد تستخدم أكثر من وحدة للتحليل فى ذات الوقت ، وقد تستخدم كل منها منفردة فى مرحلة ما من مراحل التحليل .

●

فئـات تحليـل المضمون :

يتوقف نجاح استخدام تحليل المضمون على تحديد الفئات التى ستدخل ضمن إطار ذلك التحليل .: وبشكل عام فإن هناك اتفاقا بين علماء المنهجية على أن كل تحليل للمضمون لابد أن يصطنع لنفسه الفئات التى تتناسب والأغراض التى يسعى إلى تحقيقها .. هذا ومن فئات التحليل ما يتصل بموضوع الاتصال أو مادته ومنها كذلك ما يتصل بشكله وعلى النحو الذى أوضحه « برلسون » من خلال ما يأتى (٩) :

١ ــ الفئات التى تتصل بموضوع الاتصال :

وتضم الفئات الخاصة بموضوع الاتصال « معرفة مادة الاتصال أو الموضوعات الأصلية والفرعية المتضمنة فى مادة الاتصال » ، وكذلك الفئات التى تنم عن وجهات نظر منتج أو مبدع مادة الاتصال ، وكذلك الفئات التى تكشف عن المعايير الموضوعة بمعرفة الباحث لتقييم مادة الاتصال من خلال ما وضعه لذلك من مقاييس كمية ، علاوة على فئات القيم أو الأهداف أو الحاجات التى تستخدم فى تحليل مواد الاتصال لاسيما الروائية منها حيث يسعى الباحث خلالها الى معرفة الإختلافات النفسية والاجتماعية بين أبطال الروايات أو القصص ، وفئات طرق تحقيق الغايات والأهداف التى يسلكها الناس لتحقيق ما يسعون إليه من أهداف ، وفئات تحديد السمات أو الحالات الذاتية للأفراد والجماعات والنظم الداخلة فى عملية الاتصال ، والفئات الفاعلة فى موضوع الاتصال لمعرفة الجماعات والأفراد الذين كانت لهم أدوار مبرزة خلال مادة الاتصال ، وفئة المرجع أو المصدر الذى يعد محور مادة الاتصال أو يرد الحوار على لسانه ، ثم فئة المكان الذى تصدر عنه مادة الاتصال ، لأن تحديد أماكن إصدار مواد الاتصال يلعب دورا مهما فى تحليل مضمونها وتفسيرها بعد ذلك ، وأخيرا فئة المخاطبين أى الجمهور الذى توجه له مادة الاتصال للكشف عن أى الجماعات أو الأفراد الذين استهدفوا أكثر من خلال برامج الاتصال .

٢ ــ الفئات التى تتصل بشكل الاتصال ونوعه :

وهى تتصل بنوع الاتصال « نوعيات الكتب أو الموسيقى أو الأحاديث .. إلخ » وشكل الاتصال من حيث اعتبار الفئات « معبرة عن حقائق أو أمانى » كما تتصل بانفعالية التعبير من خلال محتوى الاتصال ، ثم الوسيلة التى يتضمنها محتوى الاتصال لإقناع القارىء

أو السامع أو المشاهد كتحديد مصادر مواد الاتصال أو تزييف الحقائق أو ذكر شخصيات معروفة للاستشهاد بأقوالها .. إلخ .

●

خطوات تحليل المضمون :

تتضمن طريقة تحليل المحتوى العديد من خطوات البحث المنهجية التى أشرت إليها فى غير هذا المكان (١٠) ، وعلى كل سوف نحاول هنا أن نوجز تلك الخطوات على النحو الآتى :

١ ـ تحديد مواد الاتصال المبحوثة :

وعادة ما تكون صحيفة أو كتابا أو مادة اذاعية أو برنامجا تليفزيونيا أو فيلما سينمائيا أو مسرحية . . إلخ ، ويجب أن يتم ذلك الاختيار على أسس موضوعية ، على أن يتضمن ذلك التحديد نوعية المواد والزمن الذى صيغت خلاله .

٢ ـ تحديد وحدات العينات المبحوثة :

بمعنى تحديد جوانب الاتصال التى سيلجأ إليها الباحث أثناء تحليله لمحتوى الاتصال ، وهذه الوحدات لاتخرج عن .. الكلمة والموضوع والشخصية والمفردة علاوة على مقاييس المساحة والزمن .. وكلها سبق أن تناولناها بشىء من الشرح خلال الصفحات السابقة .

٣ ـ تحديد فئات التحليل :

من خلال تحديد فئات الاتصال ومحتواه ومعايره والقيم المتضمنة فيه وكيفية تحقيقه لأهدافه ، علاوة على تحديد مختلف سمات الأفراد والجماعات والمجتمعات الداخلة فيه ، مع تحديد الشخصيات الفاعلة فى محتوى الاتصال مع بيان المصدر الذى تنتمى إليه مادة الاتصال والمكان الذى تصدر عنه وكذلك الهدف الذى تسعى إليه مواد الاتصال :

كل ذلك علاوة على تحديد نوع الاتصال وشكله والوسيلة المتبعة للإقناع خلاله فضلا عن الانفعاليات المصاحبة له وعلى النحو الذى شرحناه قبلا .

٤ ـ تصنيف محتويات الاتصال :

لأن التصنيف المنظم لتلك المحتويات هو الذى سيتيح قدرا أكبر من العلمية والموضوعية للتعميمات الناشئة عنها فى مراحل تالية من البحث ٥

٥ ـ تحليل البيانات المصنفة والتأكد من ثبات تحليلها :

وتحليل البيانات من خلال تحليل المضمون إلى فئات وأرقام أمر ضرورى عن طريق رصد تكرارات الفئات المختلفة وتحديد درجات لانتشار وسيلة الاتصال وشدة تأثيرها فى جمهور القراء أو المشاهدين أو المستمعين (١١) .

كان ذلك عن تحليل البيانات .. أما عن التأكد من مدى ثباتها .. فيتمثل فى إمكانية الحصول على نفس النتائج فى حالات تغير المحللين أو زمن التحليل .

●

مميزات وعيوب استخدام تحليل المضمون :

إن البيانات المتوافرة من خلال تحليل المضمون لا يتم الحصول عليها من خلال التفاعل المباشر بين الباحث وأطراف مواد الاتصال وإنما يتم ذلك من خلال الكتب والصحف وغيرها من وسائل الاتصال ، لذلك فإن الباحث يمكنه أن يعاود الاتصال بمصادر بحثه كيفما شاء أو دون قيود أو معوقات ، هذا علاوة على إمكانية استعادة مواد الدراسة مرة أخرى لأن معظمها محفوظ فى الأرشيف أو على أرفف الكتب أو مكتبات الأفلام والبرامج والمواد المذاعة .

وتلك هى ميزة تحليل المحتوى الكبرى ، ولكن توجد إلى جوارها عدة عيوب أخرى ، لعل من أهمها . . اعتماد الدراسة خلالها على ما يتوافر تحت أيدينا من مواد للاتصال . . لكن ماذا يدرينا أن هناك مواد أخرى لم تصل إليها أيدينا بعد ؟ ! .. مع مايمكن أن يشكله ذلك القصور من خطر على منهجية البحث وكم ونوع النتائج المترتبة عنه.

فلو أضفنا إلى ذلك ما تحمله مواد الاتصال من آراء واتجاهات شخصية .. وقد لاتكون هذه الآراء وتلك الاتجاهات صحية أو موضوعية أو قيمية فى بعض الأحوال ولذلك فإن إبرازها من خلال تحليل المضمون لايعد إبرازا لفكر فئة خاصة فقط وإنما يعد أيضا إجحافا لقيم وآراء واتجاهات أخرى كثيرة .

●

ضوابط استخدام تحليل المضمون :

فى ظل الاستخدامات المعاصرة لتحليل المضمون نشأت مجموعة من الضوابط التى تحاول أن تضمن لتحليل المضمون أكبر قدر من الدقة والموضوعية ، والضوابط التى

سنذكرها ليست ضوابط نظرية بقدر ما هى نابعة عن التطبيق الواقعى لتحليل المضمون هذا ويمكن إيجاز تلك الضوابط على النحو الآتى :

١ - ضرورة التعريف الدقيق للفئات المستخدمة فى تحليل المضمون بشكل واضح ومحدد ، بمعنى أن تتيح نفس الفئات نفس النتائج ولكن عن طريق باحثين آخرين .

٢ - لابد للباحث من خلال تحليله لمضمون مادة الاتصال أن يكون موضوعيا فى اختيار عينته ، لأنه لو ترك لكل باحث أن يختار للتحليل ما يراه هو مثيرا لاهتمامه دون أن يكون هناك قاعدة منهجية للتصنيف ، لغلبت الذاتية على عملية تحليل المضمون برمتها .

٣ - الاعتماد - كما قال برلسون - على الأساليب الكمية لأنها القادرة على تزويدنا بمقاييس تساعد على تحديد أهمية مواد الاتصال وما تتضمنه من أفكار ، كما أن تلك الأساليب الكمية تسمح فى ذات الوقت بإجراء عمليات مقارنة سواء بالنسبة لما تم التوصل إليه من نتائج أو مقارنة النتائج ذاتها مع نتائج أخرى على مواد اتصال تتفق أو تختلف مع الوثيقة المحللة .

***

المصادر والشروح

١ — انظر :

B. Berelson, Content Analysis in Communication Research, Free Press, New York. 1952, V.I., PP. 488 — 522.

٢ — من الذين وافقوا برلسون كل من :

(أ) Cartwright, Dorwing P. Aalysis of qualitative Material, in Leon Festinger and Daniel Katz, Methods in the Behavioural Sciences, Dryden, New York, 1953.

(ب) Holsti, O.R., Contect Analysis for the Social Science and Humanities, Addison Wiely, London, 1959.

٣ — واضح أن برلسون لم يأت بتعريفة لتحليل المضمون من فراغ وإنما ارتكز فى ذلك على العديد من التعريفات . ثم استنبط منها تعريفه المشار إليه، ويمكن أخذ فكرة عن تلك التعريفات التى مهدت لتعريف برلسون بالرجوع إلى مؤلفه المشار إليه فى الفقرة (١) .

٤ — انظر مؤلفنا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » عالم الكتب — القاهرة — ١٩٨٢ ص ص ٨٩ — ١٠٩ لتأخذ فكرة أوضح عن الموضوعية .

٥ — برلسون — مصدر سابق .

٦ — انظر ما هو المقصود بالعلوم الاجتماعية ضمن مؤلفنا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » المشار إليه ص ص ١٥ — ٢٢ أو ضمن مؤلفنا عن « علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية » عالم الكتب — القاهرة — ١٩٨٢.

٧ — ليس برلسون وحده هو الذى يرى ذلك ، بل تشاركه الرأى سللتيز وزملاؤها انظر :

Selltiz et al. Op. Cit., PP. 334 — 335.

٨ — ترجمت بعض المصادر ماذكره برلسون عن «Attitudinal and behavioral» ترجمة حرفية إلى «الاستجابات الاتجاهية والسلوكية لوسائل الاتصال »، انظر فى ذلك :

دكتور جمال زكى والسيد يس — أسس البحث الاجتماعى — مصدر سابق ص ٣٧٦ :

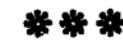
٩ — برلسون — مصدر سابق .

١٠ — انظر مؤلفنا عن :

منهجية العلوم الاجتماعية — مصدر سابق ص ص ٤٧ — ٥٧ .

١١ — انظر :

دكتور عبدالباسط محمد حسن — مصدر سابق — ص ٥٥٤ .



الباب الثالث

منهج البحث الوصفى

وطرقه فى العلوم الاجتماعية

- منهج البحث الوصفى .
- المسح الاجتماعى .
- دراسة الحالة .

الفصل التاسع

منهج البحث الوصفى

- مقـدمة .
- ركائز منهج البحث الوصفى .
- انماط البحوث التى ترتكز على منهـج البحث الوصفى .
- نمط الدراسات المسحية .
  « المسح المدرسى ، تحليل العمل ، تحليل الوثائق ، دراسـات الرأى العـام ، دراسات المجتمع المحلى » .
- دراسات العلاقات المتبادلة .
  « دراسة الحـالة ، الدراسـات العليـة المقارنة ، الدراسات الارتباطية » .
- الدراسات التتبعية .
  « دراسات النمو ، دراسات الاتجاه » .

مقـــدمة :

هناك اتفاق بين غالبية علماء المنهجية على أن منهج البحث الوصفي يعد من أكثر مناهج البحث مناسبة للعلوم الاجتماعية وخاصة مع الصعوبات المصاحبة لاستخدام كل من منهج البحث التجريبي ومنهج البحث الوثائقي ، ولو أن البعض يرى أن تفضيل منهج البحث الوصفي إنما يعود بالدرجة الأولى إلى أن هناك بعض المجتمعات ـ كالمجتمعات النامية ـ مازالت بكرا ورصيدها من البحوث العلمية لايؤهلها للتقدم خطوة نحو البحوث التجريبية وأن هناك ضرورة للتعريف الصحيح بنظمها وعاداتها وتقاليدها والسلوكيات الإنسانية فيها ومن غير منهج البحث الوصفي قادر على أن يجلو غموض تلك المجتمعات ليكون ذلك منطلقا نحو تحديد أسباب التخلف من خلال البحوث التجريبية أو السببية .

ومن علماء المنهجية من يرى أن أهمية منهج البحث الوصفي إنما تعود أولا وأخيراً إلى طبيعة كامنة فيه باعتباره كما يقول «هويتني» يعني بدراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف ما أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع (١) ، أو باعتباره معنيا ـ كما تقول سيللتز وزملاؤها ـ بوصف سمات المجتمعات المحلية وتحديد مختلف خصائصها من حيث السن والديانة والحالة الصحية والعقلية ونسبة التعليم ... إلخ (٢) .

ولو أن هناك من يرى أن البحوث الوصفية على الرغم من شيوعها وكثرة استخداماتها إلا أن ذلك لايعد دليلا على قيمتها ، ويرى هذا البعض أن بعض الدراسات الوصفية تزيد حقيقة من فهم الظاهرات التربوية مثلا ، إلا أن الكثير منها ذو قيمة محدودة (٣) .

●

ركائز منهج البحث الوصفي :

ينطلق منهج البحث الوصفي من نفس القواعد العامة للبحث العلمي ، ويؤكد علماء المنهجية أن الباحثين من خلال منهج البحث الوصفي لاينطلقون في دراساتهم من مجرد

اعتقادات خاصة أو بيانات مستمدة من ملاحظات عرضية أو سطحية ، وإنما هم يقومون بالإجراءات التالية :

فحص الموقف المطلوب دراسته ، تحديد المشكلة ووضع الفروض ، تسجيل الافتراضات التي تأسست عليها فروضهم وإجراءاتهم البحثية ، اختيار المبحوثين والمصادر الملائمة لجمع البيانات ، اختيار وإعداد أساليب جمع البيانات ، وضع القواعد المناسبة لتصنيف البيانات ، تقنين أساليب جمع البيانات ، القيام بملاحظات منهجية مختارة بطريقة منظمة ، وأخيراً يقوم الباحثون فى إطار منهج البحث الوصفى .. بوصف النتائج التى توصلوا إليها وتحليلها وتفسيرها فى عبارات محددة وواضحة .

ويؤكد « فان دالين » على سعى الباحثين من خلال المنهج الوصفى إلى أكثر من مجرد الوصف لأنهم ليسوا أو ينبغى ألا يكونوا مجرد مبوبين أو مجدولين ، إذ يجمع الباحثون أدلتهم على أساس فرض أو نظرية ما ، ويقومون بتبويب البيانات وتلخيصها بعناية ودقة ثم يقومون بتحليل تلك البيانات بعمق فى محاولة منهم لاستخلاص التعميمات المناسبة ذات المغزى والتى تؤدى فى النهاية إلى تقدم المعرفة باعتبارها المطلب الأساسى لكل مناهج البحث العلمى (٤) .

واو أن هناك من يرى أن البحوث التى تدور فى فلك منهج البحث الوصفى تتسم بأنها لاتنطلق من فروض مبدئية أو قضايا عامة توجه الباحث نحو فحص العلاقة الارتباطية بين متغيرين (٥) .

وعلى كل فإن كثيراً من علماء المنهجية أمثال « جبسون Gibson ، وموسر Moser» وغيرهما قد اتفقوا على أن البحوث الوصفية لابد أن ترتكز على خمسة أسس وتراعى شرطين هامين ، أما الأسس الخمسة فهى :

١ — إمكانية الاستعانة بمختلف الأدوات المستخدمة للحصول على البيانات كالمقابلة والملاحظة واستمارة البحث وتحليل الوثائق والسجلات سواء بصورة منفردة تستخدم خلالها كل أداة على حدة ، أو بصورة مجمعة يمكن خلالها الجمع بين استخدام أكثر من أداة .

٢ — نظراً لأن الدراسات الوصفية تهدف إلى وصف وتحديد خصائص لظواهر متفرقة ، فلابد أن يكون هناك اختلاف فى مستوى عمق تلك الدراسات ، بمعنى أن يكتفى بعضها بمجرد وصف الظاهرة المبحوثة كميا أو كيفيا بغير دراسة الأسباب التى

أدت إلى ما هو حادث فعلا ، بينما يسعى البعض الآخر إلى التعرف على الأسباب المؤدية للظاهرة علاوة على ما يمكن عمله أو تغييره حتى يؤدى إلى إجراء تعديل فى الموقف المبحوث .

٣ — تعتمد الدراسات الوصفية غالبا على اختيار عينات ممثلة للمجتمع الذى تؤخذ منه وذلك توفيراً للجهد والوقت ولغيرها من تكاليف البحث .

٤ — لابد من اصطناع التجريد خلال البحوث الوصفية حتى يمكن تمييز خصائص أو سمات الظاهرة المبحوثة ، وخاصة أن الظواهر فى مجال العلوم الاجتماعية تتسم بالتداخل والتعقيد الشديدين الأمر الذي لايمكن الباحثين من مشاهدة كل تلك الظواهر فى مختلف حالاتها على الطبيعة .

٥ — لما كان التعميم مطلبا أساسيا للدراسات الوصفية حتى يمكن من خلاله استخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة المبحوثة ، كان لابد من تصنيف الأشياء أو الوقائع أو الكائنات أو الظواهر محل الدراسة على أساس معيار مميز ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد إلى استخلاص الأحكام ومن ثم التعميم (٦) .

كان ذلك عن الأسس الخمسة ، فماذا عن الشرطين اللذين يجب أن يتوافرا للبحوث الوصفية ؟!

وباختصار شديد فإنه يجب :

١ — أن تقال قدر الإمكان من احتمال التحيز فى وصف وتقويم عناصر الموقف المبحوث .

٢ — عدم الإفراط فى الجهد المبذول فى البحوث الوصفية مع ضمان ألا يؤثر ذلك فى سعى تلك البحوث للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات الوصفية .

وطبيعى ألا يتحقق هذان الشرطان فى غيبة التخطيط الجيد لمختلف الإجراءات المتبعة خلال البحوث الوصفية ، أو فى غيبة التصميم الجيد الذى يضمن الحصول على أكبر كم ممكن من البيانات والمعلومات الكاملة والدقيقة التى تصف المواقف المبحوثة بغير تحيز فى نوعية المعلومات أو إفراط فى الجهد المبذول فى سبيل الحصول عليها .

وليس هذان الشرطان — عدم التحيز وعدم الإفراط فى الجهد — قاصرين على مرحلة معينة من مراحل البحث الوصفى ، ولكنهما ضروريان لكل خطوة من خطواته ابتداء

من صياغة أهداف الدراسة وتصميم الأدوات اللازمة لجمع البيانات وكيفية اختيار العينة ، وانتهاء بجمع البيانات وتحليلها وصياغتها في التقرير النهائي للبحث .

●

انماط البحوث التي ترتكز على منهج البحث الوصفي :

من الأمور المثيرة للجدل بين علماء المنهجية .: محاولة الاتفاق على نماذج للدراسات التي يمكن أن تنضوي تحت لواء منهج البحث الوصفي ، وسنحاول هنا أن نعرض في عجالة لبعض من التصنيفات المستخدمة بكثرة في مجال العلوم الاجتماعية :

١ – عندما صنف « هويتني » مناهج البحث ، صنفها إلى ثلاثة أنواع رئيسية ، ووضع على رأسها المنهج الوصفي فالمنهج التاريخي ثم المنهج التجريبي ، وذكر «هويتني » أن المنهج الوصفي ينهض على خمسة نماذج رئيسية هي :

(ا) البحث المسحي The Research Survey .

(ب) البحث الوصفي على مدى طويل Continuity Description .

(ج) بحث دراسة الحالة Case-Stady Research .

(د) تحليل العمل والنشاط Job and Activity Analysis .

(ه) البحوث المكتبية والوثائقية Library and Documentary Research :

٢ – عندما صنفت «سللتيز »وزملاؤها مناهج البحث ، صنفتها ضمن إطارين أساسيين ، أولهما يحتوي على الدراسات الاستطلاعية والوصفية ، وثانيهما يحتوي على الدراسات التي تختبر فروضاً سببية ، وأوضحت «سللتيز» أن البحوث الوصفية تسعى إلى :

(ا) التصوير الدقيق للسمات الخاصة بفرد أو بموقف أو بجماعة ما ؛

(ب) تحديد التكرارات الخاصة بحدوث شيء ما أو المرتبطة بشيء آخر ؛

وتؤكد «سللتيز» أن البحوث في النمط (ا) قد تنطلق مستعينة بفرض مبدئي محدد عن طبيعة السمات المطلوب تصويرها ، وقد لاتنطلق من فروض على الإطلاق ، أما في النمط (ب) فإن أغلب البحوث التي تسعى لتحديد التكرارات تنطلق من فرض مبدئي محدد ولو أن ذلك لايشكل قاعدة ثابتة (٨) :

٣ـ خلال تصنيف «جو Good وسكيتس Scates » لمناهج البحث العلمية، ضمنناها الأنماط الخمسة الآتية وهي : المنهج التاريخي ، والمنهج التجريبي ، ومنهج دراسة الحالة ، ودراسات النمو والتطور والوراثة ، ثم المنهج الوصفي بما يتضمنه من دراسات وصفية عامة ودراسة تحليلية ثم التصنيف ، كما ذكر كل من «جودوسكيتس » المسح الوصفي باعتباره منهجا يشمل أساليب تجميع البيانات ثم الاستبيان والمقابلة ثم الملاحظة وأساليب التقييم وتحليل المحتوى ودراسة الجماعات الصغيرة (٩) .

ولو أننا نرى أن نمط المسح الوصفي يندرج تحت منهج البحث الوصفي ولا يمكن اعتباره منهجا قائماً بذاته .

٤ ـ يرى «فان دالين Van Dalen » أنه يمكن تجميع كل تلك الأنماط تحت ثلاثة أنماط رئيسية هي :

(ا) الدراسات المسحية .

(ب) دراسات العلاقات المتبادلة :

(ج) الدراسات التتبعية .

ويؤكد «فان دالين » على أن الحدود بين هذه الفئات ليست جامدة ويرى أن بعض هذه الفئات يمكن أن تقع كلية داخل مجال واحد ، وبعضها الآخر قد يحمل خصائص أكثر من مجال من المجالات الثلاثة السابقة (١٠) .

ونحن نرى أن ذلك التصنيف أو التجميع الذى قدمه «فان دالين» للنماذج المنضوية تحت منهج البحث الوصفي ، نرى أنه تصنيف جيد وسوف نلتزم به إلى حد كبير وذلك على النحو الآتي :

اولا ـ نمط الدراسات المسحية :

سنتناول هذا النمط بكثير من التفصيل خلال فصل تال ، ولو أن الدراسات المسحية تعني بجمع أوصاف مفصلة عن الظاهرات الموجودة بقصد استخدام البيانات لتبرير الأوضاع أو الممارسات الراهنة ، أو لوضع خطط أكثر ذكاء لتحسين الأوضاع والعمليات الاجتماعية أو الاقتصادية أو التربوية ، وقد يسعى الباحثون خلال هذا النمط إلى تحديد كفاءة الوضع الراهن عن طريق مقارنته بمستويات أو معايير أو محكات مقننة سلفا .

هذا عن هدف النمط المسحي، أما عن مداه ، فقد يكون واسعا أو ضيقا ، فقد يمتد المجال الجغرافي ليشمل عدة بلاد ، وقد يقتصر على دولة من الدول أو منطقة أو ولاية أو حتى النظام المدرسي في مدينة ما ... إلخ ، هذا عن المدى الجغرافي للمسوح ، أما عن مداها البشري فقد يمتد ليشمل كل عضو من أعضاء المجتمع الأصلي وقد يقتصر على عينة مختارة ، كان ذلك عن المدى الجغرافي والبشري للمسوح ، أما عن المجال الذي تدور في فلكه البيانات أو المعلومات المجموعة ، فقد تتعلق بعدد كبير من العوامل أو تختص ببنود قليلة منتقاة منها .

ويقرر « فان دالين » أن مجالات الدراسة وعمقها يتوقفان بصفة أساسية ومباشرة على طبيعة المشكلة المدروسة (١١) .

الأنماط الفرعية للدراسات المسحية :

هذا ويمكن أن تضم الدراسات المسحية الأنماط الفرعية الآتية :

١ ـ المسح المدرسي :

ويتصل هذا المسح بالعملية التربوية ويستخدم في وضع الخطط اللازمة لرفع كفاية العملية التربوية وزيادة فاعليتها ، ويرى «فان دالين» أن هذه العملية مستمرة ويتم جمع الحقائق خلالها عن طريق الاستعانة بالعديد من أدوات جمع البيانات المعروفة بعد تقويمها واختيار أنسبها ، والبيانات المجموعة خلال المسح المدرسي تحلل ثم تقدم في شكل توصيات أحدثت في رأي «فان دالين» تحولا في الكثير من الممارسات الإدارية والتعليمية والمالية والمناهج الدراسية المدرسية .

٢ ـ تحليل العمل :

ويتصل هذا المسح بدراسة الأوضاع الإدارية والتعليمية وغير التعليمية ، وذلك بهدف وصف ممارسات وظروف العمل الراهنة وكذلك بيان الكفاءات والسمات السلوكية التي يتصف بها العاملون أو ينبغي أن يتصفوا بها لكي يقوموا بأعمالهم بكفاية وفاعلية .

وتحليل العمل مستخدم في الكثير من مجالات الحياة المجتمعية وذلك بهدف تحديد مواصفات كل وظيفة من خلال تحديد طبيعة العمل الذي يمارس خلالها ، وكذلك تحديد مواصفات شاغل تلك الوظيفة من خلال ما يجب أن يتوافر فيه من خبرات نظرية ومهارات عملية ، علاوة على تحديد مستوى الأعباء الإدارية والمالية المتصلة بكل عمل على حدة في إطار من الهيكل العام للمؤسسة ككل سواء أكانت مؤسسة صناعية أو تربوية أو صحية أو اجتماعية ... إلخ .

٣ ـ تحليل الوثائق :

ويختص هذا المسح بحصر الوثائق وتحليلها مشاركا فى ذلك المنهج التاريخى ، حيث يعنى تحليل الوثائق باعتباره أحد الأنساق الفرعية لمنهج البحث الوصفى بفحص السجلات الموجودة بهدف اكتشاف البيانات ذات الدلالة الخاصة ، إلا أن تحليل الوثائق فى البحوث الوصفية قاصر على ما تعلق منها بالأوضاع الراهنة ، بينما يرتكز تحليل الوثائق من خلال المنهج التاريخى على ما يتعلق منها بالماضى السحيق فى القدم (١٢) .

هذا ويفيد نمط تحليل الوثائق فى عدة أغراض كما يؤكد « برلسون Berelson » منها قدرته على وصف ظروف وممارسات معينة قد توجد فى المدرسة أو المجتمع ، وعلى إبراز الاتجاهات المتضمنة خلالها ، وعلى الكشف عن نواحى القصور أو الضعف ، وعلى تتبع تطور النشاطات والأعمال ، وعلى إظهار الفروق والاختلافات فى الممارسات المختلفة لمناطق بعينها أو لولايات أو لدول ، وأن يميط اللثام عن التحيزات والتعصبات ، وأن يقوم العلاقات والأهداف المرسومة وما تم تنفيذه فعلا ، وأخيراً قدرة ذلك النمط على الكشف عن اتجاهات الناس وميولهم وقيمهم فضلا عن أحوالهم النفسية (١٣) .

٤ ـ الدراسات المسحية الخاصة بالرأى العام :

ويفيد هذا النمط فى اتخاذ القرارات الخاصة برسم السياسات المختلفة ، وبدلا من أن تتخذ هذه القرارات ـ وخاصة أنها تمس مصالح الجماهير ـ على أسس ظنية أو تخمينية أو بناء على ضغط من بعض فئات المجتمع ، يتجه مصمموا السياسات المجتمعية إلى القاعدة العريضة من أعضاء المجتمع يستطلعون رأيهم ويتعرفون على إتجاهاتهم وعلى ما يفضلونه من أشياء من خلال دراسات الرأى العام .

وركيزة هذا النمط المسحى عادة هى الاستفتاءات والمقابلات الشخصية وبحيث تختار العينات التى ستطبق عليها مسوح الرأى العام بعناية فائقة حتى تكون ممثلة صحيحة لمختلف قطاعات المجتمع وفئاته المستهدفة بالتخطيط أو وضع السياسات ، كما يجب تهيئة مجتمع البحث لإجراء مسوح الرأى العام حتى لا تطفو بيانات أو ظروف مضللة تقود بيانات المسح إلى نتائج غير كاملة أو مضللة .

٥ ـ الدراسات المسحية للمجتمع المحلى :

يهدف هذا النمط إلى تحديد مختلف العلاقات التبادلية التى تضم النظم أو المؤسسات أو الجماعات التى تعيش فى بيئة جغرافية محدودة ، قد تكون جزءاً من مدينة أو قرية صغيرة وربما أحد الأحياء فى إطار مدينة كبيرة .

المهم أن هذا النمط يسعى لدراسة الوضع المجتمعى الراهن ووصف مختلف جوانبه المميزة ، بهدف التعرف على العلاقات والعمليات والأبنية الاجتماعية التى تميز ذلك المجتمع المحلى وترسم الإطار العام له ، هذا وقد يقوم بهذه الدراسات المسحية باحثون متخصصون كل منهم على حدة ، وفى نطاق تخصصه وقد يقوم بها فريق متكامل منهم بهدف رسم صورة متكاملة عن المجتمعات المحلية تفيد كثيراً فى تخطيط برامج تحديث هذه المجتمعات مثلا .

ثانيا ـ دراسة العلاقات المتبادلة :

يقرر « فان دالين » أن كثيراً من الباحثين الوصفيين لايقنعون بمجرد الحصول على أوصاف دقيقة للظاهرات السطحية ، ولا يتجهون إلى جمع المعلومات التى تصف الوضع الراهن ، بل يسعون إلى تتبع العلاقات بين مختلف الحقائق التى حصلوا عليها بهدف تحقيق فهم أعمق لتلك الظاهرات ، كما أوضح « فان دالين » أنه توجد ثلاثة أنماط فرعية تتدرج تحت نمط دراسة العلاقات المتبادلة هى .. دراسات الحالة والدراسات العلية المقارنة والدراسات الارتباطية (١٤) .

١ ـ دراسة الحـالة :

ولو أننا سنتعرض بتفصيل أكثر لدراسة الحالة فى فصل لاحق ، إلا أن دراسة الحالة تمثل نوعا من البحث المتعمق عن العوامل المعقدة التى تسهم فى فردية وحدة اجتماعية ما ، وقد تكون هذه الوحدة شخصاً أو أسرة أو جماعة أو مؤسسة أو مجتمعاً محليا .

وتهدف دراسة الحالة إلى تجميع بيانات ملائمة تصلح أساسا لتفسير الوضع القائم للوحدة المبحوثة على ضوء خبراتها الماضية وعلاقاتها مع البيئة المحيطة ، ويستخدم الباحثون خلال دراسة الحالة عدة أدوات لجمع تلك البيانات وعن طريق تلك البيانات يمكن رسم صورة متكاملة وشاملة للوحدة المبحوثة .

٢ ـ الدراسات العلية المقارنة :

يقرر « فان دالين » أن بعض الدراسات الوصفية تحاول أن تكشف لا عن ماهية الظاهرة فقط ، ولكن تسعى للكشف ـ كلما كان ذلك ممكنا ـ عن كيف ولماذا تحدث هذه الظاهرة من خلال مقارنة أوجه الاختلاف والتشابه بين مختلف الظواهر ، وهدف الباحث من خلال تلك الدراسات العلية هو الكشف عن العوامل أو الظروف المصاحبة لوقوع أحداث أو ظواهر معينة ، ويرى «فان دالين» كذلك أن بعض الدراسات الوصفية تكتفي بمجرد الكشف عن وجود علاقة ما من عدمه ، بينما تحاول بعض الدراسات أن تتعمق أكثر سعيا وراء معرفة ما إذا كانت تلك العلاقة قد تسبب الحالة أو الظاهرة أو تسهم فيها أو تفسرها فقط (١٥) :

٣ ـ الدراسات الارتباطية :

يحاول هذا النمط أن يتوصل إلى تحديد أوصاف الظاهرات المبحوثة عن طريق استخدام الأساليب الارتباطية ، وتعتمد هذه الأساليب بصفة أساسية على العديد من العمليات الرياضية التي تخرج كلها عن نطاق دراسة هذا الكتاب (١٦) ، ولكن هذه الارتباطات تساعد على تعيين إلى أي حد يربط متغيران كل منهما بالآخر ، أو تساعد على تحديد مدى الاتفاق في التغيرات التي تلحق بعامل ما إذا ما تغير عامل آخر ، ولسوف يجد القارئ شرحاً لذلك خلال حديثنا عن منهج البحث التجريبي :

ثالثا ـ الدراسات التتبعية :

ويطلق عليها أحيانا الدراسات التطورية ، ولاينصب اهتمام هذا النموذج من نماذج الدراسات الوصفية ، على وصف الوضع القائم للظواهر والعلاقات المتبادلة بينها فقط ، وإنما تسعى إلى تناول التغيرات التي تحدث نتيجة لمرور الزمن ، حيث تهتم الدراسات التطورية بوصف المتغيرات في سياق تطورها عبر فترة زمنية قد تمتد شهوراً أو سنوات :

ويرى «فان دالين» أن أبرز نموذجين للدراسات التطورية هما دراسات النمو ودراسات الاتجاه ، ويمكن لنا أن نلقي بعض الضوء على كل منهما على النحو الآتي :

١ ـ دراسات النمو :

تهدف هذه الدراسات إلى التعرف على مختلف مظاهر النمو ، من حيث تحديد أي العوامل الأكثر تأثيراً في عملية النمو أثناء مراحله المختلفة ، ومتى يمكن ملاحظة النمو لأول

مرة ، وما هى الفترات التى يحدث فيها النمو على طفرات ومتى يظل النمو فى حالة شبه ثابتة ومتى تحدث مرحلة النمو الكامل وما هو وقت اضمحلالها ... إلخ .

وواضح أن النمو المقصود هنا هو النمو الإنسانى الذى تتم دراسته بطريقتين تعرف أولاهما بالطريقة الطولية وتعرف الثانية بالطريقة المستعرضة ، والطريقة الطولية تهتم بقياس حالات النمو لدى نفس الأطفال فى مراحلهم العمرية المختلفة ، أما الطريقة المستعرضة فتطبق مجموعة واحدة من المقاييس على أطفال مختلفين فى مستويات عمرية مختلفة بدلا من تكرار نفس القياس على نفس الأطفال كما هو الحال فى الطريقة الطولية .

هذا وتوجد فروق بين الطريقتين كما تنطوى كل منهما على مميزات وعيوب ويمكن للقارئ أن يتابع كل ذلك خلال أى من كتب علم النفس أو التربية المتخصصة (١٧) .

المهم أن كلا من الطريقتين يسعى لاكتشاف طبيعة نمو السكان الإنسانى ، ولو أن الطريقة الطولية تلقى قبولا لدى علماء النفس والتربية إلا أن الطريقة المستعرضة أكثر رواجا باعتبارها أقل تكلفة ولا تتطلب نفس الجهد والوقت المتبع فى الطريقة الطولية .

٢ ـ دراسات الاتجاه :

ويطلق عليها « فان دالين » دراسات الاتجاهات الغالبة ، وتهدف هذه الدراسات إلى الحصول على بيانات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية وتحليلها بغرض تحديد الاتجاهات الغالبة ، للتنبؤ بما هو محتمل أن يحدث مستقبلا .

ويقول « فان دالين » أن ذلك يتم من خلال قيام الباحثين بتكرار نفس دراسة الوضع الراهن لفترة تمتد عدة سنوات ، كما قد يلجأون لجمع معلوماتهم من المصادر الوثائقية التى تصف الأحداث أو الظروف الحاضرة أو تلك التى حدثت فى فترات مختلفة فى الماضى .

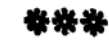
ثم بعد ذلك يقوم الباحثون من خلال مقارنة تلك البيانات بدراسة معدل التغير واتجاهه حيث يمكنهم ذلك من التنبؤ بالظروف أو الأحداث التى يحتمل أن تبرز مستقبلا .

ويقرر «فان دالين» أن هذا النمط من الدراسات الوصفية قد يجمع بين أساليب البحث التاريخية والوثائقية والمسحية (١٨) .

هذا وتفيد دراسة الاتجاه فى تقديم المعلومات اللازمة أمام مخططى السياسات الاجتماعية أو الصناعية أو الثقافية أو التربوية لتكون تحت نظرهم قبل وضع مختلف السياسات فى شتى قطاعات المجتمع وأنشطته .

ولكن كثيراً من الباحثين يرون أن استنباط تنبؤات من البيانات المعتمدة على دراسة الاتجاهات يعد مغامرة خطرة ، وذلك نظراً للتغير المستمر فى الظروف المجتمعية لاسيما ما تعلق منها بالتقدم التكنولوجى والحروب والمطالب الشخصية وغير ذلك من الأحداث غير المتوقعة وما ينتج عنها من تغيرات فجائية فى سياق الأحداث ، لذلك يحذر هؤلاء الباحثون من الاعتماد على التنبؤات طويلة الأجل ويفضلون بدلا منها التنبؤات قصيرة الأجل لأنها عادة تكون على درجة أكبر من اليقين (١٩) .

هذا ونحب أن نلفت النظر أننا سنعرض خلال الفصلين العاشر والحادى عشر كلا من المسح الاجتماعى ودراسة الحالة باعتبارهما طريقتين رئيسيتين للبحث يعتمد عليهما منهج البحث الوصفى فى تحقيق أهدافه .



المصادر والشروح

(١) انظر :

Whitney, F.L. The Elements of Research, Prentice Hall, 3rd ed. New York, 1950, P. 153.

(٢) انظر :

Selltiz, Claire. Jahoda, Marie ; Deutsch, Morton ; and Cook, Stuart W. Research Methods in Social Relations.Rev. ed., Henry Holt, New York, 1959, P. 65.

(٣) للاستزادة انظر :

Van Dalen, Op. Cit., Chap. 10.

(٤) عن المصدر السابق بتصرف ؛

(٥) دكتور محمد الجوهرى وزملاؤه — دراسة علم الاجتماع — دار المعارف — القاهرة — الطبعة الثانية — ١٩٧٥ ص ٦٥ ؛

(٦) للاستزادة انظر :

ا — المرجع السابق ص ص ٦٦ — ٦٧ .

ب — Gibson, Q., The Logic of Soc, Inquiry, Routledge and Kegan Paul, London, 1957, Chaps 3 — 4, 8.

جـ — Moser, G. A., Survey Methods in Social Investingation, Heineman, London, 1969, PP. 1 — 6.

(٧) للاستزادة انظر :

Whitney, F., Op. Cit., PP. 152 — 189.

(٨) للاستزادة انظر :

Selltiz, C, et al,, Op. Cit., PP. 49 — 58.

(٩) للاستزادة انظر :

Good, Carter V. and Scates, Douglas E. Method of Research, Educational, Psychological, Sociological, Appleton-Century-Crofts, Inc., New York, 1954.

وانظر أيضاً :

دكتور أحمد بدر — مصدر سابق ص ٢٢٥ .

(١٠) للاستزادة انظر :

فان دالين — مصدر سابق — الفصل العاشر :

(١١) المصدر السابق .

(١٢) يطلق البعض على هذا النمط المسحى أحيانا .. اسم « تحليل المحتوى أو النشاط أو المعلومات » ، ولكن لتحليل المحتوى مواصفات خاصة أوردناها خلال الفصل الثامن من هذا الكتاب ». انظر ص ص ١٣٣ — ١٤٥ .

(١٣) للاستزادة انظر :

Berelson, Bernard, Content Analysis in Communication Research, Free Press, Glencoe, 111, 1952, PP. 118 — 120.

(١٤) للاستزادة انظر :

Van Dalen, Op. Cit., Chap. 10.

(١٥) انظر المرجع السابق .

(١٦) للاستزادة حول العمليات الرياضية المتصلة بالدراسات الارتباطية انظر :

فان دالين — المصدر السابق — الفصل الثالث عشر ، وانظر أيضاً كتب الإحصاء والرياضيات .

(١٧) انظر على سبيل المثال :

١ ـ دكتور فؤاد البهى السيد ـ الذكاء ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٦ .

٢ ـ الدكتور عطيه محمود هنا والدكتور محمد سامى هنا ـ علم النفس الإكلينيكى ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ .

٣ ـ فان دالين ـ مصدر سابق ـ الفصل العاشر .

(١٨) المصدر السابق .

(١٩) المصدر السابق .



الفصل العاشر

المسح الاجتماعى والبحوث العلمية

- مقـــدمة ٠
- ماهية المسح الاجتماعى ٠
- حقيقة المسح الاجتماعى ٠
- مجالات المسوح العلمية ٠
- انماط المسوح العلمية ٠
- طبيعة البيـانات المتضـمنة فى المسوح الاجتماعية ٠
- الخطوات المنهجية للمسوح العلمية ٠
- نطاق المسوح العلمية ٠

المسح الاجتماعى والبحوث العلمية

مقـــدمة :

لعل المسح الاجتماعى Social Survey من أكثر طرق البحث العلمى انتشاراً وعالمية فى الوقت الراهن ، حيث يعتبر الركيزة الأساسية لكل الدول وهى تسعى للوقوف بصورة دقيقة على مختلف إمكانياتها المادية والبشرية فى وقت معين ، هذا ويتيح المسح الاجتماعى تلك المعرفة حتى يمكن استثمارها فيما بعد من خلال خطط وبرامج لتحسين أوضاع اجتماعية معينة أو إستبدال أوضاع اجتماعية غير مرغوب فيها — أوضحها المسح الإجتماعى — بأخرى مرغوب فيها توافرت معلوماتها عن طريق المسح أيضاً .

المهم أن المسح الاجتماعى يعد أداة منهجية لتصوير الواقع الاجتماعى من خلال ما يوفره من بيانات يمكن استغلالها لعلاج كل أو بعض الخلل الذى توضحه الصورة الناتجة عن المسح وفى أقرب فرصة ممكنة .

●

ماهية المســح الاجتماعى :

يعتبر المسح الاجتماعى مع دراسة الحالة من أشد الموضوعات جدلا بين علماء المنهجية فى العلوم الاجتماعية ، فبعضهم يرى فيه أحد المناهج الرئيسية المستخدمة فى البحوث الوصفية بينما لايراه البعض الآخر إلا مجرد أداة بحثية ، وإن استعانت بعدة أدوات أخرى للبحث .

هذا ويمكننا أن نتعرف فى عجالة على مختلف التعاريف والآراء التى تصدت لتحديد هوية المسح الاجتماعى وذلك على النحو الآتى :

١ — المسح الاجتماعى عبارة عن « دراسة علمية لمختلف ظروف المجتمع وحاجاته ، القصد منها تقديم برنامج « مخطط » للإصلاح الاجتماعى » .. (١) .

٢ — المسح الإجتماعى عبارة عن « دراسة مختلف الظروف الاجتماعية المؤثرة فى مجتمع ما بهدف التوصل إلى البيانات أو المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها فى وضع وتنفيذ

مشروعات تستهدف الإصلاح الاجتماعي ، وقد يكون المجتمع المبحوث مجتمع جيرة أو قرية أو مدينة أو مقاطعة وربما اتسع نطاق الدراسة ليضم الدولة أو الأمة بأسرها » ..(٢)

٣ — المسح الاجتماعي عبارة عن « منهج لدراسة وتحليل موقف أو مشكلة أو جمهور ما ، وذلك من خلال إتباع طريقة علمية منظمة تستهدف الوصول إلى أغراض معينة»..(٣)

٤ — المسح الاجتماعي عبارة عن « دراسة للجوانب المرضية للأوضاع الاجتماعية القائمة فى منطقة جغرافية محددة ، وهذه الأوضاع لها دلالة اجتماعية ويمكن قياسها ومقارنتها بأوضاع أخرى يمكن قبولها كنموذج ، وذلك بقصد تقديم برامج إنشائية للإصلاح الاجتماعي » .. (٤) .

٥ — المسح الاجتماعي عبارة عن « دراسة وصفية تهدف إلى التعرف على مختلف ظروف الحياة وجوانبها فى وسط اجتماعي أو مجتمع محدد » .. (٥) .

٦ — المسح الاجتماعي عبارة عن « الدراسات التى تهتم بدراسة المشكلات العديدة والتى يتطلب بحثها جمع المعلومات عنها بطريقة منظمة ، وسواء تم ذلك من خلال عينة أو من خلال دراسة كامل مجتمع البحث ، وترتكز تلك الدراسات على استخدام المقابلات مع غيرها من أدوات البحث الأخرى » .. (٦)

٧ — المسح الاجتماعي عبارة عن « محاولة منظمة تهدف إلى تسجيل الوضع الآنى سواء بالنسبة لمنطقة ، أو لجماعة أو لنظام ، ثم محاولة تحليل ذلك الوضع وتفسيره ، بهدف الحصول على مجموعات مصنفة من المعلومات يمكن تطبيقها أو الاستفادة منها فى المستقبل المنظور أو القريب » .. (٧) .

●

حقيقة المسح الاجتماعى :

يمكننا أن نستخلص من التعريفات السابقة مجموعة الحقائق التالية والتى سوف نرتكز عليها فى تعريفنا للمسح الاجتماعى وذلك على النحو الآتى :

١ — المسح الاجتماعى دراسة وصفية علمية :

٢ — مجالها ، المجتمع بأسره أو قطاع منه سواء أكان ذلك القطاع جغرافياً أو وظيفياً(٨).

٣ — موضوع الدراسة ، الوقائع الراهنة الذى تحدده أهداف الدراسة :

٤ – هدف الدراسة ، ليس مجرد تسجيل الوقائع وإنما تصنيفها حتى يسهل التعامل معها ليس فقط بهدف التحليل والتفسير وإنما أيضاً بهدف الاستثمار فيما بعد .

٥ – تستعين الدراسة بمجموعة من الأدوات البحثية التى تمكنها من تحقيق غاياتها .

٦ – تصف الدراسة الوقائع التى تتعامل معها من خلال اللحظة الحالية أو الآنية بصرف النظر عما كانت عليه فى الماضى أو ما ستئول إليه فى المستقبل .

وعليه فان المسح الاجتماعى فى رأينا عبارة عن :

« طريقة علمية تستخدم فى الدراسات الوصفية بهدف وصف أو تقرير واقع معين لمجتمع أو لجماعة أو لنظام محدد فى فترة زمنية محددة بوقت إجراء الدراسة ، وتهدف طريقة المسح إلى الحصول على المعلومات اللازمة عن المجتمع المبحوث مستعينة فى ذلك بالعديد من أدوات البحث العلمى ، شريطة أن تكون تلك المعلومات مرتبة ومصنفة بدرجة تسمح بإستثمارها فى المستقبل القريب » .

ولو حللنا ذلك التعريف إلى عناصره لاتضح لنا أنها لاتخرج عن النقاط الست المشار إليها عاليه .

ولو أننا نحب أن نوضح أننا لسنا وحدنا الذين نعتبر أن « المسح الاجتماعى » طريقة وليس منهجا فقد سبق لـ « لندبرج Londberg » أن تصدى وبعنف لمن زعموا – فى رأيه – أن المسح منهج علمى له إستقلاليته وذاتيته وخصائصه المميزة فى مواجهة غيره من المناهج ، وتستند دعوى « لندبرج » فى إعتباره للمسح الاجتماعى منهجاً ناقصاً أو غير مستقل من منطلق أنه لاتوجد للمسح أدوات بحثية تقتصر عليه ، وإنما يلجأ إلى الإستعانة بالعديد من أدوات البحث (٩) التى نشأ معظمها ليس فقط فى ظل مناهج أخرى وإنما فى ظل العديد من العلوم الاجتماعية (١٠) .

●

مجالات المسوح العلمية :

تتنوع مجالات المسوح العلمية وذلك حسب هدف الدراسة الوصفية التى تتم فى إطارها تلك المسوح ، فإذا كان هدف الدراسة اجتماعياً .. كانت المسح اجتماعياً ، وأن تم المسح فى إطار التربية والتعليم كان المسح تربوياً ، وان تم فى إطار الاقتصاد كان المسح إقتصاديا وإن تم فى إطار الصحة كان مسحاً صحيًا ... الخ ، وذلك على النحو الآتى :

١ ـ المسوح الاجتماعية :

وتهتم المسوح الاجتماعية بابراز مجموعة من المقومات والخصائص المجتمعية للمجتمع محل الدراسة ، حتى تكون تلك الخصائص والمقومات تحت نظر المخططين الاجتماعيين ، خصوصاً فى المجتمعات النامية التى ترتكز على التخطيط بقصد توجيه مختلف طاقاتها وإمكانياتها نحو تحقيق مستوى أفضل من الحياة لمواطنيها .

ومن الطبيعى ألا يقتصر التركيز خلال المسوح الاجتماعية على الطاقات والإمكانيات والحاجات فقط ، بل تمتد الدراسة لتقدم وصفاً دقيقا لمختلف المشكلات التى تعوق تحقيق النمو الاجتماعى أو الإقتصادى لمجتمع الدراسة ، لتكون كلها تحت نظر المخطط وهو يضع برامج التنمية المختلفة .

هذا وليس من الضرورى أن يكون إستخدام المسوح قاصراً على اعتباره ، مقدمة لخطط وبرامج التنمية فى العديد من المجالات ، ولكن المسوح قد تستخدم فى مرحلة « بعدية » بغرض وصف وتحديد الآثار المختلفة لخطط التنمية وبرامجها وخاصة ما تعلق منها بمعوقات التطبيق وما نجم عنها من مشكلات .

٢ ـ المسوح التربوية :

وللمسوح التربوية مجالات واستخدامات عدة ، منها تلك التى تتم بغرض التعرف على القدرة التحصيلية لدى تلاميذ أو طلاب مرحلة تعليمية معينة ، مع مقارنة نتائجها بنتائج دراسات مسحية أخرى أجريت سواء فى مناطق أخرى — داخلية أو خارجية — أو أجريت على نفس مجتمع البحث فى فترات سابقة .. الخ .

٣ ـ المسوح الاقتصادية :

وهى تلك التى تتم لأغراض إقتصادية ، ولعل من أشهر تلك المسوح .. المسح المعروف بـ « مسح السوق » والذى يستهدف إكتشاف ردود فعل جمهور المستهلكين حول منتجات بعينها ، أو محاولة التعرف على الآثار الناتجة عن « الإعلان » عن السلع الاستهلاكية بطريقة دعائية معينة .

ومن الطبيعى أن تستثمر المعلومات المتوافرة بطريقة منظمة تضمن أخذ آراء المستهلك فى الإعتبار وبحيث تصله السلعة فى النهاية بالطريقة والحجم والذوق الذى يناسبه .

٤ ـ مسوح الرأى العام والاعلام :

وتستهدف هذه المسوح التعرف على إتجاهات جمهور المبحوثين وآرائهم فى الموضوعات المثيرة للجدل خاصة ما تعلق منها بالسياسات الحكومية المختلفة ، كما تستخدم هذه المسوح لاستطلاع الرأى العام حول شخصية المرشحين فى الانتخابات الرئاسية أو لعضوية المجالس التشريعية أو التنفيذية المختلفة ، كما تستخدم هذه البحوث لمعرفة مدى تأثيرات برامج إذاعية أو تليفزيونية معينة ، أو لمحاولة معرفة موقف المبحوثين تجاه مسرحية أو كتاب أو فيلم سينمائى معين ... الخ .

وعادة ما تقوم بهذه المسوح أجهزة متخصصة لقياسات الرأى العام ويوجد منها الكثير فى مختلف دول العالم (١١) .

٥ ـ المسـوح الصحية :

وتستهدف هذه المسوح توفير كافة المعلومات اللازمة فى مجالات الصحة العامة .. كمحاولة التعرف على أعداد ونوعيات المصابين بالأمراض المتوطنة مثلا ، وكذلك وصف وتحديد الأمراض الناتجة عن تلوث البيئة ، أو محاولة التعرف على الآثار الناتجة عن استخدام حبوب منع الحمل أو أى عقار آخر على جمهور المبحوثين ... إلخ .

٦ ـ المسوح النمطية الأخرى :

هناك العديد من المجالات الأخرى المتعددة التى تستخدم فيها المسوح العلمية ، وتتحدد كلها من خلال نطاق الدراسة الوصفية التى تحتوى المسح علاوة على الهدف المرجو منها .

●

انماط المسـوح العلمية :

يختلف علماء المنهجية فى تصنيف المسوح ، ومنهم من يصنفها إلى مسوح عامة وخاصة ، ومنهم من يصنفها إلى مسوح وصفية وتفسيرية ، ومنهم من يصنفها إلى مسوح شاملة ومسوح بالعينة ، ولسوف نحاول أن نلقى بعض الضوء على كل من تلك الأنماط من خلال النقاط الآتية :

١ ـ المسوح العامة والمسوح الخاصة :

يقصد بالمسوح العامة ، تلك المسوح التى تغطى أو تشمل الدراسة خلالها مجالات عريضة لمجتمعات متعددة ، بمعنى أن تضم الدراسة مختلف جوانب الحياة المجتمعية لقرية أو لحى أو لمدينة أو حتى لعدة مقاطعات « أقاليم محلية » أو للوطن القومى ككل .

أما المسوح الخاصة أو المتخصصة فيقصد بها تلك المسوح التى تعنى بدراسة مجالات خاصة من مجالات الحياة المجتمعية ، كدراسة مجال الصحة أو الإسكان أو التعليم أو البطالة أو الهجرة أو انحرافات الأحداث ... إلخ .

إذن .. المسوح العامة : مسوح شاملة تدرس المجتمع ككل بكل قطاعاته ونظمه وظواهره ، أما المسوح الخاصة أو المتخصصة فهى مسوح قطاعية تركز على قطاع واحد فقط من قطاعات المجتمع وربما أكثر من قطاع ترتبط بينها صلات وثيقة .

المهم أن صفة العمومية أو الخصوصية هنا .. خاصية وظيفية وليست خاصية جغرافية بمعنى أنها تنسحب على النظم والظواهر والمشكلات وليس على طبيعة حجم المجتمع المبحوث ضيقاً واتساعا .

هذا ولكل من المسوح العامة والخاصة بالمفهوم الذى أوضحناه استخداماته ومزاياه وأهم مزايا النمط الأول : أن بياناته غالبا ما تعتبر ركيزة للخطط التنموية المختلفة علاوة على ما تمثله المسوح العامة فى رأى عدد من علماء المنهجية كمثير لاهتمامات الناس حول الموضوعات أو المسائل التى تضمنتها تلك المسوح .

كان ذلك عن المسوح العامة ، أما عن النمط الثانى فإنه يعتبر فى رأى العديد من علماء المنهجية أكثر مناسبة مع مقتضيات العصر سواء من حيث الاتجاه إلى التخصص أو لما أصاب أدوات البحث العلمى من تقدم وتطور علاوة على انتشار الوعى لدى العديد من المجتمعات المحلية بطبيعة ما يواجهها من مشكلات ، كل هذا جعل الاعتماد على نمط المسوح المتخصصة هو الأكثر جاذبية أو مناسبة لدى العديد من المجتمعات خاصة مع صعوبة تمثل مختلف البيانات المتوافرة نتيجة لاستخدام المسوح العامة دفعة واحدة :

٢ ـ المسوح الشاملة والمسوح بالعينة :

وكلا النمطين يرتكز على حجم الجمهور المبحوث ، ففى المسوح الشاملة تضم الدراسة كل مفردات المجتمع من خلال ما يعرف بالحصر الشامل ، أما فى المسوح التى بالعينة ، فتكتفى الدراسة خلالها بعدد معين أو محدد من مفردات المجتمع .

والباحث من خلال الدراسات التى تعتمد على المسوح لا يلجأ إلى أى من النمطين اعتباطا وإنما تدفعه إلى ذلك اعتبارات منهجية معينة لعل من أهمها ما يتوافر تحت يده من إمكانيات بشرية ومادية علاوة على الوقت .

فالمسوح الشاملة تتيح بيانات أكثر وربما أفضل من حيث الإطمئنان إلى صحتها لكنها مكلفة وتحتاج إلى مزيد من الوقت والجهد علاوة على المهارات البحثية العالية.

أما المسوح بالعينة فإنها تسمح بتحقيق غايات الدراسة بأقل وقت وجهد ومال ممكن، لكن ذلك كله معلق بشرط أساسى وهو ضرورة أن يتم اختيار العينة على أسس سليمة بحيث تكون ممثلة للمجتمع العام أصدق تمثيل.

وعموما فإن كثيراً من علماء المنهجية يرون أن المستقبل للمسح بالعينة نظراً لأنه فى ظل الاختيار الجيد للعينة يتاح للباحثين ما يسعون إليه من معلومات تصف سلوك الجمهور أو الظاهرة المبحوثة بأقل جهد ووقت وتكاليف ممكنة.

هذا مع مراعاة أن التفريق بين نمطى المسوح الشاملة والمسوح بالعينة يرتكز على جمهور البحث، بينما يرتكز التفريق بين نمطى المسوح العامة والمسوح الخاصة على مجال الدراسة من حيث العمومية أو الخصوصية وعلى النحو الذى شرحناه قبلا.

٣ - المسوح الوصفية والمسوح المتعمقة :

ويرتكز التفريق بين هذين النمطين على الهدف من المسح، بمعنى إن كان مخطط الدراسة أن تركز فقط على وصف سلوك جمهور البحث أو حتى قياسه وفقاً لمتغيرات الدراسة، فإن المسوح هنا تكون مسوحاً وصفية بمعنى أنها تصف البيانات المجموعة ولا تتقدم خطوة نحو تحليلها وتفسيرها.

أما إذا ما تجاوزت الدراسة من خلال المسح مجرد الوصف أو القياس واستهدفت تصنيف البيانات المتوافرة وتحليلها وتفسيرها، فإن المسوح فى هذه الحالة تكون مسوحا متعمقة لا تكتفى بمجرد وصف السلوك وإنما تتجه نحو تفسيره.

إذن الدراسة من خلال المسوح الوصفية تهدف - كما يقول « هتيان Htgman » إلى القياس الدقيق لمتغير تابع أو أكثر لدى جمهور معين أو عينة ممثلة له (١٢) أما المسوح المتعمقة فتستهدف الكشف عن طبيعة العلاقة ما بين ظاهرة أو أكثر أو بين سبب أو أكثر.

وربما كانت تلك الطبيعة المتعمقة لهذا النمط من المسوح هى التى دفعت « هتيان » لأن يطلق عليها مصطلح « المسوح النظرية أو التجريبية »، وإلى أن يوسع دائرة اهتماماتها حيث تعنى باختبار مدى إسهام عدد من العوامل فى حدوث ظاهرة ما، أو ربما اتجهت تلك المسوح لتحقيق أهداف تقويمية (١٣).

هذا مع العلم بأن عدداً من علماء المنهجية لا يوافق على ما ذهب إليه « هتيان » خاصة فيما يتعلق بالمسوح التى تختبر فروضاً سببية (١٤) .

ونحن على كل حال نرى أن اهتمام المسوح باختبار الفروض السببية وعلى النحو الذى قدمه « هتيان » يخرج بها عن طبيعتها كمسوح تستهدف فى الأصل الوصف وليس التفسير ، ولو أننا نوافق على اتجاه المسوح إلى تحقيق أهداف تقويمية من خلال تقديم المعلومات عن العوامل التى عوقت نجاح برامج أو خطط التنمية فى مجتمع ما مثلا ، أو وصف الأسباب التى أدت إلى تحقيق تلك البرامج والخطط لأهدافها المقدرة لها .

●

طبيعة البيانات المتضمنة فى المسوح الاجتماعية :

ترتبط طبيعة البيانات المتضمنة فى المسوح الاجتماعية بمدى الهدف الذى تسعى إليه تلك المسوح من جهة ، وبنوعية جمهور البحث من جهة أخرى ، إلى جانب ارتباط تلك البيانات بطبيعة المسح ذاته من حيث هو مسح عام أو متخصص .

إلا أنه فى كل الأحوال يجب أن تتضمن المسوح البيانات الآتية :

١ - البيانات الشخصية :

مثل الأسئلة الخاصة بالسن والمهنة ودرجة التعليم والجنس والجنسية ، وكذلك البيانات الخاصة بالدخل وغيرها من الأسئلة التى تبرز الطابع الاقتصادى أو الاجتماعى أو الثقافى للمبحوثين ، ويرى عدد من علماء المنهجية أن الهدف الأساسى لتلك الأسئلة هو مد الباحث بمعلومات يمكنه على ضوئها أن يربط - من خلال التحليل - بين علاقة كل من الجنس والمهنة بغيرهما من المتغيرات مثلا (١٥) .

٢ - البيانات البيئية :

لابد أن تستهدف أسئلة المسوح معرفة بعض الحقائق المتصلة بالظروف البيئية للمبحوثين بمعنى أن تسعى الأسئلة من خلال المسوح إلى تحديد السمات والخصائص البيئية سواء بالنسبة للبيئة الطبيعية التى يحيا فيها المبحوثون أو بالنسبة للبيئات المجاورة ، ومن الطبيعى أن تتنوع الأسئلة لتغطى مختلف المجالات الصحية والعمرانية والاجتماعية والثقافية والدينية .. إلخ وكل هذه أمور تعين الباحث إذا ما أراد تفسيراً لسلوك جمهور البحث (١٦) .

٣ ـ البيانات السلوكية :

أسئلة المسوح لابد أن تتضمن أسئلة من ذلك النوع الذى يستهدف معرفة أفعال المبحوثين وتصرفاتهم فى مختلف المواقف وكذلك ردود أفعالهم إزاء بعض المثيرات أو الأفعال المعينة ، هذا وقد تتجه أسئلة المسوح مباشرة نحو معرفة سلوك المبحوثين إزاء أمر ما .. كسؤالهم مثلا عن كيفية الموازنة بين دخولهم واحتياجاتهم .. وهكذا .

٤ ـ البيانات السيكولوجية :

ويرى كل من « كامبل وكاتونا » أن المجال العريض لتلك البيانات يتضمن عدداً من الأمور الهامة التى يمكن إخضاعها للتحليل ، ومنها تلك الأسئلة الخاصة بقياس الآراء أو الاتجاهات أو تلك التى تبحث فى الدوافع التى تدفع المبحوثين لاتخاذ قرارات بعينها فى مواقف معينة ، أو تلك التى تتصل بإكتشاف مدى إدراك جمهور المبحوثين لما يجرى حولهم من أمور ، ومنها أخيراً ما اتصل بمعرفة توقعات المبحوثين فى بعض أموزهم أو بالنسبة لبعض القضايا المستقبلية (١٧) .

●

الخطوات المنهجية للمسوح العلمية :

يرى عدد من علماء المنهجية أن المسوح العلمية تمر بأربع خطوات أساسية ، هى باختصار على النحو الآتى :

١ ـ الخطوة التخطيطية :

بمعنى وضع تصميم للبحث يتضمن تحديد الغرض منه ، وتحديد النقاط الرئيسية والفرعية التى يجب أن يتضمنها ، وتحديد مجالات المسح البشرية والمكانية والزمانية ، وتحديد الأدوات البحثية المستخدمة فى جمع البيانات المطلوبة ، مع تقدير ميزانية المسح ، وإعداد خطة العمل الميدانية ، مع الأخذ فى الاعتبار ضرورة أن يتضمن تخطيط المسح كيفية تهيئة جامعى للبيانات لأداء مهامهم علاوة على إعداد المجتمع المبحوث نفسه للتعاون مع الباحثين .

٢ ـ الخطوة الميدانية :

ويتم خلالها نزول الباحثين إلى الميدان لجمع البيانات المطلوبة ، مع ضرورة أن يتوافر إتصال مباشر بين باحثى الميدان ــ جامعى البيانات ــ وبين الهيئة المشرفة على المسح

أو مندوبين عنها وذلك بهدف التعرف الفورى على سير العمل مع حل أية مشكلات قد تطرأ أثناء الإتصال بالمبحوثين ، مع تلافى الأخطاء التى تحدث أثناء جمع البيانات فور حدوثها حتى لا تتضخم بشكل يضر بأهداف المسح .

٣ ـ الخطوة التحليلية :

ويتم خلال هذه الخطوة مراجعة ما تم جمعه من معلومات أو بيانات ، ثم العمل على تصنيفها ضمن مجموعات متجانسة تمهيداً للتعامل معها إحصائياً .

٤ ـ الخطوة النهائية :

ونعنى بها عرض النتائج التى إنتهت إليها المسوح من خلال التقرير النهائى للمسح ، مع بيان مدى تطابق النتائج المتحصل عليها مع تلك التى كانت مستهدفة وفق خطة المسح علاوة على إبراز وجهة نظر الباحث بالنسبة لأية انحرافات أبرزتها النتائج المعروضة مع بيان إمكانية استثمار تلك النتائج وتوصياته فى هذا المجال (١٨) .

●

نطاق المسوح العلميـة :

على الرغم من شيوع استخدام المسوح فى الدراسات العلمية واتساع نطاقها ليشمل ميادين ومجالات ومجتمعات عديدة ، إلا أن هناك الكثير من الصعوبات التى تحد من قدرة تلك المسوح أو تجعل نطاق استخداماتها قاصراً تماما عن الوفاء بمتطلبات البحوث العلمية وذلك للأسباب التالية :

١ ـ المسوح تعتمد بصفة أساسية على توجيه مجموعة كبيرة من الأسئلة التى تغطى كافة المناشط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية علاوة على ما تعلق منها بالجوانب الشخصية للمبحوثين ، هذه الكثرة العددية للأسئلة قد تجلب تبرم المبحوثين وبالتالى عدم تعاونهم على الأقل بالفاعلية المطلوبة أثناء جمع البيانات منهم .

وعلى الجانب الآخر نجد أن الأسئلة المحدودة كما وكيفا قد لا تفى إجاباتها بالبيانات المستهدفة من خلال المسوح وبالدرجة التى لا تمكن الباحث من رسم الصورة الصحيحة عن مجتمع البحث وما يتضمنه من مشكلات وإمكانيات وسمات .

٢ ـ جمهور المبحوثين فى حالتى الكثرة والقلة مشكلة تحد من نطاق إستخدام المسوح فى البحوث العلمية ، ففى حالة الكثرة يتطلب ذلك وقتاً وجهداً ومالا فضلا عن نوعية خاصة من الباحثين وبأعداد كبيرة وهو أمر فوق طاقة الأفراد ويتطلب جهود الدولة بأجهزتها العلمية المتخصصة ، وفى حالة القلة .. عن طريق استخدام العينة ، فقد تكون البيانات المجموعة لاتصدق تماما على المجتمع الأم وبالتالى تكون عاجزة عن التعميم أو لا يمكن الاعتماد عليها فى إبراز الصورة الكلية للمجتمع أو الظاهرة المستهدفة بالدراسة من خلال المسح.

٣ ـ اتجاه المسوح إلى وصف وضعية ما فى الوقت الراهن فقط ، يجعل من المستحيل الاعتماد عليها فى الدراسات التطورية التى ترتكز على الربط بين الماضى والحاضر ، وبالتالى يحد من نطاق استخدام المسوح فى البحوث العلمية .

٤ ـ يرى عدد من علماء المنهجية أن المسوح لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر للتعميمات الواسعة ، أو اعتبار النتائج المستخلصة عن طريقها أساسا صالحا للوصول إلى القوانين أو النظريات العلمية .

ولو أن هناك عددا آخر من العلماء يرى أن ذلك ممكن بشرط أن تتم المسوح فى ظل برنامج طويل الأمد يسمح باجراء ما يعرف بالمسوح المتكررة حول نفس المجتمعات والموضوعات المدروسة .

كما يقدم بعض العلماء تصوراً مجدداً فى مدى الإعتماد على المسوح للمساهمة فى تكوين النظريات العلمية ، حيث يرون أن بإمكان المسوح أن تقدم خدمة جليلة فى هذا الشأن لو أنها اهتمت بخطوة واحدة من خطوات البحث العلمى ألا وهى خطوة فرض الفروض وعملت على التأكد من صحتها (١٩) .

***

المصادر والشروح

(١) هذا التصور قدمه « بيرجس Burgess خلال مقالته عن المسح الاجتماعى » والتى تضمنتها الجريدة الأمريكية لعلم الاجتماع : عدد يناير ١٩١٦ ص ٤٩٢ .

(٢) هذا التصور لأرنوفيك C.Aronovici لا يختلف كثيرا عن التصور السابق اللهم إلا فى تحديده للمجالات الجغرافية للمسح الاجتماعى ، ولقد قدمه خلال كتابه المسمى « بالمسح الاجتماعى » ص ٥ .

(٣) صاحب هذا التصور هو مورس Morse ولقد نقله عنه جى Gee خلال مؤلفه عن « طرق البحث الاجتماعى فى العلوم الاجتماعية » الذى أصدره فى نيويورك عام ١٩٥٠ ، ص ٣٠١ .

(٤) هذا التصور قدمته بولين يونج P. Young ضمن مؤلفها عن « المسوح العلمية والبحوث » الذى أصدرته فى نيويورك عام ١٩٤٧ ص ٥٦ منه وانظر أيضا :

(ا) دكتور عبد الباسط محمد حسن — أصول البحث الاجتماعى — مصدر سابق ص ٣٠٣ .

(ب) دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٨٢ ص ص ١٦٩ — ١٧٠ .

(٥) صاحب هذا التصور هو « كويفليه Cuvillier » خلال كتابه « الوجيز فى الاجتماع والببلوجرافى » الذى أصدرة فى باريس عام ١٩٥٠ .

(٦) صاحبا هذا التصور هما كامبل Campbell وكاتونا Katona ، ولقد ترجمت بعض المصادر مصطلح Population إلى جمهور معين بينما يعنى المصطلح « جملة السكان » أو « جملة أهل البلاد » أو « الشعب » أو « الخلق » أو « القوم » انظر :

(ا) القاموس العصرى — الطبعة الثالثة عشرة — ص ٥٥٦ .

(ب) دكتور جمال زكى والسيد يس — أسس البحث الاجتماعى — مصدر سابق ص ٥٩٥

(ج) Campbell, A.A. and Katouna. G. The Sample Survey : A technique for Social Research, in : Research Methods in the behavioral Sciences, edited by Festinger, L. and Katz, D. New York, 1953, PP. 15 — 55.

(٧) صاحب ذلك التصور هو « هويتنى Whitney » قدمه خلال مؤلفه عن « أسس البحث » الذى أصدره عام ١٩٤٦ فى نيويورك ص ١٥٥ .

(٨) القطاع الجغرافى عبارة عن الحى أو القرية أو أى مجتمع محلى آخر ، أما القطاع الوظيفى فيشمل النظم والمؤسسات المجتمعية المختلفة .

(٩) أورد لندبرج هذا الرأى خلال مؤلفه عن « البحث الاجتماعى » الذى أصدره عام ١٩٤٩ فى نيويورك ص ص ١٦٣ — ١٦٥ .

(١٠) أكد كل من كامبل وكاتونا فى مؤلفهما المشار إليه فى الفقرة «٦» على أن اعتماد المسوح الاجتماعية على مزيج أو مركب من الأدوات البحثية ، جعل لتلك المسوح مكانة مميزة داخل الدراسات الوصفية .

(١١) من أمثلتها معهد « جالوب » الأمريكى ، ومعهد الرأى العام بالقاهرة ، هذا وقد تقوم إحدى المجلات المتخصصة بمهمة إجراء البحوث لقياسات الرأى العام ونشر نتائج تلك المسوح على فترات دورية ومن أشهر تلك المجلات أو الدوريات المتخصصة مجلة « فورش » الأمريكية .

(١٢) للاستزادة انظر :

Htyman, H,, Survey desing and analysis, U.S.A. 1955, Part 2, 3.

وانظر أيضا :

دكتور جمال زكى والسيد يس — مصدر سابق — ص ص ٩٨ — ٩٩ ؛

(١٣) هتيمان — مصدر سابق .

(١٤) انظر على سبيل المثال ما ذكرته سيللتز وزملاؤها فى المصدر الآتى :

Selltiz C., et al., Research Methods in Social Relations, Henry Holt, 1960.

(١٥) انظر كامبل وكاتونا ـ مصدر سابق.

(١٦) المصدر السابق .

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) انظر ـ دكتور عبد الباسط محمد حسن ـ مصدر سابق ص ص ٣٢٣ ـ ٣٥٣ .

(١٩) Marquis, D., Scintific Methodology in Human Relation, in Experiments in Social Process, James Miller, 1950.



الفصل الحادى عشر

دراسة الحالة والبحوث العلمية

- مقــدمة ٠
- موقف دراسة الحالة .
- مفهوم دراسة الحالة .
- دراسة الحــالة ليست منهجــا ولا اداة وانما هى طريقة ٠
- كيف تستخدم دراسة الحالة فى البحوث العلمية ٠
- مدى استخدام دراسة الحالة ٠
- دراسة الحالة فى مجال علم النفس ٠
- دراسة الحالة فى مجال علم الاجتماع٠

دراسة الحالة والبحوث العلمية

مقـــدمة :

لعل دراسة الحالة Case Study من أقدم أدوات البحث العلمي إستخداما، في شتى مجالات العلوم الاجتماعية لاسيما من طرف علماء التاريخ خلال دراساتهم الوصفية عن الحضارات والشعوب ، كما استخدمها علماء السياسة وهم يدرسون آراء الناس ومعتقداتهم ، كما استخدمت من طرف علماء النفس كوسيلة للتعرف على التاريخ المرضى للحالات المرضية التي يتصدون لها، واستخدمها علماء الاجتماع وعلى رأسهم ـ فريدريك لوبلاى ـ خلال دراسته المشهورة عن اقتصاديات الأسرة(١)، وكذلك ـ هربرت سبنسر ـ خلال دراسته الواسعة التي جمع خلالها العديد من الوثائق الإثنوجرافية للانسان البدائي أثناء محاولته لإثبات أن ذلك الانسان يعتبر الوحدة الأولية الاجتماعية في مقابل الخلية باعتبار ها الوحدة الأولية البيولوجية (٢) .

وليس ـ فريدريك لوبلاى أو هربرت سبنسر ـ وحدهما في ميدان استخدام دراسة الحالة ، فيوجد إلى جوارهما كل من ـ توماس وزنانيكى ـ(٣)من خلال دراستهما المشهورة عن الفلاح البولندى (٤) ، و ـ وليام هيلى ـ أثناء دراسته عن « السلوك الجانح » والتي شملت ألفا من الأحداث الجانحين (٥) .

●

موقف دراسة الحالة :

في البداية يجب أن نسجل أن هناك عددا من الكتابات في المنهجية ترى أن دراسة الحالة هي أحد مناهج البحث ويرون أنه إستمد إسمه في اللغة الانجليزية من مصطلح « Case-study method » أما في اللغة الفرنسية فيعرف تحت اسم « La Methode Monographique » على اعتبار أن « المونوجرافيا » إنما تعنى الوصف المفصل أو الدقيق لموضوع ما بغرض الكشف عن مختلف جوانبه ، وإن كان استخدام المونوجرافيا في العلوم السوسيولوجية يزيد على ذلك

فى محاولة تعميم تلك الخصائص المستخلصة من دراسة حالة وحدة ما على ما يشابهها من الوحدات الأخرى (٦) .

كما يؤكد الذين يعتبرون « دراسة الحالة » منهجا على الأسباب التالية :

١ – أن مفهوم الأداة يشير إلى الكيفية التى يجمع بها الباحث معلوماته ، بينما يعنى مصطلح المنهج..الطريق المؤدى إلى كشف الحقيقة من خلال اتباع الأسلوب العلمى ، ومن هذا المنطلق فإن دراسة الحالة منهج وليست أداة ، بدليل الاستعانة فى دراسة الحالة بالعديد من أدوات جمع البيانات .

٢ – أن دراسة الحالة تتبع نفس الخطوات العلمية التى تستخدم من طرف مناهج البحث المعترف بها لاسيما من حيث الاستفادة من النظريات العلمية والقيام بالكثير من الملاحظات التمهيدية (٧) .

٣ – أن دراسة الحالة ليست أداة من أدوات البحث على أية صورة من الصور ويرجع ذلك لأنها منهج متميز يهتم أساسا بدراسة الوحدات الاجتماعية من منظور كلى (٨).

٤ – أن الفشل فى اعتبار دراسة الحالة منهجا لا يعود إلى طبيعة دراسة الحالة بقدر ما يعود إلى عدم التمييز بين دراسة الحالة كمنهج له أساوبه المستقل فى النظر إلى الحقائق الاجتماعية وبين ما صاحب ذلك المنهج من أدوات منذ النشأة (٩) .

٥ – ثم إن دراسة الحالة كمنهج شائعة الاستخدام منذ فترة غير قصيرة خصوصا منذ محاولة علم النفس من خلال « الجشطلت » إثبات خطأ المنهج التجريبى فى بعض نواحيه ، ومن هذا المنطلق فإن دراسة الحالة منهج شأنها فى ذلك شأن المنهج التجريبى ، ولكل منها مقوماته وسماته الخاصة به ، حيث ينهض المنهج التجريبى على أساس تحليل الظاهرة إلى مكوناتها الأساسية مع عزل تلك المكونات بعضها عن البعض الآخر للتأكد من أن إعادة التركيب بعد ذلك ستخلق نفس الظاهرة التى تم تحليلها أم لا ؟ .

أما دراسة الحالة – كمنهج – فإنها تنهض على أساس الاهتمام بدراسة الموقف الكلى للظاهرة المبحوثة مع النظر إلى المكونات من خلال علاقتها بالكل الذى هى واحدة منه (١٠) .

وعلى الجانب الآخر توجد كتابات أخرى فى المنهجية ترى أن دراسة الحالة ما هى إلا مجرد إحدى الوسائل العديدة المستخدمة من طرف البحوث الميدانية لجمع البيانات ، .

ويذهبون الى أبعد من ذلك باعتبار أن دراسة الحالة لاتتعدى كونها مجرد أداة حتى مع الاعتماد عليها بصفة أساسية فى جمع البيانات وفى غيبة استخدام أي من مناهج البحث المعروفة أو المتفق عليها (١١) .

ونحن على كل حال نقف على ذلك الجانب الآخر الذى يرى أن دراسة الحالة قاصرة عن أن تكون منهجا مستقلا من مناهج البحث العلمى ، وذلك راجع فى رأينا للأسباب الآتية :

١ ــ أن كثيرا من علماء المنهجية المبرزين لاسيا - هويتنى Whitney وسللتيز Selltiz وزملاؤها - لم يذكروا دراسة الحالة كمنهج ، وإنما رتبها - هويتنى - باعتبارها أحد النماذج المتميزة للمنهج الوصفى(١٢)بينما لم تذكر- سللتيز- وزملاؤها شيئا عن دراسة الحالة على الاطلاق باعتبارها منهجا متميزا للبحث عند تصنيفهم للبحوث العلمية إلى نمطين أساسيين ، ضم النمط الأول الدراسات الوصفية والاستطلاعية ، بينما احتوى النمط الثانى على الدراسات التى تختبر فروضا سببية فقط ، ومن هنا فإن دراسة الحالة تعتبر من هذا المنطلق مجرد أداة لجمع البيانات .

٢ ــ أن المنهج يتسم بالثبات من حيث استخداماته فى البحوث العلمية حتى فى الدراسات التى تجمع بين أكثر من منهجين فى آن واحد . . فلو تأملنا المناهج المتفق عليها فى العلوم الاجتماعية (١٣) لوجدنا أن ملامح واستخدامات كل منها لايتغير بتغير نوعية البحوث المستخدمة فيها .. بمعنى أن المنهج الوصفى له استخداماته المعروفة سواء تم استخدامه فى نطاق علم التاريخ أو الاجتماع أو الاقتصاد .. إلخ ..

ودراسة الحالة ليست كذلك حتى فى رأى من يعتبرونها منهجا .. حيث يقررون أنها تستخدم تارة كمنهج استطلاعى وهى تسعى لاستنباط الفروض العلمية ، وتارة أخرى كمنهج تجريبى وهى تؤدى دورها فى اختبار الفروض (١٤) .

فلو أضفنا إلى ذلك أن علم النفس ، وعلم النفس الإكلينيكى بالذات يرى فى دراسة الحالة مجرد أداة لجمع البيانات عن النواحى العامة للفرد سواء من خلال التركيز على الخصائص والصفات التى يتميز بها بما فى ذلك بياناته الأولية ، أومن خلال عرض صورة وظيفية متكاملة للفرد كحالة مرضية من خلال تكيفها مع مختلف نواحى الحياة ، ودراسة الحالة من المنطلق الأول تدور فى فلك الاتجاه التحليلى لعلم النفس الإكلينيكى ، كما أنها من الوضع الثانى تنطلق من الاتجاه التركيبى لذات علم النفس (١٥) .

٣ - أن البيانات المتوافرة من خلال استخدام دراسة الحالة لا يمكن تعميمها مهما قيل عن إمكانية انسحابها على الوحدات المتشابهة ، لأنه حتى تلك الوحدات المتشابهة تختلف فيما بينها بصورة أو بأخرى .

ولو أضفنا إلى ذلك تعدد صور استخدامات دراسة الحالة من طرف العلوم الاجتماعية وبالطريقة التى تتواءم مع كل علم على حدة ، ولو أضفنا إلى تعدد وحدات التحليل التى تستخدم فى نطاقها دراسة الحالة بهدف استنباط الفروض ، عدم إمكانية الاعتماد على دراسة الحالة فى اختبار تلك الفروض ، لاتضح لنا افتقار دراسة الحالة لأهم خاصية من خصائص المناهج فى البحوث العلمية ألا وهى خاصية التفسير من خلال اختبار مدى صحة الفروض المفسرة لمشكلة البحث .

ثم إن وقوفنا على الجانب الآخر الذى يرى أن « دراسة الحالة » لا ترقى لمصاف مناهج البحث العلمى لايعد تقليلا من أهميتها أو كفاءتها لأنه لاقيمة لمنهج بغير أدوات كفء تمكنه من تحقيق غاياته التفسيرية وما يرتبط بها من قدرة العلم برمته على التنبؤ (١٦) .

●

مفهوم دراسة الحالة كما نراه :

بعد كل الذى قلناه عن دراسة الحالة ، نرى أنها طريقة أو وسيلة علمية من وسائل جمع البيانات أو المعلومات فى البحوث العلمية المستخدمة فى نطاق مختلف العلوم الاجتماعية وقد تكون وحدة الدراسة « دراسة الحالة » هنا فرداً أو جماعة أو مجتمعاً محليا أو عاما أو قد تكون نظاما اجتماعيا أو مؤسسة مجتمعية وذلك طبقاً لنوعية الدراسة ومنهج البحث المستخدم.

هذا وتستخدم دراسة الحالة إما بغرض تقديم صورة دقيقة للوحدة الكلية موضوع الدراسة من خلال الموقف الاجتماعى الموجودة فيه أو لجزء منها (١٧) ، أو قد تعنى دراسة الحالة بتوضيح تتابع الأحداث أو بدراسة السلوك الفردى أو تحليل وحدات الدراسة وإجراء المقارنات بينها حتى يكون ذلك أساسا لتكوين الفروض فيما بعد .

المهم هنا : أن وحدات الدراسة ومدى اتساع أو ضيق نطاق دراسة الحالة تتحدد من خلال أهداف الدراسة وعلى حسب طبيعة المنهج المستخدم وعلى نوعية الأدوات الأخرى المستخدمة من خلال دراسة الحالة (١٨) لاسيا الاستمارة والمقابلة والملاحظة ، بخصوصاً إذا ما علمنا أن دراسة الحالة من الطرق التى تعتمد على مزيج من أدوات البحث الأخرى فى معظم الأحوال (١٩) .

●

دراسة الحالة ليست منهجا ولا اداة وانما هى طريقة :

إذن دراسة الحالة وفقاً لهذا المفهوم أو التصور ليست منهجاً وليست أداة وإنما هى طريقة علمية قد تتضمن عدة أدوات لجمع البيانات فى البحوث العلمية ، كما أنها قد تتكامل مع غيرها من طرق البحث العلمى الأخرى لاسيما المسح الاجتماعى حيث تعتبر كل من دراسة الحالة والمسح الإجتماعى طريقتين يكمل بعضهما بعضا باعتبار أن المسح ينزع إلى النواحى الكمية بينما تميل دراسة الحالة إلى البيانات الوصفية أو الكيفية .

مع مراعاة أن المفهوم الذى نقصده هنا بالطريقة العلمية .: أنها الأسلوب الذى لا يرتقى إلى مستوى المنهج ولا يعامل معاملة الأداة ، بمعنى أنها تحقق بعضاً من أهداف المنهج وتتبع فى ذلك عدداً من خطوات البحث العلمى ، كما أنها فى نفس الوقت تلجأ إلى استخدام أداة أو عدة أدوات أخرى لجمع البيانات المطلوبة .

وحتى نؤكد صحة ما انتهينا إليه باعتبار دراسة الحالة طريقة وليست منهجاً سنسوق هنا ما ذكره - ماركيز Marquis - عن دراسة الحالة وهو يحدد الشرط الواجب توافره فى المنهج حتى يعد منهجاً ، عندما ذكرت أن المنهج حتى يكون كاملا لابد أن يحتوى على خطوات المنهج العلمى الست المعروفة وهى (٢٠) :

١ ـ صياغة مشكلة البحث .

٢ ـ مراجعة المعلومات إما عن طريق المكتبة أو الأشخاص .

٣ ـ القيام بالملاحظات الأولية للوقائع محل الدراسة .

٤ ـ وضع الفروض .

٥ ـ إثبات صحة الفروض حتى يمكن عن طريقها صياغة القوانين والنظريات .

٦ ـ تطبيق النظريات التى تم التوصل إليها .

ويرى - ماركيز - أن دراسة الحالة تشبه المنهج الأنثربولوجى فى تأكيده على عدم الانحياز والدقة والوصف الكامل لموضوع الدراسة ، إلا أن دراسة الحالة تركز كل اهتمامها على الخطوتين الثالثة والسادسة فقط من خطوات المنهج العلمى (٢١) ، أى أن دراسة الحالة تنهض على القيام بالملاحظات الأولية أو التمهيدية والإستفادة بالنظريات العلمية من خلال التطبيق ، إلا أنها تهتم بشكل أقل بصياغة القوانين والنظريات العلمية (٢٢) .

ثم ينتهى «ماركيز» إلى أن دراسة الحالة «كمنهج» فى شكلها العام لا تقدم النموذج التام للعلم ، إلا أنه من الممكن أن تكون دراسة الحالة أكثر أهمية للعلم إذا أمكن عن طريقها الحصول على معلومات أو بيانات صالحة للمقارنة لدى حالات أخرى مختلفة (٢٣) .

إذن بخلاصة رأى «ماركيز» أن دراسة الحالة كمنهج تتسم بنفس القصور الذى يتسم به المنهج الأنثربولوجى - فى راى ماركيز - نظراً لأن كلا منهما .. دراسة الحالة والأنثربولوجى لا يتبعان كل خطوات المنهج العلمى الست المتفق عليها .

ومن هنا .. فإن دراسة الحالة فى رأينا ليست منهجاً - كما أنها ليست بالقطع مجرد أداة من أدوات جمع البيانات - وانما هى فى وضعية وسط بين المنهج والأداة ، أى أنها تتبع بعض خطوات المنهج العلمى وتتوافر لها بعض أركانه إلا أنها ليست منهجا ، كما أنها تتسم بنفس خصائص أدوات جمع البيانات لكنها أداة مركبة تعتمد على توليفة تحتوى عدة أدوات فى آن واحد .

فلو أضفنا إلى ذلك ما سبق أن قلناه أن دراسة الحالة قاصرة بذاتها عن تحقيق أهداف البحث العلمى واتباع خطواته ، وأنها لابد لها أن تتكامل مع بعض الطرق الأخرى لاسيما المسح الاجتماعى فى سبيل تحقيق غاياتها (٢٤) .

●

كيف تستخدم دراسة الحالة فى البحوث العلمية ؟ !

حدد عدد من علماء المنهجية مبررات استخدام دراسة الحالة فى البحوث العلمية فى الحالات الأربع التالية :

١ - عندما يراد دراسة مختلف المواقف دراسة تفصيلية تلم بكل الجوانب الاجتماعية والثقافية علاوة على ما تضمه الثقافة من قيم وعادات وتقاليد فضلاً عن الآراء والأفكار وما قد يسود من اتجاهات .

٢ - عند دراسة التاريخ التطورى لشخص أو لمكان أو لموقف ما .

٣ - عندما يراد الغوص فى أعماق شخصية الفرد من خلال دراسة دوافعه واهتماماته وحاجاته علاوة على طبيعة علاقاته وتفاعلاته فى إطار الجماعات التى يحيا فيها .

٤ - عندما يراد الكشف عن حقائق موقف اجتماعى ما ، أو التوصل إلى كنه العمليات الاجتماعية المختلفة فى المجتمع والتى تحدث نتيجة للتفاعل بين الأفراد كعمليات التنافس والتواؤم والصراع ، كل ذلك بهدف وصفها بدقة وتقديم تحليل لها (٢٥) .

أما عن كيفية تحقيق ذلك ، فقد أكد كثير من علماء المنهجية أن ذلك يتم من خلال ارتكاز دراسة الحالة على أسلوبين رئيسيين ، يعرف أولهما « بتاريخ الحالة Case History» ويعرف الأسلوب الثاني « بالتاريخ الشخصي للحياة Life History ».

ولكن ماذا يعني هذان الأسلوبان ؟ !

من رأى - مانديل شرمان M. Sherman - أن تاريخ الحالة Case History عبارة عن سرد تطوري لقصة حياة فرد ما وعلى الأخص ماتعلق بنمو ذلك الفرد في المجالات النفسية والعقلية والجسمية (٢٦) .

كما يرى -شرمان- أن التاريخ الشخصي للحياة «Life History» . هو وجهة نظر خاصة للفرد المبحوث يقوم خلالها بتقديم صورة تاريخية لما مر به من حوادث وخبرات وما يشدّه من اهتمامات أو يعتقده من آراء واتجاهات (٢٧) .

ولما كان تعريف -شرمان- لتاريخ الحالة قاصراً على الأفراد فقد رأت -بولين يونج- P. Yong - أن الـ Case History ليس قاصراً على دراسة حالة الأفراد فقط ، وإنما يهدف تاريخ دراسة الحالة إلى دراسة دورة الحياة ككل لوحدة ما أو ربما استهدفت دراسة جانب أو عملية محددة من تلك الدورة ، وتؤكد -بولين يونج- على أن تلك الوحدة محل الدراسة قد تكون فرداً أو جماعة أو مجتمعاً محليا أو نظاما ... إلخ (٢٨) .

هذا ويبدو الفارق بين أسلوبي دراسة الحالة كما اتفق عليه علماء المنهجية في :

١ - أن تاريخ الحالة Case History يسعى للتحقق من صحة البيانات المجموعة عن الوحدة محل الدراسة ، فإذا ما كانت تلك الوحدة فرداً على سبيل المثال ، فإن الاهتمام ينصب هنا على التأكد من مدى صدق ما قاله هو عن نفسه أو مما جمع حوله وعنه من معلومات ، ووسيلة التأكد أو التثبت هنا .. هي اللجوء إلى مصادر متعددة للحصول على تلك البيانات والعمل على مقارنتها بعضها بالبعض الآخر .

٢ - أن التاريخ الشخصي للحياة Life History يهتم أساسا بالفرد كشخص Person وبالتالي فإن الإهتمام أثناء الدراسة قاصر على عرض حياة الفرد من وجهة النظر الخاصة لذلك الفرد بما في ذلك بطبيعة الحال من تفسيرات أو تحليلات لمراحل نمو ذلك الفرد لاسيما الانفعالية والسلوكية منها (٢٩) .

٣ - بينما يتفق كل من الأسلوبين فى أن إعتماده على الفرد لايكون قاصراً على ما يدلى به المبحوث شفاهة ، بل يمتد ذلك الاعتماد إلى مصادر أخرى لعل من أهمها الوثائق الشخصية Personal documents بأنواعها المتعددة التى منها السير الذاتية واليوميات « مذكرات » ، علاوة على الخطابات من وإلى المبحوث فضلا عن الاعترافات التى قد يسجلها المبحوث بطريقة أو بأخرى .

هذا وتحظى البيانات المجموعة من خلال الوثائق الشخصية باهتمام العديد من علماء المنهجية على اختلاف انتماءاتهم (٣٠) .

ولو أن - بلومر Blumer - قد حدد مجموعة من الشروط أو المواصفات التى يجب أن تتوافر فى تلك الوثائق الشخصية حتى لاتكون البيانات المأخوذة عنها بغير قيمة حقيقية ، كما وضعت -بولين يونج Pouline, - أربعة أسس يمكن أن تعين الباحث أو توجهه أثناء تعامله مع تلك الوثائق الشخصية ، ويمكن إيجاز شروط كل من - بلومر وبولين يونج - فى النقاط الآتية :

١ - الدوافع التى حدت بالمبحوث لأن يكتب تلك الوثيقة .

٢ - ما هى الظروف التى كتب فيها تلك الوثيقة وخاصة المتعلقة بالحقائق المتضمنة فيها.

٣ - احتمالات تحيزه وجوانب تعصبه فيما كتب .

٤ - مدى ما يتمتع به صاحب الوثيقة الشخصية من بصيرة وما هى ثقافته وصولا لتحديد مدى قدرته على الغوص فى أعماق نفسه وحياته فضلا عن قدرته على التعبير عن ذلك كله (٣١) :

●

مدى استخدام دراسة الحالة :

يرى عدد من علماء المنهجية أن استخدام دراسة الحالة فى البحوث العلمية محفوف بالمخاطر التى تجعل الاعتماد عليها محل تشكك الكثيرين ، ويبنى هؤلاء وجهة نظرهم تلك على عدة اعتبارات لعل من أهمها :

١ ـ تحيز البيانات وعدم صدقها أو ثباتها :

لأن المبحوث يحاول باستمرار أن يقول أو يسجل ما يرضيه أو يرضى الباحث ، فضلا عن ميله الدائم إلى ذكر ما يؤيد وجهة نظره أو معتقداته ، علاوة على ما يلعبه الخيال فى اختراع حوادث أو وقائع لم تحدث أو فى تضخيمها بطريقة تبعدها عن الحقيقة ؛ فضلا عن اعتبار الحالات المبحوثة من خلال دراسة الحالة ـ لاسيما فى مجال علم النفس ـ حالات غير سوية أو شاذه الأمر الذى يفقدها الصلاحية لتعميم البيانات المستخلصة عنها بعد ذلك ؛

كان ذلك عن تحيز المبحوث . فماذا عن تحيز الباحث ؟ !

يرى عدد من علماء المنهجية أن تحيز الباحث من خلال دراسة الحالة أمر وارد باستمرار وإن خفت حدة درجاته من باحث إلى آخر ، حيث إنه من طبيعة البحث من خلال دراسة الحالة مساعدة المبحوث للإدلاء بالبيانات بصورة أو بأخرى ، ومن هنا فإن احتمالات تأثيرات الباحث على المبحوثين واردة فيما يستخلص من نتائج .

فلو أضفنا إلى ذلك أن كثيراً من البيانات تسجل بأسلوب المبحوث وبلغته ، ولابد للباحث من أن يعاود كتابة ما يحله المبحوث حتى يضعه فى صورة قابلة للتعامل المنهجى فيما بعد ، وهنا قد تصبح تلك البيانات مجرد وجهة نظر شخصية للباحث نفسه (٣٢) .

٢ ـ عدم صلاحية بيانات دراسة الحالة للتعميم :

يرى عدد غير قليل من علماء المنهجية وعلى رأسهم ـ ريد باين Red Bain ـ ، أن النتائج التى تستخلص استنادا على دراسة الحالة لايمكن أو على الأقل توجد صعوبة فى إمكانية تعميمها على غيرها من الحالات ، ويرجع بعضهم ـ أى بعض علماء المنهجية ـ تلك الصعوبات إلى :

(ا) احتمالات التحيز سواء من المبحوث أو من الباحث التى أشرنا إليها قبلا ؛

(ب) اعتبار الحالات التى ترتكز عليها دراسة الحالات حالات شاذة أو مرضية وبالتالى لايمكن القياس عليها أو تعميم ما يستخلص منها من نتائج ؛

(ج) أن دراسة الحالة يشيع استخدامها فى الدراسات الأنثربولوجية ، ولما كان مجال الدراسات الأنثربولوجية لايزال ـ فى الغالب ـ قاصراً على المجتمعات المتخلفة فإن النتائج التى يمكن الحصول عليها فى هذا المجال لايمكن الاعتماد عليها ، على اعتبار أنها تمثل إجابات يسودها الشك وتنطوى على معلومات تطمسها التقاليد الجامدة (٣٣) * ؛ . ! !

---

* راجع المصادر والشروح ص ٢٠٤ لتتعرف على وجهة نظرنا فى هذه النقطة ؛

٣ - عدم التناسب بين العائد والمجهود المبذول خلال دراسة الحالة :

يرى عدد من علماء المنهجية أن الباحثين من خلال دراسة الحالة يبذلون الكثير من الوقت والمال والجهد بدرجة تجعل العائد من البيانات مكلفا ماديا ومرهقاً بدنيا ومستنزفا للوقت بدرجة تجعل الاعتماد على دراسة الحال محل تردد واحجام من كثير من الباحثين (٣٤).

٤ - اتسام طبيعة دراسة الحالة بالعمق :

يرى عدد من علماء المنهجية أن ما تتسم به طبيعة الدراسة من خلال « دراسة الحالة » من عمق يحد من قدرتها على الانطلاق فى الدراسة من حيث كم الحالات المبحوثة ، الأمر الذى يستلزم مزيدا من الإنفاق سواء فى المال أو الوقت أو الجهد إذا ما أريد التيقن من صحة العلاقات المكتشفة باستخدام دراسة الحالة وذلك من واقع مقارنتها بحالات أخرى (٣٥).

٥ - عدم امكانية التعبير الكمى عن معلومات دراسة الحالة :

يرى عدد من أنصار الاتجاه الإحصائى فى العلوم الاجتماعية أنه لا يمكن الاعتماد على دراسة الحالة فى الحصول على بيانات يمكن التعامل معها إحصائيا وبالتالى يمكن اتخاذها ركيزة للقيام بتنبؤات مباشرة عن سلوكيات الأفراد .

وهذه النقطة بالذات مثار جدل بين أنصار كل من دراسة الحالة والاحصاء ، فالأحصائيون متهمون هم الآخرون بالتهويل فى شأن الإحصاء وأنهم أول ضحايا ذلك التهويل نتيجة زعمهم أن لنتائج دراساتهم الإحصائية قدرة أكيدة على التنبؤ فى ذات الوقت الذى يتعرى فيه ذلك الزعم من كل منطق أو دليل (٣٦) .

ويرى عدد من علماء المنهجية أنه يمكن التوفيق بين وجهتى النظر ، بل وانتهى بعضهم فعلا إلى عدم وجود تعارض أصلا بين وجهتى النظر تلك وأنه يمكن الإستعانة بالإحصاء بحيث يكون مكملا للبحث من خلال دراسة الحالة ، وبالتالى يمكن أن يساعد الإحصاء فى التغلب على مشكلة عدم التعبير الكمى عن البيانات الناشئة عن استخدام دراسة الحالة (٣٧).

●

مجالات استخدام دراسة الحالة :

قلنا قبلا أن مجالات استخدامات دراسة الحالة مجالات متعددة ومتجددة بمعنى أن الحالة هنا كوحدة للدراسة قد تكون فردا وقد تكون جماعة وقد تكون نظاما أو حتى مجتمعاً محليا أو مؤسسة .

وعلى كل نحن سنحاول هنا أن نعطي بعض النماذج لتلك الحالات من خلال :

●

دراسة الحالات الفردية فى مجال علم النفس :

يسود دراسة الحالات الفردية اتجاهان رئيسيان ، أولهما يركز على ماتتميز به الحالة من خصائص وصفات ومميزات فردية ، وثانيهما يركز على الصورة العامة للحالة من خلال وظيفة الفرد ووضعيته باعتباره جزءاً من كل وفى ضوء علاقاته المختلفة وتفاعلاته مع غيره فى المجتمع الذى يحيا فيه .

هذا ويطلق علماء النفس على الاتجاه الأول الاتجاه التحليلى وعلى الاتجاه الثانى الاتجاه التركيبى ، وهذان الاتجاهان لايختلفان كثيراً عن أسلوبى دراسة الحالة اللذين أشرنا إليهما مسبقاً .

ولو أخذنا المثال لدراسة الحالات الفردية من واقع علم النفس وبالذات من التصور الذى قدمه « ريتشاردز Richards» عندما حدد الحالات المستهدفة من خلال دراسة الحالة من طرف الباحث النفسى فى النقاط الآتية :

١ — البيانات الأولية :

كالاسم والسن والجنس والدين والمسكن والحالة الاجتماعية .. الخ .

٢ — التاريخ التطورى لكل من الحالة وأسرتها :

ويضم كافة البيانات المتصلة بالوالدين وغيرهما من أفراد الأسرة وخاصة من أصيب منهم بأمراض نفسية ونوعياتها وما انتهت إليه ، أما البيانات المتصلة بالفرد — كحالة — فتضم كل النواحى الجسمية والنفسية والبيئية والتعليمية والمهنية والجنسية والسلوكية وكذلك الأمراض العضوية التى تعرض لها الفرد ومدى ما خلفته من آثار (٣٨) .

ولو أن كلا من - ويلز Wells ورويش Ruesch - يرى أن تقرير دراسة الحالة يجب أن يتضمن النقاط الآتية :

١ — المعلومات اللازمة عن فترتى الطفولة والمراهقة .

٢ ــ المعلومات الخاصة بفترة البلوغ أو الرشد .
٣ ــ التاريخ الأسرى .

على أن تتضمن الفقرات السابقة كل ما يتعلق بالفرد منذ الولادة وكذلك ما اتصل بالأسرة وعلى نفس النمط الذى أورده ريتشاردز .

٤ ــ الأعراض المرضية وخاصة ما تشكو منه الحالة .

٥ ــ الاختبارات النفسية التى تمت للحالة .

وخاصة ما تعلق منها بمظهر المريض الخارجى واستجاباته وأنفعالاته وسمات شخصيته وطبيعة المرض الذى يشكو منه واحتياجاته النفسية والأساليب الدفاعية التى تغلب عليه وما يعانيه من صراعات ، مع مراعاة أن يتم ذلك كله على ضوء تصنيف تشخيص للحالة المرضية (٣٩) .

كما وضع كل ـ من سندبرج Sundberg وتيلر Tyler ـ تخطيطا لمقابلة الحالات المرضية وخاصة الراشدة منها وتضمن ذلك التخطيط البيانات التالية باختصار (٤٠) :

١ ــ بيانات ذاتية :

٢ ــ سبب المجيء :

إلى المستشفى أو العيادة النفسية باعتبار أن المبحوث حالة مرضية .

٣ ــ الأحوال الراهنة :

من حيث ما يجرى حاليا فى حياة المريض ، مع بيان حالة كل أفراد الأسرة والمخالطين للمريض ، مع بيان التغيرات التى تحدث فى الجو العام المحيط بالمريض « عمل ــ مدرسة ــ أسرة ... إلخ » .

٤ ــ تكوين الأسرة :

من حيث بيانات الأبوين والإخوة لاسيما ما اتصل منها بشخصياتهم وصحتهم النفسية وكذلك علاقاتهم بالمريض ، مع بيان دور المريض فى أسرته ومظاهر التفكك أو التوحد داخل الأسرة .

٥ — الخبرات الأولية :

ويقصد بها وصف الأحداث المباشرة التى يتذكرها المريض والتى أثرت فى حالته .

٦ — الميلاد والنمو :

كل ما يتعلق بظروف ميلاد الحالة وتطوراتها المختلفة بما فى ذلك المشكلات الظاهرة فيها ورأى المريض نفسه فى فترة طفولته .

٧ — الصحة :

كل ما يتعلق بصحة الحالة من الناحية الجسمية .

٨ — سجل العمل :

كل ما يتعلق بعمل المريض من حيث طبيعته ومدى استقراره فيه وأسباب تغييره واتجاهات المريض نحو عمله ومدى الإشباع الذى يحققه ذلك العمل له ومدى كفاية العمل كمورد رزق بالنسبة له .

٩ — الترفيه والاهتمامات :

كل ما يتصل بهوايات المريض واهتماماته وكيفية شغله لأوقات الفراغ والأعمال التطوعية التى يقوم بها ، وكذلك عضويته فى الجماعات وما يقوم به من أنشطة دينية ، مع توضيح الأعمال المبتكرة للمريض وتقييم قدرته فى التعبير عن نفسه .

١٠ — النمو الجنسى :

كل ما يتصل بالثقافة الجنسية لدى المريض واهتماماته فى هذا الشأن وطرق إشباعاته الجنسية وتقييم المريض لمقدرته على التعبير الجنسى .

١١ — البيانات الزواجية والأسرية :

وتضم تاريخ الزواج ومختلف الظروف المتصلة به وما لحق به من أحداث وتغيرات وطبيعة العلاقات الأسرية حاليا ، مع بيان عدد أطفال أسرة المريض وأيهم أحب إليه ، مع توضيح كيفية اتخاذ القرارات فى الأسرة ، مع مقارنة أسرة المريض الحالية بالأسرة التى نشأ فيها « أسرة والديه » ، مع بيان رأى المريض فى أسرته من حيث العلاقات والمشكلات .

١٢ – وصف الذات :

أى وصف المريض لذاته بطريقة قصصية على أن يضم ذلك الوصف ، مميزات المريض وعيوبه والمشكلات التى تقلقه أو التى أقلقته فى الماضى مع بيان طموحاته ، ورأيه فى مشكلته وطرق حلها سواء بطرق مباشرة أو إسقاطية ، مع بيان المريض لمن يراه مثلا أعلى فى الحياة .

١٣ – الإختيارات ونقاط التحول فى الحياة :

بيان أهم نقاط التحول فى حياة المريض وموقفه منها ، وحالات نجاحه وفشله وبيان المصادر التى لجأ إليها المريض فى أوقات الفشل وما اتخذ خلالها من قرارات .

١٤ – أية بيانات أخرى لم تذكر قبلا :

الحالة المرضية – نظراً لظروفها الخاصة – قد يفوتها تسجيل بعض البيانات فى أى بند من البنود السابقة وترى إضافتها إلى ما سبق ، أو قد تكون هناك بيانات لم تدخل أصلا تحت أى من هذه البنود ويلزم تسجيلها مثل العوامل البيئية والفسيولوجية التى يحتمل أن تؤثر فى سلوك المريض ويكون لها دخل أو صلة بحالته الراهنة .

●

كان ذلك عن الاتجاه التحليلى لدراسة الحالة فى مجال علم النفس ، ترى كيف يتم ذلك من خلال الاتجاه التركيبى المشار إليه قبلا ؟ !

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاتجاه الأخير يهتم بعرض صورة متكاملة – تمثل وجهة نظر الأخصائى النفسى – للحالة فى مختلف مجالات تكيفها فى الحياة العامة ، وبحيث تتضمن تلك الصورة أحكام الباحث على شخصية المريض لاسيما ما تعلق بديناميات تلك الشخصية ، علاوة على أسباب المرض وتصوراته – أى الباحث – عن المستقبل المرضى للحالة وكيفية علاجها .

هذا وقد وضع كل من سندبرج Sundberg وتيلر Tyler مجموعة من الأسئلة تحدد الإجابات عليها الصورة الكلية للحالة محل الدراسة ، ولقد أطلق كل من سندبرج وتيلر على مجموعة الأسئلة تلك مصطلح « صياغة دراسة الحالة » .. (٤١) .

هذا ويمكن توضيح تلك الأسئلة الصياغية لدراسة الحالة على النحو الآتى مع مراعاة أنها كلها تنهض على تصورات الأخصائى النفسى أو الباحث :

١ ــ شخصية المريض ، بما فى ذلك تفسيره لديناميكيات شخصية المريض الحالية ومرضه النفسى أو العقلى .

٢ ــ أسباب المرض النفسى أو العقلى ، مع تحديد الظروف والشروط السابقة لحدوثه

٣ ــ توصيات الباحث بشأن العلاج أو التحليل (٤٢) :

هذا ومن الثابت أن تلك الأسئلة الصياغية التى وضعها كل من ـ سندبرج وتيلر ـ انما تنهض على النقاط التالية :

١ ــ الوظائف النفسية العقلية للمريض فى الوقت الحاضر ومدى قيامه بها :

وذلك لمحاولة معرفة :

(ا) مدى قيام المريض بوظائفه فى الجماعات والمجالات التى يعيش فيها من خلال التعرف على : المواقف الهامة فى حياة المريض ، الجماعات الأولية التى ينتمى إليها ، تفاعل المريض خلال تلك الجماعات ، وطبيعة الدور الذى يحدده لنفسه من خلال عمليات التفاعل ، ثم إلى أى مدى يأتى سلوكه خاليا من التناقض أثناء تفاعلاته المختلفة خلال الجماعات التى ينتمى إليها .

(ب) مدى مايتمتع به المريض من قدرات ومهارات ،وخاصة ما تعلق منها بمستوى ذكائه والتغيرات التى تلحق بذلك الذكاء قوة وضعفا ، وآثار ذلك ــ لاسيما فى حالة الضعف ــ ومظاهره خلال ممارسة المريض لحياته اليومية ، ثم مدى توظيف المريض لقدراته ومهاراته فى حل مشكلاته .

(ج) نواحى القصور الجسمى لدى المريض وما نجم عنها من آثار ، وخاصة ما تعلق بأفكار المريض نفسه عن هذه الناحية ومدى واقعية تلك الأفكار .

٢ ــ الدوافع والانفعالات والصراعات لدى المريض :

ــ وذلك بهدف التعرف :

(ا) على العلاقات الاجتماعية للمريض وأهدافها خاصة ما اتصل منها بالأعراض المرضية التى يظهرها المريض أو تظهر عليه .

(ب) الخصائص الانفعالية للمريض وما هو مدى القلق الذى يستشعره ، ثم ما هى التذبذبات الانفعالية التى يتعرض لها المريض وكيف يعبر عنها على ضوء سنه والموقف الذى يكون فيه .

(ج) استجابات المريض التوافقية مع ما يعانيه من صراعات نفسية وما يبديه إزاءها من دفاعات ومدى ما يستشعره بسببها من تهديد ، ثم ما هى الوظيفة التى تؤديها تلك الصراعات بالنسبة للمريض وما يتصل بها من أعراض .

٣ ــ مفهوم الذات لدى العميل والتنظيم الأساسى للمعتقدات والسلطة لديه :
وذلك بهدف تحديد دقيق لكل من :

(ا) مفهوم الهوية أو الذاتية لدى المريض من خلال تحديد الشخصية التى يعتقد المريض بأنها شخصيته « المماثلة » ، وما هى المحددات الأساسية لتلك الشخصية ولا تقبل جدلا من وجهة نظر المريض :

(ب) ما هى صورة المريض عن نفسه هو ومدى ما لحق بتلك الصورة من تشوهات أو خرافات .

(ج) ما هى القيم الأساسية عند المريض وما هى أهدافه المتضمنة من خلال سلوكياته وما هى اختياراته ومدى توافقها مع تلك القيم .

(د) ما هو الشخص الذى يعد رمزاً للسلطة أو مصدرها لدى المريض ، ثم ما هو مدى تجاوب المريض مع أوامر ونواهى ممثل السلطة لديه .

٤ ــ التحولات التى طرأت على الحالة العامة للمريض :

من حيث الكشف عن :

(ا) نقط التحول الهامة فى حياة المريض وكيف كانت اختياراته إزاءها وما هو الأسلوب الذى تمت به تلك الاختيارات ، وما هى البدائل التى يعدها المريض لتلك الاختيارات حاليا ؟

(ب) ما مواقف الإجادة والإساءة فى مسيرة حياة المريض ، ثم ما هى طبيعة التغيرات التى يحياها المريض الآن ، وما هى توقعاته بالنسبة لآثارها عليه ، وما هى مواقف الآخرين حوله تأييداً أو ضغطاً .

(ج) ما هى قدرة المريض على التعلم والتغير وما هى واجباته خلال مرحلة التحولات التى يواجهها ، وما هى الأدوار التى يمكن أن يقوم بها وما هى الأساليب التى يعدها لمواجهة تلك التحولات ــ كضغوط ــ ، ثم ما هى تصوراته عن نفسه على ضوء كل ذلك .

٥ - التصنيفات التشخيصية وانطباع الباحث عن الحالة :

بمعنى الوصول إلى :

(أ) تصنيف المريض وفقاً لأي من التصنيفات النفسية العلمية المتداولة لدى الباحثين النفسيين وفقاً للمدارس النفسية المختلفة ، وما هى البدائل المناسبة لوضعية المريض - كحالة مرضية - تبعاً لتلك التصنيفات .

(ب) ما هى الحالة التشخيصية للمريض وخاصة ما تعلق منها بنواحى العجز أو القصور الجسمية أو النفسية أو العقلية والتى تتصل بحالته المرضية ، ثم مدى استجابة ذلك القصور لمختلف العمليات التأهيلية على حسب الخطة العلاجية المقترحة للمريض :

٦ - توصيات عامة وتنبؤات عن حالته وعلاجه :

وذلك بهدف تحديد :

(أ) التغيرات المحتملة لدى المريض حاليا ومستقبلا طبقاً لتطور حالته المرضية لاسيما ما تعلق منها بالأسرة والعمل والمستشفى ، ومدى مساهمة هذه المجالات الثلاثة « الأسرة والعمل والمستشفى » فى علاج المريض وتقديم مختلف الإرشادات الضرورية فى هذا الشأن .

(ب) برنامج دقيق لعلاج المريض بعد تحديد مختلف الإجراءات العلاجية وكذلك تحديد الأطر التى سوف يتم علاج المريض من خلالها ، كالعلاج من خلال العمل أو العلاج الصناعى أو العلاج من خلال التدريبات التأهيلية .

(ج) خطة مناسبة للعلاج الجسمى النفسى عن طريق العقاقير أو عن طريق الصدمات الكهربائية إلى غير ذلك من طرق العلاج الفيزيقية مع توضيح لما يصاحب ذلك كله من فوائد أو مضار أو أية آثار جانبية محتملة .

(د) خطة للعلاج النفسى ، مع تحديد لنوع العلاج وجرعاته وطبيعته ونوعية القائم به ثم ما هى جدواه النهائية على تقدم الحالة المرضية المدروسة .

●

دراسة الحالة فى مجال علم الاجتماع :

ولو انتقلنا من مجال علم النفس إلى مجال علم الاجتماع لنرى كيف تطبق « دراسة الحالات » ، لاتضح لنا أن ذلك يمر بعدة خطوات فضلا عن الاستعانه بعدد من أدوات جمع البيانات ، وذلك كله على ضوء عدة ضمانات ، وذلك على النحو الآتى :

١ – لابد أن تنبع دراسة المجتمعات المحلية – كحالة – من خطة بحثية واضحة فى إطار الدراسة السوسيولوجية التى يدور البحث فى فلكها وبحيث تستهدف هذه الخطة تحديد وحدة الدراسة « المجتمع المحلى » بشكل دقيق ، مع إبراز للجوانب التى يلزم دراستها والبيانات المطلوب جمعها وذلك على ضوء المفاهيم والفروض المتضمنة فى الدراسة التى تتم دراسة الحالة فى إطارها .

٢ – قد تتم دراسة المجتمع المحلى كله أو تتم دراسة قطاع منه ، وقد يكون القطاع المستهدف للدراسة هنا قطاعا جغرافياً أو وظيفياً .. والقطاع الجغرافى .. هو شريحة جغرافية أو مؤسسة ما داخل ذلك المجتمع المحلى ، أما القطاع الوظيفى .. فنعنى به أن وحدة الدراسة هنا قد تكون العمال أو الفلاحين أو الطلبه أو قطاع المرأة .. الخ .

٣ – تحديد الطرق والأدوات الأخرى التى سوف تتكامل مع دراسة الحالة كطريقة فى تشكيل الصورة المطلوبة من خلال البيانات المجموعة عن وحدة الدراسة ، وذلك على ضوء التصميم الكلى للبحث .

٤ – اتخاذ الإجراءات التى تضمن كفاية البيانات المجموعة وصدقها من خلال الرجوع إلى مصادر أخرى للمعلومات تتحدد على حسب نوعية المعلومة من جهة وطبيعة الوحدة المدروسة من جهة أخرى .

٥ – تحديد كيفية تسجيل البيانات أثناء القيام بالدراسة مع وضع الضمانات حتى لايؤثر ذلك على انحراف البيانات وعجزها عن التعبير الصحيح عن الظاهرة محل البحث .

٦ – ضرورة مراعاة قواعد المنهجية لضمان أن يسفر استخدام « دراسة الحالة » عن نتائج وبيانات تسهم فى خدمة أغراض وأهداف كل من العلم والمجتمع (٤٣) .

❊❊❊

المصادر والشروح

(١) حول لوبلاى انظر :

دكتور صلاح الفوال – معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٨٢ ص ص ٣٧ – ٤٤ ، وانظر ص ص ٣٩ – ٤١ المتن والهامش لتتعرف على كيفية استخدام لوبلاى لدراسة الحالة.

(٢) للاستزادة حول نظرية سبنسر التطورية التى اعتمد خلالها على دراسة الحالة انظر :

المصدر السابق ص ص ٦٣ – ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ص ص ١٦٧ – ١٦٩ .

(٤) Tomas and Zananick, The Polish Peasent in Europe and America, New York, 1920.

(٥) Paulin, J., Op. Cit., PP. 265 — 266

وانظر أيضاً :

دكتور جمال زكى والسيد يس – مصدر سابق ص ص ٢٦١ – ٢٦٣ .

(٦) من الكتب العربية التى اعتبرت دراسة الحالة منهجا ، انظر على سبيل المثال :

ا – دكتور عبدالباسط محمد حسن – أصول البحث الاجتماعى – مصدر سابق ص ص ٣٢٨ – ٣٣٠ .

ب – دكتور لويس كامل مليكه وابراهيم أبو لغد – البحث الاجتماعى – مركز التربية الأساسية – سرس الليان – منوفيه – ج.م.ع – ١٩٥٩ .

(٧) دكتور عبدالباسط محمد حسن – أصول البحث الاجتماعى – مصدر سابق ص ص ٣٣٩ – ٣٤١ .

(٨) Goode W., and Hatte P., Methods in Social Research, New York, 1952, PP. 330 — 332.

(٩) Ibid., PP. 329 — 330

(١٠) أنظر :

دكتور عبدالباسط محمد حسن — مصدر سابق ص ٣٤٠ ، وانظر أيضاً :

Good Hatt., Op. Cit., P. 331

(١١) انظر فى ذلك .

دكتور جمال زكى والسيد يس — أسس البحث الاجتماعى — مرجع سابق ص ص ٢٦٥ — ٢٦٧ .

(١٢) Whitney, F.L., The Elements of Research, New York, 1946, PP. 170 — 172.

(١٣) للاستزادة حول مناهج البحث انظر :

دكتور صلاح مصطفى الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — عالم الكتب — القاهرة ١٩٨٢ ص ص ١٨٧ — ٢١٣ .

(١٤) انظر فى ذلك :

دكتور لويس كامل مليكه وابراهيم أبو لغد — البحث الاجتماعى — مصدر سابق ص ص ٣٨ — ٣٩ .

(١٥) للاستزادة حول استخدامات دراسة الحالة فى علم النفس الاكلينيكى انظر :

الدكتورة عطية محمود هنا والدكتور محمد سامى هنا — علم النفس الإكلينيكى — مصدر سابق — ص ص ٩٤ — ١٠٧ .

(١٦) انظر فى ذلك :

منهجية العلوم الاجتماعية — مصدر سابق .

(١٧) إذا ما اعتبرنا المجتمع المحلى هو وحدة الدراسة فإن الأسرة تعتبر جزءاً أو جانباً منه ، وإذا ما اعتبرنا المدرسة أو المصنع وحدة الدراسة فإن الطالب أو العامل يعدان جزءاً منها .. الخ .

(١٨) انظر نماذج للدراسات التى إعتمدت فيها دراسة الحالة على مزيج مركب من الأدوات البحثية الأخرى فى :

(أ) Anderson, N., The Hobo. Cited, in : Pouline, Y., Op. Cit., PP. 268 — 270.

حيث اعتمدت دراسة أندرسون للهوبو على دراسة الحالة مع الاستعانه بكل من المقابلة والملاحظة علاوة على مسح التراث .

(ب) Warner, W.L., et al., The Social Life of Modern Community, cited in: Pouline Y., Ibid., PP. 269 — 270.

حيث اعتمدت دراسة وارنر على المقابلة والملاحظة والأستبيان والتحليل الإحصائى والمسح إلى جانب دراسة الحالة :

(١٩) يعتمد أصحاب الرأى الخاص باعتبار دراسة الحالة منهجا على هذه النقطة — إلى جوار عدة نقاط أخرى — للتدليل على صحة رأيهم فى أن دراسة الحالة منهج وليست أداة انظر :

دكتور عبدالباسط محمد حسن — أصول البحث الاجتماعى — مرجع سابق ص ص ٣٣٨ — ٣٤١ .

(٢٠) Marquis, D., Scintific Methodology in Human Relation, in Experiments in Social Process, James Miller, 1950.

(٢١) المصدر السابق .

(٢٢) انظر :

دكتور عبدالباسط محمد حسن — مصدر سابق ص ١٩٢ .

(٢٣) ماركيز — مصدر سابق ، وانظر أيضاً :

دكتور عبدالباسط محمد حسن — مصدر سابق ص ١٩٣ .

(٢٤) بعض الكتابات فى مناهج البحث اعتبرت دراسة الحالة منهجاً يتبع نفس خطوات البحث العلمى الست المشار إليها ، اعتمادا على ماكتبه الدكتور عبد الباسط محمد حسن فى مؤلفه « أصول البحث الاجتماعى » المشار إليه ،انظر على سبيل المثال :

دكتور أحمد بدر — أصول البحث العلمى ومناهجه — وكالة المطبوعات — الكويت — ١٩٧٩ ص ٢٧٩ .

(٢٥) للاستزادة انظر :

P. Young, Op. Cit., PP. 233 — 234

وانظر أيضاً — دكتور عبدالباسط محمد حسن — مصدر سابق — ص ٣٣١ .

(٢٦) Sherman, M., Basic Problems of Behavior, New York, 1941, PP. 259 — 260.

(٢٧) شرمان — المرجع السابق — ص ٢١٠ .

(٢٨) بولين يونج — مرجع سابق ص ٢٦٦ .

(٢٩) للاستزادة انظر رأى كل من بوجاردس Bougardus وكتبه Cited فى :

Cited in : Gee, W., Social Science Research Methods, PP. 239 — 240.

(٣٠) انظر آراء بعض علماء النفس والاجتماع والأنثربولوجيا فى هذه النقطة ضمن أى من المصادر الآتية :

(أ) Cited in : Gee, W., Op. Cit., P. 239.

(ب) Cited in : Pouline Young., Op. Cit., PP. 266 — 267.

(ج) دكتور جمال زكي والسيد يس — مصدر سابق ص ص ٢٧٠ — ٢٧٢ .

(٣١) انظر بولين يونج — مصدر سابق ص ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

(٣٢) انظر :

Bain, R., «The Validity of Life Histories and Diareis» The Joure, of Ed., Res., III, 1929,Cited in P. Young, Op. Cit., PP 249 — 251.

(٣٣) الاعتراض الثالث مأخوذ بالنص تقريباً عن المصدر الآتى :

دكتور زيدان عبدالباقى — قواعد البحث الاجتماعى — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٧٤ — ص ٢٦٠ ، وهى مكتوبة تحت عنوان جانبى هو « التخلف الثقافى » أثناء حديث المرحوم الدكتور زيدان عبدالباقى عن معوقات تطبيق منهاج دراسة الحالة ، وهذه المعلومات منسوبة إلى « برادلى » ولكننا على كل حال نختلف مع كل ما ورد فى هذه الفقرة جملة وتفصيلا وذلك للأسباب الآتية :

١ — أن مجال الدراسات الأنثربولوجية ليس هو دراسة المجتمعات المتخلفة ولم يزعم ذلك أحد من علماء الأنثربولوجيا وإنما كان المجال السائد حتى وقت غير قصير هو دراسة المجتمعات البدائية وشبه البدائية ، ثم اتسعت نطاقات تلك الدراسة فشملت فيما شملت المجتمعات الحديثة والمعاصرة وخاصة الحضرية والصناعية والبدوية منها ، ويمكن الرجوع إلى أى مؤلف حديث فى الأنثربولوجيا للتأكد من ذلك ، مع التأكيد على أن المجتمعات البدائية أو شبه البدائية ليست حالات شاذة تفرز نتائج يسودها الشك ولايمكن الثقة فيها أو تعميمها ، لأن تلك المجتمعات ظاهرة عالمية وتدخل ضمن نطاق دراسة علم الاجتماع البدوى وعلى النحو الذى أوضحناه ، ضمن كتابنا « دراسة علم الاجتماع البدوى — مكتبة غريب — القاهرة — ١٩٨٣ » فى مواضع كثيرة منه .

٢ — أن الدراسات الأنثربولوجية بصفة عامة والنتائج المستخلصة عنها بصفة خاصة لم تدخل يوما ولايمكن أن تدخل فى نطاق « التخلف الثقافى » الذى زعمه الكاتب ، وانما للتخلف الثقافى أسبابه ونظرياته المفسرة والتى تشارك الأنثربولوجيا الثقافية بجهد كبير سواء فى كشف معالم ذلك التخلف الثقافى أو فى تقديم حلول علمية له .

٣ — ثم مع التسليم الجدلى بأن المجتمعات المتخلفة هى المجال الغالب للدراسات الأنثربولوجية كما يزعم الكاتب ، فهل هذه المجتمعات نمط متفرد أو يفرز إجابات هى محل شك بحيث لايمكن الاعتماد عليها ؟ ! .. ثم ما هو معنى :. أن الإجابات يطمسها الشك وتنطوى على معلومات تطمسها التقاليد الجامدة ؟ ! !

(٣٤) رد الأستاذ الدكتور عبدالباسط محمد حسن خلال مؤلفه عن «أصول البحث الاجتماعى » المشار إليه ص ٣٦٣ ، على كثير من تلك الاعتراضات التى أثيرت حول جدوى استخدام دراسة الحالة فى البحوث العلمية ، حيث أورد فى رده على تلك الاعتراضات باختصار ه :

١ — أن الاعتراض الخاص بعدم صدق البيانات إنما ينصب على الأدوات التى يستخدمها الباحث ويمكن تفادى ذلك بالرجوع إلى مصادر أخرى لجمع البيانات :

٢ — أما فيما يتعلق بإمكانية التعميم فقد طالب بعدم اعتبار كل حالة كظاهرة مفردة فى خصائصها وإنما باعتبارها تشترك مع غيرها فى كثير من الخصائص .

٣ — أما فيما يتصل بما تتطلبه دراسة الحالة من جهد ومال ووقت ، فقد قال أنه لا بأس من تحمل كل ذلك فى سبيل الوصول إلى الحقائق العلمية :

(٣٥) انبرى جى Gee للدفاع عن هذه النقطة ، فمن رأيه أن ما يبرر عملية الانفاق تلك على حالة واحدة ما يأتى :

١ - أنه لايمكن اكتشاف العلاقات والارتباطات الجديدة أو وصفها الا من خلال الدراسات المتعمقة .

٢ - أن أى حالة مفردة قد تحمل من السمات ما يجعلها ممثلة لعدد كبير من الحالات .

ومن هذا المنطلق فإن Gee يرى أن دراسة الحالة ممكنة الاستخدام بل والافادة فى كل من الدراسات الاستطلاعية والتى تختبر فروضا سببية على حد سواء ، للاستزادة انظر :

(أ) Gee, W., Social Science Research, Methods, New York, 1950, PP. 230 — 232.

(ب) دكتور جمال زكى والسيد يس - مصدر سابق ص ٢٩٠ .

(٣٦) للاستزادة حول استخدامات الاحصاء فى العلوم الاجتماعية انظر أيا من مؤلفينا :

أ - منهجية العلوم الاجتماعية - ص ص ١٣٩ - ١٤٣ .

ب - علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج - ص ص ١٧٧ - ٢٠١ .

(٣٧) انظر فى ذلك :

(أ) Stouffer, S.A., Social Research, to test Ideas, The Free Press of Glencoe, 1962, PP. 252 — 261.

(ب) دكتور عبدالباسط محمد حسن - مصدر سابق - ص ص ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(ج) دكتور جمال زكى السيد يس - مصدر سابق - ص ص ٢٩٥ - ٢٩٨ .

(٣٨) للاستزادة انظر :

Richards, T.W.; Modern Clinical Psychology, McGraw-Hill New York, 1946.

(٣٩) Wells, F.L. and Ruesch, J. : Mental Examiners, Handbook, Psychol, Corp, New York, 1945.

(٤٠) للاستزادة انظر :

Sundberg N.D. and Tyler, L.E. ; Clinical Psychology. Appleton, Century, Crofts, New York, 1962.

(٤١) المرجع السابق .

(٤٢) للاستزادة انظر – الدكتور عطيه محمود هنا والدكتور محمد سامى هنا – مصدر سابق – ص ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٤٣) للاستزادة انظر :

منهجية العلوم الاجتماعية – مصدر سابق .



الباب الرابع

منهج البحث التجريبى وطرقه
فى العلوم الاجتماعية

- منهج البحث التجريبى ·
- القياسات الاجتماعية ·
- الملاحظة العلمية ·
- الحاسبات الالكترونية والسيبرنتيك ·

الفصل الثانى عشر

منهج البحث التجريبى

- مقـدمة ·
- طبيعة منهج البحث التجريبى ·
- الخطوات المتضـمنة فى منهـج البحث التجريبى ·
- كيفية تصـميم التجارب فى البحـوث التجريبية ؟!
- بعض النماذج التصميمية فى البحوث التجريبية ·
- كيفـية ضـبط التجارب فى البحـوث التجريبية ؟!
- لمـاذا ضـبط المتغيرات فى البحـوث التجريبية ؟!
- صـور ضـبط المتغيرات فى البحـوث التجريبية ·
- الضرورات المنهجـية لاسـتخدام منهج البحث التجريبى ·

منهج البحث التجريبى

مقـــدمة :

يعد التجريب اليوم مطلبا ملحا وهاما فى مجال العلوم الاجتماعية ، وهناك أصوات كثيرة ترى — وهى على حق — أن منهجية العلوم الاجتماعية ترتبط إلى حد كبير باصطناعها للمنهج التجريبى ، صحيح أن ظروف التجريب فى مجال العلوم الاجتماعية لها سمات وخصائص خاصة تكاد تختلف تماما مع نظيرها فى العلوم الطبيعية والحيوية إلا أن التجريب يبقى دوما مرتكزاً على نفس الأسس ومتبعا لنفس القواعد وملتزما بنفس خطوات البحث العلمى المتعارف عليها بدءاً من اختيار موضوع البحث حتى ينتهى البحث إلى تعميمات ومن ثم إلى تنبؤات .

●

طبيعة منهج البحث التجريبى :

من أهم خصائص منهج البحث التجريبى أن الباحث خلاله لايكتفى بمجرد وصف موقف أو تحديد معالمه سواء فى الحاضر أو الماضى ، وإنما يعمد إلى معالجة عدة عوامل معينة تحت شروط خاصة ومضبوطة بشكل دقيق ، وذلك من أجل التحقق من كيفية حدوث واقعة أو حادثة معينة من خلال تحديده للأسباب التى أدت إلى حدوثها بالشكل الذى حدثت عليه .

ومن الطبيعى ألا يتيسر ذلك للباحث التجريبى إلا من خلال التحكم فى جميع المتغيرات المتضمنة فى التجربة باستثناء واحد من تلك المتغيرات أو العوامل ، لأن التجريب فى جوهره هو تغيير عمدى ومضبوط للشروط المحددة لحدث ما مع ملاحظة التغيرات الواقعة فى ذات الحدث وتفسيرها .

●

الخطوات المتضمنة فى منهج البحث التجريبى :

البحث التجريبى ليس قاصراً على مجرد إجراء تجربة للتعرف على الأسباب التى أدت إلى حدوث الظاهرة بالشكل الذى حدثت عليه ، وإنما توجد إلى جوار التجربة عدة خطوات أخرى ، ولو أن تلك الخطوات ليست سمة متميزة يتمتع بها البحث التجريبى ، ولكنها سمة منهجية عامة لكل البحوث العلمية ، ولو أن الأمر لا يمنع من أن تتواءم تلك الخطوات لتتفق مع طبيعة التجريب وذلك على النحو الآتى :

١ — التعرف على مشكلة البحث وتحديدها بدقة :

٢ — صياغة الفروض واستنباط ما يترتب عليها ؟

٣ — وضع تصميم تجريبى يتضمن جميع النتائج وعلاقاتها والشروط الخاصة بها ٠

هذا وقد حدد « فان دالين » مواصفات ذلك التصميم التجريبى على النحو الآتى :

(ا) اختيار عينة من المفحوصين لتمثل مجتمعاً معيناً ٥

(ب) تصنيف المفحوصين إلى مجموعات أو المزاوجة بينهم ضمانا للتجانس بينهم ٠

(ج) التعرف على العوامل غير التجريبية وضبطها ؟

(د) اختيار أو تصميم الوسائل اللازمة لقياس نتائج التجربة والتأكد من صدقها ؛

(ه) إجراء اختبارات استطلاعية لاستكمال نواحى القصور فى الوسائل أو التصميم التجريبى ؟

(و) تحديد مكان إجراء التجربة ووقت إجرائها والمدة التى تستغرقها (١) :

٤ — إجراء التجربة ؟

٥ — تنظيم البيانات المتوافرة واختصارها بطريقة تؤدى إلى أقصى تقدير غير متحيز للأثر الذى يفترض وجوده ؟

٦ — تطبيق اختبار مناسب للدلالة حتى يمكن على أساسه تحديد مدى الثقة فى نتائج الدراسة ٥

إذن البحث التجريبى يبدأ من حيث يبدأ كل بحث علمى ، أى من التعرف على المشكلة والتحليل الدقيق لها ، وإبراز القضايا المتضمنة فى المشكلة عن طريق صياغة

الفروض ، وإثبات النتائج المترتبة عليها منطقيا ، ثم بعد ذلك يجرى اختبار للتحقق مما إذا كانت النتائج المتوقعة – فى حالة صدق الفروض – من الممكن ملاحظتها فعلا .

هذا ويوجد نمط شائع يوضح طريقة تصور الفرض وما يستنبط منه من نتائج ، حيث يتم تحديد عاملان على الوجه الآتى :

متغير مستقل و متغير تابع
حالة ا تسبب حالة ب

والفرض يتصور أن حالة أو حدثا ما « متغيرا مستقلا » يؤدى إلى حدوث حالة أخرى أو حدث آخر « متغير تابع » ، وحتى يختبر الباحث صدق النتيجة المستنبطة من فرض من الفروض ، فلابد له أن يصمم تجربة يحاول من خلالها ضبط جميع الشروط فيما عدا المتغير المستقل الذى يتناوله بالتغيير ، ثم يلاحظ ما يحدث للمتغير التابع نتيجة للتعرض للمتغير المستقل .

ويوضح « فان دالين » المتغير التابع بأنه الظاهرة التى توجد أو تختفى أو تتغير نتيجة لوجود أو اختفاء أو إحداث تعديل فى المتغير المستقل » . أما عن المتغير المستقل نفسه فهو العامل الذى يتناوله الباحث بالتغيير للتحقق من علاقته بالمتغير التابع موضوع الدراسة (٢) :

●

كيفية تصميم التجارب فى البحوث التجريبية ؟

مازالت القواعد الخمس التى وضعها « ستيوارت ميل J.S. Mill » للدراسة المشكلات المتضمنة فى البحوث التجريبية ، مازالت تلك القواعد الخمس تشكل ركيزة لتصميم التجارب البحثية وبحيث لم يطرأ عليها تحول كبير إلا فى اكتشاف بعض القواعد المكملة لها ، وعلى كل نحن سنورد هنا هذه القواعد معتمدين على ما كتبه « ميل » نفسه وذلك على النحو الآتى (٣) :

١ – طريقة الاتفاق :

وتشير طريقة الاتفاق Method of Agreement إلى أنه إذا ما اتحدت جميع الظروف المؤدية إلى حدث ما فى عامل واحد مشترك ، فإن هناك احتمال أن يكون ذلك العامل المشترك هو السبب فى حدوث الظاهرة المدروسة ؟

وهناك تعبير آخر عن نفس الفكرة لكنه بطريقة سلبية ، بمعنى أنه لا يمكن أن يكون هنالك سبب معين لظاهرة معينة، إذا ما كانت تلك الظاهرة تحدث لأسباب أخرى غيره .

٢ ــ طريقة الاختلاف :

وطريقة الاختلاف Method of Difference تتضح من خلال وجود تشابه بين مجموعتين أو أكثر فى كل العوامل أو الظروف فيما عدا عامل واحد وإذا ما حدثت نتيجة ما أثناء وجود هذا العامل فقط ، فإن من المحتمل أن يكون ذلك العامل هو سبب تلك النتيجة ، ومن خلال التعبير عن ذلك بالطريقة السلبية يقال أن شيئاً معينا لا يمكن أن يكون سببا لظاهرة معينة إذا ما كانت تلك الظاهرة لا تحدث فى وجوده .

٣ ــ الطريقة المشتركة :

وهذه الطريقة المشتركة Joint Method تنهض على أساس المزج بين طريقتى الاتفاق والاختلاف ، وتستهدف هذه الطريقة تحديد السبب القاطع فى حدوث الظاهرة وبشكل يقينى ، وحتى تكون هذه الطريقة محققة لأهدافها لابد أن تكون حازية للشروط كل من طريقتى الاتفاق والاختلاف معا وذلك من خلال التطبيق المرحلى لكل من طريقتى الاتفاق والاختلاف كل على حدة .

ولمزيد من الشرح نقول أن الباحث يطبق أولا طريقة الاتفاق لمحاولة العثور على العامل المشترك فى جميع الحالات التى تحدث فيها الظاهرة ، ثم يطبق طريقة الاختلاف لتقرير أن الظاهرة لا تحدث مطلقاً عند عدم وجود ذلك العامل .

وإذا ما أدت الطريقتان ــ طريقة الاتفاق وطريقة الاختلاف ــ إلى نفس النتيجة فإن ذلك يشير إلى السبب المحدث للظاهرة بشكل يقينى .

٤ ــ طريقة البواقى :

طريقة البواقى أو طريقة العوامل المتبقية Method of Residues تستهدف أساساً حل بعض المشكلات التى لم يمكن حلها باستخدام الطرق الثلاث السابقة، وهذه الطريقة تبحث عن العامل الأخير الذى يمكن أن يعزى إليه حدوث الأجزاء المتبقية من الظاهرة وذلك بعد التعرف على العوامل التى تتسبب فى حدوث الجانب الأكبر من أجزاء الظاهرة المبحوثة .

٥ ـ طريقة التلازم :

وتسمى هذه الطريقة بطريقة التلازم فى التغيرات Method of Concomitant Variatious ولقد صممها ميل كبديل إذا ما تعذر استخدام أى من الطرق الأربع السابقة ، وفكرتها الأساسية تنهض من منطلق أنه إذا كان هناك شيئان يتغيران معاً أو يتبدلان فى آن واحد وبطريقة منتظمة ، فإن التغيرات التى تحدث فى أيهما ناتجة بالضرورة عن تلك التى تحدث فى الآخر ، كما أن هناك سببا واحدا مشتركا هو الذى يؤثر بالضرورة أيضاً فى كلا الشيئين معا .

●

بعض النماذج التصميمية فى البحوث التجريبية :

من الأمور الهامة أن يقوم الباحث خلال البحوث التجريبية باختيار تصميم تجريبى يرتكز عليه عند اختبار صحة النتائج المستنبطة من الفروض التى طرحها خلال البحث ، وتوجد فى الواقع عدة نماذج تصميمية كلها صالحة للاستخدام منها - على سبيل المثال لا الحصر التصميم المسمى بطريقة الجماعة أو المجموعة الواحدة ، ومنها التصميم المسمى بطريقة الجماعة الموازية أو الجماعات المتكافئة ، ومنها طريقة الجماعة المناوبة ، وطريقة التوائم ، وطريقة الأزواج المتناظرة ، وطريقة المجموعات المتناظرة ، وطريقة المجموعات العشوائية ، وهناك أخيراً طريقة تدوير المجموعات .

وعلى كل نحن سنحاول هنا أن نلقى بعض الضوء على كل منها من خلال مايأتى :

١ ـ طريقة الجماعة الواحدة :

وتحتوى هذه الطريقة على أقل التصميمات التجريبية تعقيداً ، حيث لا تستلزم سوى مجموعة واحدة ـ وربما فردا واحدا ـ من المبحوثين .. وتتم خلال هذه الطريقة ملاحظة سلوك المبحوثين قبل وبعد تطبيق متغير ما ، ويقوم الباحث بقياس مقدار التغير الحادث نتيجة لاستخدام ذلك المتغير التجريبى .

ولابد خلال هذه الطريقة من الحصول على مقياس مناسب لقياس معدل أو متوسط التغيير الذى حدث نتيجة لتأثر المجموعة بالمتغير التجريبى ، وطبعاً لن يتم قياس معدل التغيير الذى تم إلا بعد قياس الوضع الراهن للمجموعة قبل تعرضها للمتغير التجريبى .

ولهذه الطريقة مميزات وعيوب ، وأهم ما يميزها إلى جوانب البساطة أنها تتضمن فقط مجموعة واحدة وليست عدة مجموعات وبحيث لا يمكن رد الفرق فى النتائج إلى تباين المبحوثين أو اختلافهم ، هذا عن المميزات أما عن العيوب فتكمن فى أن طاقة هذه الطريقة محدودة على ضبط عدد أكبر من المتغيرات فى آن واحد ، علاوة على عدم قدرة هذه الطريقة على البت بشكل يقينى فيما إذا كانت الفروق الناتجة عن الاختبار القبلى والبعدى تعود بالضرورة إلى المتغير المستقل أو إلى متغيرات أخرى ..! :

٢ ـ طريقة المجموعات المتوازية :

لعلاج بعض الأخطاء الناتجة عن تطبيق طريقة المجموعة الواحدة ـ لا سيما ما تعلق منها بتجاهل ضبط بعض المؤثرات غير التجريبية على المتغير التابع ـ صممت هذه الطريقة لاختبار مجموعتين متكافئتين من المبحوثين فى آن واحد بحيث تكون إحدى المجموعتين اختبارية والثانية ضابطة وبحيث يمكن الرجوع إليها عند المقارنة .

وأهم ما يجب توافره من خلال هذه الطريقة هو التكافؤ التام فى جميع خصائص وسمات مجموعتى الاختبار ، لأن التماثل بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة هو المحك الأساسى عند المقارنة للتأكد من أن أى انحراف عن ذلك التماثل هو بالضرورة نتاج للمعاملة التجريبية ، وبحيث يتخذ ذلك الانحراف أو الفرق كمعيار لأثر المتغير المستقل الذى تعرضت له الجماعة التجريبية ولم تتعرض له الجماعة الضابطة .

مرة أخرى :. تنهض طريقة المجموعات المتكافئة على جماعتين متماثلتين تماما » الأولى منهما تسمى الجماعة التجريبية أو الاختبارية Experimental Groop وهى التى تتعرض للمتغير التجريبى ، والثانية منهما تعرف بالجماعة الضابطة Controld Groop ، وسميت كذلك لأنها هى المرجع عند عملية المقارنة وحتى يمكن تدعيم الاعتقاد المسبق لدى الباحث بأن المتغير المستقل هو المسئول فعلا عن كل تغير يحدث للمتغير التابع :

ولكن المشكلة الأساسية لهذه الطريقة تكمن فى أنه لا يمكن أن توجد جماعتان بشريتان ليس فقط لها نفس السمات والخصائص بل والمفروض أن تتماثلا تماما فى جميع الخصائص التى يمكن أن تؤثر فى المتغير التابع :

والبديل أن يكون ذلك التماثل بين المجموعتين قدر الإمكان لأن غياب ذلك التماثل الممكن معناه عدم التأكد من أن الفرق فى النتائج بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجزيبية

هو بالضرورة راجع للمتغير المستقل مع بروز احتمال كبير لأن يعزى ذلك الفرق للاختلافات الأصلية القائمة بين المجموعتين قبل إدخال المتغير التجريبي .

هذا وتنبع عن هذه الطريقة عدة طرق فرعية أخرى نوجزها على النحو الآتي :

(أ) طريقة التوائم :

ومن الطبيعي أن يكون الشرط الوحيد للمجموعتين الاختبارية والضابطة أن يكون المفحوصون ليسوا فقط إخوة أشقاء ، بل يجب أن يكونوا بالضرورة توائم ، وذلك ضمانا لأكبر قدر ممكن من التماثل المنشود ، لذلك فطريقة التوائم التي تتم خلالها عملية المزاوجة بين التوائم المتطابقة تعتبر من أدق طرق المزاوجة المعروفة حيث تطبق خلالها نفس القواعد السابقة .

لكن يبقى دوما قصور طريقة التوائم لمواجهة كافة المشكلات المطروحة أو التي تبحث عن حل نظرا لعدم توافر الكم المناسب من تلك الأزواج المتكافئة ، ومن هنا كانت قناعة الكثيرين بالفرص المحدودة التي تقدمها تلك الطريقة لدراسة بعض المشكلات الخاصة .

(ب) طريقة الأزواج المتناظرة :

ولقد صممت هذه الطريقة لمواجهة القصور الناتج عن عدم توافر العدد الكافي من التوائم الذي في مقدوره تغطية جميع الدراسات التجريبية ، وتنهض هذه الطريقة على اختيار زوجين من المبحوثين تتوافر لهما سمات وخصائص متماثلة قدر الإمكان ، ثم يجرى الباحث عملية تحليل لتحديد مختلف العوامل التي تؤثر في المتغير التابع وبناء على ذلك يتم اختيار الأزواج المتناظرة بالأعداد الكافية ، ثم يقوم الباحث بتوزيع فرد من كل زوج بطريقة عشوائية على أي من المجموعتين التجريبية أو الضابطة حتى تكون لديه في النهاية مجموعتان متماثلتان في كل الخصائص والسمات قدر الإمكان ، ثم يجرى عليهما الاختبار لمعرفة أثر المتغير التجريبي بنفس الكيفية السابقة .

(ج) طريقة المجموعات المتناظرة :

ولا تختلف هذه الطريقة كثيراً عن سابقتها إلا في أنها تعتمد على المجموعات بدل الأزواج ، وبحيث يتم التناظر بين المجموعات بتقسيم المفحوصين إلى مجموعتين تجريبية وضابطة وإجراء اختبارات أولية على كل مجموعة على حدة لضمان توافر التماثل بينهما .

وليكن محك الاختبار مثلا متوسط نسب الذكاء التى يجب أن تكون متطابقة بين المجموعتين قبل إدخال المتغير التجريبى ، وبعد ذلك يتم تحديد التغيرات وقياسها بالطرق المعروفة :

(د) طريقة المجموعات العشوائية :

عندما يتعذر تكوين المجموعات عن طريق التوائم أو الأزواج أو المجموعات المتناظرة ، فلا بديل سوى تكوين المجموعات كيفما اتفق دون سعى لأى تساو أو تماثل بين المجموعات بشكل عمدى ، وعلى الباحث بعد ذلك أن يقيس بدقة مختلف عوامل التماثل الموجودة لدى أفراد كل مجموعة من المجموعتين العشوائيتين وذلك بهدف اختيار الأفراد الذين تتوافر لهم مقومات التناظر ثم يوزع هؤلاء الأفراد المتماثلون على مجموعتى التجريب والضبط بطريقة عشوائية كذلك حتى تتاح الفرصة لكل مفردة من مفردات البحث للدخول فى أى من المجموعتين ، ثم بعد ذلك تستعمل التجربة بالطريقة المألوفة .

٣ ــ طريقة المجموعات المتناوبة :

وتنهض هذه الطريقة على نفس أسس الاختيار المستخدمة فى طريقة المجموعات المتكافئة ، ويستخدم معها نفس التكتيك لكن مع تغيير جوهرى : هو تبادل الأدوار بين المجموعتين التجريبية والضابطة ، وبحيث تتناوب كل واحدة منهما القيام بدور الأخرى أثناء المراحل المختلفة للدراسة :

ومن مميزات هذه الطريقة أنها تتجنب إلى حد ما المخاطر التى تنتج عن استخدام الطريقتين السابقتين ، مع إتاحتها لإمكانية اختبار جماعتين أو أكثر وربما عدة مجموعات كما يمكن استخدامها مع مجموعة من الأفراد داخل جماعة واحدة (٤) :

●

كيفية ضبط التجارب فى البحوث التجريبية ؟ !

لا شك أن هدف الباحث خلال البحوث التجريبية ليس هو فقط مجرد توضيح المتغير المستقل وضبط طريقة ظهوره ، وإنما يجب أن يمتد سعيه من مجرد التعرف على مختلف العلاقات السببية إلى التعرف على العوامل والمتغيرات الأخرى التى يكون لها تأثير ما على المتغير التابع .

أما عن كيفية تحديد تلك المتغيرات التى قد يكون لها تأثير على المتغير التابع : فإن ذلك قد توحى به فكرة سابقة عن الظاهرة المبحوثة ، أو التحليل الدقيق للمشكلة، علاوة على الفحص الشامل لجميع البحوث التى سبق لها أن تناولت نفس المتغير التابع باعتبار أن نتائج البحوث السابقة تعد مصدرا غنيا للمعلومات وخاصة ما تعلق منها بالمتغيرات المتضمنة فى البحوث التجريبية .

لكن ما هى العوامل التى يجب ضبطها فى البحوث التجريبية ؟ !

حدد « فان دالين » هذه العوامل فى ثلاثة أنواع رئيسية : أولها ما ينشأ عن المجتمع الأصلى للعينة ، وثانيها ما ينبع من إجراءات الاختبار التجريبى ، وثالثها تلك العوامل التى تعود إلى مصادر خارجية عن التجربة (٥) .

هذا ويمكن إيضاح تلك العوامل على النحو الآتى :

١ ـ العوامل التى تعود الى المجتمع الأصلى :

قد يبدو للوهلة الأولى أن بعض الآثار التى لحقت بالمتغير التابع هى بالضرورة نتيجة للتغير الذى لحق بالمتغير المستقل ، ولكن نظرة متأنية توضح أن مالحق بالمتغير التابع قد يكون عائدا إلى خاصية معينة للمبحوثين المشتركين فى التجربة ، لذلك فإن من ألزم الأمور على الباحث أن يحدد خصائص مجتمعه الأصلى والتى يمكن أن تؤثر فى المتغير التابع خلال التجربة ، وهذا التحديد يتيح للباحث أن يقدر بشكل دقيق ـــ من خلال وسائل ضبط معينة ـــ تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع فى تجربته البحثية .

٢ ـ العوامل التى تعود للاجراءات التجريبية :

قد تعود بعض التغيرات التى تلحق بالمتغير التابع إلى الإجراءات الخاصة بالتجربة ذاتها ، بمعنى أنه على الرغم من الاختيار الصحيح الذى نتج عنه تماثل تام بين الجماعتين التجريبية والضابطة ، فإنه لا يمكن أن تعزى فى كل الأحوال أية تغيرات فى المتغير التابع إلى نظيرها فى المتغير الأصلى ، وربما كان ذلك راجعا إلى عدم توافر مختلف الشروط اللازمة لإجراء التجربة ، كأن يفشل الباحث فى ضبط إجراءات التجربة ، أو قد تصدر عن إجراءات التجربة إشارات لا شعورية للمبحوثين توحى إليهم باتخاذ مواقف معينة تبعدهم عن الاستجابة الطبيعية أثناء الاختبار ، كما أن أحكام

الملاحظ قد تتأثر نتيجة لإجهاده أو لطول خبرته بالمجموعات التجريبية والضابطة ، وبالتالى يكون لإرهاق المبحوثين أو لطول معايشتهم للاختبارات أو لما يتمتعون به من مهارات خاصة ، قد يكون لذلك كله آثار مضللة على المتغير التابع .

٣ ـ العوامل التى تعود لمؤثرات خارجية :

على الباحث الكفء أن يتأكد من أنه لا توجد أى متغيرات أو مؤثرات خارجية يمكن أن تكون ذات تأثير على المتغير التابع ، والباحث لن يتسنى له ذلك إلا من خلال الفحص الدقيق لخطته التجريبية ، ويقصد بالمتغيرات الخارجية كل ما هو خارج عما يمكن أن يحدثه المتغير الأصلى من تأثيرات .

هذا ويمكن اعتبار المتغيرات التى تعود إلى المجتمع الأصلى أو إلى الإجراءات الخاصة بالتجربة :: ضمن تلك المؤثرات الخارجية التى ينبغى أن يبذل الباحث كل جهد ممكن فى سبيل ضبطها والتحكم فيها حتى لا تترك بصماتها على المتغير التابع .

●

لماذا ضبط المتغيرات فى البحوث التجريبية ؟ !

حدد كل من « براون وجيزيللى Brown and Ghiselli » الأهداف التى يسعى إليها الباحثون من وراء ضبطهم للمتغيرات التجريبية على الوجه الآتى (٦) :

١ ـ عزل المتغيرات :

وذلك بهدف منع تأثير أية عوامل أخرى غير المتغير المستقل فى المتغير التابع ، ولو أنه من غير الممكن فى حالات كثيرة إبعاد أو عزل المتغيرات غير المطلوبة قبل تطبيق المتغير المستقل ويكون الحل البديل فى هذه الحالات هو ضبط تلك المتغيرات عن طريق تثبيتها حتى يكون لها نفس التأثير على كل من الجماعتين الضابطة والتجريبية وبذلك يكون أى تغيير يحدث إنما يعود إلى المتغير المستقل لا لأية عوامل أخرى سواه .

٢ ـ التغير فى كم المتغيرات :

التغيير فى كم المتغيرات منفردة أو مجتمعة وذلك بهدف التحقق من مقدار الأثر الذى يساهم به المتغير المستقل فى المتغير التابع ، التغيير الذى سيلجأ إليه الباحث فى مثل هذه الحالات هو تغيير فى كم المتغير التجريبى من خلال دراسة أثر وجود عامل ما أو غيابه على المتغير التابع ، ثم يتولى باحثون آخرون دراسة تدرج ذلك الأثر .

٣ ـ الوصف الكمى لمقدار ظهور المتغيرات وآثارها :

يشكل التعبير عن مقدار المتغيرات بصورة كمية أحد الأهداف النهائية للباحث خلال البحوث التجريبية ، ومن الطبيعى أن ذلك لن يتحقق فى غيبة الضبط ، علاوة على أن الباحث لا يجب أن يكتفى بمراقبة أو التعرف على الحالات التى تبدو فيها المتغيرات سواء من حيث الزيادة والنقص أو السلب والإيجاب ، وإنما عليه أن يعبر عن ذلك كله فى صورة رقمية موثوق بها .

●

صور ضبط المتغيرات فى البحوث التجريبية :

اقترح كل من «براون Brown وجيزيللى Ghiselli» تصنيف مختلف صور ضبط المتغيرات التى ابتكرت فى مجال البحوث التجريبية ، إلى ثلاثة أنماط رئيسية هى(٧) :

١ ـ التحكم الفيزيقى :

حيث يلجأ الباحث إلى عدة أساليب من التحكم الفيزيقى حتى يمكنه أن يخضع أولا كل المبحوثين لنفس درجة تعرضهم للمتغير المستقل ، وليضبط ثانيا المتغيرات غير التجريبية التى قد تؤثر فى المتغير التابع .

وحتى يحقق الباحث هذين الهدفين فإنه قد يلجأ إلى استخدام عدد من الوسائل الميكانيكية أو الكهربائية ، وربما لجأ فى سبيل ضبطه للمتغيرات إلى أساليب جراحية أو قد يعمد إلى تغيير نظام تغذية المفحوصين وحقنهم بعقاقير أو إفرازات غددية معينة .

٢ ـ التحكم الانتقائى :

هناك بعض المتغيرات التى ليس فى الإمكان ضبطها بواسطة التحكم الفيزيقى المباشر ، فيلجأ الباحثون إلى ضبطها بطرق غير مباشرة ، وذلك عن طريق اختيار المواد المستخدمة فى التجربة وبحيث تكون المواد المختارة أكثر ملاءمة لظروف التجربة ، أو عن طريق اختيار المبحوثين بعد المزاوجة بينهم وإعادة توزيعهم عشوائيا على المجموعتين التجريبية والضابطة حتى يمكن التحكم فى العوامل الأخرى غير المطلوبة والتى قد تؤدى إلى فروق فى النتائج ، أما الأسلوب الثالث من أساليب التحكم الانتقائى فهو اللجوء إلى انتقاء البيانات اللازمة لإجراء الدراسة بشرط أن تكون تلك البيانات مسجلة بطريقة مأمونة وكاملة ودقيقة فضلا عن إمكانية خضوعها للقياس .

٣ ـ التحكم الاحصائي :

يرى كل من « براون وجيزيللي » أن الحل البديل إذا ما تعذر خضوع المتغيرات لأسلوب التحكم الفيزيقي أو الانتقائي ، يريان أن ذلك الحل يتمثل في إمكانية ضبط تلك المتغيرات بالطرق الإحصائية ، ويريان كذلك أن هذه الطريقة يمكن أن توفر نفس القدر من الدقة الذي توفره الطرق الأخرى المستخدمة في تقدير أثر متغير من المتغيرات .

ويضيف فان دالين إلى ذلك أن التحكم الإحصائي يفيد بصفة خاصة في المواقف التي قد تساهم فيها عدة متغيرات في إحداث أثر معين كما هو الحال في غالبية العلوم الاجتماعية (٨) .

●

الضرورات المنهجية لاستخدام منهج البحث التجريبي :

يرى «لندبرج Lundborg » خلال مؤلفه عن «البحث الاجتماعي » أن منهج البحث التجريبي يعد من أكثر وسائل البحث كفاية في تحقيق معرفة موثوق بها عند استخدامه ــ أي منهج البحث التجريبي ــ في حل المشكلات .

ويرى «لندبرج » كذلك أن كفاية منهج البحث التجريبي تعود إلى عدة أسباب لعل من أهمها ما يأتي :

١ ــ أنه يتيح تكرارا للملاحظات تحت شروط عملية واحدة .

٢ ــ أنه يمكن تحليل علاقات السبب والنتيجة بسرعة وثقة أكبر لأنه يمكن الملاحظ من أن يغير في شرط واحد فقط ويبقى في نفس الوقت على جميع الشروط الأخرى ثابتة بدرجة كبيرة .

٣ ــ في خارج نطاق المنهج التجريبي للبحث وفي ظل شروط غير مضبوطة يصبح من غير الممكن تحليل العلاقات السببية بنفس السرعة والثقة المتوافرة من خلال ذلك المنهج .

٤ ــ إن استخدام هذا المنهج داخل العلوم الاجتماعية وتطبيقه على الظواهر الاجتماعية قد صار ضرورة كبرى وبالدرجة التي يؤدي معها غياب هذا المنهج إلى تعويق سير العلوم الاجتماعية نحو الدقة والضبط (٩) .

وقبل أن نختم الحديث عن منهج البحث التجريبى نود أن نلفت النظر إلى أننا سنتناول خلال الفصول من الثالث عشر حتى الخامس عشر عددا من طرق البحث المستخدمة من خلال منهج البحث التجريبى وهى بترتيب تناولها القياسات الاجتماعية ، الملاحظة العلمية ، وأخيراً الحاسبات الإلكترونية والسيبرنتيك ، وأما التجريب فلم نتناوله بشكل مباشر ونحيل القارىء الكريم إلى مؤلفنا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » إن أراد فى الموضوع استزادة .



المصادر والشروح

١ ــ انظر :

Van Dalen, Op. Cit., Chap. 11.

٢ ــ المصدر السابق الفصل الثانى منه .

٣ ــ انظر :

Mill, Jhon Stuart. A System of Logic, Happer and Raw Publishers, New York, 1873.

٤ ــ للاستزادة حول تصميم التجارب انظر :

(ا) فان دالين ــ مصدر سابق ٥

(ب) دكتور صلاح الفوال ــ منهجية العلوم الاجتماعية ــ مصدر سابق ٥

(جـ) Greenwood, E., Experimental Sociology, New York, 1939.

(د) Goode W., and Hatt, P., Methods in Social Research, New York, 1952.

(هـ) Selltiz, C., et al., Research Methods in Social Relations, Henary Halt 1960.

٥ ــ Van Dalen, Op. cit., Cap. 11.

٦ ــ للاستزادة انظر :

Brown, clarence W., and E.E. Chiselli, Scientific Method in Psychology, McGraw-Hill Book Company. Inc., New York, Chaps; 5, 12 — 13.

٧ ــ للاستزادة انظر :

Ibid., Chap. 14.

٨ ــ للاستزادة انظر :

Van Dalen, Op. Cit., Chap. 11.

٩ ــ للاستزادة حول رأى لندبرج انظر :

Ludbɹrg, George A., Social Research, Longmans, Green Co. Inc., New York, 1929, PP 36—37.

وحول وجهة نظر الوضعية الحديثة وروادها لندبرج وأوجبرن وتشايبين حول هذه النقطة انظر :

دكتور صلاح الفوال ــ معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر ــدار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٨٢ ص ١٣٣ ــ ١٣٩ .

وحول استخدام العلوم الاجتماعية للتجريب ومختلف وجهات النظر حول هذه النقطة انظر :

دكتور صلاح الفوال ــ منهجية العلوم الاجتماعية ــ مصدر سابق ص ص ١٢٩ ــ ١٥٦ .



الفصل الثالث عشر

القياسات الاجتماعية والعلوم الاجتماعية

- مقدمة .
- معنى القياس الاجتماعى .
- وسائل القياس السوسيومترى .
- الاختبـــار .
- الاستخبار .
- مقاييس التقدير .
- الموضوعية والثبـــات فى القياســات الاجتماعية .
- ضمانات استخدام القياسات الاجتماعية
- موضوعات القياسات السوسيولوجية .

القياسات الاجتماعية والعلوم الاجتماعية

مقـــدمة :

السوسيومترية Sociometry من الموضوعات التى أثير حولها الكثير من الجدل؛؛ هل هى نظرية جديدة فى العلاقات الاجتماعية ، هل هى موضوع جديد للبحث فى العلوم الاجتماعية ؟! ، هل هى منهج للبحث جديد أم هى طريقة من طرق البحث العلمى فى العلوم الاجتماعية ، أو هى مجرد أداة من أدوات جمع البيانات فى البحوث العلمية ؟! .

أسئلة كثيرة : . والاجابات عليها متنوعة ، فمن قائل أن الـ Sociometry نظرية تنتمى إلى « مورينو Moreno » عندما فسر قياس العلاقات الاجتماعية منطلقا من مبدأين .. أولها التلقائية ، وثانيهما الابتكار ، ومن قائل أنها منهج .. مستندا على أن مبدأ الابتكار الذى قال «مورينو» أن قياس العلاقات الاجتماعية يرتكز عليه ، وأن مبدأ الابتكار هذا إنماهو دعوة إلى التجريب من خلال الكشف عن التجاهل والتنافر والتجاذب الموجود داخل شبكة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات ، وهناك من يرى أن السوسيومترية هى موضوع للبحث جديد فى العلوم الاجتماعية يهدف من خلال ارتكازه على نظرية «مورينو» واصطناعه للتجريب إلى الكشف عن أمور لها من الأهمية والخطورة الشيء الكثير لاسيما فى مجالات علم النفس الاجتماعى بصفة خاصة وفى بقية العلوم الاجتماعية بصفة عامة حيث تحتوى السوسيومترية كموضوع على شبكة العلاقات بين الأفراد ودراسة التنظيمات غير الرسمية للجماعات فضلا عن تناولها للمكانات والأدوار الاجتماعية وغير ذلك من الموضوعات(١) .

ومنهم من يرى أن السوسيومترية كاصطلاح تطلق على طريقة خاصة تتبع فى قياس العلاقات الاجتماعية داخل جماعة محدودة خلال فترة زمنية معينة ، ومن هنا تكون السوسيومترية طريقة فى البحث أكثر منها نظرية فى العلم (٢) .

ومنهم من يرى أن السوسيومترية أداة من أدوات جمع البيانات تعتمد على تطبيق الاختبارات السوسيومترية ، ومنهم من لا يرى فى السوسيومترية أكثر من مجرد طريقة فرعية لمعالجة البيانات ولا ترقى حتى لمستوى أية أداة من أدوات جمع البيانات (٣) ،

ومنهم من يرى فى السوسيومترية كل ما سبق باعتبارها نظرية وموضوعا للبحث وطريقة للتحليل وأداة لجمع البيانات أيضا (٤) .

وبعض الباحثين يرى أن « السوسيومترية » تعريب للمصطلح الأنجليزى Sociomtry الذى يعنى مقطعه الأول Socio « اجتماعى » ، بينما يعنى مقطعه الثانى Metry « القياس » ، وبذلك تصبح الترجمة العربية لهذا المصطلح هى « القياس الاجتماعى » .. (٥) .

●

معنى القياس الاجتماعى :

يقصد بالقياس الاجتماعى Sociomtry « الطريقة المستخدمة لتقدير وقياس نوعية العلاقات الاجتماعية داخل جماعة ما أو مجتمع من المجتمعات » .. (٦) .

ومن العلماء من يستثنى من العلاقات موضوع القياس ، العلاقات التى تتصف بالرسمية ويقصرها فقط على ذلك النوع من العلاقات ذات الخصائص النفسية التى تنشأ بين أعضاء الجماعة أو المجتمع لتمكنهم من التفاعل الحر المباشر ولفترة زمنية كافية .

ومنهم من يوسع دائرة القياس الاجتماعى ويعتبر أن القياس ينطوى من حيث موضوعه وفحواه على مجموعة البحوث المتصلة بترشيد وتنظيم الجماعات وتطويرها على أساس من الدراسة التجريبية للعلاقات الاجتماعية عن طريق معرفة نسيج علاقاته بالآخرين (٧) .

ومن العلماء من يقصر دور القياس الاجتماعى على « دراسة العلاقات الموجودة بين الأفراد مع الاهتمام خاصة بقياس مدى الجذب والرفض أو النفور بين هؤلاء الأفراد داخل بنيان مجموعتهم » .. (٨) .

ومنهم من يعتقد كذلك بأن القياس الاجتماعى إن هو إلا « محاولة للربط بين نظرية البناء غير الرسمى للمجتمعات الإنسانية ، ومناهج البحث المستخدمة فى دراسة ذلك البناء » :

ومنهم من يزيد على ذلك فيرى أن بحوث القياس الاجتماعى ذات غاية تطبيقية حيث تهدف بالدرجة الأولى إلى علاج ما يصيب العلاقات – باعتبارها موضوع القياس – من ضعف أو مرض من خلال ما يعرف بالطب العقلى .. (٩) .

ومنهم من يرى أن ميدان القياس قد اتسع حتى كاد أن يستغرق أغلب نواحى القياس فى علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع (١٠) .

هذا ويتضح معنى القياس بصفة عامة من خلال ما يأتى :

١ – القياس يعنى تقدير الظواهر موضوع القياس تقديراً كمياً .

٢ – القياس يعنى التعبير عن الملاحظات بصورة كمية من خلال الإجابة على السؤال «كم ؟» .

٣ – القياس يعنى وصف البيانات فى صورة رقمية .

٤ – القياس هو تحديد أرقام الموضوعات أو الاحداث طبقاً لقواعد معينة .

٥ – القياس هو قواعد استخدام الأرقام بحيث تدل على الأشياء بصورة تشير إلى مقادير كمية من الصفة أو الخاصية .

٦ – القياس هو تقدير الأشياء والمستويات تقديراً كمياً وفق إطار معين من المقاييس المدرجة .

٧ – القياس يشير إلى تلك الإجراءات المقننة أو الموضوعية التى تكون نتائجها قابلة للمعالجة الإحصائية (١١) .

●

وسائل القياس السوسيومترى :

تتعدد الاختبارات وتتنوع طبقاً لمحكين أساسين ، أولها انتسابها إلى مبتكرها . . كاختبارات «مورينو» ومصفوفات كل من «فورست Forsyth» و «فستنجر Festinger» . . إلخ ، وثانيهما انتسابها للموضوع الذى تقيسه كالاختبارات الخاصة بقياس أساليب أداء المفحوصين وإمكانياتهم ، والاختبارات التى تقيس معلومات المفحوصين وقدراتهم التحصيلية وكذلك مستوى كفاياتهم ومهاراتهم ، والاختبارات التى تقيس أداء المفحوصين فى مختلف الحالات ؛

هذا إلى جوار الأدوات التى تعنى بقياس التفضيلات المتعددة والسلوكيات المختلفة للأفراد ، والأدوات التى تقيس اتجاهات الأفراد والجماعات ومعتقداتهم إزاء عدد من القضايا المجتمعية ، والاختبارات التى تقيس مختلف العوامل الانفعالية والاجتماعية للأفراد فضلا عن سلوكياتهم فى مختلف المواقف :

وهناك من الأدوات ما يقيس عددا من الأوضاع البيئية والمادية للأفراد والجماعات والمؤسسات .

هذا وتختلف وسائل القياس وتتعدد بحسب الطريقة التى تحصل بها كل منها على البيانات المطلوبة ، فضلا عن الاختلاف الناشىء عن الموضوعات محل القياس ذاتها .

والخلاصة أن وسائل القياس تتعدد وتختلف فى طريقة حصولها على البيانات التى تنشدها فقد تكون تلك الوسائل .. اختبارات أداء ، أو قوائم ، أو مقاييس متدرجة أو قد تلجأ إلى بعض الأساليب الأحدث كالأساليب الإسقاطية والسوسيومترية(١٢) .

وعموماً يمكننا أن نحدد أهم وسائل القياس السوسيومترية المستخدمة فى البحوث العلمية فى مجال العلوم الاجتماعية فى ثلاث وسائل أساسية هى الاختبارات والاستخبارات ومقاييس التقدير بأنماطها المختلفة .

●

الاختبـار السوسيومترى :

الاختبارات السوسيومترية — ورقية كانت أو عملية — باعتبارها أداة لتقدير التجاذب والتنافر داخل جماعة ما أو باعتبارها أداة لقياس قدرات المختبرين، مستخدمة بكثرة أو شائعة الاستعمال لاسيما فى مجال بحوث علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع أيضاً .

ولكن حتى تؤدى تلك الاختبارات هدفها لابد من توافر مجموعة من الاعتبارات أو الشروط التى من أهمها :

١ — تحديد المجتمع المختبر ، سواء أكان جماعة أو مجتمعاً محلياً أو حتى فرداً :

٢ — تحديد نطاق الاختبار ، بمعنى تحديد نطاق قدرة الاختبار من حيث المساحة

« المدى » والعمق والوقت ، وهذا يتطلب أن يحدد الباحث مختلف العوامل التى تساهم فى تكوين المقياس بعناية تامة .

٣ – بعد أن يحدد الباحث نطاق الاختبار وعوامله عليه أن يحدد البنود أو الفقرات التى ستغطى تلك العوامل وفق نسبة عددية ملائمة تضمن مساهمة كل العوامل فى تعاون وكفاءة .

٤ – أن تصاغ أسئلة المقياس بطريقة مفهومة واضحة لدى جمهور البحث حتى تأتى استجاباتهم محققة للهدف من تطبيق المقياس .

٥ – أن تكون التعليمات المصاحبة للمقياس سهلة اللغة ومفسرة فعلا لمحتويات المقياس ومزيلة لأى لبس لدى جمهور المفحوصين .

٦ – أن يكون الاختبار فى شكل يسمح أولا بفهمه وثانياً بالإجابة عليه وثالثاً بالتعامل معه بعد ذلك من خلال التبويب والتصنيف والتحليل والتفسير :

٧ – ولا شك أن تجربة المقياس أو الاختبار قبل تعميمه سوف تتيح له درجة أكبر من الكفاءة والموضوعية والثبات عند الاستخدام (١٣) .

●

الاستخبارات السوسيومترية :

الاستخبارات كما يقرر « فان دالين » وسائل تحاول أن تتعرف على جانب أو أكثر من سلوك الفرد ، وأن اهتمامها الأساسى ينصرف إلى مجرد « التعرف » ولا يمكن أن يتعداه إلى القياس بمعناه المألوف .

ويفرق « فان دالين » بين الاختبارات والاستخبارات على أساس أن الأولى تتطلب من المبحوثين أن تكون إجاباتهم على أعلى مستوى ممكن من الأداء ، أما الثانية « الاستخبارات » فكل المطلوب من المبحوثين هو مجرد التعبير عن سلوكياتهم العادية من خلال احتواء الاستخبار على قائمة من البنود التى تتصل بالموضوع المقاس ، وبحيث يطلب من كل منهم أن يبين ما يفضله أو يؤشر على البنود التى تتفق أو تصف سلوكه العادى وفقاً للقائمة المعطاة له (١٤) :

إذن الفرق الأساسي بين الاختبارات والاستخبارات ، أن الأولى تستهدف الحصول على مختلف أوصاف استجابات واستعدادات المفحوصين نحو الموضوع المقاس وبأكبر قدر ممكن من كفاءة الأداء بالنسبة للمفحوصين ، بينما الثانية تستهدف مجرد التعرف على بعض تلك الجوانب ، وليس بنفس درجة الكفاءة فى الأداء من جانب المبحوثين .

لذلك توجد عدة ضمانات لتحقيق الاستخبارات لهدفها لعل من أهمها :

١ ـ الباحث لا يضع بنود استخباراته لمجرد اعتقاده بأنها تعكس العامل المقاس ، وإنما عليه أن يتأكد من موضوعية تلك البنود وثباتها .

٢ ـ لابد للباحث أن يثبت أن الدرجات التى يحصل عليها المختبرون عن طريق الاستخبار تتفق اتفاقا كبيرا مع وسيلة أخرى ثابتة لقياس العامل موضوع الدراسة ؛

٣ ـ كثيراً ما يلجأ المبحوث إلى التعبير عن سلوكياته بطرق غير موضوعية أو كاذبة ، وهنا تكون استجاباته زائفة ، وقد يكون ذلك من المفحوص شيئاً عمدياً إذا ما كان يريد أن يحدث أثراً يريده هو ، أو قد يكون شيئاً غير عمدى إذا ما كان يعوزه استبصار كاف لذاته ، ومن هنا لابد من ابتكار طرق لاكتشاف تلك الإجابات الزائفة حتى يمكن إبقاؤها تحت الضبط .

ولو أن « فان دالين » يقرر أن هناك صعوبة بالغة فى تقنين الاستخبارات وبالتالى فى مدى الاعتماد عليها كوسيلة علمية للقياس (١٥) .

●

مقاييس التقدير :

مع التسليم بأن الكثير من بيانات العلوم الاجتماعية لا يمكن قياسه بالسنتيمترات أو الجرامات أو ما شابهها من الوحدات المقننة التى تحمل نفس المعنى بالنسبة لجميع الناس ، وهذا يشكل عقبة أمام تقدم هذه العلوم ، إلا أن المحاولات مازالت مستمرة فى سبيل ابتكار عدة أساليب للتقدير حتى يمكن تحويل البيانات الكيفية إلى مقاييس كمية تكون أيسر فى خضوعها للتحليل أو التفسير .

هذا ومن أشهر مقاييس التقدير تلك : المقاييس الآتية (١٦) :

١ - المقاييس الاسمية :

وتوضع خلالها الأشياء بين فئتين مختلفتين أو أكثر ، وقد تعطى هذه الفئات أرقاما معينة بغية التيسير ، إلا أنه لاتوجد علاقات منتظمة بين تلك الفئات ، وتهدف تلك المقاييس إلى معرفة ما إذا كانت العوامل تختلف فى الدرجة أكثر من مجرد اختلافها فى النوع فقط :

٢ - المقاييس الترتيبية :

وتوضع الأشياء من خلالها فى ترتيب محدد بوضوح ، إلا أن المسافات بين الأشياء المتتابعة غير معروفة وليست متساوية بالضرورة (١٧) :

٣ - مقياس المسافات :

إلى جانب وضع الأشياء فى ترتيب محدد بوضوح — من خلال المقاييس الترتيبية — تستخدم بعض الوسائل لتوفير مسافات متساوية البعد لعملية القياس (١٨) .

٤ - مقياس النسب :

ويرى «فان دالين» أنه أرقى أنواع مقاييس التقدير ، حيث تتوافر فيه جميع خصائص مقياس المسافات بالإضافة إلى أن له صفرا مطلقا الأمر الذى يوفر نقطة بداية ثابتة للقياس :

ويمثل هذا المقياس يمكن التحدث عن كميات نسبية بنفس الطريقة التى نتحدث بها عن الفروق فى كم أية خاصية أو صفة :

٥ - المقياس المتدرج :

ويقرر «فان دالين» أن المقياس المتدرج يحدد درجة متغير ما أو شدته أو تكراره ، ويرى أنه على الباحث حتى يعد مقياسا متدرجا أن يحدد — أى الباحث — العامل المراد قياسه ، ويضع الوحدات أو الفئات على شكل متدرج حتى يستطيع أن يمايز أو يفاضل بين مختلف درجات ذلك العامل ، وعلى الباحث أيضاً أن يصف تلك الوحدات المتضمنة فى المقياس المتدرج بطريقة ما .

ويقرر «فان دالين» أنه ليست هناك قاعدة محددة تحكم عدد الوحدات التى يجب أن

توضع على المقياس المتدرج ، ولو أن البعض يحذر فى ذات الوقت من قلة الفئات ومن كثرتها ، لأن القلة – فى الفئات – تؤدى إلى نتائج غير دقيقة أو ضحلة المعنى ، كما أن الكثرة تجعل من العسير على الباحث الذى يقوم بعملية الوزن أن يميز بين الخطوات على المقياس .

ويقرر «فان دالين» أن المقياس المتدرج قد تتكون وحداته من نقط أو أرقام أو عبارات وصفية أو عامة ، وتوضع تلك الوحدات على امتداد خط مستقيم (١٩) :

٦ – مقياس الرتب :

هناك من يرى أن مقياس الرتب يقارن المفحوصين أو الموضوعات أو الإنتاج أو الصفات بعضها ببعض ، وذلك بدلا من تقديرها على مقياس مطلق ، ويرى كذلك أن هذا المقياس يفيد بصفة خاصة فى التعامل بطريقه كمية مع البيانات التى لم تمايز تمايزا تاما أو دقيقا (٢٠) .

●

الموضوعية والثبات فى القياسات الاجتماعية :

يرى كثير من علماء المنهجية أن تحديد موضوعية أداة القياس وصدقها وثباتها وسهولة استخدامها ، تعتبر من أوجب الأمور وألزمها إذا ما أريد لتلك القياسات أن تحقق أهدافها فى التعبير الرقمى عن الظاهرة المبحوثة ، ويتحدث علماء المنهجية عن الموضوعية والصدق باعتبارهما أهم المحكات التقويمية لأدوات القياس .

هذا ويمكننا أن نتناول كلا من الموضوعية والصدق على النحو الآتى :

١ – الموضـوعية :

تعتبر أدوات القياس موضوعية إذا ما أعطت نفس النتائج أو الدرجات بصرف النظر عن الباحث الذى يقوم بعملية التصحيح ، ومن هنا فإن التصميم الجيد لتلك الوسائل يمكنها من أن تعطى نفس النتائج دون تدخل من الباحث .

٢ – الصـدق :

محك الصدق هنا مرتبط بمدى تحقيق أدوات القياس المستخدمة للأهداف التى صممت

من أجلها ، وللتأكد من ذلك ، نقارن النتائج أو الصفات المستخلصة بأخرى تم التوصل إليها عن طريق مقياس آخر متفق على دقته (٢١) :

●

ضمانات استخدام المقياسات الاجتماعية :

يؤكد علماء المنهجية أنه عند اختيار أية صورة من صور القياس للتطبيق يجب على الباحث أن يتأكد من أنه هو الوسيلة العملية والمناسبة للهدف الذى يسعى إلى تحقيقه ، وعلى الباحث فى سبيل ذلك أن يسأل نفسه عدة أسئلة لعل من أهمها :

– هل سيحقق المقياس البيانات المطلوبة ؟

– هل سيؤدى استخدام المقياس إلى نتائج دقيقة بدرجة كافية ومتناسبة مع أغراض البحث ؟ !

– هل يتناسب المقياس مع نوعيات المفحوصين وأعمارهم ؟ !

– هل يتواءم المقياس مع المكان والوقت المحددين للاستخدام ؟ !

ويضيف هؤلاء .: أنه إذا ما تيسر اختباران متساويان فى الصدق والثبات ، فعلى الباحث أن يفضل الاختبار الأقل تكلفة والأكثر سهولة وسرعة عند التصحيح ، والأكثر يسرا بشكل عام ، وذا المعايير ه

وينصح علماء المنهجية الباحث قبل أن يختار ما سيطبقه من مقاييس أو اختبارات أن يطلع على النشرات أو الكتيبات التى تتضمن تلك الاختبارات لأنها غالبا ما تضم معلومات مفصلة عنها وخاصة ما تعلق منها بكيفية تقنين تلك الاختبارات والتأكد من صدقها وثباتها ، وكذلك عن طبيعة المجتمع الأصلى الذى استقت عنه المعايير المتضمنة فى تلك الاختبارات ، وبعد أن يطلع الباحث على كل تلك البيانات عليه – حتى يكون حكيما – أن يفحصها بعناية فائقة ليختار منها بعد ذلك أفضل وسائل القياس وأكثرها مناسبة لموضوع بحثه.

ويضيف الخبراء أنه يجب دوما ألا يغيب عن الذهن أن أفضل الاختبارات المتاحة لا يمكن أن تعطى نتائج ثابتة إذا ما طبقت بطريقة غير سليمة أو تحت شروط مشتتة أو غير مناسبة ، أو إذا صححت بطريقة خاطئة أو تم تفسيرها بطريقة غير منظمة (٢٢) .

●

موضوعات القياسات السوسيومترية (٢٣) :

نحب فى البداية أن نوضح أن القياس السوسيومترى بتعبير بسيط هو ، اختبار يضم مجموعة من الأسئلة التى تستوضح المبحوث عن مدى قبوله أو رفضه الجماعة التى ينتمى إليها وذلك من خلال مواقف اجتماعية مختارة ومحددة بدقة ، كما أن الاستجابة التلقائية من المبحوثين نحو عملية الاختبار هى التى تحدد نجاح أو فشل الاختبار السوسيومترى ذاته (٢٤) .

وننتقل بعد ذلك لنحدد بسرعة موضوعات القياس السوسيومترى لنجد أنها تضم كلا من الشخصية ، القيادة ، الإدراك الاجتماعى ، وإنتاجية الجماعة ، وأخيرا قياس الاتجاهات والاهتمامات والقيم .

وليست هذه هى وحدها موضوعات القياسات الاجتماعية..بل نشأت إلى جوارها موضوعات كثيرة ، منها ما هو اختبارى – اختبار صحة نظرية معينة (٢٥) –،ومنها ما يعنى بتحديد مدى سيطرة نماذج ثقافية معينة ، وأنماط اجتماعية بعينها على العلاقات الإنسانية ، إلى غير ذلك من الموضوعات .

***

المصادر والشروح

(١) للاستزادة انظر :

(أ) Moreno, J., who Shall Suruive ? New York, 1953.

(ب) Jennings, H., Sociometry in Group Relations, Washington, 1948.

(٢) للاستزادة انظر :

ـ دكتور عبد الباسط محمد حسن ـ أصول البحث الاجتماعي ـ مصدر سابق ص ٥٠١ .

ـ دكتور فؤاد البهي السيد ـ علم النفس الاجتماعي ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة، ١٩٨١ ص ٦٢١ .

(٣) انظر :

سيللتيز وزملاؤها ـ مصدر سابق ص ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠ .

(٤) انظر :

الدكتور نجيب اسكندر وآخرين ـ الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي ـ ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ـ غير موضح سنة النشر ـ ص٤٤٣

(٥) انظر :

دكتور فؤاد البهي السيد ـ علم النفس الاجتماعي ـ مصدر سابق ص ص ٢٥٩ـ ٢٦٠ .

(٦) دكتور صلاح الفوال ـ علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ص ١١٣ .

(٧) للاستزادة انظر :

ـ دكتور فؤاد البهي السيد ـ مصدر سابق :

— دكتور أحمد الخشاب — الارشاد الاجتماعى — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — غير موضح سنة النشر ؛

— دكتور سعد عبد الرحمن — أسس القياس النفسى والاجتماعى — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — ١٩٦٧ ؛

(٨) انظر جورج جورفيتش فى :

— دكتور أحمد الخشاب — الارشاد الاجتماعى — مرجع سابق ص ص ١٠٥ — ١٠٦ ؛

— دكتور صلاح الفوال — معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٨٢ ص ص ١٢١ — ١٢٨ .

(٩) دكتور أحمد الخشاب — مصدر سابق ص ١٠٦ ؛

(١٠) دكتور فؤاد البهى السيد — مصدر سابق ص ٢٥٩ ؛

(١١) انظر : دكتور محمد حسن علاوى والدكتور محمد نصر الدين رضوان — القياس — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٩ ص ص ٢٠ — ٢١ ؛

(١٢) للاستزادة انظر :

Dcobod. B. Van Dalen, Understanding Educational Research An Introduction, McGraw-Hill, New York, 1962. Chap 12.

(١٣) هذه الشروط مأخوذة بتصرف عن المصدر السابق ولو أن مورينو يرى شروطا أخرى غير هذه الشروط : حيث يرى ضرورة أن :

(ا) توضيح حدود الجماعة للمفحوصين حتى يفهموا حدود الجماعة وطبيعتها ؛

(ب) عدم تقييد حرية المفحوصين فى نبذ أو اختيار أى عدد من أفراد الجماعة دون تحديد ؛

(ح) تحديد نوع النشاط الذى يشارك فيه المفحوصون — باعتبار ذلك النشاط هو المحك الأساسى للاختيار أو النبذ — طبقا لرغبات كل منهم لكن بشرط أن يكون لذلك النشاط معنى بالنسبة للآخرين ؛

(د) ملاءمة الأسئلة المستخدمة خلال الاختبارات لمستوى فهم المفحوصين وأن تكون لغتها مناسبة للراشدين أو للكبار .

(هـ) مراعاة السرية التامة فى مختلف مراحل الاختبار .

(و) أن تستخدم النتائج التى يسفر عنها تطبيق الاختبارات السوسيومترية فى إعادة بناء الجماعة ، مع ترشيد أعضاء الجماعة المفحوصين بأن استجاباتهم السلبية أو الإيجابية سوف تكون هى المحك الأساسى فى هذا الاتجاه .

للاستزادة انظر :

مورينو — مصدر سابق الفصل الثانى عشر .

(١٤) فان دالين — مصدر سابق .

(١٥) Van Dalen, Op. Cit., Chap 12.

(١٦) للاستزادة انظر :

فان دالين — المصدر السابق نفس الفصل .

(١٧) ضرب فان دالين المثال التالى للتوضيح :

إذا نال ا ، ب ، ج الدرجات ١٥ ، ١٠ ، ٥ فى القيادة على التوالى فى مقياس ترتيبى ، يمكن القول بأن ا أعلى من ب فى القيادة ، وأن ب أعلى من ج ، إلا أنه لا يمكن القول بأن ا أعلى من ب بنفس القدر الذى يفوق به ب .: ج ، بمعنى أن تكون المسافة من ١٠ — ١٥ مساوية للمسافة من ١٠ — ٥ ولكى يمكن تقدير هذه القضية الأخيرة لابد من استخدام مقياس المسافات .

انظر — فان دالين — مصدر سابق — الفصل الثانى عشر .

(١٨) ضرب فان دالين المثال الآتى للتوضيح :

بينما يسمح مقياس المسافات بالقول بأن المسافة بين ا ، ب تساوى المسافة بين ب ، ج إلا أنه لا يسمح بالقول بأن ا ذا الدرجة ١٥ أعلى بثلاثة أضعاف ج ذى الدرجة ٥ ، وأن ب ذا الدرجة ١٠ يساوى ضعف ج ، ولكى يتيسر ذلك لابد من استخدام مقياس النسب .

(١٩) فان دالين — المصدر السابق الفصل الثانى عشر .

(٢٠) للاستزادة انظر المرجع السابق :

(٢١) هناك عدة طرق لمعرفة مدى صدق وثبات المقاييس السوسيومترية نوجزها فيما يأتى :

– طريقة إعادة الاختبار ، عن طريق إعطاء نفس الاختبار لنفس المجموعة المختبرة مرتين على فترتين زمنيتين مختلفتين مع حساب معامل الارتباط بين درجاتهم فى المرتين للتأكد من معامل ثبات المقياس .

– طريقة الصور المتكافئة ، تطبق هذه الطريقة إذا كان محتملا أن يتأثر إعادة التطبيق ، ومن هنا .. تطبق الطريقة الثانية من خلال إعداد صورة مماثلة أو متكافئة تماما لوسيلة التقويم ، ومن ثم تطبق الصورتان على نفس المبحوثين وتحدد درجات الاتفاق بين الاختبارين للدلالة على ثبات أدوات المقياس المستخدمة فى الاختبار ؛

– طريقة التجزئة النصفية ، وفى هذه الطريقة يطبق الاختبار مرة واحدة فقط بعد أن تقسم محتوياته أو بنوده إلى نصفين بطريقة عشوائية ، وبعد التطبيق تحسب الارتباطات بين درجات النصفين كل على حدة ثم يستنتج من ذلك معامل ارتباط المقياس ككل من خلال تطبيق العديد من المعدلات الإحصائية ؛

للاستزادة انظر :

فان دالين . المصدر السابق – الفصل الثانى عشر ؛

(٢٢) المصدر السابق .

(٢٣) اعتمدنا فى كتابة هذا الجزء على ما سبق أن كتبناه ضمن مؤلفنا عن :

علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٢ ص ص ١١١ – ١٢٥ ؛

(٢٤) من أشهر الطرق للاختبارات السوسيومترية ، طريقة مورينو ، التى ترتكز على إعداد بعض الأسئلة التى تعبر عن بعض المواقف الاجتماعية الواضحة فى حياة الأفراد تسألهم عن اختيارهم أو رفضهم بالنسبة لهذه المواقف :

وحتى ينجح الاختبار اشترط مورينو عدة شروط من أهمها تحمس أعضاء الجماعة محل الاختبار ، واختيار الموقف الاجتماعى الذى يعبر فيه أعضاء جماعة الاختبار عن ذاتيتهم ، وصياغة الأسئلة بطريقة فنية ودقيقة ، مع إعطاء تعليمات مصاحبة للأسئلة توضح كيفية التعامل معها ؛

(٢٥) استخدمت القياسات السوسيومترية كمحك لاختبار مدى صحة نظرية « الكمو الجنسى » التى صاغها فرويد :. حيث انتهت الاختبارات السوسيومترية إلى صحة تلك النظرية بعد أن اتضح من الاختبارات أن الأطفال من سن ٨–١٣ يتجهون فى اختيار اتهم للجنس المماثل بينما يعزفون عن الجنس المضاد ، بينما اثبتت الاختبارات أن من يزيد عمرهم على ثلاثة عشر عاما يتجهون اتجاهاً حراً فى علاقاتهم دون ارتباط أو تقيد بالفروق الجنسية القائمة :

للاستزادة انظر :

دكتور فؤاد البهى السيد – علم النفس الاجتماعى – مرجع سابق ص ٢٦٣ :



الفصل الرابع عشر

الملاحظة العلمية والبحوث التجريبية

- ■ مقـدمة ٠
- ■ ما هى الملاحظة العلمية ؟!
- ■ مقومات الملاحظة العلمية ٠
  - ـ الانتبـاه ٠
  - ـ الاحساس ٠
  - ـ الادراك ٠
- ■ معوقات الملاحظة العلمية ٠
- ■ ضمانات الملاحظة العلمية ٠

الملاحظة العلمية والبحوث التجريبية

مقـــدمة :

سنقصر حديثنا هنا عن الملاحظة باعتبارها إحدى ركائز التجريب فى العلوم الاجتماعية ، وسنتناول نمطا واحداً من أنماط الملاحظة وهو الملاحظة العلمية . : ولو أننا سنعاود الحديث عن الملاحظة ككل بشكل مفصل خلال حديثنا عن أدوات البحث العلمى وتقنياته فى فصل تال من هذا الكتاب :

●

ما هى الملاحظة العلمية ؟ !

يرى علماء المنهجية أن الملاحظة العلمية ليست من الأمور المباشرة أو البسيطة، وإنما هى عملية معقدة وتستلزم تخطيطا واعياً وتنهض على أساس الاختيار المتعمد لبعض الجوانب الهامة للظاهرة المبحوثة فى موقف معين ووقت محدد كذلك ، ويسعى الباحث من خلال ذلك الاختيار العمدى إلى تمحيص تلك الجوانب بشكل دقيق ، وهو ما يتطلب استخدام بعض الأساليب والأدوات الدقيقة حتى يمكن أن تكون للنتائج المستخلصة قيمة علمية من ناحية ، وحتى يكون فى وسع الباحثين الآخرين تحقيق نفس النتائج من خلال نفس التجارب من ناحية أخرى :

●

مقومات الملاحظة العلمية :

تنهض الملاحظة العلمية على ثلاثة مقومات أساسية هى :: الانتباه والإحساس ثم الإدراك ، وسوف نحاول أن نلقى بعض الضوء على كل واحد من هذه المقومات من خلال ما يأتى :

١ ـ الانتبــــاه :

الانتباه ، هو حالة من اليقظة ، أو هو حالة تأهب عقلى يمارسها الملاحظ حتى يحس أو يدرك مختلف الوقائع أو الظروف محل الملاحظة ، لذلك يعد الانتباه من أهم الشروط الواجب توافرها للملاحظة الناجحة .

ويرى « المختصون » أن الانتباه هو عملية انتقاء للمثيرات التى يرغب الباحث فى استقبال رسائلها إلى المخ حتى يقوم بتفسيرها ، ونظراً لأن قوى الملاحظة محدودة لدى الإنسان وملاحظته لأكثر من شىء واحد فى ذات الوقت أمر فوق طاقته واحتماله فلابد من تركيز الانتباه نحو جانب واحد من الظاهرة وطبيعى أن يكون ذلك الجانب هو ما يسعى للباحث إلى دراسته(١) .

اذن يجب أن يوجه الباحث انتباهه إلى ملاحظة المثيرات التى يمكن أن تمده بالبيانات المطلوبة مع عدم اعطاء الفرصة للمثيرات الطارئة حتى تستحوذ على انتباهه أو تصرفه عن ملاحظة الجوانب التى يود أصلا ملاحظتها من الظاهرة المبحوثة .

ونظرا لاحتواء الانتباه على بعض الأخطاء وخاصة ما تعلق منها بالتحيز ، فقد اتجه الباحثون المحنكون إلى ضبط العوامل الشخصية التى قد تفسد الانتباه ، فضلا عن ضبط بعض خصائص الظاهرة المبحوثة والتى تؤدى إلى عدم التركيز أو تشتت انتباه الباحث ، وقد يستلزم الأمر لتركيز الانتباه أثناء ملاحظة الظواهر التى تتسم بعدم الثبات أو التميع أو بالتطرف فى الكبر أو الصغر ، أو عدم النظام ، قد يستلزم الأمر الاستعانة ببعض الأدوات الخاصة نظراً لعجز الحواس عن إدراك خواص مثل تلك الظواهر .

ولو أن علماء المنهجية ينصحون بأن تختار الظواهر الملاحظة بحيث تكون من ذلك النوع الذى يتسم بدرجة كافية من الاستقرار والثبات والقابلية للمعالجة وذلك حتى تكون هناك إمكانية لأن تعاد ملاحظة الظاهرة تحت نفس الشروط بواسطة باحثين آخرين .

٢ ـ الاحساس :

الإحساس هو خبرة تنقلها الحواس إلى المخ فيترجمها إلى طعم أو رائحة أو لون صوت ، لذلك فإن التغيرات التى تلحق بالظاهرة الملاحظة تثير حواس

الملاحظ ، ونظراً للقدرة المحدودة للحواس البشرية فلابد من استعانة الملاحظ ببعض الأدوات والوسائل حتى يقوى من حواسه ويوسع بالتالى مدى ملاحظته ويجعلها أكثر وضوحا :

٣ ـ الادراك :

يرى البعض أن الملاحظة ليست مجرد إحساسات نخبرها وإنما هى مزيج من الإحساس والإدراك ، فالإحساس الذى هو نتيجة مباشرة لاستثارة الحواس تنتج عنه معلومات ما ، ولكن هذه المعلومات تصبح بلا قيمة حقيقية إلا إذا تم تفسيرها عن طريق الإدراك الذى هو فى رأى « فان دالين » فن الربط بين ما يحسه الملاحظ وبين بعض خبراته الماضية (٢) :

ونظراً لأن المعانى توجد فى عقول الناس أكثر مما توجد فى الأشياء الملاحظة ذاتها فضلا عما يتضمنه الإدراك من عمليات بسيطة أحيانا « إذا اعتمدت الملاحظة على حاسة واحدة » ومركبة أحيانا أخرى « إذا ما اعتمدت الملاحظة على عدة حواس فى وقت واحد » ، فلابد من التدريب الجيد على عملية الإدراك : « فعند طرح أى موضوع للملاحظة : فمن السهل إدراك أن ملاحظات الشخص المدرب أو الجيد تكون دوماً أكثر تفصيلا وأكثر دقة لو قورنت بغيرها من الملاحظات (٣) » .

●

معوقات الملاحظة العلمية :

يعتبر غياب الموضوعية أثناء الملاحظة من أهم المعوقات التى تبعدها عن تحقيق غاياتها، ولقد كان لنا مع الموضوعية وركائزها ـ الحيدة والأمانة والدقة ـ حديث طويل خلال مؤلفنا عن منهجية العلوم الاجتماعية ، ونحيل القارىء الكريم إلى ذلك المؤلف لو شاء استفاضة (٤) :

وعلى كل يمكن تلخيص تلك المعوقات فى النقاط الآتية :

١ ـ نظراً لأن الباحث يفسر إحساساته فى ضوء خبراته السابقة ، فكثيرا ما يخدعه ذلك ويقرر أنه رأى شيئا أو سمعه لكنه فى الواقع لم ير أو يسمع شيئا :

٢ـ يميل عدد من الباحثين إلى رؤية ما يرغبون فى رؤيته فعلا ويغضون بذلك الطرف عما يجرى حولهم من أمور كان يجب ملاحظتها واستخلاص النتائج منها :

٣ـ كثيرا ما يقع الباحثون فى أخطاء الاستنتاج والاستدلال على الرغم من أن ملاحظاتهم قد تكون صحيحة .

٤ ـ قد تخدع الظواهر المبحوثة الحواس نتيجة لعدم ثباتها ، وتميعها ، وانحرافها عن المألوف ، الأمر الذى تنتج عنه بالضرورة استنتاجات خاطئة :

٥ ـ قد تكون الأدوات المستخدمة فى الملاحظة غير مصممة بدرجة كافية أو ليست على مستوى الكفاءة المطلوبة ، والنتيجة استنتاجات مضللة :

إذن هناك من المعوقات ما يعود للملاحظ نفسه أو للظاهرة المبحوثة ذاتها أو للأدوات المستخدمة فى الملاحظة ، وعلى الباحثين المتمرسين أخذ ذلك كله فى الحسبان عند القيام بعملية الملاحظة :

●

ضمانات الملاحظة العلمية :

تتمثل ضمانات الملاحظة العلمية فى النقاط الآتية :

١ ـ خبرة الباحث بالظاهرة الملاحظة ، حيث يجب أن يكون الملاحظ على دراية تامة بالموضوع الذى يلاحظه ، وهذه الخبرة تكتسب من المعرفة المتكاملة لكل جوانب الظاهرة المبحوثة ، لأن هذه المعرفة هى التى سوف تجعل لإحساساته أثناء الملاحظة معنى :

٢ ـ أن يزيد الباحث من قدرة حواسه على الملاحظة سواء بالتدريب الجيد أو بالاستعانة بعدد من الأدوات المصممة بشكل جيد والتى تساعد على زيادة كفاءة الملاحظة وعلى ما يستخلص عنها من بيانات :

٣ ـ التسجيل الفورى أو المتزامن لكل البيانات الملاحظة ، على أن يتسم ذلك التسجيل بالدقة وباحتوائه على مختلف التفاصيل وبحيث يغطى كل جوانب الظاهرة الملاحظة :

٤ ـ أن يتم وصف الظاهرة الملاحظة من خلال التسجيل فى عبارات محددة ودقيقة وبحيث لا يختلط الأمر أو تختلف المفهومات ، فضلا عن أن الوصف يجب أن يكون قاصراً على الظاهرة الملاحظة ذاتها لا على ما يتخيله الملاحظ أو ما يمكن أن يراه .

٥ ـ أن يتم التعبير عن الأمور الملاحظة ووصف البيانات بشكل كمى كلما كان ذلك ممكنا ، من خلال استخدام المقاييس الكمية ، لأن ذلك فضلا عن موضوعيته يتيح للباحث استخدام الأساليب والطرق الاحصائية والرياضية خلال مراحل البحث التالية على الملاحظة (٥)



المصـــادر

(١) للاستزادة انظر :

Van Dalen, Op. Cit., Chap. 4.

(٢) نفس المصدر السابق :

(٣) للاستزادة انظر :

(ا) Van Dalen, Ibid., Chap. 4.

(ب) W.I.B. Beveridge, The Art of Scientific Investigation, New York, 1957. Chap. 8.

(ج) دكتور صلاح الفوال ــ منهجية العلوم الاجتماعية ــ مصدر سابق ص ص ١٤٥ ــ ١٤٨ :

(٤) المصدر السابق ص ص ٨٩ ــ ١٠٩ .

(٥) للاستزادة انظر :

المصدر السابق ص ص ٧ ــ ١٣ :

***

الفصل الخامس عشر

الحاسبات الالكترونية والسيرنتيك والبحوث العلمية

- مقــدمة ٠
- الحاسبات الالكترونية وجمع البيانات ٠
- الحاسبات الالكترونية والتجريب ٠
- الحاسبات الالكترونية والاستقصاء ٠
- كيف تـؤدى الحاســبات الالكترونيـة أدوارها ؟!
- السيبرنطاقية والبحوث العلمية ٠
- المماثلة بين العقل البشرى والآلى مـن خلال السيبرنتيك ٠
- الخلاصة ٠

الحاسبات الالكترونية والسيبرنتيك
والبحوث العلمية

مقــــدمة :

ليس غريبا أن يطلق البعض على التطور المستمر للحاسبات الألكترونية والانتشار السريع من حيث استخداماتها فى شتى مجالات الحياة اصطلاح « الثورة الألكترونية ».

ولم ينشأ ذلك المصطلح من فراغ وإنما جاء نتيجة للزحف الهائل للألكترونيات على كل المناشط الإنسانية تقريبا وبحيث أصبحت الاستخدامات المتعددة لها هى إحدى السمات المميزة للقرن المشرف على الواحد والعشرين .

هذا ولم يقتصر استخدام الحاسبات الإلكترونية على مجالات العلوم الطبيعية وحدها ، بل امتد ذلك الاستخدام منذ زمن لمجالات العلوم الاجتماعية أو الإنسانية ، وبحيث أصبحت الحاسبات الألكترونية تشكل جزءا أساسيا فى برامجها وتستعين بها لتحقيق أهدافها سواء على مستوى البحث أو على مستوى التطبيق .

هذا ولقد عرفت علوم اجتماعية كالاقتصاد والسكان والسياسة والإدارة استخدام الحاسبات الألكترونية وعلى نطاق واسع (١) .

●

الحاسبات الالكترونية وجمـع البيانات :

لاشك أن البحث العلمى يتأثر بوسائل الملاحظة ، ولقد أثبت تاريخ العلم أنه كلما تقدمت وسائل البحث كلما تعمقت المعرفة الإنسانية واتسعت دائرتها بصورة لم تخطر على البال وقت اكتشاف تلك الوسائل المتطورة للبحث .

ولقد ساعد على انتشار الحاسبات الألكترونية التقدم الهائل فى تحليل المعلومات باستخدام الطرق الإحصائية وما تلا ذلك من وجود كم رهيب من هذه المعلومات التى تحتاج للتعامل معها إلى آلاف الأدمغة البشرية فضلا عن كميات هائلة من الوقت

والمجهود ، فضلا عن احتياج ذلك كله إلى كفاءات من نوع خاص هى بالقطع عملة نادرة فى كثير من دول العالم .

وشكل ذلك كله عقبة فى سبيل تقدم البحث العلمى من ناحية ، وفى سبيل استثمار معطيات البحوث العلمية للتطبيق العملى من جهة أخرى ، لذلك اتجه الباحثون نحو الحاسبات الألكترونية التى بوسعها بعد معالجات خاصة أن تختصر الجهد البشرى المبذول لعدة أسابيع أو لعدة شهور لتقوم بنفس العملية فى عدة ثوان ؛

ويرى علماء المنهجية أن مهمة الحاسبات الألكترونية فى مجال العلوم الاجتماعية لم تعد قاصرة على اختزال الوقت والجهد فى مجال التعامل مع معطيات البحوث العلمية فقط ، وإنما سوف تسهم فى حل مشكلة التجريب فى العلوم الإنسانية ، ويتوقعون أن تلعب الحاسبات الألكترونية نفس الدور الذى لعبه التجريب فى العلوم الطبيعية حيث يعود للتجريب الفضل فى اكتشاف أروع منجزات تلك العلوم (٢) ؛

●

الحاسبات الالكترونية والتجريب :

لو أخذنا علم السكان — الديموجرافيا — كمثال للعلوم الاجتماعية ، لتبين لنا أنه يجسد مشكلة التجريب ومدى الصعوبات التى تلحق به سواء تلك التى تعود للملاحظين « موضوع التجربة » أنفسهم أو إلى الأدوات المستخدمة فى الملاحظة أو حتى إلى النتائج المستخلصة منها ؛

ولعل من أبرز تلك المصاعب ما يعود للانسان المبحوث ذاته وخاصة ما يحدثه من اضطراب على الظاهرة المبحوثة وما يشكله ذلك من مواقف جديدة ومعقدة يتطلب مواجهتها الكثير من الجهد والوقت والخبرة أيضا ، لذلك اتجهت الأنظار إلى الحاسبات الألكترونية لحل مشكلة التجريب فى العلوم الاجتماعية (٣) ؛

أما كيف يتم ذلك فى مجال الدراسات السكانية ، فيمكن وفقا لإعداد خاص ولبرمجة من نوع معين أن تقوم تلك الحاسبات بتمثيل دور أو تصرف السكان فى المواقف البحثية المختلفة ، وهذا الدور الجديد للحاسبات الألكترونية هو فى رأى العديد من علماء المنهجية القادر على إيجاد حل سريع لمعضلة التجريب فى العلوم الإنسانية .

ويرى علماء المنهجية كذلك أنه باستعمال قوانين توزيع احتمالات الدوافع الفردية ، والتى تنشأ نتيجة للملاحظة الصحيحة للأحداث الديموجرافية ، فمن الممكن أن تمثل تلك المعطيات ضمن حاسب أليكترونى مزود بالمعلومات اللازمه بالطرق المناسبه لكيفية التعامل معها (٤) .

ولو أنه يجب حتى مع التسليم بدور الحاسبات الألكترونية كبديل منهجى للتجريب فى العلوم الاجتماعية أو الإنسانية ، لا يجب إغفال أن أعظم العقول الألكترونية لايغنى أبدا عن العقل البشرى وأن الحاسبات الألكترونية مهما بلغت من الدقة فى الرصد والتحليل وتمثيل الأدوار لا يمكن أبدا أن تكون بديلا عن مشاهدة الظواهر كما تبدو فى الواقع .

●

الحاسبات الالكترونية والاستقصاء :

لقد أثبتت الحاسبات الألكترونية فاعليتها كوسيلة متطورة للتحرى أو للاستقصاء أو للسبر فى البحوث العلمية فى مجال العلوم الاجتماعية ، حيث استخدمت فى العديد منها ، وفى محاولة لتقييم دورها خلال تلك البحوث يؤكد علماء المنهجية أن تلك الحاسبات سمحت بإيجاد ما يسمى بتكوين « الأشباه » التى تمكن من ملاحظة ما سيصبح عليه سكان موضوعون تحت شروط ديموجرافية معينة ، وبسبب عدم كفاية وسائل الحساب كان يجب تبسيط المعطيات ، لكن أمكن عن طريق الحاسبات الألكترونية حل كل التعقيدات المحتملة من جهة والممكنة الحل طبعا من جهة أخرى ، وبحيث أمكن كذلك إقامة « أوضاع نموذجية » تشكل أطرزة تقترب من الأوضاع الحقيقية للسكان بصفة مستمرة(٥) .

والخلاصة أن الحاسبات الألكترونية تعتمد على « التجريب المستعار » الذى ينطلق هو الآخر من تكوين « أشباه مختلفة » لمفردات الظواهر الاجتماعية المبحوثة .

●

كيف تؤدى الحاسبات الالكترونية ادوارها :

هناك شبه كبير بين طريقة عمل كل من العقل البشرى والعقول الألكترونية ، ففى أى عملية من العمليات الحسابية . : لابد أولا من توافر البيانات الخاصة بها ، ولابد

ثانيا من توافر الإلمام الكافى بكيفية التعامل مع تلك البيانات باستخدام المعلومات والمهارات المختزنة فى المخ ، ثم بعد ذلك تتم عملية الحساب واستخلاص النتائج ، وإن كان العقل البشرى يؤدى ذلك عن طريق الحواس لاسيما ما اتصل منها بالإحساس والإدراك وعلى النحو الذى ذكرناه عند حديثنا عن الملاحظة العلمية ، فإن العقل « الحاسب » الألكترونى يفعل نفس الشيء حيث :

١ – يمد ذلك العقل بالمعلومات أو البيانات المطلوب التعامل معها حسابيا عن طريق تشغيل وحدات خاصة تسمى « المدخلات » أو وحدات الإدخال ؛

٢ – يعطى الحاسب الألكترونى كافة المعلومات اللازمة للتعامل مع البيانات وحلها ، ويقوم العقل الألكترونى بتخزين هذه المعلومات وفق برامج خاصة ؛

٣ – يؤمر الحاسب عن طريق أمر التشغيل بحل هذه العملية وعمل الحساب حسب برنامج الحل المختزن بواسطته .

٤ – تقوم وحدات الإخراج الخاصة بالحسابات الألكترونية بتقديم النتائج إما بصورة مجمعة أو بصورة جزئية ، دفعة واحدة أو على دفعات وذلك على حسب البرنامج الخاص بالعقل الألكترونى .

إذن العقل أو الحاسب الألكترونى يستقبل البيانات عن طريق وحدات الإدخال ؛ بينما العقل البشرى يستقبلها عن طريق الحواس ، والعقل الألكترونى يقوم بتخزين هذه المعلومات فى وحدات التخزين الخاصة به ، بينما يخزنها العقل البشرى فى المخ ، وبعد التعامل مع هذه البيانات يخرج العقل الألكترونى النتائج عن طريق وحدات الإخراج ، بينما يقوم العقل البشرى بالتعبير عنها كميا أو كيفيا بالكلام أو بالكتابة أو بكليهما معا .

ولكن تبقى للعقل البشرى ابتكاريته وقدرته على التصرف فى المواقف الطارئة ، فى مقابل أن العقل الألكترونى غير قادر فقط إلا على التصرف وفق الأوامر المعطاة له والمختزنة سلفا لديه ، وصحيح يبقى تفوق العقل الألكترونى من خلال قدرته الفائقة سواء على التعامل مع أكثر من عملية فى آنواحد أو فى سرعته المتناهية فى استخراج النتائج ، لكن يبقى دوما قصوره أمام العقل البشرى ليس فقط باعتبار العقل البشرى هو المهيمن والمسيطر ، ولكن باعتبار أن العقل الألكترونى هو مجرد معيد أوراد لمعلومات لقنت له سلفا .

وليس معنى كل الذى قلناه خلال المقارنة بين العقول البشرية والألكترونية أن هذه الأخيرة بلا جدوى حقيقة ، ولكن العكس يكاد يكون هو الصحيح تماما :. لأن جدوى الحاسبات الألكترونية محسومة من خلال الإنجازات الرهيبة التى حققتها ليس فقط فى مجال البحوث العلمية ولكن فى شتى مجالات المتابعة والتقويم وتبسيط الإجراءات والارتفاع بالنظم الإدارية ووصول الخدمات إلى معدلات مذهلة : « إلخ :

●

السيبرنتيك والبحوث العلمية :

تعتمد السيبرنتيك Cypernetics على المزاوجة بين تكنولوجية المعلومات وتكنولوجية الاتصالات ، وتعنى ببناء إطار نظرى ينهض على المماثلة بين الكائنات العضوية أو الحية — ومن بينها الإنسان بالطبع — وبين الآلات سواء من حيث قدرة العمليات العضوية والميكانيكية على توصيل المعلومات داخل الأنساق العضوية أو الميكانيكة ، أو سواء من حيث القدرة على تحقيق نوع من السيطرة والتدعيم الذاتى من خلال عملية التغذية المرتدة .

لكن ما هى السيبرنتيك ؟ !

١ — السيبرنتيك تعنى « دراسة المخ والجهاز العصبى بالنسبة للعقل الألكترونى ، أو هى علم التوجيه أو الضبط ، أوهى علم يتيح لإنسان أو لآلة أوتوماتيكية أن يوجها وأن يبلغا هدفا معينا « من القاموس » .. (٥) .

٢ — السيبرنتيك أو السيبرنطاقية كمصطلح إنما تعنى « علم التوجيه وعمليات الاتصال فى الآلات وفى الكائنات الحية ».. (٦) .

وواضح من التعريفات السابقة أن السيبرنتيك بصرف النظر عن اعتبارها علما ، فهى تعد طريقة تمكن الإنسان من إحكام السيطرة على مختلف المجالات الزمنية والمكانية المحيطة به من خلال الآلات التى تتولى نيابة عنه مهام الضبط ومن ثم التحكم فالتوجيه.

هذا وتنهض الفكرة الأساسية للسيبرنتيك على أن السلوك سواء كان سلوكا عضويا لكائن حى أو سلوكا آليا لآلة ما ، إنما يتم تنظيمه وتوجيهه من خلال المعلومات والبيانات الموجهة إليه ، ويتم توجيه السلوك من خلال رسائل أو إشارات هى التى

تثير أو تحكم مختلف التصرفات التى تتم وفقا لذلك التوجيه فى إطار النظام القائم سواء بالنسبة للفرد أو الآلة .

ومن الطبيعى أن يكون هناك رد فعل لتلك الرسائل أو الإشارات الموجهة من خلال حدوث استجابات متبادلة لها « ردود افعال » .

هذا وتكمن أهمية السيبرنتيك بالنسبة للبحث العلمى من خلال نفس فكرة إحلال الآلات محل العمليات الذهنية التى يقوم بها العقل البشرى من خلال الإحساس والإدراك ، وبحيث يتيح ذلك الإحلال التكنولوجى للانسان فرصا أوسع سواء لاستثمار قدراته العقلية أو لتوسيع مداركه ومعارفه القائمة على تنويع مصادره الثقافية ، ومن الطبيعى أن ينعكس ذلك كله لدى الباحثين العلميين على مختلف عملياتهم البحثية .

●

المماثلة بين العقل البشرى والعقل الآلى من خلال السيبرنتيك :

يفترض « فينر Wiener » أن التطور فى نظم الاتصالات يرتبط بالتفسير البيولوجى من خلال المماثلة بين العقل البشرى والعقل الالكترونى ، وهو يرى أن المخ فى جسم الكائن العضوى أو الحى تصله رسائل مستمرة من بقية الأجزاء المختلفة للجسم ، ولذلك فإن هناك عملية اتصال مستمرة داخل الجهاز العصبى ، ويقول « فينر » أن عملية الاتصال تلك تتمثل فى عدد من الرسائل المتجهة إلى المركز أو الهدف ، ثم رسائل مرتدة تفيد الانجاز ، وخلال ذلك كله تحدث عمليات تكيف مستمرة وسريعة مع كل معلومة جديدة ثم ما يلبث أن يظهر لها رد فعل وهكذا(٧) :

وبالمثل يمكن تطبيق ما يحدث فى جسم الكائن العضوى أو الحى على ما يحدث داخل العقول الآلية أو الحاسبات الألكترونية ، هذا ويمكن استغلال هذه المماثلة وخاصة فى ظل التطور التكنولوجى الهائل لزيادة معدل الاتصالات واستنباط نظم ذات فعالية عالية لتوفير ردود الفعل أو المعلومات المرتدة من خلال قنوات اتصال كفء وملائمة حتى تكون تلك المعلومات المرتدة « ردود الأفعال » أمام المعنيين باتخاذ القرارات فى الوقت والكيفية الملائمين ، ولا يهم كثيراً أن يكون اتخاذ القرار هنا خاصا بإدارة مؤسسة أو إدارة بحث علمى أو حتى إدارة معركة حربية ... ! !

●

الخلاصـــة :

إن استخدام الحاسبات الألكترونية سواء فى صورتها المباشرة ، أو من خلال مزجها بتكنولوجيا الاتصالات « السيبرنطاقية » أتاح آفاقا جديدة أمام البحوث العلمية لاسيما فى مجال العلوم الاجتماعية أو الإنسانية ، لأن الحاسبات الالكترونية لا تقوم فقط بعملية تسجيل وخزن المعلومات وإنما تقوم أيضاً بمختلف عمليات التحليل الرياضى والإحصائى التى كانت تستلزم فى الماضى جهداً خرافيا فضلاً عن التكاليف الباهظة والوقت الطويل .

المهم أن قدرة الحاسبات الألكترونية على تناول أعداد لانهائية أحيانا من المتغيرات قد صارت هى العامل الحاسم فى الكثير من البحوث العلمية وخاصة فى المراحل النهائية للبحوث أثناء التعامل مع البيانات المجموعة وتحليلها لاستخلاص المعطيات منها أو من خلال توفير البدائل المناسبة للمفردات البشرية المستخدمه داخل إطار البحوث العلمية .

إذن العقول الألكترونية ذات فعالية وقيمة فى البحوث العلمية وتحل كثيراً من مشكلة صعوبة التجريب وخاصة فى مجال العلوم الاجتماعية ، وصحيح أنها توفر كما هائلا من الوقت والجهد والمال خلال التعامل من المعلومات المتوافرة واستخلاص النتائج المناسبة منها ، ولكن لا يمكن لهذه الحاسبات أن تلغى دور العقل البشرى فى البحوث العلمية أو تحل محله ، بل إن هذه العقول الألكترونية سوف تظل عبيداً مخلصة للعقول البشرية مادامت هى المطورة والمبدعة لها :هذا فضلاعن عجز الحاسبات الألكترونية عن التعامل مع أشياء أو ترجمتها كميا ، وأعنى بها عجزها عن التعامل مع القيم الإنسانية المختلفة : ،



المصـــادر

١ – للاستزادة حول هذه النقطة انظر :

دكتور صلاح الفوال – منهجية العلوم الاجتماعية – مصدر سابق ص ص ١٥١–١٥٣ .

٢ – للاستزادة انظر :

P. Vincent. «Application des ensembles électroniques à la recherche démographique», Journal de la Société de Paris, 7 — 9, 1964 : 135 — 164.

٣ – للاستزادة انظر :

J. Bourgeois — Pichat dans, Tendances Principales de la recherche dans les Sciences Sociales et humaines, Partie 1 : Sciences Sociales (c) Unesco, 1970.

٤ – نفس المرجع السابق .

٥ – انظر القواميس الآتية :

(أ) المورد – انجليزى عربى – ص ٢٤٣ .

(ب) المنهل – فرنسى عربى – ص ٢٨٠ ؛

(ج) العصرى – انجليزى عربى – ص ١٨١ .

٦ – انظر :

Norbert Wiener : Cybernetics, John Wiley and Sons Inc., New York, 1948, Chap. 1.

٧ – للاستزادة انظر .

Norbert Wiener : The Human use of Human beings Double Day and company, Inc., New York, 1954, Chap 3.

***

الباب الخامس

أدوات البحث فى العلوم الاجتماعية

- الملاحظة فى البحوث العلمية ·
- المقابلة والبحث العلمى ·
- الاستمارة ودورها فى البحوث العلمية·

الفصل السادس عشر

الملاحظة فى البحوث العلمية

- مقـــدمة
- ما هى الملاحظة
- طبيعة الملاحظة
- انماط الملاحظة واساليبها
- الملاحظة المبسطة
  - — الملاحظة المشاركة
  - — الملاحظة غير المشاركة .
- مجالات الملاحظة المبسطة وابعادها
- كيفية تسجيل الملاحظات
- كيف تتم عملية الملاحظة المبسطة
- الملاحظة المقننـة
- مميزات الملاحظة وعيوبها
- شروط الملاحظة العلمية

الملاحظة فى البحوث العلمية

مقــــدمة :

من الأمور المتفق عليها بين علماء المنهجية ، أن الملاحظة Observation تعد من العمليات الضرورية لكل البحوث العلمية سواء فى مجال الظواهر الطبيعية أو الانسانية :

ولم تكتسب الملاحظة تلك الأهمية على اعتبار أنها من أقدم الوسائل التى عرفها الإنسان خلال سعيه نحو الحقيقة منذ أقدم العصور ، وإنما اكتسبت الملاحظة مكانتها تلك باعتبارها ركيزة البحث العلمى فى الكشف عن مختلف جوانب الظاهرة المبحوثة ، مع ما يستتبع ذلك الكشف من تحليل وتفسير وتنبؤ .. !

هذا وتعتمد الملاحظة بصفة أساسية ومباشرة على الحواس الخمس للملاحظ ، ولو أن الأمر لا يمنع أن يستعان خلال عملية الملاحظة بعدد من الأدوات والمعدات بحسب طبيعة الظاهرة أو الموضوع الملاحظ من جهة ، وعلى حسب طبيعة الملاحظة ذاتها -كعملية- من جهة أخرى . . !

بمعنى هل الملاحظة : : ملاحظة عمدية أم عفوية . : هل هى ملاحظة علمية يقوم بها باحث متخصص ، أم هى ملاحظة تتم كيفما اتفق .. !

ثم هل الشخص الملاحظ :: مدرب بدرجة كافية سواء على عملية الملاحظة أو على استخدام بعض الأدوات أو المعدات التى يلزم استخدامها سواء لتسهيل عملية الملاحظة أو لتوفير أكبر قدر ممكن من الدقة والموضوعية خلالها .. !

●

ما هى الملاحظــة ؟!

الملاحظة لغة تعنى النظر إلى الشىء الملاحظ بمؤخر العينين ، دلالة على التدقيق ، كما يقال لاحظه أى راعاه :. بمعنى نظر الأمر إلى أين يصير ، أو مراقبة الشىء ، فرعى النجوم يعنى مراقبتها (١) .

وعلى ذلك فالملاحظ هو الرقيب أى الحافظ والمنتظر ، والترقب والارتقاب يعنى الانتظار (٢) .

هذا وقد تعنى الملاجظة مجرد المشاهدة .. !!.

إلا أننا نرى أن الملاحظة هى « مراقبة مقصودة تستهدف رصد أية تغيرات تحدث على موضوع الملاحظة سواء أكان الملاحظ ظاهرة طبيعية أو حيوانية أو إنسانية أو مناخية » .

وهذا التعريف الذى قدمناه للملاحظة يمثل الحد الأدنى أو المشترك بين جميع أنواع الملاحظات مع اختلاف طبيعتها وأهدافها .

كما أن ذلك التعريف يحدد ثلاثة أركان رئيسية للملاحظة هى :

١ ـ شخص يلاحظ .

٢ ـ شىء ملاحظ .

٣ ـ ناتج الملاحظة .

ولا يهم كثيراً أن يكون الشخص الملاحظ هنا شخصاً مدرباً على عملية الملاحظة وفنونها أم لا ؟! :. لأن الملاحظة ـ كعملية ـ هى من نواميس الطبيعة البشرية فضلا عن أن الإنسان يقوم بها ليس مع كل يوم أو كل ساعة .. بل مع كل طرفة عين ومع كل لحظة تأمل يفكر خلالها فى كل ما يحيط به ، ولو أن المهم هو أن تتوافر نية الملاحظة لدى من يقوم بها .

كما لا يهم أن يكون الشىء الملاحظ .. فردا أو جماعة أو مجتمعاً أو ظاهرة طبيعية أو مناخية .. أو حتى أن يقوم الملاحظ بملاحظة ذاته بدنياً أو نفسياً :

أما عن حاصل الملاحظة أو المنتج النهائى لها .. فهو المعرفة .. وليس من الضرورى أن تكون المعرفة فى كل الأحوال علمية ، لأن العلمية هنا ترتبط أولا وأخيرا بطبيعة المنهج العلمى المستخدم فى الحصول عليها :

بمعنى أنه إذا كانت الملاحظة . . ملاحظة مقننة فإن المعرفة هنا كما يقول « ولفرد تروتار » تستمد من ملاحظة أوجه الشبه وحالات التكرار بين الوقائع التى تحدث حولنا (٣) .

●

طبيعة الملاحظة :

الملاحظة إذن .. قد تكون ملاحظة عفوية .: تلقائية .: بسيطة ، تتم بغير تخطيط أو إعداد مسبق ، أو قد تكون على العكس من ذلك تماما .: ملاحظة مقننة .: خطط لها بعناية .. حددت وسائلها وغاياتها بدقة ، كما تم اختيار القائمين بها وفق شروط ومواصفات خاصة وربما استدعى الأمر إعدادهم للقيام بالملاحظة وفق برامج تدريبية معينة .

المهم أن الملاحظة .. إما أن تكون ملاحظة عادية أو ملاحظة علمية .. الأولى يمارسها كل الناس بقصد التعرف على ما يحيط بهم أو يشغلهم من ظواهر وأمور ، والثانية لها ممارسون من نوع خاص ، الأولى عفوية والثانية مبرمجة ، الأولى تلقائية والثانية علمية ، الأولى تلعب فيها الحواس الإنسانية الدور الأساسي ، والثانية يدعم الحواس خلالها أدوات ووسائل تختلف باختلاف التراث التكنولوجي المتراكم .

ونحن هنا لسنا معنيين بالنوع الأول من الملاحظة ، على الرغم من قناعتنا بالدور الذي يمكن أن تلعبه الصدفة من خلال الملاحظة العفوية في تقدم واثراء المعرفة الإنسانية ، إلا أننا على الرغم من تلك القناعة سوف نهتم بالملاحظة المقننة باعتبارها الأداة المنهجية للمعرفة العلمية .

وعودة إلى طبيعة الملاحظة .. لنجد أن هذه الطبيعة تنهض على علاقة محورية بين الأركان الثلاثة التي سبق أن حددناها .. وهي الشخص الملاحظ .. والشيء الملاحظ والمنتج أو الناتج عن عملية الملاحظة .

حيث إنه من الأمور المتفق عليها أن الشيء الملاحظ إنما يتوقف بالدرجة الأولى على الشخص الملاحظ ، فضلا عن أن ناتج الملاحظة هو نتيجة طبيعية للعلاقة بين الفرد وبين ما يلاحظه .. ! !

ومن هنا كان لابد من وجود عدة ضمانات حتى لا تختل العلاقة بين الملاحظ وما يلاحظه .. بمعنى ضمان ألا يقع الملاحظ فريسة لخداع حواسه ، ولأن الملاحظة عملية حسية وذهنية في ذات الوقت .. فمن الضروري ضمان ألا ينخدع الملاحظ بما قد تتصوره حواسه فيختلق ملاحظات وهمية ، وبالتالي تنتقل تلك الملاحظات الكاذبة من الحواس إلى العقل وتزوده بمعلومات غير حقيقية فتكون النتيجة استنتاجات أو مستخلصات وهمية أيضاً .

ومن الأقوال المأثورة لـ « جوتة » فى هذا المجال « أننا لا نرى إلا ما نعرفه » أو أننا — كما يقول المثال القديم الذى أورده « بفردج » .. نميل إلى رؤية ما يقع وراء أعيننا أكثر مما يظهر أمامها (٤) .

وهذا يضيف بعدا جديدا .. مؤداه أن الحواس وحدها ليست بالضرورة هى المصدر الوحيد لخداع الملاحظ ، وإنما قد يقوم عقله أيضاً بنفس عملية الخداع كنتيجة طبيعية لما يعتوره من أشياء غير حقيقية أو غير علمية خصوصا ما اتصل منها بموضوع الملاحظة ، ولا يهم كثيراً أن تتم عملية الخداع العقلية تلك بوعى أو بدون وعى لأن تأثيراتها الضارة على المستخلص النهائى لعملية الملاحظة واقعة لا محالة فى كلتا الحالتين الأمر الذى يبعد ناتج الملاحظة تماما عن الموضوعية وبالتالى عن العلمية (٥) :

ولو شئنا تحديدا أكثر لطبيعة الملاحظة لقلنا أنها ليست قاصرة على عملية المشاهدة باعتبارها إدراكا حيا ، وإنما هى المشاهدة منقولة إلى العقل الذى يقوم بدوره — واعياً أو غير واع — فى ترجمة تلك المشاهدات إلى مستخلصات أو ملاحظات منطوقة أو مكتوبة « بالكلام أو بالكتابة » حول الشىء الملاحظ .

هذا ولقد ميز «كلود برنار» بين نوعين من الملاحظات .. أولها .. تلقائية أو سلبية ، وثانيهما .. متعمدة أو إيجابية (٦) .

والملاحظة فى الأولى .. تكون دوما غير متوقعة .. تلعب فيها الصدفة الدور الأساسى ، أو سعت للملاحظ ولم يسع إليها ، والثانية خطط الباحث للقيام بها وبذل خلالها جهداً عمدياً الغرض منه الوصول إلى المعرفة العلمية مزودا بمنهج علمى ومنطلقا من افتراضات وتصورات يعتقد أنها تساهم فى حل مشكلة بحثه .

وعلى كل حال فإن خبرة الملاحظ ووضوح الرؤية لديه يشكلان أكبر ضمان لنجاح عملية الملاحظة فى تحقيق غاياتها المحددة لها سلفا ، كما تلعب خبرة الملاحظ نفس الدور حتى فى الحالات التى تتم فيها الملاحظة بطريقة تلقائية أو عفوية حيث تبرز قدرة الباحث على استثمار ما ساقته إليه الصدفة وتوظيفة لصالح المعرفة العلمية التى قلنا عنها قبلا أنها تشكل الهدف النهائى للملاحظة .

●

انماط الملاحظة وأساليبها :

اختلف علماء المنهجية فى تحديد أنماط الملاحظة وأساليبها ، إلا أن الاتجاه الغالب يرى أن الملاحظة تنقسم إلى نمطين أساسيين ، أولهما يعرف بالملاحظة المبسطة وثانيهما يعرف بالملاحظة المقننة ، مع توافر عدة صور وأساليب لكل من النمطين بمكنانه من تحقيق هدفه وذلك على النحو الآتى :

●

الملاحظـة المبسـطة :

ويقصد بها (٧) أن تتم عملية ملاحظة الظواهر وهى فى حالتها التلقائية دون تعمد أو دون ضبط علمى ، أو بمعنى آخر .. هى تلك الملاحظة للظواهر من خلال ظروفها الطبيعية دون استخدام لأى نوع من أنواع العد والقياس .

هذا وللملاحظة المبسطة أسلوبان رئيسيان تتم من خلالها .. يعرف أولها بالملاحظة المشاركة ، ويعرف الثانى بالملاحظة غير المشاركة ، وذلك على النحو التالى :

●

الملاحظة المشاركة :

وتطلق عليها « بولين يونج » (٨) مصطلح Non Controlled Participant Observation ونعنى بالملاحظة المشاركة ، تلك الملاحظة التى تمكن الباحث من أن يحيا وسط الناس الذين يرغب فى ملاحظتهم ، وتتيح له أن يساهم فى مختلف أوجه النشاط للمبحوثين ، ومن الطبيعى أن تكون معايشة الباحث لمجتمع بحثه لفترة مؤقتة تتحدد سلفا وفقاً لخطة البحث .

هذا وقد انتشر استخدام أسلوب الملاحظة المشاركة فى الدراسات الأنثربولوجية سواء تلك التى تعرضت لدراسة الوحدات الاجتماعية الصغيرة كالأسرة أو الكبيرة كالقبيلة والقرية والمدينة .. إلخ .

ومن ألزم الأمور على الباحث من خلال أسلوب الملاحظة المشاركة أن يساير الجماعة أو المجتمع المبحوث كأى عضو فيه ، بمعنى أن يخضع لنفس الظروف والمؤثرات التى يخضع لها مجتمع بحثه ، وعليه أيضاً ألا يفصح عن شخصيته حتى لا يلجأ المبحوثون إلى تضليله باستخدام أساليب التكلف والرياء لإخفاء مشاعرهم وأنماط سلوكهم

الحقيقية ، وإن كان الأمر لا يمنع الباحث من أن يفصح عن شخصيته ويعلن هدفه البحثى إن استشعر ألفة من أفراد المجتمع المبحوث وتفهما للمهمة العلمية التى يقوم بها ؛

ويسدى علماء المنهجية مجموعة من النصائح للباحثين الذين يرغبون فى اتباع هذا الأسلوب وذلك على النحو الآتى :

١ ـ لابد أن يستخدم الباحث كل حذقه ومهارته وحرصه وهو يقدم نفسه لمجتمع بحثه لأن أى خطأ كفيل بأن يفشل مهمته .

٢ ـ ألا يتحيز الباحث إلى أى فريق من مجتمع بحثه ، بل يجب عليه الحرص الشديد أثناء تعامله مع مختلف القوى المؤثرة فى الحياة الاجتماعية حتى يضمن تعاون الجميع معه ومحبتهم له .

٣ ـ ألا ينسى الباحث نفسه أثناء انخراطه فى الحياة اليومية للمجتمع المبحوث ، وإنما عليه أن يتذكر دوما مهمته العلمية ، وعلى الباحث ـ فى رأى كثير من علماء المنهجية ـ أن يحدد منذ البداية درجة مشاركته فى الحياة الاجتماعية للمجتمع المبحوث ، ويرون أنه من المفضل ألا يشارك الباحث فى النشاط اليومى وأن يعلن بوضوح عن شخصيته وهدفه لأن ذلك يتيح له حرية مطلقة سواء فى التعرف على مختلف الأنماط التى يريد أن يتعرف عليها أو بالنسبة لتوجيه لبعض الأسئلة والاستفسارات التى يرى أنها ضرورية لاستكمال مختلف جوانب البحث :

●

الملاحظة غير المشـــاركة :

ويقصد بها تلك الملاحظة التى تتم دون أن يشترك الباحث بأى صورة من الصور فى أى نوع من أنواع النشاط اليومى للمجتمع المبحوث ؛

ويرى علماء المنهجية أن الملاحظة غير المشاركة كأسلوب من أساليب الملاحظة المبسطة يستخدم لملاحظة الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات ذات الاتصال المباشر ، كما يرى نفس العلماء أن لهذا الأسلوب ميزة تتمثل فى تمكين الباحث من أن يلاحظ السلوك كما يحدث فعلا وفى الواقع وبصورة طبيعية .

●

مجالات الملاحظة المبسطة وابعادها :

ينتشر استخدام هذا الأسلوب فى الدراسات الاستطلاعية ، أو هى – أى الملاحظة المبسطة – تصلح بالدرجة الأولى لدراسة الموضوعات المرنة أو غير المحددة بدقة ، لأن الباحث عادة عندما يتجه لدراسة أية ظاهرة من الظواهر ، عليه أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن تلك الظاهرة من خلال ملاحظتها فى جميع الظروف الموجودة فيها ، ثم بعد ذلك على الباحث أن يضيق نطاق ملاحظته فلا يجمع سوى البيانات التى تهمه فقط طبقاً لخطة بحثه .

ومع التسليم بأن الملاحظة المبسطة تفتقر إلى التحديد الدقيق إلا أن علماء المنهجية يرون أنها – أى الملاحظة – يمكن أن تتحدد من خلال موضوع الدراسة والموقف الإجتماعى الذى يحيط بالظاهرة المبحوثة ، وبالتالى فإن ذلك الموقف الاجتماعى المحيط بالظاهرة محل البحث يتضمن مجموعة من الأبعاد الرئيسيه نوردها هنا باختصار على الوجه الآتى :

١ – الملاحظـــون :

ونعنى بهم أولئك الذين هم محل الملاحظة ، وما ينبغى على الباحث أن يجمع من بيانات حولهم فيما يتعلق بالنوع والسن ووضعية كل فرد خلال الملاحظة إلى جوار مكانته العامة والأدوار التى يؤديها ، ثم ماهى الصلة التى تجمع بين الأفراد الملاحظين إن وجدت وما كنهها ؟

٢ – مجال الملاحظـة :

ونعنى به مسرح الحوادث التى تم ملاحظتها ، إذ يجب على الباحث أن يكون على معرفة مسبقة بالمجال المكانى للملاحظة ليتخير نوع السلوك الذى يتناسب وذلك المجال بما يضمه من صفات أو سمات اجتماعية بارزة .

٣ – شكل وطبيعة تجمع الملاحظين :

بمعنى هل تجمع أفراد البحث أهداف دائمة ، أو كان إجتماعهم مؤقتا ، وماهى استجاباتهم خلال ذلك التجمع ، وهل يسعون لتحقيق أهداف مشتركة أم أنهم اجتمعوا لتحقيق غرض محدد ثم انفضوا بعد ذلك ، ثم كيف يتصرفون ، وماهى سلوكيات كل واحد منهم تجاه الآخر سواء عند التعامل الشخصى أو عند التعاون لتحقيق الغرض المشترك ؟!

٤ ـ مدى استمرارية الموقف الاجتماعي المبحوث وتعدده :

ونعني بهذا ، هل الموقف الملاحظ مستمر أو مؤقت ، متكرر أو جديد لم يسبق حدوثه ، ثم إذا كان ذلك الموقف متكرراً فما هي العوامل والأسباب التي ينتج عنها ، ثم هل يمكن تعميم المستخلص من ملاحظة هذا الموقف على غيره من المواقف المشابهة .. إلخ (٩) ؟!.

●

تسـجيل الملاحظة المبسـطة :

يرى غالبية علماء المنهجية أفضلية تسجيل الباحث لملاحظاته أولا بأول وفي ذات الوقت الذي تجرى فيه عملية الملاحظة ، وذلك ضمانا لتقليل احتمالات التحيز وتلافيا لأخطاء النسيان ، وحرصا على عدم اختلاط المعلومات المتوافرة نتيجة لطول فترة الملاحظة :

وإن كان بعض علماء المنهجية يعارضون عملية التسجيل الفوري بشدة ومبررهم في ذلك أن المبحوث إذا ما أدرك أنه مراقب فإن الشك يثور لديه بالنسبة لنوايا الملاحظ ومن ثم يعمل ـ أي المبحوث ـ على تضليل الباحث أو عدم التعاون معه ، ويضيف أصحاب هذا الاتجاه أيضاً أن انهماك الباحث في التسجيل أثناء عملية الملاحظة قد يشتت انتباهه ويأخذه بعيداً عن ملاحظة أمور كانت ضرورية بالنسبة للظاهرة المبحوثة ؛

وعلاجا لهذا الاختلاف في الرأي .: فإننا ننصح أن يأخذ الباحث في اعتباره وجهتي النظر خلال وضعه لخطة بحثه مع مراعاة أنه إذا ما وجدت مواقف يصعب التسجيل فيها فوراً أو أمام المبحوثين فلا بأس أن يدون الباحث بعض النقاط الأساسية في بطاقة أمامه دون أن يلحظ ذلك المبحوثون ، وأن يلجأ للتسجيل الكامل عقب الانتهاء من عملية الملاحظة مباشرة ، أو ينسحب الباحث من عملية الملاحظة لفترات قصيرة يسجل خلالها ملاحظاته ثم يعود لمباشرة ملاحظته إذا ما قدر هو أن ذلك لن يضر أصلا بعملية الملاحظة ومايمنتج عنها من بيانات :

●

كيفية تسـجيل الملاحظات :

هذا وتوجد طريقتان للتسجيل متفق عليهما تماما من علماء المنهجية وهما طريقتا :

(أ) التسـجيل الفورى :

بمعنى أن يقوم الباحث بتسجيل ملاحظاته فى نفس وقت حدوثها : : أى يقوم الباحث بتسجيل ما يلاحظه عن الظاهرة المبحوثة أولا بأول علاوة على قيامه بتفسير ما يلاحظه فور ملاحظته له .

(ب) التقسيم المسبق للتسجيل :

ويعتمد على ما يتوقع الباحث ملاحظته فيقسمه إلى موضوعات أو فئات ، بمعنى أن يقسم الباحث مختلف الظواهر التى عليه أن يلاحظها إلى فئات معروفة لديه حتى يسهل عليه ملاحظتها وبحيث لا يفوته شىء منها :

ولا مانع طبعا . . بل يستحسن فى كثير من المواقف أن يجمع الباحث بين هاتين الطريقتين لضمان أكبر قدر ممكن من النجاح لمهمته البحثية .

●

كيف تتم عملية الملاحظة المبسطة :

وعلى كل حال توجد مجموعة من النصائح التى يجب على الباحث أن يأخذها فى اعتباره أثناء عملية الملاحظة .. نوردها فيما يلى :

١ — على الباحث ألا يخلط بين ما يراه فعلا أو بين ما يلاحظه وبين تفسيراته الشخصية لما يراه أو يلاحظه ، وذلك منعاً للخلط بين الحقائق الموضوعية عن الظاهرة المبحوثة وبين الجوانب الذاتية للباحث .

٢ — يستحسن أن تلاحظ الظاهرة من طرف مجموعة من الباحثين الذين يستخدمون طريقة واحدة للتسجيل ، وبعد انتهاء عملية الملاحظة يجتمع كل هؤلاء لاستعراض ومقارنة ما لاحظوه وسجلوه ثم استبعاد غير المتفق عليه تسجيلا وتفسيرا :

٣ — يجب على الباحث أن يقوم بتسجيل كل ما يقع أمام ناظريه من أمور مهما بدت من وجهة نظره بسيطة أو حتى تافهة ، لأن حصيلة البيانات المجموعة ككل هى التى ستعطينا التفسير المطلوب للظاهرة المبحوثة فى النهاية .: فضلا عن أن ما يبدو أمام الباحث

الآن غير مألوف ويجب تسجيله قد يبدو غير ذلك فيما بعد حينما يعتاد على الظاهرة المبحوثة ويألفها وبالتالى قد يقعده ذلك عن تسجيل كل ما يراه وما ينتج عن هذا الكسل من ضياع حقائق قد تكون على قدر كبير من الأهمية .

٤ ـ التسجيل أولا بأول لكل ما يلاحظه الباحث لأن التأجيل يخلق حالة من تراكم المعلومات التى يستتبعها بالضرورة ضياع للعديد من التفاصيل التى قد تفيد فى تفسير الظاهرة المبحوثة .

٥ ـ عرض البيانات المجموعة على عدد من الخبراء للاستفادة بآرائهم فى توجيه الباحث سواء من حيث طريقة الملاحظة أو من حيث البيانات المجموعة وأهميتها .

●

الملاحظة المقننة :

وتشكل الملاحظة المقننة (١٠) النمط الثانى من أنماط الملاحظة ، والذى يختلف بالضرورة عن سابقه « الملاحظة المبسطة » ، ومحك الاختلاف الأساسى هنا هو خضوع الملاحظة المقننة لنوع من الضبط العلمى .

والضبط الذى نقصده هنا .. ضبط ينسحب على عملية الملاحظة ككل : بحيث يشمل كل الأطراف المشاركة فيها .. الباحثين والمبحوثين وموضوع الملاحظة والغايات التى تسعى إليها وكذلك الموقف الاجتماعى الذى يحتوى كل هؤلاء الأطراف جميعا .

ومن هنا شاع استخدام الملاحظة المقننة فى الدراسات التى تختبر فروضا سببية ، أو فى تلك الدراسات التى تستهدف تقديم وصف دقيق لظاهرة ما .

ويرى كثير من الباحثين أن هناك الكثير من الخصائص المشتركة بين نوعى الملاحظة المبسطة والمقننة ، وإن كان البعض يرى أن الفرق الجوهرى بين الأسلوبين يرجع إلى أن الباحث فى الملاحظة المقننة يعرف الجوانب الهامة التى لها صلة مباشرة بدراسته والتى يمكن بالتالى أن تفيد بحثه ، وهذه المعرفة تجعله فى موقف يسمح له بأن يصمم خطة لإجراء ملاحظاته وتسجيلها قبل البدء فى جمع البيانات (١١) .

ولو أننا نرى أن معرفة الباحث بما يجب أن يلاحظ فضلا عن وضعه خطة أو تصميما ولو مبدئيا لعملية الملاحظة .. هو من الأمور الحيوية لعملية الملاحظة سواء فى

شكلها المبسط أو المقنن ، خصوصا وأن التقنين هنا :. هو نوع من الضبط المعملي الملازم لعملية التجريب وعلى النحو الذى سبق أن عالجناه ضمن مؤلفنا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » .. (١٢) .

وعلى كل فإن الفرق بين نمطى الملاحظة المبسطة والمقننة ، إنما يكمن فى قدرة الملاحظ على التحكم فى مختلف الظروف المحيطة بموضوع الملاحظة سواء تم ذلك التحكم من خلال مواقف اجتماعية طبيعية أو من خلال مواقف معملية مع ما يصحب ذلك كله من الاستعانة بوسائل العد والقياس فضلا عن الأدوات التى تضمن حيدة الملاحظة ودقتها :

هذا ومن أهم تلك الوسائل المستخدمة فى الملاحظة المقننة.. مختلف أنواع التسجيلات الصوتية والمرئية أو كليهما معاً .:كالصور الفوتوغرافية والتسجيلات الصوتية ، أو تسجيلات « الفيديو كاسيت » والسينما وما إليها ، علاوة على التسجيلات التقريرية التى يكتبها الملاحظون أولا بأول حول موضوعات ملاحظاتهم حتى يمكن من خلالها التعرف على مختلف العلاقات بين الظواهر محل الملاحظة واستثمار ذلك فى المقارنات التى تجرى بعد ذلك للتأكد من دقة المعلومات المجموعة عن الظاهرة محل الملاحظة .

فلو أضفنا إلى ذلك استعانة الباحثين من خلال عملية الملاحظة المقننة ببعض وسائل العد والقياس والتى تستهدف بالدرجة الأولى تمكين الملاحظ من وصف مشاهدته بطريقة كمية والتعبير عن ملاحظاته بالأرقام قدر المستطاع .

نقول أنه بعد تلك الإضافة تكون النتيجة أن الملاحظة المقننة .. أكثر ضبطا من حيث طبيعة الملاحظة .: أكثر حيدة وموضوعية من حيث كم ونوع البيانات المتوافرة.: أكثر معرفة بالهدف وبأقصر الطرق وأيسرها للوصول إليه ، ولكنها فى المقابل تتطلب باحثاً من نوع خاص :

وإن ظلت الملاحظة فى كل الأحوال :. هى الملاحظة، التى تتطلب حدا أدنى من الضمانات والشروط حتى تحقق أهدافها كإحدى أهم أدوات جمع البيانات فى العلوم الاجتماعية بكل مميزاتها وعيوبها :

وما دمنا هنا بصدد المميزات والعيوب ، فسوف نذكر هنا عيوب الملاحظة ومميزاتها فى عجالة وعلى النحو الآتى :

●

مميزات الملاحظة :

حدد علماء المنهجية مميزات الملاحظة فى النقاط الموجزة التالية :

١ ـ تستخدم الملاحظة فى جمع البيانات التى تتصل بسلوك الأفراد واتجاهاتهم ومشاعرهم ، وهذه الأمور عادة يصعب التعبير عنها وخصوصا عند الأطفال .

٢ ـ تستخدم الملاحظة فى الحالات التى يستشعر فيها الباحث عدم تعاون أفراد بحثه معه أو مقاومتهم له أو عدم رغبتهم فى الإدلاء إليه بأية معلومات .

٣ ـ تمتاز الملاحظة بأنها تمكن الباحث من التسجيل المباشر عقب حدوث السلوك المراد دراسته .

٤ ـ تيسر الملاحظة جمع بيانات قد لا تفيد أدوات أخرى فى الحصول عليها .

٥ ـ تفيد فى جمع البيانات فى الدراسات الكشفية والوصفية والتجريبية .

●

عيوب الملاحظة :

١ ـ الملاحظة لا تصلح لدراسة مختلف المواقف والظواهر على الإطلاق ، بل هناك حالات ومواقف يصعب بل يستحيل على الباحث أن يستخدم فيها الملاحظة ، كدراسة مواقف تتعلق بالماضى أو بالسلوك الجنسى أو بالمشكلات الأسرية ، وذلك راجع لعدم قدرة الباحث على التنبؤ فى مثل تلك الحالات بأنماط السلوك التى يجب عليه أن يلاحظها .

٢ ـ فى حالات تعدد الملاحظين لنفس الظاهرة كثيرا ما تتعدد رؤياهم وبالتالى تتضارب بياناتهم .

٣ ـ تعتمد الملاحظة على الحواس وهى كثيرا ما تكون خداعة ، وبالتالى قد ينتج عنها بيانات لا تنتمى للواقع كثيرا .

٤ ـ قد يعمل العقل الباطن للباحث على تسجيل الملاحظات لا كما تبدو فى الواقع ولكن بناء على خبرة الملاحظ السابقة .

٥ – قد تغمض عين الملاحظ فلا ترى إلا ما يحب الملاحظ أن يراه فقط ، أى تجمع من البيانات ما يتفق واهتمامات الملاحظ واتجاهاته وأهدافه ، وما دون ذلك يهمل أو لا يلقى الإهتمام الواجب .

ولضمان تلافى تلك العيوب ، يرى علماء المنهجية ضرورة الاهتمام باختيار وتدريب الملاحظين على طرق وأساليب الملاحظة العلمية مع وضع تخطيط دقيق لعملية الملاحظة تحدد خلاله بوضوح النقاط التالية :

١ – الحالات أو الظواهر المطلوب ملاحظتها :

٢ – الكيفية التى ستتم بها عملية تسجيل البيانات :

٣ – الطرق والأساليب التى سوف تتخذ لتقييم عملية الملاحظة والتأكد المستمر من أنها تسير وفق الخطة الموضوعة :

٤ – ماهية العلاقة أو طبيعة التعامل وكيفيته بين الملاحظ والظاهرة أو الحالة أو الموقف الملاحظ :

●

شروط الملاحظة العلمية * :

اذن الملاحظة بنوعيها حتى يمكن أن تكون وسيلة ناجحة ومعتمدا عليها فى الحصول على البيانات ، أو حتى تكون أداة علمية يجب أن تتوافر لها عدة ضمانات أو شروط لعل من أهمها :

١ – أن يكون استخدامها محققا لأهداف البحوث العلمية .

٢ – أن تكون مصممة بشكل جيد :

٣ – أن يتم تسجيل نتائجها بانتظام :

٤ – أن تقيم باستمرار عن طريق تطبيق اختبارات الصدق والثبات عليها (١٣) :

***

---

* راجع ما سبق أن كتبناه من الملاحظة العلمية ضمن الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب .

المصادر والشروح

١ ــ قالت الخنساء :

أرعى النجوم وماكلفت رعيتها :

انظر : مختار الصحاح ــ مركز تحقيق التراث ــ دار الكتب المصرية ــ القاهرة صفحات ٢٤٨ ، ٥٩٣ .

٢ ــ المصدر السابق ص ٢٥٢ :

٣ ــ W. Trotter. Collected Papers of Wilferd Trotter, oxford University Press, London, 1941.

٤ ــ W. I. B. Beveridge, The Art of Scientific Investigation, W. W.. Norton and Commpany, Inc., New York, 1951. Chap. 8

٥ ــ دكتور صلاح الفوال ــ منهجية العلوم الاجتماعية ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ١٩٨٢ ص ٨٩ ــ ١٠٩ :

٦ ــ انظر بفردج ــ مصدر سابق ــ الفصل الثامن .

٧ ــ اطلقت Young على الملاحظة البسيطة مصطلح Non-Controlled observation بينما تطلق عليها Selltiz مصطلح Unstructured observation للاستزادة انظر :

(أ) Pouline Young, Scientific Social Surveys and Research, New York, 1947, PP. 202 — 217.

(ب) Selltiz, C. et al., Research Methods in Social Relations, 1961, pp. 200 — 230.

٨ – انظر :

بولين يونج – مصدر سابق – ص ٢٠٣ .

٩ – للاستزادة حول هذه النقطة انظر :

– دكتور جمال زكى والسيد يس – أسس البحث الاجتماعى – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٦٢ ص‌ص ١٨٣ – ١٨٦ :

– سيلليتز وزملاؤها – مصدر سابق ص‌ص ١٢٢ – ١٥٠ وما بعدها :

– دكتور عبد الباسط محمد حسن – أصول البحث الاجتماعى – مطبعة لجنة البيان العربى – القاهرة – ١٩٦٣ ص‌ص ٤١٥ – ٤٢٨ :

١٠ – تطلق عليها بولين يونج مصطلح « Controled observation بينما ، تطلق عليها سلليتز وزملاؤها مصطلح Structured observation ، ويرى علماء المنهجية أن الخلاف الظاهر فى مدلول المصطلحين لا يعد خلافا جوهريا أو هو لا خلاف على الاطلاق ، انظر :

– بولين يونج ، سللتيز وزملاؤها – مصدرين سابقين ، وانظر أيضا :

– دكتور جمال زكى والسيد يس – مصدر سابق ص ١٧٩ :

١١ – دكتور جمال زكى والسيد يس – المصدر السابق ص ١٩٤ :

١٢ – منهجية العلوم الاجتماعية – مصدر سابق – ص‌ص ١٢٩ – ١٥٦ :

١٣ – للاستزادة انظر :

– المرجع السابق فى مواضع كثيرة منه :

– سللتيز وزملاؤها – مرجع سابق ص‌ص ٢٠٣ – ٢٠٦ :

– دكتور عبد الباسط محمد حسن – مصدر سابق ص ٤١٨ :

***

الفصل السابع عشر

المقابلة والبحوث العلمية

- مقـــدمة
- ما هى المقابلة ؟
- محاور المقابلة
- فنون المقابلة وتقنياتها
- انمــاط المقابلات
- كيف تحقق المقابلة اهدافها ؟
- دواعى استخدام المقابلات ونواهيها

المقابلة والبحوث العلمية

مقـــدمة :

المقابلة The Interview من أكثر أدوات البحث العلمي استخداما ، ولو أنها تعتبر من أهمها على الإطلاق فى مجالات البحث العلمي لعدد من العلوم الاجتماعية ومنها على سبيل المثال .. علم النفس بفروعه المتعددة :

ونحن لا نكاد نلمح أيا من العلوم – الاجتماعية أو الإنسانية بالذات – لا يلجأ إلى المقابلة بصورة أو بأخرى : : ! !

ولكن يلاحظ أنه على الرغم من شيوع استخدام المقابلة سواء بصورة منفردة أو ضمن إطار أدوات أخرى : : يلاحظ أن عددا غير كثير من الباحثين هم الذين يجيدون استخدام فنون المقابلة نظرا لما تحتاجه المقابلة من قدرات ومهارات خاصة من ممارسيها لا تكتسب إلا من خلال المران الطويل والشاق أحيانا :

●

ما هى المقــابلة ؟!

المقابلة تعنى لغة المواجهة أو المعاينة أو الاستجواب أو الاستعراض ، وحتى لو نظرنا إلى المصطلح الانجليزى Interview لوجدناه يحمل نفس المعانى (١) ، أما فى اللغة الفرنسية فإن مصطلح Interview يعنى المقابلة أو المحادثة « وبخاصة لنشر مضمونها » (٢) :

ومن هنا فإن المقابلة تعتبر فى رأى البعض « محادثة موجهة لغرض محدد غير الإشباع الذى ينتج عنها » (٣) ، بمعنى ألا تكون المحادثة للتسلية أو لتحقيق أهداف شخصية أخرى بين المتقابلين ، وهذا الموقف يستدعى أن يكون القائم بالمقابلة واعيا ومسيطراً على جو المقابلة حتى تحقق أهدافها وفق خطة البحث العلمى الذى تجرى المقابلة فى إطاره .

ومن الباحثين من يرى أن المقابلة إنما تعنى التبادل اللفظى وجها لوجه بين القائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو أشخاص آخرين (٤) .

وهدف ذلك التبادل اللفظى واضح إذ يسعى الباحث خلاله إلى الحصول على معلومات المبحوثين أو التعرف على آرائهم واتجاهاتهم أو محاولة استكشاف مشاعرهم ودوافعهم نحو موضوع ما ، وذلك بحسب هدف المقابلة المحدد سلفا .

كما يوجد فريق آخر من الباحثين يعتبر أن المقابلة نوعا من التفاعل الودى الذى يتيح لقاء شخصيا ومباشرا بين الباحث والمبحوثين ، ويرون أن هناك العديد من المميزات التى تنشأ عن ذلك التفاعل الودى الذى هو حصيلة المقابلة الشخصية (٥) .

كما أن هناك من يرى أن المقابلة ما هى إلا « طريقة منظمة يمكن لفرد ما من خلالها أن يستكشف أعماق حياة فرد آخر كانت مجهولة لديه » . وبهذا تعتبر المقابلة من خلال ذلك الرأى .. هى الوسيلة المثالية للباحثين العلميين .. والاجتماعيين منهم بالذات (٦) .

وأخيرا هناك من يستخدم المقابلة بمعنى الاستبار ، ويرون أن ذلك الاستبار هو الوسيلة المناسبة للباحثين ورجال الأعمال وخاصة لمن ليست لديه الخبرة السيكولوجية منهم والذين بالتالى لا يمكنهم استخدام غيرها من الوسائل (٧) .

ونحن نتفق ونختلف مع عدد من تلك التعريفات : ولو أننا بالقطع نرفض تلك التى تقلل من قدر المقابلة ، ولكننا على كل حال لو استعرضنا التعريفات السابقة بإيجاز مرة أخرى لتبين لنا أن المقابلة :

١ ــ محادثة موجهة .

٢ ــ تتم بين شخص هو الباحث وشخص آخر وربما أشخاصا آخرين .

٣ ــ تعتمد على التبادل اللفظى بين طرفيها .

٤ ــ تهدف إلى الحصول على بيانات يراها أحد طرفى المقابلة « الباحث » ضرورية للحصول على معلومات تحدد كما وكيفا بحسب خطة البحث الذى تدور فى إطاره المقابلة .

٥ – يحيط جو من التفاعل الودى بين طرفى المقابلة ، لكنه تفاعل مهنى .

٦ – طريقة منظمة تمكن الباحث من استكشاف ما يدور فى أعماق المبحوث :

إذن لو شئنا تعريفا علميا مجمعا ومبسطا لكل تلك الآراء لقلنا أن المقابلة هى :

« محادثة موجهة تتم بين الباحث والمبحوثين وتعتمد على التبادل اللفظى المسجل أو غير المسجل وتهدف إلى الحصول على معلومات تتحدد كما وكيفا بحسب خطة البحث ، وحتى تحقق المقابلة أهدافها لابد أن يتم التفاعل خلالها بين طرفى المقابلة فى جو من الود » .

إذن المقابلة هى « طريقة علمية منظمة تمكن الباحث من التعرف على ما يدور فى خلد المبحوثين وفقا لخطة موضوعة » .

●

محـاور المقـــابلة :

واضح من تعريفنا السابق للمقابلة أنها تنهض على ثلاثة محاور رئيسية ، أو هى بلغة الرياضيات مثلث لا يمكن أن يتكامل شكله الهندسى بغير أضلاعه الثلاثة ، وبحيث لو غاب ضلع لكان بناء ذلك المثلث مشوها أو فقد خاصيته كشكل هندسى ذى معنى .

وأضلاع المقابلة أو محاورها الثلاثة التى نقصدها فى هذا المجال هى . : باحث ومبحوث وموقف يحتوى المقابلة ، وهذه المحاور الثلاثة محاور تتسم بالترابط والدينامية .

هذا ويمكننا أن نلقى بعض الضوء على كل محور من تلك المحاور من خلال ما يأتى :

١ – الباحث :

الباحث كطرف رئيسى فى عملية المقابلة لابد أن تتوافر لديه مجموعة من الخصائص والسمات الموروثة والمكتسبة ، ودون أن ندخل فى تفصيلات علم النفس المعقدة ، نقول أن المكونات الجسمية والنفسية والعقلية علاوة على خبرات الباحث ومشاعره وأحاسيسه وانتماءاته المختلفة ، تلعب كلها دوراً أساسياً فى إنجاح عملية المقابلة وفيما يمكن أن تحققه من نتائج :

لذلك فإن حسن اختيار الباحثين وطريقة إعدادهم من خلال التدريب والتوجيه على كيفية إدارة المقابلات وخاصة ما تعلق منها بالدوافع الشعورية أو غير الشعورية للباحثين والمبحوثين على حد سواء ، نقول أن حسن اختيار الباحثين وتوفير التدريب المناسب لهم يشكلان ضمانا أساسياً لنجاح عملية المقابلة فى تحقيق أهدافها بصورة مقبولة.

٢ ـ المبحـــوث :

يشكل المبحوث بسلوكياته وآرائه ومشاعره هدفا أساسيا ليس للباحث وحده بل ولعملية المقابلة ذاتها ، لذلك فلابد أن يكون المبحوث فى حالة نفسية وذهنية تؤهله لأن يكون طرفاً فاعلا وإيجابياً أثناء المقابلة ، وإلا فإن الفشل لن يلحق فقط بعدم تحقيق المقابلة لأهدافها المرجوة ، وإنما قد تتوجه وجهة مضللة تماماً نتيجة لما يتعرض له المبحوث من مؤثرات تفسد جو المقابلة وتدفع بسلوكياته إلى اتجاهات غير طبيعية أو غير صحيحة على الأقل من وجهة نظر مخطط المقابلة .

لذلك فمن أهم الأمور أن تهيأ للمقابلة الأجواء المناسبة التى توفر للمبحوث أحسن الفرص للتعبير الحر عن آرائه ومعتقداته ومشاعره وحتى يأتى سلوك المبحوث متسقا مع طبيعته بغير زيف أو تضليل .

٣ ـ جو المقابلة ومحتواها :

وما نقصده بجو المقابلة ومحتواها هنا .. هو مختلف الظروف المادية وغير المادية التى تغلف عملية المقابلة .. فمكان المقابلة وما يرتبط به من تجهيزات وإمكانات ، وكذلك طبيعة التفاعل بين الباحث والمبحوث ، ووقت المقابلة من حيث الطول أو القصر ، ونوعية الأسئلة المستخدمة أثناءالمقابلة ، وما قد يثيره حضور أشخاص غرباء قد يتصادف وجودهم أثناء عملية المقابلة من مشاعر لدى المبحوث ، علاوة على مختلف الظروف المناخية والطبيعية وما تتركه من آثار على جو المقابلة .

●

فنـون المقابلة وتقنيـاتها :

يعتبر كثير من الباحثين أن المقابلة فنا ويطلقون عليه مصطلح «The art of Interviewing» ، كما يعتبرها البعض الآخر علما له قواعده وباحثوه ومهنة لها ممارسوها(٨) .

ويؤكد عدد من علماء المنهجية على أنه على الرغم من أن المقابلة شيء عادى فى استخداماتنا اليومية ، إلا أن المقابلة بمفهومها العامى ترتكز على أسس وقواعد وتحتاج فى أدائها إلى طول ممارسة ومران حتى تكون هناك تنمية مستمرة سواء بالنسبة للمعلومات النظرية للباحثين حول الفنيات المتصلة بعملية المقابلة أو بكيفية ممارسة تلك الفنيات عمليا من خلال تطبيق المقابلات فى مواقف مصممة تحت إشراف أساتذة الباحث أو رؤسائه .

لذلك يرى عدد كبير من علماء المنهجية أنه نظرا لأن المقابلة تستهدف الحصول على معلومات تتصل فى معظمها باتجاهات المبحوثين ودوافعهم السلوكية ، لذلك فانها ليست من العمليات السهلة وعلى ممارسى المقابلة أن يكونوا على إلمام تام بمختلف العلوم الاجتماعية لا سيما بعلم النفس باعتباره العلم الذى يدرس السلوك البشرى .

علاوة على ضرورة العمل على تهيئة الجو أو المناخ المناسب الذى يتيح للمبحوثين أن يدلوا بالبيانات المطلوبة منهم بأكبر قدر ممكن من الصدق والثبات(٩) .

الأسئلة كأساس للحوار اثناء المقابلة :

هناك الكثير من النصائح الموجهة إلى الباحثين حتى يكون حوارهم مع المبحوثين من خلال المقابلة محققا لأهدافها ، ولقد سبق لنا أن تعرضنا بايجاز لبعض ما تضمنته تلك النصائح خلال حديثنا عن محاور المقابلة ، ولو أننا هنا سنركز على ما يتعلق منها بطبيعة الأسئلة باعتبارها ركيزة الحوار أثناء المقابلة ، وذلك من خلال النقاط الآتية :

١ ـ أن تراعى ثقافة المبحوث اثناء سؤاله :

بمعنى أن يكون الباحث ملما بثقافة المبحوثين وأن يخاطبهم على قدر عقولهم إن أراد منهم .. أولا فهما لأسئلته .. وثانيا إجابة صحيحة عليها .. علاوة على ما تشكله اللغة المشتركة بين الباحث والمبحوث من ركيزة للعلاقة الطيبة بينهما وما يستتبعه ذلك من الاطمئنان للباحث ومحاولة المبحوث أن يكون صادقا معه فى معظم الأحوال .

فلو أضفنا إلى ذلك أن استخدام عبارات سلسة وبسيطة أو غير معقدة أو مفلسفة أثناء صياغة الأسئلة يتيح لتلك الأسئلة فهما أيسر وأسرع مع ما يستتبع ذلك الفهم من حسن تعبير أو استجابة لدى المبحوثين .

٢ ـ ان تراعى منطقية الاسئلة وتسلسلها ووضوحها :

بمعنى أن تكون الأسئلة مفهومة من وجهة نظر المبحوث على الأقل ومرتبة بطريقة لا تشتت فكره وأن تكون متدرجة بحيث يكون كل واحد منها مرتبطا بما قبله وممهداً لما يليه بغير قفز فوق الأفكار أو تعجل إجابة المبحوث على موضوعات لم يمهد لها بدرجة كافية ، أو أن يكون السؤال فى حد ذاته عديم القيمة ، لأنه من المهم جداً ضمان أن تدور إجابات المبحوثين فى سياقها الطبيعى بغير إقلاق أو إرهاق لهم :

ومن المهم فى هذا المجال أن يكون السؤال مصاغا بغير طول ممل أو إيجاز مخل وأن تكون كلماته منتقاة بحيث لا يستعصى فهمها على الأشخاص العاديين أو متوسطى الذكاء .

٣ ـ الا تكون الأسئلة من النوع الايحائى :

بمعنى ألا يركز الباحث جهده ـ من خلال الأسئلة ـ للحصول على إجابات معينة لأن ذلك فضلا عن أنه يعد تحيزا من الباحث لموضوع بحثه مع مايستتبع ذلك من تشكيك فيما توصل إليه من نتائج ، نقول فضلا عما فى ذلك من تحيز فانه قد يخلق نوعا من المقاومة لدى المبحوثين ويدفعهم بالتالى إلى إخفاء مشاعرهم الحقيقية ليس بالنسبة للأسئلة الإيحائية وحدها ولكن بالنسبة لجميع الأسئلة اللاحقة لها .

وعدم حيدة الأسئلة كثيراً ما يلجأ إليها الباحثون بوعى أو عن غير قصد ، ولكن نجاحاتهم فى الحصول على بيانات أو إجابات معينة هى دوما نجاحات مؤقتة لأن أى محك من محكات الصدق والثبات يمكنه أن يثبت ليس فقط زيف تلك البيانات وإنما تضادها مع حقيقة مشاعر المبحوثين أيضاً .. !! .

٤ ـ احـادية الأفكار المتضمنة فى السؤال :

بمعنى ألا يتضمن السؤال أكثر من فكرة واحدة ، نظرا لأن وجود عدة أفكار فى السؤال الواحد يصعب أولا من فهم المبحوث أو إدراكه الصحيح لها ، فتأتى إجاباته غير متسقة مع تلك الأفكار ، أو يدفع المبحوث ثانياً ـ حتى مع افتراض فهمه لتلك الأفكار ـ إلى أن يجيب على بعضها دون البعض الآخر مع ما قد يكون لذلك البعض المنسى أو المهمل ـ شعورياً أو لا شعورياً ـ من أهمية بالنسبة لبناء البحث المستخدمة فى إطاره المقابلة .

٥ – أن يكون هناك تناغم بين الأسئلة وبين طبيعة التفاعل اثناء المقابلة :

بمعنى أن يكون هناك نوع من التناسق بين الأسئلة المطروحة وبين كم ونوع العلاقة المهنية التى تكونت بين الباحث والمبحوث ، وهذا يتطلب أن تتدرج الأسئلة وخاصة ما اتصل منها بالأمور أو المشاعر الخاصة أو التى تسبب إحراجا للمبحوث ، وبحيث لا يبدأ الباحث أسئلته بالأمور التى تمس العقائد أو الجنس أو العلاقات الأسرية مثلا فى بداية المقابلة .. لأن ذلك لو تم إنما يخلق جوا من عدم الثقة بين طرفى المقابلة وتكون النتيجة المنطقية هى مقاومة المبحوث لأسئلة الباحث ومحاولة تضليله قدر الإمكان وبحيث يصعب على الباحث معالجة جو الشك وعدم الثقة التى سببتها أسئلته غير الحذرة أو غير اللبقة .. !! .

●

انمـــاط المقابلات :

يختلف علماء المنهجية فى تصنيف المقابلة ، فمنهم من يصنفها من حيث عدد المبحوثين إلى مقابلات فردية وجماعية ، ومنهم من يصنفها من حيث طبيعة المقابلة ذاتها .. إلى مقابلات مقننة وأخرى غير مقننة ، ومنهم من يصنفها من حيث التزامها بتحقيق غاية محددة إلى مقابلة موجهة وحره أوغير موجهة ، ومنهم من يصنفها بحسب وظيفتها إلى مقابلات تشخيصية أو علاجية أو لأغراض البحث العلمى ،ومنهم من يصنفها بحسب دور طرفى الحوار فيها إلى مقابلات بسيطة أو بؤرية أو متكررة أو إكلينيكية (١٠) ، ومنهم كذلك من يقسمها باعتبارها مقابلات رسمية أو غير رسمية (١١) .

ويوجد كثير من المشايعين للتقسيم الذى قدمته -سيلليتز-وزملاؤها حيث يرونه أكثر التقسيمات بساطة ومرونة ، ويعتبرونه بناء على ذلك أكثر التقسيمات مواءمة لأغراض البحث العلمى ، هذا مع العلم بأن ذلك التقسيم اقتصر على اعتبار المقابلة إما مقابلة بسيطة أو مقابلة مقننة ، الأولى لم يعمد خلالها الباحث إلى وضع تصميم لا للأسئلة ولا للاستجابات المختلفة لها ، والثانية عكس الأولى (١٢) .

ولكننا هنا على كل الأحوال سوف نلقى نظرة سريعة على كل نمط من الأنماط السابقة وذلك على النحو الآتى :

١ ـ المقابلات الرسمية وغير الرسمية :

والرسمية .. تعنى هنا طبيعة الإجراءات التى تخضع لها المقابلة ، بمعنى هل تطبق خلال المقابلة تعليمات حازمة أم لا ، أى هل توجه لنفس المبحوثين نفس الأسئلة بنفس الطريقة ونفس الترتيب وتحت نفس الظروف أم لا ؟! .. إن كان الجواب بالإيجاب فهى مقابلة رسمية ، وإن كان بغير ذلك فهى مقابلة غير رسمية :

٢ ـ المقابلات الجماعية والفردية :

والجماعية أو الفردية هنا .. قاصرة على المبحوثين وحدهم .: بمعنى هل تتم مقابلة المبحوثين فرادى أم فى جماعات ، ولكل ميزته .. فعندما يتم اللقاء بين الباحث والمبحوث على انفراد يكون ذلك أدعى إلى شعور المبحوث بالاطمئنان وبالتالى تجعله أكثر قدرة واستعداداً على التعبير الصادق والكامل عن نفسه ، وقد تؤدى المقابلات الجماعية نفس الغرض فى رأى عدد من الباحثين علاوة على أن حصيلتها من البيانات تكون أكثر شمولية وبالتالى أكثر فائدة وخاصة إذا كان المبحوثون منتمين إلى خلفية واحدة .

ومن أهم محاذير المقابلات الجماعية .. ماتتمثل فى الحرج الذى قد يلاقيه بعض المبحوثين وهم يعبرون عن مشاعرهم الخاصة على الملأ ، فضلا عن احتمال سيطرة فرد واحد بمشاعره واتجاهاته على الجماعة المبحوثة ككل ، الأمر الذى لا يتيح لكل واحد منهم التعبير بحرية عن مكنونات نفسه .

هذا وتلعب خبرة الباحث ومهاراته الدور الأساسى فى إنجاح أى من النمطين عند الاستخدام .

٣ ـ المقابلات الحرة والمقننـة :

فى نمط المقابلات الحرة ، لا تكون هناك خطة معينة تحد من حركة الباحث فى استجلاء المعلومات من المبحوث ، بل هى تسير وفق التسلسل الطبيعى الحر للحوار بين طرفى المقابلة « الباحث والمبحوث » .

مرة أخرى المقابلة الحرة هى تلك التى تتم بعيداً عن أية قواعد تعسفية تحد من حركة الباحث فى توجيه دفة المقابلة ، وليس معنى هذا أنها مقابلة بغير هدف أو غير

جيدة التصميم ، وإنما الحرية هنا تعنى المرونة التى تحيط بجو المقابلة حتى يتم التفاعل بين كل من الباحث والمبحوث بعيدا عن أية إجراءات أو قواعد ملزمة .

كان ذلك عن المقابلة الحرة ، أما عن المقابلة المقننة ، فهى تلك التى تتضمن إخضاع جو المقابلة كله بما فى ذلك الباحثون والمبحوثون إلى ظروف محددة أو مقننة سلفا وتتسم بالثبات وبحيث يصعب تغييرها أو الخروج عليها مهما كانت الظروف .

والمقابلة المقننة أشبه ما تكون بصحف الاستبيان التى يجيب عليها المبحوثون مباشرة مع وجود فرق بسيط يتمثل فى أن المبحوث يجيب فى حضور الباحث وتحت توجيهه وإشرافه أو قد يوجه الباحث الأسئلة بنفسه كما يتولى هو تسجيلها أيضاً نيابة عن المبحوث .

٤ ـ المقابلات العشوائية والمنظمة :

المقابلات العشوائية هى التى تسير كيفما اتفق ، أو تتم بغير تدبير سابق أو تلك التى تسيرها ظروف المقابلة ، المهم أن المقابلة العشوائية يقصد بها أنها تتم بعيدا عن التخطيط المسبق لها وأن نجاحها يتوقف بالدرجة الأولى على مهارة الباحث وخبرته فى إدارة المقابلات والحصول على ما يريده من بيانات ، فضلا عن ارتباط نجاحها بطبيعة التفاعل بين الباحث والمبحوث وكذلك بالجو العام للمقابلة ككل .

أما المقابلة المنظمة فهى تختلف عن المقابلة الحرة التى تسيرها الظروف ، وبحيث تعتمد على خطة واضحة المعالم تلم بكل خطوات المقابلة مسبقاً قبل البدء فيها ، مع ترك شىء من المرونة للباحث حتى يوجه المقابلة لتحقق أهدافها وفق الخطة المرسومة للمقابلة وفق الإطار العام للبحث ككل .

٥ ـ المقابلات المحورية والاكلينيكية :

والمقابلات المحورية هى تلك التى تستهدف تركيز الاهتمام على خبرة ما وعلى ما يمكن أن يترتب على تلك الخبرة من آثار لدى المبحوثين ؛

ويطلق عدد من علماء المنهجية على ذلك النمط مصطلح « المقابلة البؤرية » ، ويقصد بها كل مقابلة يعلم القائم بها مقدماً الجوانب المعينة من الخبرة التى يرغب المبحوث فى التحدث عنها بصرف النظر عن ملاحظة أو عدم ملاحظة الباحث للموقف المعين الذى شارك فيه المبحوث ، ولو أنه من الأفضل أن يكون الباحث على دراية بذلك

الموقف لأن تلك المعرفة سوف تتيح له وضع فروض مسبقة علاوة على إعداد أسئلته بصورة أفضل (١٢) .

أما إذا توسعت دائرة الخبرة التى سوف توضع تحت البحث من خلال المقابلة خاصة إذا ما امتد الاهتمام ليشمل مشاعر المبحوث ودوافعه ، فإن علماء المنهجية يطلقون على ذلك النمط .. المقابلة الإكلينيكية .

هذا وتتسم عملية الحصول على البيانات من خلال المقابلة الإكلينيكية باستخدام أساليب أخرى لعل من أهمها ملاحظة سلوك المبحوث وطريقة إجاباته .. إلخ .

والمقابلة سواء المحورية أو الإكلينيكية إنما هى أولا وأخيرا مقابلة متمركزة حول المبحوث تتيح له التعبير عن مشاعره وخبراته فى إطار جو من الثقة والتقبل والود بينه وبين الباحث الذى يترك لمبحوثه حرية الرد بأقل قدر ممكن من التدخل أو التوجيه .

٦ ـ المقابلات الاستكشافية والتشخيصية والعلاجية :

هذه الأنماط الثلاثة تتم فى إطار الهدف النهائى للمقابلة وفق التصميم الموضوع لها، بمعنى : هل تسعى المقابلة إلى مجرد استكشاف بعض الجوانب التى يرى الباحث أنها مازالت غامضة فى موضوع بحثه ، كأن يتعرف مثلا على مشاعر واتجاهات المبحوثين أو دوافعهم نحو مشكلة ما تمهيدا لوضع الفروض التى سوف تختبر بعد ذلك .

إذن فان هدف المقابلة الاستكشافية هو الحصول على بيانات سيعاد استثمارها فيما بعد ولو أن الأمر لا يمنع من أن يكون هدف هذا النوع من المقابلات هو التحقق من صحة بعض الافتراضات وخاصة فى الدراسات التى تختبر فروضا سببية .

أما نمط المقابلات التشخيصية .. فهو يهدف إلى الحصول على صورة كاملة وواضحة بل ودقيقة كذلك عن المبحوث الذى غالبا ما يكون مريضا نفسيا .. وبحيث يتم تشخيص الحالة فى أقصر وقت ممكن .

والمقابلة الشخصية وحدها لاتفيد كثيرا فى تشخيص حالة المبحوث ـ خاصة لو كان مريضا نفسيا ـ بل يجب أن تستخدم إلى جوارها وسائل أخرى لا سيما الملاحظة ودراسة الحالة علاوة على استخدام بعض الاختبارات النفسية ، وكل تلك الأدوات مجتمعة

تساعد فى إعطاء الصورة التشخيصية التى يمكن على أساسها وضع خطة علاجية مناسبة (١٣) .

أما إذا ما استهدفت المقابلة زيادة فهم المبحوث لنفسه ، باعتبار ذلك أولى خطوات العلاج مع العمل على تخفيف حدة التوترات التى يشعر بها ، كانت تلك المقابلة مقابلة علاجية استهدفت تخليص المبحوث من المعوقات الذاتية أو المجتمعية التى تباعد بينه وبين أن يكون طاقة منتجة فى المجتمع .

٧ ـ المقابلات الجانبية او الهامشية :

ويقصد بها تلك المقابلات التى لا يكون المبحوث طرفا مباشرا فيها وإن كان موضوعها يعنيه بالدرجة الأولى ، بمعنى أن الباحث قد يجد نفسه مضطرا حتى يستكمل بعض القصص أو يستجلى الحقيقة فيما ذكره المبحوث من بيانات أن يلتقى ببعض المخالطين أو المتعاملين مع المبحوث ، ومن أمثلتها الحالات التى يلجأ خلالها الأخصائيون الاجتماعيون إلى مقابلة أولياء الأمور أو المدرسين أو غيرهم لاستكمال البيانات المطلوبة عن التلاميذ المشكلين مثلا .

وقد تظل تلك المقابلات هامشية بمعنى عدم جدواها بالنسبة للمبحوثين ، وقد تتحول فيما بعد لتصبح هى الموضوع الأصلى الذى ينطلق منه الباحث لعلاج مشكلة بحثه .

●

كيف تحقق المقابلة اهدافها ؟!

قلنا قبلا أن المقابلة علاقة دينامية ترتكز على محاور ثلاثة هى الباحث والمبحوث والجو العام المحيط بالمقابلة بكل ظروفه الطبيعية والمناخية .. الخ .

وحتى تحقق المقابلة أهدافها المرجوة لابد من توافر عدة ضمانات لعل من أهمها .

١ ـ ان يتم الاختيار الجيد للمبحوثين :

وذلك لأن هدف المقابلة هو الحصول على أكبر قدر دقيق ممكن من المعلومات حول الموضوع المبحوث ، إذن فلابد أن يكون الشخص المبحوث من خلال المقابلة هو ذلك الشخص القادر على توفير المعلومات بالكم والكيف الذى تحدده خطة البحث .

ولايستثنى من ذلك سوى المقابلات التى تتم فى إطار مجموعة من طالبى الوظائف أو راغبى الإلتحاق ببعض الكليات أو المعاهد التى تتطلب مهارات خاصة ، لأن المقابلة هنا يكون هدفها الاختيار أو التوجيه المهنى .

٢ ـ تكوين علاقة مهنية بين الباحث والمبحوث :

والعلاقة المهنية التى نقصدها هنا .. هى علاقة ودية لكنها لاشخصية ، يجب أن تنشأ بين الباحث والمبحوث ، وفى إطار هذه العلاقة يعمل الباحث على اكتساب ثقة مبحوثه مستخدما فى ذلك مالديه من مهارات وفنون حتى يضمن تجاوب المبحوث وتعاونه معه ، ولا مانع أن يستشعر المبحوث أن الباحث صديقه ، لكنه فى كل الأحوال لابد وأن يقتنع بأن المقابلة كلها إنما تستهدف تحقيق الصالح العام سواء كان ذلك الصالح ذاتيا أو مجتمعيا .

وواضح أنه بدون تلك العلاقة المهنية التى تمتد خلالها حبال الود والثقة والتفاهم بين طرفى المقابلة :: بدون ذلك كله لن يكون للمقابلة برمتها معنى أو قيمة حقيقية .

٣ ـ الاعداد الجيد للمقابلة :

والإعداد الذى نقصده هنا .: يتصل بتحديد الوقت والمكان المناسبين لإجراء المقابلة مع ضرورة أن يحافظ الباحث على مواعيده خلالها مع ضبط مختلف الظروف الفيزيقية والبشرية المحيطة بالمقابلة قدر الإمكان .. حتى لايقع المبحوث تحت ضغط نفسى أو عضلى أو تحت تهديد أو إكراه أدبى أو مادى فيدلى بمعلومات قد تكون غير صادقة بدرجة كافية أو قد تكون غير مطلوبة على الإطلاق ، كما أنها قد تكون مضللة كذلك .

ومن أهم الأمور فى تهيئة الجو المناسب للمقابلة تيسير عملية الاتصال عن طريق بعض الصداقات المشتركة بين الباحث والمبحوث علاوة على حسن تقديم الباحث لنفسه وقدرته على شرح مهمة المقابلة أو الغرض منها .

٤ ـ وضع تصميم جيد للمقابلة :

والتصميم الذى نعنيه هنا .. هو وضع خطة للمقابلة يتحدد خلالها الهدف من المقابلة ونوع المبحوثين ونوع البيانات المطلوبة وكيفية الحصول عليها ، بما فى ذلك وضع استمارة المقابلة وتجربتها قبل تعميمها وتحديد ما إذا كان سيكتفى بها كوسيلة وحيدة لجمع

البيانات من المبحوثين أم سيستعان بأدوات بحثية أخرى إلى جوارها ، مع تحديد دقيق لزمان ومكان المقابلة وللطريقة التى سوف يتم بها توجيه الأسئلة وكذلك بالنسبة لتسجيل جابات المبحوثين .. إلخ .

٥ ـ التسجيل الجيد لبيانات المقابلة :

والتسجيل الجيد هو ذلك التسجيل الذى يضمن حصول الباحث على إجابات المبحوثين بصورة دقيقة ووافية قدر الإمكان ، وقد يتم ذلك إما أثناء المقابلة أو بعدها مباشرة ، ولكل من التسجيل الفورى أو التسجيل الذى يتم عقب انتهاء المقابلة مزايا وعيوب ، لعل من أهمها ضرورة التوفيق بين عملية إدارة الحوار والتسجيل فى حالة إتمامه أثناء المقابلة مع ضمان ألا تؤثر عملية التسجيل الفورى على مشاعر المبحوثين واستجاباتهم ، أما أهم محاذير التسجيل عقب انتهاء المقابلة .. تلك التى تعود إلى ضعف الذاكرة أو إلى الملل والتعب ، أو خشية اختلاط استجابات المبحوثين إذا ما تم التسجيل بعد إتمام أكثر من مقابلة .

ولو أن هذه المشكلة لم تعد ملحة مع إمكانية التسجيل عن طريق المسجلات الصوتية أو حتى عن طريق آلات التصوير السينمائية بطريقة أو بأخرى ثم إعادة العرض بعد ذلك سواء بغرض الترتيب أو التحليل للمعلومات المعطاة .

٦ ـ انهاء المقابلة وتتبع نتائجها فيما بعد :

قلنا قبلا أن العلاقة بين طرفى المقابلة هى علاقة مهنية .. أى علاقة عمل مهما غلفها من ود أو صداقة ظاهرية ، لذلك يجب أن تنتهى المقابلة بطريقة لبقة بعد أن تحقق أهدافها ، واللباقة هنا تقتضى عدم إنهاء المقابلة بطريقة فجائية أو الإيحاء للمبحوث أن مهمته قد انتهت وإنما يجب أن يتم ذلك بطريقة لا تسىء إلى مشاعر المبحوث أو توحى إليه بضآلة ما قدم من معلومات .

هذا ويرى عدد من الباحثين أن مهمة المقابلة لم تنته بمجرد الحصول على البيانات المطلوبة من المبحوثين ، حيث يجب على من أجروا المقابلات وخاصة إذا ما تمت فى إطار مصنع أو مدرسة أو تمت لأهداف علاجية ، نقول يجب على الباحثين أن يتابعوا نتائج مقابلاتهم :. كالوقوف على مقدار نجاح العمال فى الأعمال التى وجهوا إليها من خلال المقابلات مثلا . . إلخ ، وذلك حتى يمكن تلافى أية عيوب نشأت عن تلك المقابلات .

●

دواعى استخدام المقابلات ونواهيها فى البحوث العلمية :

يرى علماء المنهجية أن من أهم دواعى استخدام المقابلات هو ارتكازها على اللقاء المباشر بين الباحثين والمبحوثين مع ما يتيحه ذلك اللقاء من حوار وعلاقة مهنية تدفع المبحوثين إلى الإدلاء بمعلوماتهم فى يسر على الرغم من احتواء تلك المعلومات على كثير من الجوانب المثيرة أو المعقدة أو الشخصية ، علاوة على ما يتيحه الجو العام للمقابلة من فرص مواتية أمام الباحثين حتى تتسم بياناتهم المجموعة بأكبر قدر ممكن من الصدق والثبات وخصوصا إذ اما كان المبحوثون من ذلك النوع الأمى أو بطىء الاستجابة أو غير القادر على الإجابة بمفرده لسبب أو لآخر .

فلو أضفنا إلى ذلك ضمان سيطرة الباحث على مختلف الجوانب المحيطة بالمقابلة من خلال تحكمه فى ترتيب الأسئلة وصياغتها ، ومن خلال ضمان أن الاستجابات هى ردود فعل المبحوث وحده دون اشتراك أو تأثير من الآخرين ، مع ما تمثله البيانات المجموعة فى حد ذاتها كمعيار حقيقى لصدق التعبير عن مجتمع البحث ككل من خلال إمكانية التأكد من صدق تلك البيانات من جهة ، واستكمال ما قد يراه الباحث من نقص فيها عن طريق استكمال المقابلات أو إجراء مقابلات جديدة من جهة أخرى .

كان ذلك عن الدواعى .. فماذا عن النواهى ؟!

من أهم عيوب المقابلات أنها مكلفة وأنها تحتاج لنوع خاص من الباحثين ذوى المهارات والخبرات العالية ، علاوة على أن العائد منها قليل سواء بالمقارنة بما تتكلفه من جهد ووقت ومال أو سواء بالمقارنة مع غيرها من أدوات جمع البيانات كالاستفتاء « الاستبيان » مثلا :

فلو أضفنا إلى ذلك ما تحتويه المقابلات من مخاطر أهمها تقييد حرية المبحوث وإحاطته بجو قد يشعره بالرهبة أو بالرغبة فى عدم الإدلاء ببيانات صحيحة أو كافية قد يخفى بعضها على الباحثين على الرغم من مهاراتهم وما يتخذونه من احتياطات فى بعض الأحوال ، كل ذلك إلى جوار الإمكانية الواردة باستمرار حول تحيز القائمين بالمقابلة أو أخطائهم الشعورية أو اللا شعورية التى تقود حتما إلى بيانات خاطئة ومن ثم إلى نتائج مضللة .. !

هذا ويضيف بعض علماء المنهجية إلى ذلك :: ما تتطلبه المقابلات فى إنجازها لأعداد كبيرة من الباحثين الذين يجب أن يكونوا على درجة عالية من المهارة والخبرة وهو أمر لا يتوافر فى معظم الأحيان :

***

المصادر والشروح

١ ــ انظر : القاموس العصرى ــ الطبعة التاسعة عشرة ــ ص ٣٦٨ .

٢ ــ انظر : المنهل ــ الطبعة السادسة ــ ١٩٨٠ ــ ص ٥٦٦ .

٣ ــ انظر :

W. Bingham and Others; How to interview, Harper and Row, New York, 1959.

٤ ــ انظر :

دكتور نجيب إسكندر ابراهيم وآخرين ــ الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة ــ غير موضحة سنة النشر ــ ص ٣٤٥ ؛
وانظر أيضا :

H. English and A. English Comprehensive Dictionary of psychological and Psychoanalytical Terms, 1958.

٥ ــ للاستزادة انظر :

Deobold B. VanDalen. Understanding Educational Research Research An introduction, McGraw-Hill New York 1962, PP. 320 — 323.

٦ ــ للاستزادة حول هذا الرأى انظر :

P. Young, Op. Cit., PP. 243—244.

٧ ــ انظر :

دكتور السيد محمد خيرى ــ علم النفس الصناعى ــ الجزء الأول ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة ــ غير موضح سنة النشر ــ ص ٣٦٧ ؛

٨ — للاستزادة حول هذه النقطة انظر :

A. Garrett, Interviuwing, Its Principles and Methods, New York, 1942.

٩ — حول اعتبار المقابلة فنا يتوقف نجاحه على خلق وتهيئة الموقف المناسب أنظر :

Jahoda, Marie and others, Research Methods in Social Rclations, N.Y., 1961, PP. 462 — 466.

١٠ — انظر فى أنماط المقابلات أيا من المصادر الآتية :

(أ) P. Young, Op. Cit., PP. 247 — 248.

(ب) Selltiz and others, Op. Cit., PP. 256 — 260.

(ج) Merton, Fiske, M., Kendall, P., The Focused Interview, Free Press, 1956. PP. 98 — 117.

١١ — انظر : Van Dalen, Op. Cit., P. 312.

١٢ — للاستزادة انظر :

Selltiz, Op. Cit., PP. 255 — 278.

١٣ — للاستزادة حول المقابلة البؤرية انظر :

الدكتور نجيب اسكندر ابراهيم وآخرين . الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى — مصدر سابق ص ص ٣٦٩ — ٣٧٢ .

١٤ — للاستزادة حول المقابلة التشخيصية انظر :

الدكتور عطيه محمود هنا والدكتور محمد سامى هنا — علم النفس الاكلينيكى — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٧٣ — ص ص ١١١ — ١٤٠ .



الفصل الثـــامن :

الاستمارة ودورها فى البحث العلمى

- مقـــدمة
- دور الاستمارة فى البحوث العلمية
- بنـــاء الاســـتمارة من حيث الشـــكل والمضمون
- دواعى تفضيل الاستمارة
- دواعى استخدام الاستبيان ونواهيه
- دواعى استخدام الاستبار ونواهيه
- ضوابط استخدام الاستمارة فىالبحوث العلمية
- صور ومجالات اســـتخدام الاستمارة فى البحث العلمى
- الخلاصـــة

الاستمارة ودورها فى البحث العلمى

مقـــدمة :

الاستبيان the Q..estionnaire أو الاستفتاء أو الاستخبار ، كلها ألفاظ تطلق على الاستمارة le Questionnaire التى تستخدم فى جمع المعلومات من المبحوثين مباشرة ، سواء تمت عملية جمع المعلومات تلك عن طريق إرسال الاستمارة بالبريد أو نشرها بأية صورة من صور الإعلام ليرد عليها المبحوث بنفسه ودون تدخل من الباحث ثم يردها إلى مصدرها مرة أخرى ، أو تم استخدام الاستمارة من خلال مقابلة مقننة بين الباحث والمبحوث والتى يطلق عليها بعض علماء المنهجية مصطلح « الاستبار أو الاستجواب Interview» .

وعلى كل فنحن فى هذا المجال سنتحدث عن « الاستمارة » بصفة عامة باعتبارها من أهم وسائل الاتصال الأساسية بين الباحث والمبحوث ، حيث تضم تلك الاستمارة مجموعة من الأسئلة المنتقاة والمصممة بطريقة خاصة تستهدف بالدرجة الأولى الحصول على معلومات يراها الباحث ضرورية لتحقيق فروض بحثه .

والأصل فى الاستمارة أن تستوفى بياناتها من خلال لقاء مباشر بين الباحث والمبحوث لما يحققه ذلك من مزايا سنتحدث عنها فيما بعد ، لكن إذا لم يتيسر ذلك اللقاء المباشر لسبب أو لآخر فلا مانع من إرسال الاستمارات إلى جمهور البحث عن طريق البريد أو باستخدام أى من وسائل الاتصال الأخرى كالصحف والتلفزة وما إليها . .

ولعل كيفية استيفاء الاستمارة سواء فى لقاء مباشر أوغير مباشر بين الباحث وجمهور بحثه ، لعل هذه النقطة كانت مثار خلاف بين عدد من علماء المنهجية ، حيث يفرق بعضهم بين الاستمارة المرسلة عن طريق البريد أو أية وسيلة أخرى من وسائل الاتصال ويطلقون عليها « استمارة الاستخبار » بينما يطلقون على ذات الاستمارة التى تستوفى بياناتها من خلال لقاء مباشر بين الباحث والمبحوث لفظ « استمارة الاستبار » .

فى ذات الوقت الذى يميل فيه غالبية علماء المنهجية إلى تجاوز ذلك الفرق أو التفريق تجنبا لمشاكله ، ويميلون إلى استعمال كلمة « الاستمارة » على كل الأشكال التى تهتم بطرح

أسئلة ليجيب عليها المبحوثون دون الاهتمام بكفية إجابتهم عليها أو بطريقة طرح تلك الاستمارة على جمهور المبحوثين .

وليس معنى ذلك ألا يوجد فرق فى تكتيك إستيفاء الاستمارة أو حتى فى طريقة تصميمها بين النمطين « نمطى الاستبيان البريدى والاستبار » ، وإنما الفرق دائماً موجود ، ولكل من النمطين فى رأينا خصائص ومميزات وإن كان يجمعها دوماً خط مشترك نأمل أن نوفق فى توضيحه خلال الصفحات الآتية :

●

دور الاستمارة فى البحوث العلمية :

سبق أن قلنا أن الاستمارة تعد من أهم وسائل الاتصال بين الباحث وجمهور بحثه ، كما أن للاستمارة خلال المقابلة « الاستبار » دوراً هاماً حيث إنها تحقق للباحث هدفين مزدوجين .. أولها الحصول على ما يريده من بيانات تجيب على فروض البحث ، وثانيهما دفع المبحوث إلى الكلام مع ما يتيحه ذلك كله للباحث من ملاحظة سلوك وانفعالات المبحوثين .

وحتى تحقق الاستمارة الهدف المرجو منها لابد أن تتضمن أسئلة ذات مواصفات خاصة ، وبحيث تكون هذه الأسئلة معبرة بحق عن الموضوع المبحوث ، وبحيث يتيح من ناحية أخرى أجوبة يمكن التعامل معها فيما بعد :

ويرى علماء المنهجية أن الإجابة الواضحة القابلة للتحليل أو للتعامل العلمى فيما بعد إنما ترتبط بالدرجة الأولى بمدى ضبط الأسئلة المتضمنة فى الاستمارة سواء من حيث الشكل أو المحتوى :

●

بناء الاستمارة من حيث الشكل والمضمون :

حتى تحقق الاستمارة الهدف المرجو منها فى الحصول على البيانات أو المعلومات التى تمكن الباحث من حل مشكلة بحثه ، نتصور معا البناء النموذجى الذى يجب أن تكون عليه تلك الاستمارة من خلال المسلمات الآتية :

(أ) الاستمارة تتضمن أسئلة تحتاج إلى أجوبة .

(ب) إذن لابد أن تكون الأسئلة مصاغة بطريقة واضحة ومفهومة من طرف المبحوثين ، لأن ذلك لا يحقق ضمان استجابة المبحوثين للرد على تلك الأسئلة فقط ، وإنما يضمن أيضاً حسن التعامل مع تلك الأجوبة خلال مراحل تالية للبحث العلمى .

(ج) وحتى يتحقق ذلك لابد للباحث من أن يجرب استمارته قبل تعميمها على عينة مختارة ، حتى يمكنه أن يتلافى العيوب التى تظهر عند التطبيق ، والتطبيق الذى نعنيه هنا . . ليس مجرد ضمان استجابة المبحوثين ، ولكن ضمان النجاح لمختلف مراحل التعامل مع البيانات تبويباً وتصنيفاً وتحليلا وتفسيراً فيما بعد :

(د) وحتى تكون أسئلة الاستمارة محققة لأهداف البحث لابد أن تكون مصممة بطريقة قطاعية ، بحيث تجيب كل مجموعة من الأسئلة على فرض أو أكثر من مجموعة الفروض التى انطلق منها البحث ، وبحيث تشكل الإجابات مجتمعة حلا لمشكلة البحث المطروحة ، هذا إلى جانب صياغتها فى تسلسل منطقى لأن ذلك يساعد على تركيز المبحوث علاوة على سهولة التصنيف للبيانات المجموعة تمهيداً للتعامل معها فيما بعد .

(هـ) يلعب شكل السؤال وطوله ، دوراً مهما .. ليس فقط فى فهم المبحوث له ومدى إجابته عليه ، وإنما فى التعامل مع ذلك السؤال إحصائيا فيما بعد ، والشكل الذى نعنيه هنا :: هو مدى ترك السؤال مفتوحا أو محدداً بإجابات معينة ، أما ما نعنيه بالطول فهو كم العبارات المستخدمة فى صياغة السؤال .

ولشكل السؤال .. من حيث ترك النهاية مفتوحة أو حصرها فى عدة متغيرات ، مزايا وعيوب .. وبحيث يكون محك استخدام أيهما هو خبرة الباحث بموضوع بحثه.

أما فيما يتعلق بطول السؤال أو قصره ، فالذى لا خلاف عليه :. هو أنه كلما كان السؤال مصاغا فى كلمات قليلة محددة كلما كان ذلك أجدى من حيث الفهم والاستجابة ، وما ينطبق على طول السؤال الواحد ، ينطبق على طول أسئلة الاستمارة ككل ، حيث يجب أن تتضمن الاستمارة أقل عدد ممكن من الأسئلة .

(و) تلعب ألفاظ السؤال ، أى العبارات المستخدمة فى صياغة الأسئلة دوراً مهما فى تحديد مدى الاستجابة إليها ، إذ يجب على الباحث أن يخاطب جمهور بحثه باللغة التى يفهمها ذلك الجمهور ووفقاً للثقافة المجتمعية السائدة .

وعموماً كلما كانت الأسئلة مصاغة فى عبارات سهلة بعيدة عن التعقيدات اللغوية أو المحسنات اللفظية كلما كان ذلك أجدى للمبحوثين وللبحث على حد سواء ، ولو أضفنا إلى ذلك ضرورة ألا تكون العبارات المستخدمة فى صياغة أسئلة الاستمارة من ذلك النوع الفضفاض الذى يحتمل أكثر من إجابة أو يستلزم كلمات أكثر للرد عليه ، لأن أسئلة من ذلك النوع المطاط أو الفضفاض لا تدفع المبحوث فقط إلى الإحجام عن الرد ، وإنما تضر أيضاً ببقية خطوات البحث العلمى حيث يصعب إن لم يستحل التعامل مع البيانات المجموعة فيما بعد :

لذلك :: كلما كانت الأسئلة مصاغة فى عبارات تتيح أجوبة يمكن التعبير عنها رقميا فيما بعد .. كلما كان ذلك حال الأسئلة - كلما كانت أكثر دقة وموضوعية وعلمية .. !

(ز) مشاعر المبحوثين مهمة جداً ويجب مراعاتها من خلال أسئلة الاستمارة .. بحيث لا تتضمن تلك الأسئلة إيماءات مباشرة نحو شخصية المبحوث أو علاقاته أو سلوكياته أو معتقداته ، لأن ذلك سوف يقابل بمقاومة منه حتى على الرغم من كونه - كمبحوث - مجهولا بالنسبة للباحث من خلال الاستبيان البريدى مثلا ، أو على الرغم من العبارة التقليدية التى تكتب على استمارة البحث والتى تقول أن بيانات تلك الاستمارة سرية ولا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمى .

لذلك فاللباقة والكياسة مطلوبتان فى صياغة أسئلة الاستمارة حتى يضمن الباحث استجابة حقيقية لمبحوثيه يستوى فى ذلك أن تم إجابة الأسئلة فى لقاء مباشر أو غير مباشر بين الباحث والمبحوث .

وفى ذات الوقت يجب الابتعاد عن أسلوب الاستعلاء الذى يشعر المبحوث بأنه فى وضعية أقل ، وكذلك عدم اللجوء إلى أسلوب التحرى البوليسى نظرا لما يمثله كل من الأستعلاء والتحرى من خطر داهم على البحث العلمى ذاته :: !! ؟

●

دواعى تفضيل الاستمارة :

حاولنا خلال الصفحات السابقة ألا نعمق هوة الخلاف بين نمطى الاستمارة ، ونعنى بها الاستبيان البريدى والاستبار ، ولكننا هنا نجد أنفسنا مضطرين للتفريق بينهما من حيث دواعى استعمال كل منهما ونواهيه ، وذلك على النحو الآتى :

دواعى استخدام الاستبيان ونواهيه :

من تلك الدواعى والنواهى ما يعود للمبحوث ومنها مايعود إلى طبيعة البحث ذاته ومنها مايعود إلى خصائص كامنة فى الاستمارة ، وسوف نحاول أن نجمل كل تلك الدواعى والنواهى فى النقاط الآتية :

(أ) ما يتصل بالمبحوثين :

الاستبيان يتيح للمبحوث الفرصة حتى يجيب على أسئلة الإستمارة المرسلة إليه فى الوقت الذى يراه أكثر مناسبة وراحة له ، كما أنه يمكنه من إشراك بعض الأفراد الآخرين ممن يعتقد أن موضوع البحث يخصهم ، ويشاورهم فى الأمر ، فيتيح له ولهم ذلك اختيار أكثر الإجابات صلاحية ومناسبة من وجهة نظره ونظرهم .

صحيح أن ذلك يضمن للباحث أن يحصل على معلومات كافية أو كاملة عن أسئلته المتضمنة فى الاستمارة ، لكنه — أى الباحث — لا يضمن فى كل الأحوال أن تكون كل تلك الإجابات صادقة أو صحيحة أو على الأقل معبرة عن وجهة النظر الحقيقية للمبحوث ، لأن ذلك المبحوث يقرأ كل الأسئلة دفعة واحدة ويمكنه من خلال الربط بينها أن يستنبط بعض الأهداف الخفية للباحث بين السطور ، كما أن اشتراك أفراد آخرين مع المبحوث فى الرد على الأسئلة أو استعانته بهم ، كل ذلك يجعل المبحوث يرتب أجوبة أقل ماتوصف به أنها لاتمثل الموقف الحقيقى لذلك المبحوث ، مع ما يترتب على ذلك من استنتاجات خاطئة فيما بعد .

(ب) ما يتصل بطبيعة البحث :

التصميم الجيد لاستمارة الاستبيان يتيح لها الفرصة لأن تكون من أكثر وسائل جمع البيانات تقنينا ، لأن الدقة فى اختيار مفردات السؤال وصياغته بالشكل المناسب ، علاوة على فرصة تجريب الاستمارة قبل تعميمها ، مع إمكانية سيطرة الباحث المعنى مباشرة بموضوع البحث على جو العلاقة بينه وبين المبحوثين دون تدخل من باحثى الميدان ، هذا كله علاوة على قلة مايتطلبه الاستبيان من نفقات وجهد .. يضيف ميزة حقيقية له فى مواجهة غيره من أدوات جمع البيانات فى البحوث العلمية :

لكن تواجه الاستبيان صعوبات تتمثل فى قلة العائد أو المردود من صحف الاستبيان نظراً لقلة وعى أو اهتمام بعض من جمهور المبحوثين بالموضوع المبحوث وبالتالى عدم تجاوبهم مع الاستبيان شكلا وموضوعا ، فلو أضفنا إلى ذلك أن الاستبيان قد يمس الكثير

من الأمور الشخصية أو يتطلب نوعية خاصة من المبحوثين –كأن يكونوا متعلمين بدرجة كافية – مما يجعل الإجابات غير حقيقية أو غير مفهومة ، الأمر الذى يقلل الاستفادة منها وخصوصا أنه لاتوجد أمام الباحث فرصة أخرى لمراجعة المبحوثين :

(ج) ما يتعلق باستمارة الاستبيان ذاتها :

استمارة الاستبيان تتيح انتشاراً مكانيا كبيراً وبأقل التكاليف الممكنة ، كما أن أسئلة الاستبيان تمكن الباحث من الحصول على بيانات كثيراً ما يحجم المبحوثون عن الإدلاء بها صراحة ، كما أن وجود الاستمارة فى حوزة المبحوث لفترة ما من الوقت تتيح له إجابة متأنية بعد أن يكون قد قرأ السؤال أكثر من مرة واستوعبه ، وخصوصا إذا ماتمت صياغة الأسئلة وفق الضمانات التى أشرنا إليها قبلا .

لكن فى مقابل ذلك يلقى الباحث عنتا فى صياغة أسئلته ، حتى لاتتضمن الأسئلة أية مصطلحات فنية ، علاوة على ألا تكون الاستمارة من الطول بدرجة تجلب ملل المبحوثين وبالتالى تجعلهم يعرضون عن الإجابة عليها .

فلو أضفنا إلى ذلك أن صياغة أسئلة الاستمارة والردود عليها تعتمد أولا وأخيراً على الكلمات ، وبعضها قد لايكون مفهوما أو غير معبر عن الحقيقة مهما حاول الباحث أو المبحوث أن يكون صادقا مع نفسه ، نقول لو أضفنا إلى ذلك صعوبة الصياغة سواء عند السؤال أو الجواب لتبين لنا أن ذلك يشكل عقبة لايستهان بها عند الاستعانة بالاستبيان فى البحوث العلمية .

وقبل أن نختم الحديث عن الاستبيان نقول أن هناك نمطا آخر من الاستبيان .. يعرف بالاستبيان غير البريدى وأبرز مايميزه عن الاستبيان البريدى .. أن الاستمارة توزع على جمهور البحث الذى يختار من بين التجمعات الكبيرة كطلاب جامعة أو معهد أو مدرسة أو مصنع ما .. إلخ .

ويرى عدد من علماء المنهجية أن الاستبيان غير البريدى يضمن أن يجيب المبحوث بنفسه على أسئلة الاستبيان كما أنه يتيح للباحث فرصة أن يوجه المبحوثين ويؤكد لهم سرية البيانات علاوة على تمكنه من إزالة مخاوفهم وما قد يعتريهم من شكوك ، كما يرون أن هذا النوع من الاستبيان يتيح قدراً أكبر من الردود (١) :

ونحن نتفق ونختلف مع أصحاب هذا الرأى فى بعض النقاط ، ولعل أولى نقاط الاختلاف وأهمها أن ذلك يعد مقابلة والاستمارة هنا تكون أقرب إلى الاستبار منه إلى الاستبيان .. لأن الأصل فى الاستبيان هو عدم تدخل الباحث إطلاقا فى إجابات مبحوثيه ، أما محاولة التأثير عليهم حتى ولو كان ذلك من باب التطمين أو إزالة المخاوف فإنه يفرغ الاستبيان من محتواه ومضمونه معاً ويمكن أن يؤدى بالمبحوثين إلى الإدلاء ببيانات عكسية تماماً .

●

استمارة الاستبار تختلف وتتفق مع استمارة الاستبيان فى عدد من الأمور لعل من أهمها ، أن استمارة الاستبار تستخدم مع المقابلة وتصمم خصيصاً لتعين الباحث فى جمع المعلومات التى يريدها من المبحوثين أثناء عملية المقابلة كما أن الأسئلة خلالها تعتمد فى توجيهها مباشرة على الباحث الذى قد يصوغها بطريقة يفهمها المبحوث أثناء المقابلة خاصة لو كان ذلك المبحوث ليس على درجة كافية من التعليم أو الوعى أو القدرة على الفهم أو التعبير .

أما استمارة الاستبيان فتعد أداة مستقلة من أدوات جمع البيانات وبحيث يكون فهم المبحوث للسؤال هو المحك الأساسى فى إجابته عليه دون تدخل مباشر أو غير مباشر من الباحث ، علاوة على أن قاعدة تطبيق الاستبيان أعرض من الاستبار سواء من حيث المجال المكانى للبحث أو من حيث طبيعة الموضوعات المتضمنة فى الاستمارة :

ومن هنا تكمن دواعى استخدام الاستبار فى نفس نواهى استخدام الاستبيان ، كما أن العكس قد يكون هو الصحيح أيضاً ، بمعنى أن أهم عيوب الاستبيان يكمن فى فقدان الباحث للاتصال المباشر بمبحوثيه الأمر الذى يفقده ميزة ملاحظة أمور قد لا يمكن التعبير عنها كتابة ، كما أن قراءة ملامح الوجه وحركات المبحوثين أثناء الإجابة على أسئلة الاستمارة تمثل أموراً هامة للعين الفاحصة للباحثين ، فضلا عما فى اتصال الباحث بمبحوثيه من فرص للشرح أو للتوضيح أو حتى لتصحيح الوضع برمته وفى الوقت المناسب .

فلو أضفنا إلى ذلك قلة ما تحمله استمارات الاستبيان من أسئلة فضلا عن قلة المردود منها ، لا تضح لنا أن الاستبار يجنب الباحث الكثير من تلك المحاذير ، وإن كان يحرمه فى ذات الوقت من مميزات الاستبيان التى تعد عيوباً للاستبار والتى من أهمها أن الاستبيان يمكن الباحث من الحصول على البيانات المطلوبة من جمهور عريض من المبحوثين بأقل التكاليف وفى أسرع وقت ممكن ، علاوة على أن معدل صدق إجابات المبحوثين من خلال الاستبيان أعلى منه من خلال الاستبار حتى مع اعتبار قوة ملاحظة الباحث وحسن إدراكه للأمور ، لأن الكثير من المواقف أثبتت أن المبحوثين فى حالات كثيرة قد اكتسبوا مناعة ضد مختلف وسائل البحث العلمى وأدواته ولدرجة يصعب معها اكتشاف خداعهم مهما كانت عين الباحث فاحصة أو خبيرة .. !!

●

ضوابط استخدام الاستمارة فى البحوث العلمية :

على ضوء ما ذكر عن نواهى أو عيوب استخدام الاستمارة فى البحوث العلمية ، نرى أنه من الضرورى اتباع عدة ضمانات أو ضوابط حتى تحقق الاستمارة أهدافها المرجوة ، ولعل من أهم تلك الضمانات ما يأتى :

١ ـ وضوح الفروض ودقتها :

لعل نوعية الفروض التى تنهض عليها البحوث العلمية ، هى التى سوف تحدد بدرجة حاسمة ليس فقط مبدأ الاستعانة بالاستمارة من عدمه ، وإنما سوف تحدد أيضاً كم ونوع الأسئلة التى يجب أن تحتويها الاستمارة ، لذلك فمن واجب الباحث أن يحدد طبيعة المعلومات التى يرغب فى الحصول عليها من المبحوثين عن طريق الاستمارة بدقة مع الأخذ فى الاعتبار أن البيانات المطلوبة عن طريق استمارة الاستبيان تختلف بالضرورة عن مثيلاتها فى استمارة الاستبار نظراً لاختلاف طبيعة الفروض فى كل منهما .

٢ ـ مراعاة انماط المبحوثين من خلال الاستمارة :

بمعنى دراسة جمهور البحث — من خلال الدراسات السابقة — ومعرفة خصائصه الاجتماعية والثقافية والعلمية ، وأن يؤخذ ذلك كله فى الاعتبار عند تصميم أسئلة الاستمارة ، حيث إن نوعية السؤال تختلف من مبحوث إلى آخر .. فالمبحوث المثقف

أو المتعلم يختلف بالضرورة عن المبحوث الأمى أو غير المثقف، كما أن المبحوثين فى الريف يختلفون عن نظرائهم من الحضر أو البدو .. إلخ ، وبحيث تتطلب كل نوعية أسئلة تتواءم مع شخصياتهم وتضمن فى ذات الوقت تعاونهم .

٣ ـ ضرورة أن يتوافر قدر معين من الاعلام :

الإعلام الذى نقصده هنا .. إعلام عام وإعلام خاص .. الإعلام العام موجه لكل جمهور البحث عن طريق أية وسيلة من وسائل الاتصال المعروفة ، وبحيث يكون هدف ذلك النوع من الاعلام هو شرح أهداف البحث بصفة عامة ، وتعريف ذلك الجمهور بكيفية الإجابة على أسئلة الاستمارة وكذلك بكيفية إعادتها إلى الجهة المشرفة على البحث .

أما الاعلام الخاص .. فنعنى به ما يقدم للمبحوث من توجيهات مباشرة ـ أثناء الاستبار ـ لإزالة ما قد يراه لبسا فى السؤال وخاصة فيما يتصل ببعض الأسئلة الصعبة ، أو إذا ما لاحظ الباحث أن إجابات المبحوث إجابات عامة أو غير واضحة .

٤ ـ ضرورة تجريب الاستمارة قبل تصميمها :

حتى يمكن مواجهة أية عيوب سواء فيما يخص تصميم الاستمارة من حيث طول الأسئلة أو قصرها ، وضوحها أو غموضها ، سلاستها أو تعقيدها .. إلخ ، أو سواء من حيث طريقة التعامل معها إحصائياً فيما بعد ، فضلا عن مدى تعبير الأسئلة وما يستتبعها من أجوبة عن مشكلة البحث وحلولها المحتملة ، لذلك كله يجب تجريب الاستمارة سواء على عينة مختارة أو عشوائية حتى يمكن تلافى معظم تلك العيوب .. حيث تؤكد معظم السوابق أن الاستمارات التى جربت قبل تعميمها تنجح فى تحقيق أهدافها بنسبة تتراوح ما بين ٧٠ ، ٨٠ ٪ .

●

صور ومجالات استخدام الاستمارة فى البحث العلمى :

استقطبنا الحديث خلال الصفحات السابقة عن نمطين فقط من أنماط الاستمارات المستخدمة فى البحث العلمى ، وهما نمطا الاستبيان والاستبار ، صحيح أنهما النمطان الشائعان لكن كما سبق أن أسلفنا فإن الاستمارة ـ فى حد ذاتها ـ تعتبر إحدى الأدوات الهامة فى جمع البيانات .

هذا وقد تستخدم الاستمارة كأداة منفردة لجمع البيانات كما هو الحال فى الاستبيان ، وقد تستخدم مع أدوات أخرى ، ويختلف مدى الاعتماد عليها بحسب طبيعة الأداة الرئيسية المستخدمة ، فمع المقابلة تعد الاستمارة ضرورية ، ومع الملاحظة تعتبر أقل أهمية .. وهكذا :

ومن هنا فإن الاستبيان يعد من أبرز صور استخدام الاستمارة بشكل منفرد باعتبار الاستبيان وسيلة قائمة بذاتها تستخدم لجمع البيانات بشكل مباشر وسريع وتكون موضوعات البحث خلالها محددة وتتناسب مع القاعدة العريضة من المبحوثين .

ثم بعد ذلك تأتى استخدامات الاستمارة فى البحث العلمى بدرجة تركيز تزيد أو تنقص على حسب الأداة الرئيسية المستخدمة كما أسلفنا ، لذلك توجد عدة صور للاستمارة المستخدمة فى شتى مجالات البحث العلمى ، والتى من بينها استمارات الملاحظة ، والتقييم والمقابلة علاوة على استمارات التقدير والاستمارات الوثائقية (٢) :

إلا أن مجالات استخدام الاستمارة فى البحث العلمى قد تعددت بدرجة كبيرة ويندر ألا يعتمد عليها أى بحث من البحوث ، حيث يعتبرها كثير من علماء المنهجية مرشدا للباحثين سواء عند جمع بياناتهم أو عند رسم إطار محدد لها ، علاوة على اعتبار الاستمارات أداة صالحة لتسجيل تلك البيانات(٣) .

كما أن هناك عددا من علماء المنهجية يرى أن للاستمارة وظائف أخرى ، لعل من أهمها أنها تنمى قدرة الباحثين على الملاحظة ، كما أن الاستمارة تساعد كثيرا على تقنين أدوات البحث الأخرى التى تستخدم إلى جوارها — كالملاحظة على سبيل المثال — كما أن الاستمارة تضمن موضوعية البيانات المجموعة إلى حد كبير عن طريق استخدام وسائل أخرى علاوة على ما تتيحه الاستمارة من تقسيم للبيانات وتصنيفها بطريقة تسهل دراسة كل قسم على حدة فيما بعد (٤) .

●

الخلاصـــــة :

ن الاستمارات من أكثر أدوات البحث العلمى شيوعاً وأهمية ، ويتفق معظم علماء المنهجية على أن تحقيق البحث لأهدافه يتوقف بالدرجة الأولى على حسن تصميم الاستمارات المستخدمة فى جمع البيانات حوله ، وذهب غالبيتهم كذلك إلى إبراز

أهمية دور الاستمارات حتى وهى أدوات مساعدة مستخدمة إلى جوار أدوات رئيسية أخرى كالمقابلة أو الملاحظة ، أو حتى باعتبارها مجرد مسجل للبيانات أو محتوى لعدة بيانات قد تستخدم فى عمليات تقييمية أو تقويمية فيما بعد ، أو حتى بالنظر إلى الاستمارات باعتبارها سجلا وثائقياً لمجموعة من الحقائق أو المعلومات ٥

ومن هنا اكتسبت الاستمارات أهميتها كأداة من أدوات البحث العلمى فى كل مجالات البحوث سواء الاستطلاعية منها أو الوثائقية أو الوصفية أو حتى تلك التى تختبر فروضا سببية :

هذا وسنعرض خلال الملحق الأول من ملاحق الكتاب نموذجا لإستخدام الاستمارة فى البحوث العلمية للإسترشاد :



المصـــادر

١ – انظر : دكتور عبد الباسط محمد حسن – مرجع سابق – ص ص ٤٢١ – ٤٢٢ :

٢ – انظر : P. Young Op. Cit., P. 27

٣ – انظر : دكتور جمال زكي والسيد يس – مصدر سابق ص ٢٣٠ .

٤ – للاستزادة انظر :

Lundberg, G., Social Research, New York, 1946, PP. 190 — 192.



الباب السادس

فنون البحث العلمى وتقنياته
فى العلوم الاجتماعية

- استخدام المعينات فى البحوث العلمية
- تخطيط البحوث فى العلوم الاجتماعية
- محكات التقييم وأسسه فى البحـــوث العلمية

الفصل الثامن عشر

استخدام العينات فى البحوث العلمية

- مقـــدمة
- الضرورة المنهجية لاستخدام العينات
- مبررات استخدام العينات فى البحوث العلمية
- مجالات استخدام العينات
- كيفية تكوين العينات ؟!
- انماط العينـــات المستخدمة فى البحوث العلميـــة
- المصـــطلحات الأساســـية فى مجـــال العينات
- العينة العشوائية البسيطة
- العينة المنتظمة
- العينة الطبقية
- العينة العمدية
- العينة الحصصية
- العينة المساحية
- اخطاء العينات

استخدام العينات فى البحوث العلمية

مقـــدمة :

ترجع معظم كتب « مناهج البحث » استخدام العينة فى البحوث العلمية ، إلى عدم إمكانية القيام بدراسة المجتمع دراسة شاملة فى كل وقت وتحت كل الظروف ، ومن هنا يلجأ الباحثون مضطرين فى معظم الأحوال إلى اللجوء لاستخدام العينة بدلاً من الحصر الشامل .

أى أن الباحث لا يجد وسيلة أخرى يستطيع الاعتماد عليها مادام عاجزاً عن استخدام الحصر الشامل سوى الاكتفاء بعدد محدود من الحالات أو المفردات .. !!

ونحن نرى أن ذلك الزعم — زعم لجوء الباحثين مضطرين لاستخدام العينات فى بحوثهم العلمية — زعما ليس فقط لا أساس له من الصحة — ولكنه يبعد أيضاً عن التطورات الحديثة التى جعلت الاعتماد على العينات مطلبا أملته ضرورة منهجية لما يحتويه من مميزات تجعل كفته أرجح بالمقارنة بالاعتماد على الحصر الشامل .. !!

إذن الباحث لا يلجأ لاستخدام أسلوب العينات مضطراً ، وإنما يلجأ إليه بعد مقارنة مع أسلوب الحصر الشامل ، وعادة ما تتم المقارنة وفق معطيات كل أسلوب وقدرته على توفير بيانات قادرة على الإجابة الصحيحة قدر الإمكان على الأسئلة المطروحة ، ومن الطبيعى أن تتم المفاضلة وفق قدرات وإمكانات القائمين بالبحوث العلمية وظروفهم وطبقاً لخطة البحث الموضوعة .

●

الضرورة المنهجية لاستخدام العينات :

لو فتشنا فى كل كتب « مناهج البحث » أو فى معظمها على الأقل عن مزايا إتباع أسلوب الحصر الشامل لن نجد سوى ميزة واحدة ، ألا وهى أن الباحث من خلال الحصر الشامل يمكنه أن يتجنب أخطاء التعميم التى تنتج عن استخدام بيانات مأخوذة من قطاع معين من المجتمع « العينة » فى الحكم على المجتمع ككل .

وفيما عدا هذه لاتوجد ميزات أخرى وإنما توجد عيوب منها ما يعود للوقت ومنها ما يعود للمال ومنها وهو الأهم ما يعود إلى نقص فى الكوادر اللازمة سواء عند جمع البيانات من خلال الحصر الشامل أو عند التعامل مع تلك البيانات فيما بعد ترتيباً وتصنيفاً وجدولة وتحليلا وتفسيراً .. !!

ومن تلك العيوب ما هو أخطر ، حيث لاحظ غالبية علماء الرياضيات والإحصاء أن خطأ التحيز سوف ينشأ تلقائياً مع استخدام أسلوب الحصر الشامل إذا لم تتوافر له الإمكانيات المادية والبشرية والفنية اللازمة له ، ولسوف يظل خطأ التحيز قائماً ، بل وسوف تزداد احتمالات بقاء ونمو ذلك الخطأ مع تزايد الفرق بين الإمكانيات اللازمة لإجراء الحصر الشامل والإمكانيات المتاحة فعلا .

ومن هنا — نجد أن كثيراً من الإحصائيين يقررون بغير حرج أن هنالك خطأ واضحا فى الاعتقاد بأن الحصر الشامل يؤدى إلى الحصول على الصورة الحقيقية للمجتمع (١) .

ومادامت دراسة مجتمع البحث من خلال الحصر الشامل سوف تؤدى إلى خطأ التحيز فلا داعى للدراسة كل أفراد المجتمع وخصوصاً أن هنالك مخاطر أخرى ترتبط بعدم توافر الإمكانيات المادية والبشرية والفنية علاوة على الوقت ، مع الاستعاضة عن ذلك باختيار عينة تعطى صورة عن المجتمع الجزئى الذى درسته لكنها مع التكبير تصلح لأن تكون صورة كلية للمجتمع العام الذى انبثقت عنه العينة .

هذا ويضيف علماء العلوم الطبيعية والحيوية أسبابا أخرى لاستخدام العينات كضرورة منهجية ، منها مثلا حالات دراسة تركيب دم شخص من الأشخاص .. حيث لابد من الاكتفاء بعينة من دم المريض ، لأن سحب دمه كله لغرض الدراسة والبحث أمر غير ممكن قبل أن يكون أمراً مميتاً !! .. (٢) .

ولو انتقلنا إلى مجال العلوم الاجتماعية ، وحاولنا مثلا التعرف على معدلات الخصوبة أو معدلات الذكاء أو اتجاهات المواطنين نحو تنظيم النسل أو نحو قضية من القضايا المجتمعية الأخرى ، فليس من الممكن اتباع أسلوب الحصر الشامل بل يجب استخدام العينة باعتبارها السبيل الممكن والمجدى معا .

ولكن هل معنى هذا أنه لاضرورة لاستخدام الحصر الشامل ؟ .!

والجواب طبعا .. بأن هنالك ضرورة تستلزم استخدام الحصر الشامل وخاصة إذا ما كان

المجتمع المبحوث قليل العدد ومحدود المساحة كعمال مصنع أو تلاميذ مدرسة أو رواد نادٍ أو مرضى مستشفى .. إلخ .

●

مبررات استخدام العينات فى البحوث العلمية :

١ — تمكن العينة من الحصول على بيانات يستحيل الحصول عليها باستخدام الحصر الشامل وخاصة مع الإمكانيات المادية والفنية والبشرية المحدودة .

٢ — تمكن العينة من تقليل احتمالات خطأ التحيز الذى ينتج عن استخدام الحصر الشامل مع قصور الإمكانيات المختلفة .

٣ — استخدام العينه يمكن من جمع البيانات فى حدود الوقت الذى تضمنته خطة البحث .

٤ — إن خطأ الصدفة الذى ينشأ عن استخدام العينة يمكن السيطرة عليه بعكس خطأ التحيز الناتج عن الحصر الشامل (٣) .

٥ — يعد العيب التقليدى للحصر الشامل والمتمثل فى أنه يحتاج إلى كم هائل من الإمكانيات المادية والفنية والبشرية علاوة على الوقت والجهد ، لو عدنا إلى ذلك العيب التقليدى لوجدناه يمثل ميزة أو مبرراً لاستخدام العينة باعتبارها موفرة للوقت والجهد والمال كما أنها لاتستلزم عند استخدامها إلا مجموعة صغيرة من الباحثين لكنها مدربة تدريباً عالياً .

٦ — كل علماء المنهجية وباحثيها يسلمون بأن استخدام العينات يمكن من جمع معلومات دقيقة وكاملة وبدرجة تسمح بتعميم الأحكام الناتجة عنها .

٧ — يمكن أن يضاف إلى كل ذلك أن النتائج المتحصل عليها عن طريق الحصر لاتختلف كثيراً بعد تحليلها عن تلك المتحصل عليها باستخدام العينات ، ومن هنا فإن استخدام الحصر يشكل إقلاقا لا مبرر له سواء للمبحوثين أو للقائمين على أمور البحث .

●

مجالات استخدام العينات :

تكاد العينات أن تكون هى الوسيلة الأساسية المستخدمة فى الحصول على المعلومات فى شتى مجالات البحوث العلمية ، فالعينات تعتبر أداة رئيسية لدى كل الدول لاستكمال

بيانات التعدادات المختلفة لاسيما فى السنوات البينية وكذلك بالنسبة لإجراء التعديلات السنوية عليها ، كما تستخدم العينات أيضاً على مستوى كل الدول وبصفة دورية شهرية أو ربع سنوية لدراسة العمالة والبطالة .

هذا ومن الاستخدامات المنتشرة للعينات كذلك ، تلك العينات الدورية التى تعد أساسا لدراسة ميزانيات الأسرة ودراسة الرأى العام ، ومنها أيضاً العينات المستخدمة فى المجالات الصناعية والزراعية سواء بالنسبة لمعدلات الجودة أو قياس الكفاءة أو دراسة معوقات الإنتاج .. إلخ وخاصة مع اتجاه العديد من المؤسسات الصناعية نحو نمط الإنتاج الكبير .

والأكثر من هذا أن العلوم الطبيعية والمعملية منها بالذات تتعامل مع التجارب من منطلق أنها عينات سواء من حيث دراسة تأثير خطأ الصدفة خلالها أو من حيث إمكانية تعميم نتائجها على مدى أوسع .

ويرى كثير من الإحصائيين أن العينات أصبحت تستخدم لاختبار مدى شمول البيانات الناتجة عن الحصر الشامل ، بل وفى دقة ذلك الحصر فى جمع تلك البيانات ، كما يدعون إلى معاملة نتائج الحصر الشامل باعتبارها نتائج للعينات فى حالات كثيرة وذلك من خلال مقارنة النتائج المختلفة للحصر الشامل بعضها بالبعض الآخر بهدف معرفة تأثير خطأ الصدفة ومداه خلال تلك النتائج .

والخلاصة أن استخدام العينات له مجالاته المتعددة ، وتميل مختلف الدول إلى الاعتماد على العينات فى جمع البيانات اللازمة من مختلف القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والصحية والثقافية والدينية والترويحية والتربوية ... إلخ .

●

كيفية تكوين العينـات ؟!

من المتفق عليه أن الباحثين لايكونون عيناتهم من أية مجموعة من المفردات تحت أيديهم على حد تعبير « فان دالين » ، وإنما لكى يحصل كل باحث على العينة التى يراها ممثلة لمجتمع بحثه عليه أن يختار كل مفردة بطريقة معينة على أن يتم ذلك وفق شروط مضبوطة ومنتظمة ، وتتضمن عملية اختيار العينات أو تكوينها عدة خطوات هى :

أولا : التحديد الدقيق للمجتمع الأصلى الذى تختار منه العينة :

من غير الممكن اشتقاق نتائج تتصل بمجتمع ما لم يتم التعرف بدقة كافية على المفردات المكونة لذلك المجتمع ، وبالتالى فإن التحديد المبهم للمجتمع الأصلى يصعب تحديد المفردات التى يجب مراعاتها عند اختيار العينات وربما جعله مستحيلا .

لذلك فإن التحديد الدقيق للمجتمع الأصلى يجب أن تراعى خلاله النقاط الآتية :

أ ـ أن يكون المجتمع الذى تختار منه العينة هو نفسه المجتمع المراد دراسته ، وألا يستبدل المجتمع الأصلى بمجتمع آخر تحت دعاوى سهولة جمع البيانات أو المعلومات .

ب ـ أن يكون هناك اتفاق تام بين خصائص العينة المختارة وبين خصائص المجتمع الأصلى . .

ج ـ أن يتم اختيار العينة وفق حدود المجتمع ومجالاته الجغرافية والزمنية المختلفة ، بمعنى أن يتم اختيار العينة ضمن إطار المجتمع الأصلى .

ويرى علماء المنهجية أنه فى حالات عدم التحديد الدقيق للمجتمع الأصلى ، أو فى حالات فساد إطار المجتمع الأصلى أو عدم صلاحيته بسبب تكرر بعض الوحدات أو ما أشبه ، يرون أنه فى مثل تلك الحالات يصبح من الصعب اختيار العينة .

ثانيا : اعداد قائمة بالمجتمع الأصلى :

ويقرر «فان دالين» أنه إذا ما تم التعرف على المجتمع الأصلى بوضوح ، فإن الباحث يحصل على قائمة كاملة ودقيقة وحديثة لجميع مفردات هذا المجتمع ، وأطلق «فان دالين» على تلك القائمة List مصطلح « الإطار Frame » (٤) .

ونظرا لأن تلك القائمة يجب أن تشمل جميع وحدات المجتمع فإن إعدادها من قبل الباحث قد يستغرق كل وقته ومجهوده ، ومع هذا قد تكون النتيجة من حيث إنجاز تلك القائمة أو ذلك الإطار غير مضمونة أو قد تكون البيانات المتوافرة عن تلك القوائم ــ فى حالة الحصول عليها أو إنجازها ــ مخيبة للآمال .. !!

ويوضح فان دالين ذلك من خلال مثالين ، الأول يبين أن تلك القوائم قد تكون موجودة ومع ذلك يجد الباحثون صعوبة فى الحصول عليها ، والثانى يبرز استخدام

الباحثين للقوائم المتوافرة للمجتمع الأصلي دون بحث للطرق التي جمعت بها تلك القوائم أو درجة شموليتها (٥) .

ثالثا : اختيار عينة ممثلة :

ويقرر فان دالين أنه إذا ما تم تحديد المجتمع الأصلي بصورة دقيقة ، وأحكم إعداد قائمة تضم جميع مفرداته ، فإن الخطوة التالية هي خطوة بسيطة نسبيا ، والخطوة التالية كما حددها « فان دالين » هي « اختيار المفردات من القائمة » ، ولو أنه يحذر من حدوث بعض الأخطاء على الرغم من السهولة البادية عند اختيار العينات .

وهو يرى أن تلك الأخطاء تنشأ عندما يختار بعض الباحثين مجموعة المفردات السهلة بالنسبة لهم ، كأن يختاروا مثلا الخمسة والعشرين اسما الأولى من القائمة أو الناس الذين يقيمون في منطقة سكنية واحدة ، أو الآباء الذين يحضرون مناسبة اجتماعية معينة ، أو الصفوف الأربعة الأولى من التلاميذ في فصل دراسي ما .

ويقرر « فان دالين » أنه إذا كانت تلك المفردات المعينة متشابهة تماما في طبيعتها ومختلفة بدرجة واضحة عن غيرها من المفردات ، فإنها تكون بالقطع عينة غير ممثلة للمجتمع الأصلي .

ويشرح ذلك من خلال قوله أن جميع السكان الفقراء الذين يقيمون بحي واحد في مدينة كنيويورك مثلا هم بالقطع مفردات في المجتمع الأصلي للمدينة ، لكن التعميمات المستمدة من بيانات تتصل بصحتهم أو برواتبهم أو بمساكنهم لايمكن بالتأكيد تطبيقها على كل المواطنين من سكان مدينة نيويورك .

ومن هنا فإن العينة الجيدة لابد أن تمثل كل المجتمع الأصلي قدر الإمكان (٦) .

رابعا : الحصول على عينة كافية :

لابد أن تكون العينة مناسبة من حيث الحجم مع المجتمع الأصلي ، بمعنى أن بعض العينات قد تكون صغيرة جداً بحيث لاتمثل خصائص المجتمع الأصلي ، لأنه من غير المحتمل — على حد تعبير فان دالين — أن تمثل نسبة ذكاء تلميذين مختارين كعينة من مجتمع يتكون من مائة طفل مثلا متوسط نسبة ذكاء المجموعة .

ويتساءل « فان دالين » عن الحجم الأمثل الذي تبلغه العينة لكي يمكن الاعتماد عليها بدرجة كافية ؟ !

والجواب على السؤال المطروح بأنه لاتوجد فى الواقع أية قواعد محددة لكيفية الحصول على عينة كافية أو مناسبة من حيث الحجم ، وذلك نظراً للظروف الخاصة أو المشكلات المتصلة بكل موقف على حدة ، ويقرر « فان دالين » أنه إذا كانت الظواهر موضوع الدراسة ظواهر من ذلك النوع المتجانس فإن عينة صغيرة فيها الكفاية ، أما إذا كانت المفردات محل الدراسة من ذلك النوع المتباين فمن أوجب الأمور أن تكون العينة أكبر كثيراً .

لكن .. ما هو الحال عندما يزداد تباين الظواهر محل البحث ؟ !

يجيب « فان دالين » بأن زيادة حجم العينة فى مثل هذه الحالة يكون قليل الفائدة إذا لم يتم إختيار المفردات بطرق تضمن جودة تمثيل العينة للمجتمع الأصلى .. !!

والخلاصة أن الحجم المناسب أو الكافى للعينة يرتبط أولا وأخيراً بثلاثة عوامل أساسية هى .. طبيعة المجتمع الأصلى ، ونوع التصميم التجريبى الذى يتم من خلاله اختيار العينة ، وأخيراً درجة الدقة التى يمكن تحقيقها لضمان صدق العينة وحسن تمثيلها للمجتمع الأصلى .

●

انماط العينات المستخدمة فى البحوث العلمية :

تتعدد أنماط العينات وتختلف سواء من حيث طبيعتها أو مسمياتها أو استعمالاتها ، فالعينات عند البعض تندرج تحت نمطين فقط ، أولها العينة العشوائية وثانيها العينة الطبقية ، وهى عند البعض الآخر تندرج تحت ثلاثة أنماط عشوائية وطبقية ومقيدة ، أما البعض الثالث فيرى أن العينات إما أن تكون عشوائية أو منتظمة أو طبقية أو مساحية ، ولكن هناك من يرى أن العينات يجب أن تصنف وفقاً لنظرية الإحتمالات ، لذلك فهى إما أن تكون عينات احتمالية أو غير احتمالية .. ولو أن الأمر لايمنع أن يحتوى كل من النمط الاحتمالى وغير الاحتمالى على عدة تفريعات ، فالنمط الاحتمالى مثلا يضم أنماطاً فرعية أخرى هى .. العينة العشوائية البسيطة والعينة العشوائية الطبقية ، أما النمط غير الاحتمالى فيضم كلا من العينة الحصصية والعينة العمدية .

ومن الطبيعى أن تحاول كل وجهة نظر أن توضح ما تنطوى عليه من أسباب ومبررات ولكننا هنا على كل حال سوف نحاول أن نعرض شكلا مجمعاً لكل وجهات النظر تلك وفقاً لما انتهت إليه آراء المختصين لاسيما الإحصائيين منهم بالذات باعتبار أن العينات هى

من صلب عملهم أو محل اهتمامهم الأول بينما هى بالنسبة للباحثين ليست صاحبة أولوية ملحة لديهم (٧) .

المهم أننا قبل أن نعرض وجهة النظر المجمعة تلك لمختلف أنماط العينات يحسن أن نوحد اللغة الإحصائية المستخدمة من خلال تحديد دقيق للمفاهيم المتصلة بالعينات حتى لايكون هناك مجال لخطأ أو سوء فهم .

●

المصطلحات الأساسية فى مجال العينات :

يقصر الإحصائيون المصطلحات المتصلة بالعينات على أربعة مصطلحات هى .. الفرد أو المفردة والمجتمع ، ووحدة العينة ، والإطار ، ويرون أن تحديد هذه المصطلحات يلعب الدور الحاسم عند تصميم العينات (٨) .

ولكننا مادمنا فى معرض تحديد المفهومات سنتعرض للتعريف ببعض أنماط العينات التى سبق لنا ذكرها عند بداية حديثنا عن أنماط العينات . مع مراعاة أن التعريف سيكون قاصراً على النمط كمصطلح فقط .

المفردة والمجتمع :

المفردة فى عرف الإحصائيين هى الوحدة التى تجمع عنها البيانات ، وقد تكون تلك المفردة فرداً أو أسرة أو مسكنا أو مصنعا أو حتى سنبلة قمح أو غير ذلك ، أما المجتمع فهو مجموع المفردات التى تجمع عنها البيانات .

ولمزيد من الشرح .. فلو كان المطلوب الحصول على بيانات عن سكان حى من الأحياء فإن المفردة هنا هى الشخص الواحد ، أما المجتمع فيعنى جميع سكان هذا الحى ، أما إذا كان البحث يهدف إلى الحصول على بيانات عن أسر ذلك الحى .. فإن المجتمع هو كل مجموع أسر الحى ، والمفردة فيه هى الأسرة الواحدة .

وبالمثل فإذا كان الغرض من البحث الحصول على بيانات عن إنتاج مصنع مسامير فإن المجتمع هو الإنتاج كله والمفردة « الفرد » هى المسمار الواحد (٩) .

وحـدة العينة :

يرى الإحصائيون أننا لو كنا فى مجال فحص المسامير المنتجة فى مصنع ما باستخدام العينة فإنه يجوز أخذ عينة مباشرة من المسامير ، وفى هذه الحالة تكون وحدة العينة هى « المسمار » الواحد ، كما يجوز كذلك أخذ عينة من الصندوق الذى توضع به المسامير ، وعندئذ تكون وحدة العينة هى « الصندوق » وليس المسمار (١٠) .

ومن هنا فانه ليس من الضرورى أن تكون وحدة العينة هى « المفردة » فكثير من العينات تؤخذ وحداتها من مجموعات من المفردات ، فقد تكون وحدة العينة مجموعة من التلاميذ وقد تتسع لتكون فصلا دراسيا بأكمله وقد تتسع أكثر لتضم مدرسة أو معهداً بكامله ، وبالمثل قد تكون وحدة العينة الأسرة أو مجموعة من الأسر تسكن فى منزل واحد أو حى واحد .

ولكن خبراء الإحصاء يقررون أن تحليل نتائج العينات يكون عادة أسهل لو كانت وحدة العينة هى ذاتها المفردة ، أما إذا كانت وحدة العينة مجموعة من المفردات فلابد عند التحليل من مراعاة وجود علاقات وروابط بين مجموعة المفردات المكونة لوحدة العينة ، مع عدم إغفال آثار تلك الروابط والعلاقات على النتائج المتحصل عليها .

ويؤكد خبراء الإحصاء أنه يتم اللجوء إلى اتخاذ مجموعة من المفردات « الأفراد » كوحدة للعينة نتيجة للصعوبات العملية التى تحول دون اختيار عينة من المفردات (١١) .
ولمزيد من الشرح .. فلو كان المطلوب هو جمع البيانات عن الأسر فى إحدى المدن ، ولو جعل الباحث الأسرة هنا هى وحدة العينة ، فسوف يجد تلك العينة موزعة على عدد كبير من الأحياء ثم الشوارع ثم المنازل ، الأمر الذى يجعل جمع البيانات بهذه الطريقة مكلفاً سواء من حيث الوقت أو الجهد نتيجة لاضطرار جامعى البيانات للتنقل بين الأسر التى تضمنتها العينة ، هذا علاوة على أن الباحث سوف يجد نفسه مضطرا لكى يأخذ العينة أن يعد قائمة بأسماء جميع الأسر فى المدينة الأمر الذى يزيد من فداحة تكاليف البحث وخصوصاً أن هناك مشرفون على الباحث وبحثه ويهمهم كثيراً الأطمئنان على سير البحث بمختلف خطواته ومراحله .

ومن الطبيعى أن تزداد المشكلة صعوبة ووضوحاً لو كان المطلوب هو جمع بيانات عن الأسر فى كامل التراب المصرى أو الجزائرى أو الكويتى مثلا .. !!

وفى مثل هذه الحالات ينصح خبراء الإحصاء الباحثين بأن يتخذوا مجموعات من الأسر كوحدات للعينة ، ففى مقدور الباحث فى المثال الأول « إحدى المدن » أن يجعل

وحدة البحث هي المنزل أو الشارع ، وفي المثال الثاني « كامل التراب الوطني » في مقدوره أن يجعل من الحي أو القرية وحدة لعينته .

الاطــار :

الإطار عبارة عن قائمة تضم جميع وحدات العينة في المجتمع المبحوث ، كما يحتوى ذلك الإطار على الوسيلة التي يتم عن طريقها التعرف على موضع تلك الوحدات على الطبيعة .

وبعبارة أخرى فإن الإطار هو المصدر الذى تؤخذ منه العينة ، باعتباره محدداً أو حاصراً لمختلف وحدات المجتمع بصورة تمكن من اختيار العينة من بين تلك الوحدات المحصورة أو المحددة .

ولمزيد من الشرح .. فلو كانت الأسرة هي وحدة العينة في البحث ، فإن الاطار هنا هو قائمة بأسماء جميع الأسر في المجتمع المبحوث تضم إلى جوارها مختلف البيانات التي تساعد في تحديد تلك الأسر أو الوصول إليها ، أما إذا كانت المنازل أو البيوت هي وحدة العينة فإن الإطار ليس وقفا على قائمة بجميع المنازل أو البيوت الموجودة في المجتمع المبحوث ، ولكنه لابد أن يشتمل — أي الإطار — على الكيفية التي تسهل معرفة تلك المنازل أو البيوت .

هذا وتتعدد أشكال الإطارات بحسب طبيعة وحدة العينة ، بمعنى أنه قد يكون سجلا يضم الأسماء أو العناوين ، أو قد يكون خريطة مبينا عليها موقع الوحدات .. إلخ ، المهم أن صلاحية ذلك الاطار للاستخدام في أخذ العينات تتوقف على توافر ثلاثة شروط أساسية هي :

١ — أن يتضمن ذلك الإطار جميع الوحدات في المجتمع :

٢ — أن يتيح ذلك الإطار وسيلة ميسرة للتعرف على موقع الوحدات التي يضمها على الطبيعة .

٣ — أن يضمن الإطار وسيلة للفصل بين واحدات المجتمع المبحوث وأية وحدات أخرى تختلط به من خارجه .

ولمزيد من الشرح .. فإن الإطار الذى يحتوى على أسماء أرباب الأسر في حى معين يكون صالحا لأخذ عينة من أسر ذلك الحى بشرط أن يكون بيان أسماء الأسر حديثا وأن

يكون محتويا كذلك إلى جانب الأسماء على العناوين حتى يمكن الوصول إلى الأسر المأخوذة فى العينة ، ويمكن اعتبار ذلك الإطار صالحا لأخذ عينة من الأسر التى يبلغ عدد أفرادها خمسة أفراد فأكثر بشرط أن يضم الإطار إلى جانب الأسم والعنوان بيانا بعدد أفراد كل أسرة.

ويحذر خبراء الإحصاء من الاعتقاد بأن الشروط الثلاثة السابقة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال وجود قائمة مكتوبة بالأسماء والعناوين أو خريطة مطبوعة تتميز فيها الوحدات ، حيث يمكن لتلك الشروط أن تتحقق لو أخذت عينة – مثلا – من منازل إحدى القرى إذا ما توافر شيئان :

١ – أن يكون لدى الإحصائى بيان بعدد منازل تلك القرية .

٢ – أن تكون تلك المنازل مرقمة على الطبيعة .

ويضيف هؤلاء أنه من المهم جداً البحث عن الإطار أو الإطارات الموجودة وتمحيصها قبل وضع خطة أخذ العينة ، وذلك لأن هذه الإطارات تمدنا بمعلومات أساسية فى تعيين وحدة العينة وفى تحديد الطريقة التى تؤخذ بها العينة (١٢) .

العينـــة العشوائية :

وهى تلك التى لا تتقيد بأى نظام أو ترتيب خاص عند الاختيار ، وهى على هذا الأساس عينة حره وغير متحيزة .

العينـــة الطبقية :

وهى العينة التى تماثل فى خصائصها وتركيبها خصائص وتركيب المجتمع المأخوذة عنه .

العينـــة المقيدة :

وهى تلك التى تحددها من حيث الاختيار أو التمثيل شروط ومواصفات خاصة .

العينة المساحية أو الحوضية :

وهى عينة تختار خلالها الأماكن أولا ثم الناس ثانياً ، بمعنى أن التركيز يكون على اختيار الأماكن التى توجد فيها وحدات العينة .

العينة المتعمدة أو العمدية :

وهى تلك التى تختار على أساس تقدير الباحث المطلق ، بمعنى أن الباحث وحده هو الذى يحدد الحالات التى تكون عينة بحثه وفقاً للقواعد التى يراها هو محققة للأهداف التى يسعى إليها .

العينة المنتظمة :

وهى تلك العينة التى تتميز بانتظام فتراتها وثبات المسافة بين كل وحدة من وحدات العينة .

●

عودة الى انماط العينات :

لقد ذكرنا عدة أنماط أو مسميات للعينات سواء فى صدر حديثنا حول أنماط العينات أو عند تحديدنا للمفاهيم ، والذى نحب أن نضيفه هنا أن تلك الأنماط قد توجد بصورة منفردة وقد تتزاوج فنجد مثلا عينات عشوائية منتظمة أو عينة منتظمة بسيطة ، أو قد تختلف المسميات فنجد مثلا العينة المساحية أو الحوضية تأخذ مسمى آخر هو العينات المتعددة المراحل ... الخ .

المهم أننا سنورد هنا كما سبق أن أسلفنا الأنماط المتفق عليها سواء من حيث المدلول اللفظى أو كيفية الاستخدام لاسيما من وجهة نظر خبراء الإحصاء .

١ ـ العينة العشوائية البسيطة :

وتكون العينة عشوائية بسيطة إذا ما أخذت من المجتمع كله بطريقة الاختيار العشوائى أى بطريقة تضمن إعطاء جميع الوحدات فى المجتمع كله نفس فرص الاختيار .

ويحذر خبراء الإحصاء من أن الاختيار الإحصائى ليس معناه الاختيار « حيثما اتفق » وانما هو اختيار تراعى فيه فرص متكافئة للاختيار بالنسبة لجميع الوحدات وبغير أى تحيز .

هذا وتوجد عدة أساليب لاختيار العينة العشوائية البسيطة منها طرق اليانصيب أو القرعة التى تعتمد على كتابة أسماء الوحدات على بطاقات متماثلة تماما ثم خلط هذه البطاقات بعضها ببعض حتى يضيع أى أثر للتمييز أو للترتيب المتعمد ، ثم تؤخذ كمية من البطاقات مساوية لعدد الوحدات التى تتكون منها العينة :

وهناك عدة اعتراضات على اختيار العينة بطريقة اليانصيب أو القرعة ، من أهمها أنه يصعب تطبيق هذه الطريقة مع المجتمعات الكبيرة ، علاوة على أنها لاتعطى فرصاً متكافئة تماما أمام كل الوحدات عند الاختيار ، لذلك فإن خبراء الإحصاء قدموا بديلا مناسبا متمثلا فى الجداول ذات الأرقام العشوائية ويرون أن ذلك يوفر المجهود الذى يبذل فى الاختيار العشوائى من خلال اليانصيب أو القرعة ، وهذه الجداول يمكن استخدامها مباشرة كأنها ناتجة من عملية اختيار عشوائى أعده الباحثون بأنفسهم .

ويلاحظ أن الأعداد داخل الجداول مكونة من رقمين ومرتبة فى صفوف وأعمدة تتكافأ من حيث العشوائية مع الأعداد التى نحصل عليها لو تم الاختيار العشوائى من بين مجموعة الأعداد « ٠٠ ، ٠١ ، ٠٢ ، ٠٠ ، ٩٩ » بواسطة البطاقات .

وعند استخدام جدول الأعداد العشوائية فإن الباحث يختار أى نقطة فى الجدول ، وبعدها تقرأ الأرقام التالية فى أى اتجاه رأسى أو أفقى أو مائل ، مع العلم بأن الأرقام المقروءة هى التى توضح المفردات المختارة فى العينة .

نموذج لجداول الأعداد العشوائية

٣٢	٥٠	٥٣	١٦	٩٥	٩٨	٣٢	٤٨	٦٣	٩٦	٧٧	٠٢	٢٢	٤٩	٢٥
٩٢	٥٢	٤٠	٥١	٨٢	٩٦	٤٠	٣٦	٤٠	٣٢	٦٤	٦٧	٣٦	٨٢	١٣
٢٧	٧٠	٢١	٣٤	٥٩	٠٣	٣٩	٤٣	٢٧	٥٠	١٢	٥٥	١١	١٥	٢٨
٢٥	١٠	١٦	٧٠	٩١	٤٣	٥٣	٧١	٠٠	٥٤	٢٦	٣٧	٥٢	٢٢	٣٤
٣١	١١	٣٣	٤٩	٨٣	٠١	٠٦	٤٣	٤٩	١٤	٣٧	٤٢	٨١	٨٣	٦٧
٤٠	٥٤	٧٧	٧٨	١٤	٧٦	٢٥	٨٤	١٢	٢٥	٤٤	١٧	٢٦	٤١	٧٦
٣٤	١١	٦٤	٤٧	١٧	٣٤	١٥	٧٨	٢٠	٧٥	٦٤	٧٦	٤٥	٥٩	٨٥
١٨	٨٧	٣٧	٦١	٣٢	٣٧	٧٧	٨٠	٢٩	٨٠	٢٨	٤٧	٥٣	٠٢	٩٢
٩٤	٦٧	٩٢	٤٤	٧٩	٨٢	٧١	٦٥	٥١	٥١	٥٣	٢١	٠٩	٦٨	٥٨
٤٠	٧٣	٤٤	٢١	١٤	٢٠	٦٥	٩٨	١٤	٣٥	٥١	٩٦	٩١	٤٢	٢٧
٢٨	٩٣	٥٤	٢٤	٥٥	٢٣	٢٧	٩٠	٣٣	٨٧	٨٣	٦٢	٩٢	١٩	٩٣
٨٣	٥٧	٥٧	٢٢	٣٢	٨٥	٦٨	٧٩	٩٦	٩٢	٢٢	٧٧	٧٠	٥٤	٠٢
٣٠	١٤	١٧	٢٥	٤٨	٦٧	٤٣	٥٠	٨٠	١٥	٦٤	٦٠	٧٣	٥١	٦٢
٤٨	٢٦	٧٦	٥٩	٥٢	٧١	٦٢	٧٨	١٣	٦٦	٥٧	٤٢	١٨	٠٦	٣٨
٢٢	٣٨	٩٥	٣٠	٧٢	٨٠	٣٥	١٣	٧٢	٩٩	٤٤	٧٧	١٤	٤٩	٦١

٦٣ ١٧ ١٤ ٥٨ ٩١	٥٠ ٢٧ ٧٩ ٥٢ ٥٣	٣١ ٣٠ ٠٦ ٧٠ ٣١
٧٩ ٧٠ ١٥ ١٨ ٩٦	١٤ ٨١ ٨٤ ٥٠ ١١	٩٥ ١٥ ٠٠ ٨٢ ٤٠
٥٩ ٩١ ٢٥ ١٠ ٥٤	٧٧ ٥٤ ٢٣ ٨٧ ٣٢	٤٦ ٠٦ ٥٨ ٦٥ ٥٩
٠٥ ٢٨ ٥٣ ٦٨ ٥٢	٤٩ ٣٧ ٩٦ ٩٧ ١٩	٨٤ ٢٤ ٣٠ ٦١ ٦٤
٦٣ ١٢ ٨٢ ٧٠ ٣٥	٠٢ ٥٤ ١٠ ٢٨ ٧٤	٢١ ٥٥ ٤٢ ٥٦ ٤٣
٣٣ ٤٦ ٨٢ ١٣ ٠٥	١٦ ١٤ ٨٨ ٧٠ ٠٧	٨٠ ٤٠ ٢٦ ٨٢ ١٩
٨٥ ٥٠ ٦٧ ٥٥ ٢٤	٤٠ ٨٩ ٦٨ ٦٥ ٤٣	٨٣ ٠٠ ٤٠ ٧٩ ٦٨
٢٠ ٥٥ ٩٨ ٧٦ ٩٨	٢٥ ١٩ ٤٠ ٤٧ ٢١	٧٦ ١٩ ٩٢ ٨٠ ٣٦
٦١ ٣٢ ٥١ ٦٦ ٩٠	١٢ ٥٣ ٤٧ ٢٥ ٦٢	٠٣ ٤٣ ٢٤ ٣٦ ٠٧
٦٨ ٧٧ ٥٤ ٥٣ ٩٠	٥٨ ١٤ ٣٢ ٣٩ ١٧	٢٣ ٩٥ ١٣ ٣٧ ٨٢
٨٠ ١١ ٦٣ ٤٤ ٠٠	٢٩ ٢١ ٤٤ ١١ ٣٨	٢٠ ٥٤ ٠٦ ٣٥ ٨١
٢٢ ٦١ ٥٥ ٦٤ ٠٤	٦٤ ١٥ ٤١ ٤٠ ٤٩	٠٨ ٨٣ ٣٥ ٦٦ ٧٣
٨٥ ٣٩ ٣٧ ٩٠ ٥٤	١٢ ١١ ٦١ ٠٦ ٢٦	٣٨ ٩٥ ٤٥ ٤٤ ٧٣
٢١ ٤٣ ٢٨ ٠٥ ٦٩	٩٢ ٤٤ ٣٠ ٢٤ ٥٧	٩٨ ٥٤ ٨٢ ٧٨ ٤٢
١١ ٨٥ ٧٥ ٢٩ ٩٢	٨٣ ٣٨ ٤٧ ١٥ ٧٤	٦٤ ٨٣ ٩٥ ٨٢ ٦٨

ويلاحظ أن الأعداد الواردة فى جداول الأعداد العشوائية مكونة من رقمين ، ولكن من السهل تحويل هذه الأعداد إلى أعداد مكونة من رقم واحد أو ثلاثة أو أربعة أرقام أو أى عدد آخر تستلزمه عملية أخذ العينة العشوائية ، وذلك عن طريق ضم العواميد بعضها إلى بعض فى حالة أرقام المئات أو الألوف ، أو عن طريق فصل العمودين فى حالة أرقام الآحاد .

هذا وعند أخذ الأعداد العشوائية فإننا نبدأ من أى مكان فى الجدول أى من العدد الواقع عند تقاطع أى سطر مع أى عمود وليس من الضرورى أن نبدأ من الرقم الواقع على رأس العمود الأول ، وفى أخذ الأعداد يمكننا أن نتجه رأسيا إلى أسفل أو إلى أعلى ،

أو أفقياً إلى اليمين أو إلى اليسار أو فى اتجاه قطرى ، المهم أن يتم الاختيار وفقاً لنظام هندسى ثابت حتى لاتكون للباحث حرية مطلقة فى الاختيار .

هذا وتوجد عدة قواعد لاستخدام الجداول ذات الأعداد العشوائية يمكن إيجازها على النحو الآتى :

ا – عن طريق معرفة أقصى عدد يمكن أخذه فى العينة نستطيع أن نحدد الأعداد العشوائية التى تلزمنا وهم تتكون من رقم أو رقمين أو ثلاثة ... الخ .

ب – البدء من أى مكان فى الجدول وأخذ الأعداد العشوائية حسب نظام هندسى ثابت .

ج – تستبعد الأعداد التى يتصادف وجودها وتكون أكبر من أكبر عدد يمكن أخذه فى العينة .

د – تستبعد الأعداد التى تصادفنا والتى سبق أخذها فى العينة (١٣) .

ويرى علماء المنهجية أنه ليس من المحتم أن تمثل العينة العشوائية خصائص المجتمع الأصلى كله حيث إنها تترك إختيار المفحوصين للصدفة ، ويرون أن ذلك يقلل امكانيات التحيز الذى يتدخل فى أختيار العينة ، ومن هنا فإن الباحث قد يختار بالمصادفة عينة لاتمثل المجتمع الأصلى أصدق تمثيل ، والأمر المؤكد فى رأيهم أنه كلما زاد اختلاف مفردات المجتمع الأصلى وزاد صغر العينة ، كلما كانت هناك فرصة كبيرة لاشتقاق عينة ضعيفة التمثيل .

٢ – العينة المنتظمة :

أو العينة العشوائية المنتظمة ، ويرى خبراء الإحصاء أن هذه العينة تمتاز بسهولة اختيار مفرداتها ، حيث يتم تقسيم المجتمع الأصلى إلى مجموعات متساوية فى العدد أو الفئات ، مع مراعاة أن إختيار أول وحدات العينة يتم عشوائيا من بين وحدات المجموعة الأولى ثم بعد ذلك يتم اختيار بقية الوحدات بشكل منتظم .

ولمزيد من الشرح .. لو كنا بصدد بحث عن اتجاهات ٦٠٠ أسرة عن تنظيم النسل وحددنا عينتنا بنسبة ٢٥ ٪ من الأسر أى أن البحث سيشمل أسرة من كل أربع أسر ، وبعد وضع إطار يضم كل مفردات المجتمع الأصلى « ٦٠٠ أسرة » نختار الوحدة الأولى بين الرقمين ١ ، ٤ بطريقة عشوائية ولنفرض أن الأسرة الأولى فى العينة هى التى تحمل رقم

٢ ، فإننا نضيف بعد ذلك بشكل منتظم ٤ إلى رقم ٢ لينتج الرقم ٦ وبعد ذلك نضيف ٤ لينتج الرقم ١٠ وبعدها ١٤ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٦ .. الخ .

ومما يؤخذ على العينة المنتظمة احتواؤها على بعض الانحرافات العشوائية التى من أهمها التحيز الناتج حدوث ميل أو اتجاه معين يباعد بينها وبين أن تكون عينة عشوائية حقيقية .

٣ ـ العينة الطبقية :

وتستهدف العنية الطبقية الحصول على عينات أكثر تمثيلا للمجتمع الأصلى ، وخلالها يقسم الباحث مجتمعه البحثى إلى طبقات وفقاً لخاصية معينة وبحيث يكون حجم كل طبقة أو فئة متناسبا مع حجمها فى المجتمع الأصلى ، ثم يشتق الباحث بعد ذلك بطريقة عشوائية من هذه المجموعات الأصغر ، عدداً من المفردات سبق تحديده .

أما عن الخطوات المتبعة عند تحديد العينة الطبقية ، فإنها تبدأ دائماً بتحليل المجتمع الأصلى بغية التعرف على مختلف ملامحه حتى يمكن تقسيمه إلى قطاعات أو طبقات متجانسة من حيث السمات أو الخواص التى تجمعها حسب موضوع البحث ، وبعد تحديد الطبقات تحسب عدد الوحدات سواء تلك الموجودة فى المجتمع الأصلى أو تلك الموجودة فى الطبقات وذلك تمهيداً لتحديد حجم العينة وعدد الوحدات المطلوبة فى كل طبقة ، وغالبا ما يتم ذلك التحديد بناء على نسبة وجود كل طبقة فى المجتمع الأصلى وهنا تكون العينة المأخوذة عينه « طبقية نسبية » ، أو أن تكون العينة « طبقية غير نسبية » أى لا يتم التقيد عند اختيار وحدات الفئات بنسبة وجود تلك الفئات فى المجتمع الأصلى .

ثم تأتى بعد ذلك الخطوة الأخيرة وهى اختيار الوحدات من القوائم المعدة لذلك ، وقد تختار الوحدات بطريقة منتظمة أو عشوائية حسب اختيار الباحث .

٤ ـ العينة العمـدية :

يعتقد كثير من خبراء الإحصاءات أن معرفة الباحث بالمعالم الإحصائية لمجتمع بحثه وللخصائص التى تتميز بها مفرداته ، هذه المعرفة قد تغرى الباحثين إلى تعمد اختيار عينة من مفردات معينة يظنون أنها تمثل المجتمعات الأصلية أصدق تمثيل ، علاوة على قناعتهم أن تلك العينة العمدية تعطى نتائج أقرب ما تكون إلى نتائج الحصر الشامل .

ويفترض أن اختيار العينة بهذه الطريقة يوفر كثيراً من تكاليف البحث ، ومع التسليم بأنها تحتاج إلى ممارسين على مستوى عال من الكفاءة والمهارة إلا أن وجود هؤلاء

الممارسين ليس متيسراً فى كل الأوقات فضلا عن التغير المستمر لخصائص المجتمعات المبحوثة الأمر الذى يجعل معرفة الباحثين بالخصائص المجتمعية والإحصائية لمجتمعاتهم البحثية لفترات طويلة أمراً مشكوكا فيه ، الأمر الذى يهدم الأساس الذى تنهض عليه العينات العمدية .

٥ ـ العينة الحصصية :

وتنهض العينات الحصصية على أساس تقسيم المجتمع الأصلى إلى فئات ذات خصائص معينة ، مع تمثيل كل فئة من تلك الفئات بنسبة وجودها فى المجتمع ، ومن أهم سمات اختيار العينة بهذه الطريقة هى الحرية الكاملة المتروكة للباحثين فى اختيار مفردات كل حصة على أن يلتزم كل واحد منهم بالحدود العددية المعطاة له سلفا إلى جانب تنفيذه لمختلف التعليمات المبلغة له طبقاً لخطة البحث ، ولعل تلك الحرية الممنوحة للباحثين هى ما يميز العينة الحصصية عن العينة الطبقية المشار إليها قبلا .

ويرى علماء المنهجية أن هذا النمط من العينات هام جداً فى بحوث الرأى العام بالذات نظراً للسرعة التى تتم بها وقلة تكاليفها بالمقارنة بغيرها من أنماط العينات الأخرى ، ولو أن ذلك لا يمنع اتسامها بالتحيز الذى لا يشكك فقط فى دقة البيانات المتوافرة عنها وإنما يصعب كثيراً من مهمة التعامل معها إحصائياً فيما بعد .

٦ ـ العينة المساحية :

إذا ما كانت وحدات العينة موزعة على مساحات جغرافية متباعدة يصعب معها إعداد قوائم تفصيلية لكل وحدات المجتمع المبحوث علاوة على تعذر استخدام أنماط العينات الأخرى ، إذا ما كان الأمر كذلك فإن العينة المساحية تقدم الحل الأمثل للحصول على عينات تمثل المناطق الجغرافية المختلفة والمتباعدة .

هذا وتتيح العينة المساحية تركيز البحث فى مناطق معينة بدلا من بعثرة الجهود فى كافة أنحاء المجتمع علاوة على أن أخذ العينة ذاتها إنما يتم على مراحل وفى كل مرحلة يتم تصغير وحدة العينة عن المرحلة السابقة لهاحتى يتم تحديد وحدة البحث فى المرحلة الأخيرة .

هذا ويقترح خبراء الإحصاء اتباع المراحل الآتية خلال العينات المساحية أو العينات المتعددة المراحل كما يسميها الإحصائيون :

١ ـ تؤخذ عينة عشوائية من الوحدات الإدارية « المراكز والمدن » .

٢ـ تؤخذ عينة طبقية من القرى داخل الوحدات الإدارية التى أخذت فى الخطوة الأولى ، وقد يتم التقسيم الطبقى بحسب عدد السكان أو بحسب نسبتهم وفقاً لخاصية معينة .

٣ـ تؤخذ عينة منتظمة من المنازل داخل القرى التى تضمنتها العينة فى الخطوة الثانية :

إلا أن من أبرز عيوب هذا النمط استخدامه لوحدات مكونة من أعداد كبيرة من المفردات خلال المرحلة الأولى التى عادة ما يكون أفرادها أكثر تجانسا من أفراد المجتمع كله ، أما عن أهم ميزات هذا النمط من العينات أنها تسهل العمل بدرجة كبيرة وخاصة مع وجود معوقات إدارية وجغرافية ومادية وفنية حيث لايتطلب الأمر إعداد أية إطارات للمفردات إلا بالنسبة للمناطق التى دخلت فعلا ضمن العينة .

●

اخطاء العينات :

على الرغم من أن استخدام العينات كما سبق أن أسلفنا قد صار ضرورة منهجية ، إلا أن هناك العديد من الأخطاء التى تصاحب استخدام العينات ، وتنحصر تلك الأخطاء فى ثلاثة : الأول .. هو خطأ التحيز ، وهو الذى ينتج من الطريقة التى تختار بها العينة من المجتمع الأصلى ، والثانى .. هو خطأ الصدفة ، وهو ينتج عن عدم تقدير حجم العينة بالشكل المناسب والثالث.. هو خطأ الأداة ، وهو خطأ ينتج من ردود فعل المبحوثين نحو أداة القياس أو الوسيلة المستخدمة فى جمع البيانات .

ولعل أهم تلك الأخطاء جميعاً هو خطأ التحيز ، لذلك يوليه خبراء الإحصاء أهمية بالغة ويقدرون أن أسباب التحيز فى العينات يندرج تحت أربعة أنواع رئيسية هى :

١ ـ أخذ العينة بدون استعمال إطار .

٢ ـ أخذ العينة من اطار خاطئ .

٣ ـ أخذ العينة من الإطار الصحيح ولكن بطريقة خاطئة .

٤ ـ عدم جمع البيانات من بعض الأفراد « المفردات » .

ولو شئنا بعض التوضيح لتلك الأنواع الأربعة لقلنا أن :

(١) خطأ التحيز الناجم عن اخذ العينة بدون استخدام اطار :

يحدث هذا الخطأ عندما يجد الباحث صعوبة فى الحصول على الإطار اللازم ، فيأخذ العينة بنفسه بدون استعمال أى إطار .

كما يحدث خطأ التحيز عندما يقرر الباحث توفير الوقت والمجهود الذى تستنفده عملية أخذ العينة من الإطار الصحيح وبالطرق السليمة التى سبق الإشارة إليها ، فيقوم بأخذ العينة بطرق أسهل وذلك عن طريق تعمد اختيار بعض المفردات التى يعتقد أنها تمثل المجتمع وأن يختار تلك المفردات بطرق يعتقد أنها خاضعة لعوامل الصدفة .

ويقرر خبراء الإحصاء أنه فى كثير من الحالات تؤدى هذه الطرق إلى تحيز لايشعر به الباحث ويؤدى به ذلك فى النهاية إلى بيانات مضللة بعيدة عن الواقع ، لذلك فخبراء الإحصاء يحذرون من اللجوء إلى العينات المكونة من المتطوعين ، واتخاذ المعارف والأصدقاء كعينة ، واستعمال مرضى المستشفيات كعينة لدراسة درجة خطورة الأمراض أو أخذ الأفراد الذين نصادفهم فى الطريق كعينة .

(ب) خطأ التحيز الناتج عن أخذ العينة من اطار خاطىء :

فى كثير من الأحوال لايجد الباحث الإطار الصحيح الذى يضم جميع مفردات المجتمع ولايضم مفردات خارجة عنه ، فيلجأ لاستخدام إطار آخر أمكنه الحصول عليه بطريقة أو بأخرى ، فإذا ما كانت المفردات الموجودة فى الإطار الجديد ممثلة لمفردات المجتمع الأصلى فلا بأس من استخدامه ، ولكن كثيراً ما يحدث أن يسقط ذلك الإطار الجديد بعض المفردات أو يشتمل على مفردات خارجية عن المجتمع الأصلى ، وغالبا ما تتميز تلك المفردات بصفات وخصائص متصلة بالموضوع المدروس ، والنتيجة أن تؤثر تلك المفردات فى النتيجة التى نحصل عليها من عينة مأخوذة عن ذلك الإطار الجديد وتصبح وكأنما هى خاصة بمجتمع آخر غير المجتمع المدروس .

هذا ويحذر خبراء الإحصاء من أن الخطأ الناتج عن أخذ عينة من إطار خاطئ إنما يشيع نتيجة ، لاستعمال إطار قديم ، أو استعمال دليل التليفون للحصول على عينة تمثل الرأى العام أو تمثل الطبقة المثقفة ، أو استعمال قوائم الأسماء التى يدفع عنها رسوم اشتراك اختيارية (١٤) ، أو استخدام إطار مجتمع ما للحصول على عينة من مجتمع آخر يشمل المجتمع الأول ويضم فى نفس الوقت مفردات أخرى مختلفة من حيث الخصائص والسمات عن مفردات المجتمع الأول ، أو أخذ العينة من إطار يضم مفردات تنتمى إلى جنس واحد فقط « ذكور أو إناث » .

(ج) خطأ التحيز الناتج عن أخذ العينة من اطار صحيح لكن بطريقة خاطئة :

ويحدث ذلك الخطأ نتيجة للاستخدام غير الفاهم للإطار الصحيح ، ومن أبرز أنواع ذلك الخطأ ، اختيار الأسماء التى تبدأ بحرف معين كعينة ، الإستعاضة عن استخدام الجداول

العشوائية» باختيار مفردات العينة بطرق هى أقرب إلى الحظ أو اليانصيب كأن تترك العين لتقع على أية أسماء كيفما اتفق ، أو أخذ نقطة على خريطة ما عن طريق إلقاء القلم فى مكان ما عليها ... إلخ .

والعينات المختارة بتلك الطرق الخاطئة حتى مع افتراض أن الإطار كان صحيحاً غالباً ما تكون متحيزة نتيجة لأخطاء البصر « عمى الألوان أو الانجذاب نحو الأشياء الملفتة » ، أو نتيجة لعوامل نفسية قد تجعل القلم يسقط فى وسط الخريطة أو تجعل العين تقع على مفردات بعينها دون غيرها .

(د) خطأ التحيز الناتج عن اهمال جمع البيانات من بعض المفردات :

يقرر خبراء الإحصاء أن النقص فى البيانات المجموعة يؤدى إلى التحيز فى حالة تأثير ذلك النقص فى صحة تمثيل البيانات التى جمعت للمجتمع كله ، وتتجلى الأخطاء الناتجة عن عدم جمع البيانات من بعض المفردات فى الحالات الآتية :

١ — دراسة الحالة الصحية بين عمال مصنع ما ، من خلال الاكتفاء بإجراء الكشف الطبى على المفردات الموجودة بالمصنع يوم الفحص فقط .

٢ — دراسة ميزانية الأسرة من خلال اختيار عينة من الأسر ، ثم يكتفى بالأسر التى وجدت فى بيوتها عند زيارة الباحثين لها فقط .

٣ — عند استخدام الرسائل البريدية للحصول على بيانات ، كثيراً ما يجد الباحثون أن هناك مجموعة من المفردات قد امتنعت عن الرد ، ويخالجهم شك فى أن هناك سببا لذلك الامتناع ومع هذا اعتبروا الردود التى وصلتهم عينة ممثلة للمجتمع كله .

المهم أن هذه العينات فى الحالات الثلاث التى ذكرت تكون عينات متحيزة ، ويجب أن يكون ذلك التحيز واضحا وواقعا تحت نظر الباحثين وهم يعالجون عيناتهم .



• انظر ملاحق الكتاب « الملحق الثالث » لتتعرف على بعض النماذج التفصيلية للجداول العشوائية المستخدمة فى إختيار العينات :

المصادر والشروح

(١) انظر :

الدكتور محمد عبدالرحمن البدرى – مبادئ الطرق الإحصائية – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٦٤ ص ٣٩ .

(٢) هناك أمثلة أخرى – منها مثلا محاولة معرفة جودة أو صلاحية كمية من البيض « العظام بلغة المغرب العربى » ، فلا يمكن هنا استخدام الحصر الشامل لأن ذلك معناه تحطيم كل كمية البيض المراد اختبارها ، ومنها كذلك اختبارات الجودة التى تطبق على الكثير من المنتجات الصناعية كمصابيح الإنارة أو موتورات الكهرباء مثلا ، فلو عرضنا تلك المصابيح أو المواتير كلها لدفعة عالية من التيار الكهربائى لاحترقت جميعاً ، لذلك فاستخدام العينات أمر لازم .

(٣) حيث يمكن الحد من خطأ الصدفة الذى ينشأ من الاقتصار فى الدراسة على جزء من كل ، وذلك باستخدام معلوماتنا عن المجتمع عند تصميم العينة ، أما خطأ التحيز الناتج عن الحصر الشامل فلا يمكن عادة معرفته أو تقديره من البيانات المجموعة .

(٤) فان دالين – مصدر سابق – الفصل الثانى عشر .

(٥) المثال الأول خاص بعمل قائمة بمرتبات الأساتذة فى جامعة أو أكثر ، وهذا العمل يبدو بسيطاً نظراً لاحتفاظ الجامعات بمثل هذه البيانات ، لكن الجامعات تمتنع عادة عن إمداد الباحثين بمثل هذه البيانات ، ومن هنا تبرز صعوبة الحصول على تلك القوائم برغم بساطتها ووجودها .

والمثال الثانى خاص بإعداد دراسة عن الجانحين ، فقد تكون لدى المحاكم قوائم أو بيانات عن الجانحين ، لكنها على الرغم من سهولة الحصول عليها ناقصة أو غير صالحة لاحتوائها فقط على بيانات تخص أولئك الجانحين الذين وقعوا تحت طائلة القانون ، بينما يضم المجتمع الأصلى للبحث عشرات بل مئات من الجانحين ولكنهم لم يقعوا بعد تحت طائلة القانون .

(٦) فان دالين – مصدر سابق – الفصل الثانى عشر بتصرف .

(٧) فى مسائل الإحصاء والرياضيات وما يتفرع عنهما من فنون وتقنيات يفضل المؤلف دائماً الاستعانة بالإحصائيين والرياضيين لأنه ليس المفروض فى الباحث أن يكون بكل شيء عليما أو خبيراً ، وإن كان من المستحب أن يكون ملما بفنون الإحصاء سواء لتسيير بحثه أو للاستخدام عند الضرورة :

(٨) انظر :

الدكتور محمد عبدالرحمن البدرى — مصدر سابق — ص ٤٥ :

(٩) يستعمل الإحصائيون لفظاً مرادفاً للمفردة وهو « الفرد » ، وقد يكون ذلك الفرد مسماراً أو كرسياً أو مدرسة ... إلخ ، المهم أنه الوحدة التى تجمع عنها بيانات ، لكننا رأينا استخدام لفظ « المفردة » باعتباره أليق وربما أقرب إلى الفهم حتى بالكيفية التى يريدها الإحصائيون ، للاستزادة انظر :

المصدر السابق ص ٤٥ .

(١٠) المصدر السابق ص ٤٦ .

(١١) المصدر السابق ص ٤٦ .

(١٢) المصدر السابق ص ٤٩ .

(١٣) كتب الإحصاء مليئة بالعديد من الأمثلة على استعمال جداول الأعداد العشوائية كما أنها مليئة أيضاً بعينات من تلك الجداول ، انظر المرجع السابق على سبيل المثال ص ص ٦٠ — ٦٦ لتأخذ فكرة عن تلك الأمثلة وانظر كذلك الملحق الثالث من ملاحق هذا الكتاب للتعرف على بعض تلك الجداول .

(١٤) من أمثلتها قوائم الأسماء التى يتضمنها دليل التجارة أو دليل الأطباء داخل دليل التليفون حيث أن من يميلون إلى إعادة كتابة أسمائهم مرة أخرى فى دليل التليفون نظير اشتراك اختيارى آخر هم فئة قليلة من التجار أو الأطباء المشهورين بينما تحجم الغالبية العظمى منهم عن ذلك لعدم استشعارهم بأى عائد نتيجة لإعادة النشر مرة أخرى .

***

الفصل العشرون

تخطيط البحوث فى العلوم الاجتماعية

- مقـــدمة
  - ذاتية الباحث ، مجتمعية البحث ، احادية البحث ، جماعية البحث
  - البحث النظرى ، البحث العملى ، البحث الحر ، البحث الموجه
- ماذا يعنى تخطيط البحوث العلمية ؟!
- خصائص البحوث العلمية
  - التخطيط عملية ارادية
  - التخطيط عملية هادفة
  - التخطيط عملية مبرمجة
  - التخطيط عملية ديناميكية
  - التخطيط عملية تقويمية تتبعية
  - التخطيط عملية تكاملية التقائية
- المحتوى التخطيطى للبحوث العلمية
- الأطر التخطيطية للبحوث العلمية
  - الاطار الاســـتراتيجى للبحـــوث العلمية
  - الاطار المنهجى للبحوث العلمية
  - الاطـــار الفنى والتقنى للبحـــوث العلمية
  - الاطار التكتيكى للبحوث العلمية
- تكامل الأطر التخطيطية للبحوث العلمية

تخطيط البحوث فى العلوم الاجتماعية

مقـــدمة :

على الرغم من أن التخطيط هو سمة العصر ، إلا أن تخطيط البحوث العلمية ظل لفترات طويلة من أكثر الموضوعات إثارة للجدل بين العلماء والباحثين ، وكان للكل — المؤيدين للتخطيط والمعارضين له — أيديولوجيته ومبرراته ، ولقد كان لنا مع هذا الموضوع حديث طال وامتد على صفحات الفصل الحادى عشر من كتابنا « منهجية العلوم الاجتماعية » وعلى الرغم من أننا لاننوى تكرار ما سبق أن قلناه (١) ، إلا أننا نحب أن نوضح أن أكثر النقاط إثارة للجدل كانت النقاط التالية :

١ — ذاتية الباحث :

بمعنى هل البحث العلمى هو اختيار حر للباحث ، أم هناك أمور أخرى يجب أن يكون لها اعتبار إلى جوار إرادة الباحث الحرة فى البحث وفق قناعته وضميره وميوله البحثية ؟ !

٢ — مجتمعية البحث :

بمعنى .. هل تبقى البحوث العلمية محلقة فى دنيا الغايات العلمية البحتة التى تغلفها النظريات والقوانين والمكتشفات ، أم لابد لتلك البحوث أن تنطلق من ضرورات مجتمعية تضفى عليها التزاما بتغيير واقع أو مساهمة فى حل مشكلة أو مشاركة فى تحقيق رخاء مجتمعى منشود ؟ !

٣ — احادية البحث :

بمعنى .. هل يظل الباحث الفرد هو الركيزة التى تنطلق منها البحوث العلمية — بحتة أو تطبيقية — ضمانا لاستغلال طاقات الإبداع والحماس والعبقرية أحيانا لديه ، أم لابد من البحث عن أسلوب بديل آخر لإجراء البحوث العلمية ، وخاصة أن طاقة الباحث الفرد أصبحت أعجز من أن تتحمل النفقات الباهظة للبحث العلمى ؟ !

٤ ـ جماعية البحث :

وجماعية البحث هنا تعني العمل في إطار الفريق كبديل منهجي للاعتماد على الباحث الفرد في أداء مهمة البحث العلمي الشاقه ، والجماعية هنا تخضع لعدة متغيرات لعل من أهمها أن فريق البحث قد يكون زملاء دراسة أو زملاء عمل « في نطاق البحث العلمي » كأن يؤدى الباحثون أدوارهم من خلال مركز للبحوث أو مؤسسة علمية .. إلخ ؟

ولقد أسفر الجدل حول تلك النقاط إلى تنميط البحوث العلمية على النحو الآتي :

١ ـ البحث النظرى :

حيث يسعى الباحث خلال ذلك النمط إلى آفاقه البحثية طليقاً غير مقيد إلا بقواعد البحث العلمي وأصوله ولا يهمه كثيراً أن يسفر بحثه في النهاية عن غايات تطبيقية أو لا يسفر (٢) .

٢ ـ البحث العملي :

حيث يسعى الباحث خلاله لتوجيه بحثه ضمن نطاق إيجاد حل لإحدى المشكلات المجتمعية المطروحة (٣) .

٣ ـ البحث الحر :

ويقصد به ذلك البحث الذى لا ينطلق من أية مقيدات أو موجهات لا فيما يتعلق بهدف البحث أو فيما يتعلق بكيفية أدائه (٤) .

٤ ـ البحث الموجه :

ويقصد به ذلك البحث الموظف لخدمة أو حل قضية أو مشكلة مجتمعية محددة بشكل تام وواضح وضمن إطار تنسيقي يضم كافة البحوث الآنية والمستقبلية ، وغالبا ما يتم ذلك وفق أيديولوجية مجتمعية محددة (٥) .

وختاما لهذه المقدمة التي طالت إلى حد ما : نقول أن تخطيط البحوث العلمية له معنيان : معنى خاص : ومعنى عام .. المعنى الخاص وهو الذى التزمت به الكثرة الغالبة لكتب المنهجية : ونقصد بذلك المعنى الخاص « تصميم البحوث » من حيث وضع إطار تخطيطي للبحث يشمل مختلف جوانبه النظرية والتطبيقية وعلى النحو الذى سنتعرض له بعد قليل .

أما المعنى العام للتخطيط .. فيحتوى على استراتيجية البحوث والسياسات الخاصة بها وعلى النحو الذى أشرنا إليه تفصيلا خلال مؤلفنا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » ؛ مع

مراعاة أن المعنى العام يحتوى بالضرورة على المعنى الخاص ، أو أن المعنى الخاص للتخطيط هو جزء من استراتيجية البحوث العلمية وعلى النحو الذى سنتعرض له خلال صفحات هذا الفصل .

●

ماذا يعنى تخطيط البحوث العلمية ؟!

تخطيط البحوث العلمية هو جزء من كل : والكل الذى نعنيه هنا .. هو التخطيط باعتباره عملية شاملة ومتكاملة تضم مختلف قطاعات المجتمع اقتصادية كانت أو اجتماعية أما الجزء الذى نقصده هنا .. فهو قطاع البحوث العلمية باعتبار البحث العلمى نشاطا إنسانيا يجب أن يخضع هو الآخر للتخطيط المباشر أو غير المباشر :

والتخطيط غير المباشر : هو أن تخطط البحوث العلمية وفقاً للسياسات المجتمعية السائدة والتى تحكم مختلف النشاطات وفى مختلف المجالات ، أما التخطيط المباشر .. فهو ذلك التخطيط الذى يستهدف البحوث العلمية مباشرة أو باعتبارها مطلبا أساسيا له :

إذن التخطيط غير المباشر .. نظرة عامة تكاملية تضم توجيه مختلف الموارد والإمكانيات بما فيها إمكانيات البحث العلمى بطبيعة الحال نحو إشباع مختلف الحاجات الحالية والمستقبلية .

أما التخطيط المباشر فى مجال البحث العلمى : فهو نظرة خاصة تستهدف تمكين البحث العلمى كنشاط من أن يؤدى دوره أو من أن يحقق هدفه ، وفى الذهن دائما أن تخطيط البحوث العلمية هو جزء من كل .. الكل هو تخطيط مجتمعى شامل .. والجزء هو تخطيط خاص يرسم للبحث العلمى الطريق الصحيح نحو تحقيق الغايات المرجوة داخل إطار المجتمع ككل .

●

خصائص تخطيط البحوث العلمية :

لتخطيط البحوث العلمية خصائص وسمات يجب أن تكون واضحة ومرعية من طرف الباحثين العلميين وإلا فقدت أبحاثهم علميتها وبالتالى عجزت عن تحقيق الغايات المرجوة منها ، ولعل أهم تلك الخصائص والسمات ما يلى :

١ ـ تخطيط البحوث العلمية عملية ارادية :

والإرادية هنا تعنى الوعى .. الوعى بالأهداف التى يتوخاها الباحث من وراء اختياره أو عمله بهذا البحث ، الوعى بمختلف الخطوات التى يجب أن تتبع حتى يحقق البحث غاياته، الوعى بما يجب عمله إذا ما تدخلت بعض القوى غير المحسوبة لتغير مسار البحث، الوعى بقدرة المنهج المستخدم وعلى أنه المنهج الصحيح والملائم لتوجيه مسار البحث ، الوعى بكفاءة الأدوات المستخدمة فى جمع البيانات .. المهم أن الإرادية هنا تعنى وعيا بكل ما يحيط بالعملية البحثية منذ الاستقرار على الموضوع المبحوث حتى استخلاص الحقائق المتصلة به .

٢ ـ تخطيط البحوث العلمية عملية هادفة :

بمعنى أن يؤدى التخطيط إلى تحقيق الهدف ، وهدف البحث قد يكون هدفا نظريا ، وقد يكون هدفا تطبيقيا وعلى النحو الذى أشرنا إليه فى مقدمة هذا الفصل ، وعلى الرغم من أنه لاخلاف فى رأينا بين الهدف النظرى أو الهدف التطبيقى للبحث ، إلا أن تحديد هذه النطقة منذ التخطيط للبحث مسألة هامة فى توجيه مسار البحث ، لذلك فلابد أن تكون أهداف التخطيط واضحة فى ذهن الباحث ، لأن هذا الوضوح هو الذى سييسر أمام الباحث وضع الخطوات الملائمة والقادرة على تحقيق غايات البحث ، وفى الذهن باستمرار الامكانات المتاحة والمشكلات المطروحة والأيديولوجية السائدة وموقف الباحث ذاته واتجاهاته إزاء ذلك الخضم الهائل من الاختيارات .

٣ ـ تخطيط البحوث العلمية عملية مبرمجة :

والبرمجة هنا تعنى وضع مختلف الإطارات التى ستتحرك خلالها عملية البحث العلمى وبحيث تتم خلال تلك البرمجه ترجمة خطط البحث إلى برامج عمل تفصيلية تضمن تحقيق خطوات البحث خطوة خطوة فى إطار من التكامل والتنسيق باعتبار أن العملية البحثية هى أولا وأخيرا كل لا يتجزأ .

٤ ـ تخطيط البحوث العلمية عملية ديناميكية :

بمعنى أن تخطيط البحث العلمى لايتم بصورة جامدة أو ليس له إطار ثابت يمكن أن ينسحب على كل البحوث تحت كل الظروف وفى كل المجتمعات ، وحتى على مستوى البحث الواحد فإن التخطيط خلاله يتغير ثلاث مرات على الأقل وبحيث تقتضى الضرورة

التكتيكية أو الاستراتيجية أو المجتمعية للبحث أن يكون على ثلاثة مستويات .. الأول كما يقرر « بفردج » (٦) يتضمن التدابير الفعلية التى يقوم بها الباحث المشتغل بالمشكلة ، وهذا المستوى قصير المدى ويقابل– فى رأى بفردج – « الخطة التفصيلية Tactics » فى الحروب ، أما المستوى الثانى فهو مستوى أوسع مدى من سابقه وأكثر تطلعا للمستقبل ومسئوليته ليست قاصرة على الباحث المشتغل بالمشكلة وحده وإنما تمتد لتشمل المشرف على البحث وربما تضم بعض اللجان الفنية كذلك ، ويرى « بفردج » أن هذا المستوى يقابل فى لغة العسكرية « الخطة العامة Strategy » ، أما المستوى الثالث فيضم السياسة العامة للبحث ذاتها فى إطار السياسات العامة للبحوث العلمية ككل .. وهذا المستوى باعتباره نظرة كلية عامة فهو من اختصاص الهيئات التى تملك إصدار القرار فى كل ما يخص البحوث العلمية من مسائل .

٥ – تخطيط البحوث العلمية عملية تقويمية تتبعية :

عملية تقويمية بمعنى أن التخطيط للبحوث العلمية لابد أن ينهض على دراسة تقويمية مرحلية تستهدف أولاها قياس الأهمية الموضوعية للمشكلة المطروحة وللمنهج وللأدوات المقترحة على ضوء الأبحاث والدراسات السابقة والمشابهة ، هذه واحدة ويمكن أن نطلق عليها المرحلة التقويمية القبلية ، أما الثانية .. فنعنى بها المرحلة التقويمية المتزامنة ، بمعنى أن يكون هناك تقويم ملازم لمختلف المراحل التنفيذية للبحث ، وذلك طبعا بهدف مواجهة أى خلل فى التنفيذ أو قصور فى خطة البحث ذاتها ، أما الثالثة.. فنعنى بها المرحلة التقويمية البعدية ، وهى تتم بعد الانتهاء من كل خطوات البحث لمعرفة مدى تحقيقها لغايات البحث وفقا للتخطيط المقرر لها .

كان ذلك عن الجانب التقويمى للتخطيط سواء فى مرحلته القبلية أو المتزامنة أو البعدية ، أما عن اعتبار التخطيط عملية تتبعية ، فنعنى بالتتبعية هنا.. أن البحث عملية مستمرة لا تنتهى بمجرد ظهور نتائج ذلك البحث من خلال تقريره النهائى ، وإنما يجب أن يظل البحث محل تقويم من بحوث أخرى تالية سواء من حيث ما استخدم خلاله من مناهج وفنون وأدوات أو فيما يخص النتائج التى انتهى اليها .

٦ – تخطيط البحوث العلمية عملية تكاملية التقائية :

التكاملية هنا .. تعنى أن تتكامل خطط البحوث العلمية فى إطار أيديولوجية مجتمعية عامه ، وأن تنتظم وفق إطار عام تحدده السياسة القومية بما يحقق غايات المجتمع وأهدافه فى شتى المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

ولو أن هناك صورة أخرى للتكامل .. بمعنى التنسيق بين مختلف البحوث بحيث تغطى مختلف القطاعات المجتمعية بغير إسراف فى قطاع وإهمال لقطاع آخر .

كان هذا عن التكامل .. أما عن الالتقائية ، فيقصد بها المزج بين مجال أو أكثر من مجالات البحوث العلمية انطلاقا من المعارف المتراكمة فى عدد من العلوم المتقاربة وبحيث تكون الدراسة .. دراسة اجتماعية اقتصادية أو تاريخية اجتماعية أو اجتماعية نفسية .. إلخ .

والبحوث الناتجة عن ذلك المزج يطلق عليها مصطلح «Borderline Research» أو البحث الالتقائى ، ويقول عنه« بفردج »أنه بحث يجرى فى ميدان يلتقى فيه فرعان من العلم ، ويرى أن هذا البحث يمكن أن يكون مثمرا إلى أقصى الحدود إذا قام به عالم لديه قدر كاف من الخبرة والدراية حيث يكون بإمكانه استخدام المعلومات المتوافرة عن كل فرع من فرعى العلم وربطها ببعض بشكل يتيح توظيف معطيات كل فرع للاستخدام الكفء فى الفرع الآخر .

●

المحتوى التخطيطى للبحوث العلمية :

كما سبق أن أسلفنا فإن تخطيط البحوث العلمية يستهدف تمكين الباحثين من حل مشكلات بحوثهم بطريقة تمكن فى النهاية من تحقيق غايات البحث .

وعلى هذا فإن أى خطة بحثية يجب أن تتضمن :

١ – بلورة المشكلة موضوع الدراسة بشكل محدد .

٢ – التحديد الدقيق لنوع الدراسة التى سيتم فى إطارها دراسة المشكلة المطروحة .

٣ – تحديد طبيعة المنهج أو المناهج التى سيتم حل مشكلة البحث وفقا لها .

٤ – تحديد الأدوات التى سوف تستخدم فى جمع المعلومات .

٥ – تحديد طرق تصنيف البيانات وتحليلها وتفسيرها .

٦ – تحديد شكل تقرير البحث والنقاط الرئيسية التى سيحتوى عليها والطريقة التى التى سينشر بها .

هذا ويميل عدد من علماء المنهجية إلى التأكيد على أن المحتوى التخطيطى للبحوث العلمية إنما ينهض على شقين : يعرف أولها بالتصميم النموذجى للبحث ، ويعرف الثانى بالتصميم العملى للبحث (٧) .

بينما يرى فريق آخر من علماء المنهجية أن هناك عملية واحدة لتصميم البحث لكنها ذات شقين أو تنفذ على مرحلتين .. الأولى وضع الخطة التى تحتاج إليها الدراسة ثم تليها المرحلة الثانية وتتعلق بكيفية التنفيذ العملى لتلك الخطة الموضوعة ، وهم يرون بناء على ذلك أن عملية التصميم تلك إنما تنهض على الخطوات العشر الآتية :

١ - اختيار المشكلة وتعريفها .

٢ - وصف العلاقة بين هذه المشكلة بالذات وبين الإطار النظرى الأشمل .

٣ - صياغة الفروض المبدئية .

٤ - التصميم التجريبى للبحث .

٥ - تحديد العينات .

٦ - اختيار أدوات جمع البيانات .

٧ - إعداد دليل العمل .

٨ - تحليل النتائج .

٩ - تفسير النتائج .

١٠ - كتابة التقرير ونشره (٨) .

●

لكن ماذا يعنى تصميم البحث وما هى جدواه ؟!

التصميم كما يراه « أكوف Ackoff» هو عملية اتخاذ القرار قبل ظهور الموقف الذى سينفذ فيه هذا القرار ، أو هو - أى التصميم - عملية توقعات متعمدة تستهدف وضع موقف معين تحت الضبط .

ومن رأيه كذلك أن التصميم المنهجى للبحث يستلزم أن يكون هناك :

ا - تخطيط للبحث بدرجة كافية قبل تنفيذه .

ب - تقويم للمنهج المتبع فى الوصول إلى قرارات التصميم (٩) :

كان ذلك عن معنى التصميم ، فما هى جدواه ؟ !

ثار جدل بين الباحثين .. هل هناك ضرورة لتصميم Design البحث مع ما يتطلبه من تكلفه وجهد ؟ ! ، ويحسم « أكوف » ذلك الجدل موضحاً جدوى تصميم البحث من خلال النقاط الآتية :

١ ـ إن تصميم البحث يمكن الباحث من الحصول على البيانات التى ينشدها بشكل دقيق و بأقل قدر من الجهد .

٢ ـ يتيح تصميم البحث جمع البيانات المطلوبة دون سواها بغير أن يضطر الباحثون فى غيبة التصميم إلى إجراء الكثير من التعديلات التى لم يكن معظمها فى الحسبان الأمر الذى يزيد من تكاليف البحث و يقلل من الثقة فى المعلومات المتوافرة عن طريقه .

٣ ـ يوضح « أكوف » أن كثيراً من الباحثين قد يقضون أعواماً عديدة فى جمع بيانات لبحوثهم ثم يكتشفون بعد فوات الأوان تفاهة تلك البيانات أو عدم جدواها ، ويرى أن ذلك لا يحدث إلا فى غيبة التصميم الجيد للبحث .

٤ ـ يوضح « أكوف » كذلك أن التصميم الجيد للبحث يوفر الأساليب البحثية القادرة على مواجهة المشكلات المطروحة وحلها ، وبالتالى يضمن مساهمة إيجابية للبحث فى دراسة المشكلات والظواهر المجتمعية وتقديم الحلول العلمية لها (١٠) .

وعلى كل فان أن تصميم الخطة .. عبارة عن عملية فنية تتولى تحديد أهداف الخطة واختيار برامج العمل التى تحقق هذه الأهداف ، مع ضرورة أن تراعى الاعتبارات الآتية خلال تصميم الخطة :

١ ـ تحديد الأهداف :

لأن أى خطة إنما تنهض بشكل عام من أجل تحقيق أهداف معينة فى مجال بشرى وزمنى معين بما يؤدى فى النهاية إلى حل المشاكل ، لذلك فإن تحديد الأهداف بشكل واضح ودقيق يعد من أهم العمليات فى تصميم الخطة وأصعبها فى ذات الوقت .

٢ ـ تحديد المجال الزمنى للخطة :

وهذا معناه تقدير المدى الذى سيستغرقه تنفيذ الخطة وفق ما تحدد لها من أهداف ، وقد يكون ذلك المدى قصيراً أو طويلا وبشكل تقرره طبيعة البحث وطبيعة الغايات المستهدفة من إجرائه .

٣ ـ تحديد طريقة التنفيذ :

وذلك على ضوء الأهداف المخططة للبحث ، وعلى ضوء الإمكانيات المادية والفنية والبشرية المتاحة ، وفى إطار من الوقت المقرر للتنفيذ .

٤ ـ تحديد طريقة المتابعة والتقييم :

باعتبار أن المتابعة معنية بالدرجة الأولى بالتحقق من مدى الملاءمة بين الوسائل والغايات ، أما التقييم فإنه يستهدف الحكم على منجزات الخطة والتعرف على نقاط الضعف أو القصور فيها (١١) .

●

الاطر التخطيطية للبحوث العلمية :

بعد كل الذى قلناه عن تخطيط البحوث وما ينطوى عليه ذلك التخطيط من تصميمات اختلفت حولها وجهات النظر ، نحب أن نؤكد على أن تخطيط البحوث العلمية هو عملية منهجية تلتزم بالأساوب العلمى منهجا وأسلوبا فى سبيل الوصول إلى الحقيقة (١٢) .

ولكن ما هى الأطر التى تحتوى العملية التخطيطية ، والأطر التى نعنيها هنا: هى الهياكل التخطيطية التى تنضوى تحتها العمليات التخطيطية للبحوث العلمية وذلك على النحو التالى :

أولا : الاطار الاستراتيجى للبحوث العلمية :

ويتم خلال هذا الإطار تخطيط السياسة العامة للبحث من حيث ماهية الموضوع المقترح دراسته ، وما هى الغايات التى يسعى إليها ، وما هى طبيعة الدراسة التى سوف تحتوى البحث ، وما هى الجهة التى سوف تسند إليها مهام البحث .

ثانيا : الاطار المنهجى للبحوث العلمية :

ويتم خلال هذا الإطار توصيف مشكلة البحث من خلال صياغة الفروض وتحديد المفاهيم ، وكذلك تحديد المنهج أو المناهج المفسرة لمشكلة البحث ، وتحديد الطرق والأدوات الممكنة من جمع المعلومات حول الموضوع المطروح للبحث ، فضلا عن تحديد نوعية البيانات المجموعة ، ثم أخيرا تحديد كيفية ـ كتابة التقرير النهائى للبحث وما هى الطريقة المثلى لنشره .

ثالثا : الاطار الفنى والتقنى للبحوث العلمية :

ويتم خلال هذا الإطار تحديد مختلف الإمكانيات الفنية والبشرية والمادية علاوة على الوقت المقترح لإجراء البحث ، مع تحديد للعينات المستخدمة فى البحث وكيفية اختيارها وأسلوب التعامل معها ، وتحديد كيفية التعامل مع البيانات المجموعة لاسيما من الناحية الإحصائية ، والتأكد من صلاحية الأدوات المستخدمة فى جمع البيانات من خلال تجربتها قبل البدء فى تنفيذ البحث ، مع وضع دليل واف للعمل يتضمن كافة التعليمات والإرشادات المتعلقة بمختلف جوانب البحث وخاصة ما يتعلق منها بجامعى البيانات من الميدان ، ووضع البرامج اللازمة لتدريب المشاركين فى البحث على أداء مهامهم ، كل ذلك علاوة على تخطيط التجارب أثناء البحوث التجريبية :

رابعا : الاطار التكتيكي للبحوث العلمية :

ويتم خلال هذا الإطار مواجهة المشكلات التي تبرز أثناء تنفيذ مختلف مراحل البحث لاسيما خلال مرحلة العمل الميداني بما يضمن الاستخدام الصحيح للوسائل المتاحة لتحقيق الهدف المتفق عليه ، وبخصوصا أنه كثيرا ما تنشأ مشكلات غير متوقعة أثناء التنفيذ وخاصة أن الضبط فى مجال العلوم الاجتماعية ليس على نفس مستوى نظيره فى العلوم الطبيعية ..

إذن مهمة الإطار التكتيكي هنا .. هى تصعيد خطط بديلة لمواجهة المواقف الطارئة المتوقعة أو غير المتوقعة حتى لا يؤثر ظهورها الفجائى على الموقف البحثى كله :

●

تكامل الاطر التخطيطية للبحوث العلمية :

لقد حاولنا قدر الإمكان أن نوضح الهياكل التخطيطية التى تحتوى التخطيط فى البحوث العلمية ، ولقد انتهينا الى أن هناك أطرا إستراتيجية تعنى بتوضيح السياسة العامة للبحث ، وأطرا منهجية تحدد معالم التفكير العلمى وخطواته بالنسبة للبحوث العلمية ، وأطرا فنية وتقنية تستهدف تجييش مختلف المهارات والإمكانيات المتاحة لإنجاح مهام البحث ، وأخيرا أطرا تكتيكية مهمتها الأساسية تقديم الحل البديل للمشكلات التى تنشأ عند التطبيق أو التنفيذ الميدانى سواء بصورة فجائية أو متوقعة ، وذلك حتى لا يؤخذ الباحثون على غرة ويتهدد الكيان العام للبحث ..

ولكن هل تعمل كل تلك الأطر منفردة ؟ ! .. أو بعبارة أخرى : هل هناك استقلالية ذاتية لكل إطار سواء من حيث التخطيط أو التنفيذ ؟ !

والجواب بالنفى : والنفى القطعى : لأن العملية التخطيطية عملية واحدة وتنهض على اسس ولها سمات وخصائص سبق أن ذكرناها ، لذلك فإن هذه الأطر تعمل أو يجب أن تعمل فى إطار من التكامل المنهجى وبحيث يكون هناك وضوح فى الرؤية أمام مخططى البحوث العلمية يجعلهم قادرين على الإلمام بمختلف جوانب ومراحل البحث :

***

المصادر والشروح

(١) للاستزادة انظر :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — عالم الكتب — القاهرة — ١٩٨٢ ص ص ٢١٥ — ٢٤٠ .

(٢) للاستزادة انظر :

المصدر السابق ص ص ٢٢٥ — ٢٢٧ ؛

(٣) للاستزادة أنظر :

المصدر السابق ص ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٤) للاستزادة انظر :

المصدر السابق ص ص ٢٢٨ — ٢٣٠ .

(٥) للاستزادة انظر :

المصدر السابق ص ص ٢٣١ — ٢٣٥ .

(٦) للاستزادة انظر :

W. L. B. Beveridge, The Art of Scientific Investingation, New York 1957 Chap 10.

(٧) انظر مثالا لذلك ضمن مؤلفنا علم الاجتماع : المفهوم والموضوع والمنهج — دار الفكر العربي — القاهرة ١٩٨٢ ص ص ٢٠٩ — ٢١٢ ، وانظر كذلك :

دكتور عبدالباسط محمد حسن مصدر سابق ص ص ١٦٨ — ٢٠١ لتتعرف على التصميم النموذجي للبحث ، ص ص ٢٢٧ — ٢٩١ لتتعرف على التصميم العملي للبحث :

مع العلم بأن محتويات التصميم النموذجي هي : بلورة المشكلة وتحديد المجال البشرى للبحث ، تحديد المجال المكانى للبحث ، تحديد المجال الزمني للبحث ، تحديد نوع البيانات التي يرغب الباحث في الحصول عليها ، وأخيراً تحديد نمط البحث ، أما التصميم العملي للبحث فينهض

على الجوانب الآتية : تصميم العينة ، التصميم الإحصائى ، التصميم الميدانى وأخيراً التصميم الإجرائى .

(٨) صاحب هذه الخطوات هو ويلبرت ميلر W. Miller ، انظر :

دكتور محمد الجوهرى وزملاؤه — دراسة علم الاجتماع — دار المعارف — القاهرة — الطبعة الثانية — ١٩٧٥ ص ١٠٤ .

(٩) للاستزادة انظر :

Ackoff, R. L., The Desing of Social Research, the Unv. of Chicago Press, 1953, PP. 5 — 6.

(ب) دكتور عبدالباسط محمد حسن — مصدر سابق — ص ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(١٠) للاستزادة انظر :

أكوف — مصدر سابق ص ص ٦ — ٨ .

(١١) للاستزادة انظر :

دكتور صلاح الفوال — محاضرات فى الإشراف على الأعمال الشخصية — جامعة عنابة — الجزائر — العام الجامعى ١٩٨١/٨٠ « محاضرات منشورة » .

(١٢) للاستزادة انظر :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — مصدر سابق ص ص ٤١ — ٥٧ .



الفصل الحادى والعشرون

محكات التقييم وأسسه فى البحوث العلمية

- ■ مقــدمة
  - ــ محكات الذاتية
  - ــ محكات المنهجية
  - ــ محكات الظاهرة المبحوثة
  - ــ محكات المنهج المستخدم
  - ــ محكات فنية وتقنية
- ■ الأسس التقييمية للبحوث العلمية
  - ــ عنــوان البحث
  - ــ مقــدمة البحث
  - ــ الدراسات السابقة
  - ــ فروض البحث
  - ــ مفهومات البحث ومصطلحاته
  - ــ مجالات البحث المختلفة
  - ــ نمط البحث وغاياته
  - ــ مناهج البحث وأدواته
  - ــ جمع البيانات ومعالجتها
  - ــ ملخص البحث ونتائجه
  - ــ مصادر البحث وملاحقه
  - ــ ترتيب تقرير البحث وشكله

محكات التقييم وأسسه في البحوث العلمية

مقـــدمة :

تقييم البحوث العلمية أمر بالغ الخطورة ، لأن ذلك التقييم لن تكون نتيجته قاصرة فى النهاية على الحكم عليه بالجودة من عدمها ، وإنما سوف تمتد آثار ذلك التقييم لتشارك فى تكوين باحثين جدد أو لتكمل مسيرة علمية أو لاعتبار ذلك البحث ركيزة فى حل مشكلة مجتمعية ملحه ... إلخ .

وللتقييم ثلاثة أنماط رئيسية هى :

النمط الأول .. يقوم به متخصصون حسب طبيعة البحث . : فمثلا لو كان البحث يهدف الحصول على درجة علمية « ماجستير أو دكتوراه » ، فإن الأساتذة المشرفين والمناقشين هم الذين سيصدرون حكمهم فى النهاية على ذلك البحث بالصلاحية أو عدم الصلاحية وقد يتبعون ذلك الحكم بمقدار تلك الصلاحية « مقبول ، جيد ، جيد جداً ممتاز ، أو أى معيار آخر للصلاحية .. مرتبة شرف أولى ، مرتبة شرف ثانية ، بدون » ، أما إذا كان البحث مقدماً لنيل جائزة علمية .. محلية أو دولية « جوائز الدولة التقديرية أو التشجيعية مثلا أو جائزة نوبل للسلام أو غيرها من الجوائز العالمية الأخرى » ، فإن عملية تقييم البحث هنا .. هى مسئولية الخبراء الذين تكلفهم الهيئات المعنية بذلك .

أما النمط الثانى من التقييم .. فهو الذى يقوم به باحثون علميون كل فى مجال تخصصه بهدف التعرف على مدى اتباع البحث للأسس والقواعد المنهجية حتى تأتى استفادتهم من تلك البحوث بمنأى عن أخطاء اللاموضوعية من جهة ، ولاكتشاف نقاط القوة والضعف عسى أن يفتح ذلك الاكتشاف مجالات جديدة للبحث أو الاستفادة من جهة أخرى .

أما النمط الثالث من التقييم ... فهو الذى يمارسه قارئ عادى لبحث قد يقع تحت يديه بالصدفة أو لأى موضوع علمى يقرؤه وهو غير متخصص فيه ، مع ما يوجه ذلك التقييم من عوامل هى كلها بعيدة عن نطاق النقد العلمى .

وعلى كل فنحن معنيون فى هذا المجال .. بالنمط الثانى .. وسنحاول خلال الصفحات القادمة أن نضع تحت نظر الباحثين بعض النقاط التى تهيىء لهم تقييما موضوعيا للبحوث العلمية التى يستعينون بها لأغراض البحث العلمى .

●

المحكات التقييمية للبحوث العلمية :

ونقصد بالمحكات المحاور المختلفة التي يجب أن تتخذ أساسا عند تقييم أى من البحوث العلمية ، وتتمثل تلك المحكات فى..محكات الذاتية ، والمنهجية ، والظاهرة المبحوثة ، والمنهج المستخدم ، وطبيعة المعرفة المتحصل عليها ، وأخيراً محكات فنية وتقنية ، وذلك على النحو الآتي :

(١) محكات الذاتية :

نقصد بهذه المحكات .. محاولة معرفة مدى التزام الباحث خلال البحث محل التقييم بالموضوعية ، والموضوعية تنهض على ثلاث ركائز أساسية .. هى الحيدة ، والدقة والأمانة .

وقد تبدو تلك الركائز لأول وهلة منفصلة لكنها تشكل فى الواقع كلا متساندا وبحيث لايتحقق أى عنصر منها فى غياب الآخر (١) .

المهم أن تقييم البحوث وفقاً لمعيار الذاتية يهدف إلى الكشف عن العوامل الذاتية التى قد يكون لها دور فى توجيه البحث المقيم خلال مراحله المتعددة ، لاسيما عند اختيار مشكلة البحث أو عند اختيار العينة أو عند استخلاص النتائج وعرضها .

(٢) محكات المنهجية :

يقصد بالمنهجية فى هذا المجال . . العلمية . . والعلمية التى نعنيها هنا . : هى اتباع خطوات وشروط معينة فى سبيل تحقيق غايات العلم ، وهذه الخطوات هى المنهجية :: المنهجية فى اختيار موضوع الدراسة ، والمنهجية فى افتراض مفسرات لها ، والمنهجية فى التأكد من صحة تلك الافتراضات ، والمنهجية فى استخلاص الحقائق ، والمنهجية فى تفسيرها ، حتى تكون فى النهاية معارف منظمة ، أو حتى تكون فى النهاية علمية (٢) .

إذن .. محكات المنهجية هنا تسعى إلى التعرف على مدى اتباع الباحث لخطوات المنهج العلمى المعروفة علاوة على ما يتصل باتسام البحث بسمة التفكير العلمى الذى تسيره خطوات منهجية ، واتساق البحث مع وظائف العلم ومسلماته المنهجية وخاصة ما تعلق بقدرة البحث على الوصف والتنبؤ والتفسير (٣) :

(٣) محكات الظـاهرة المبحوثة :

الظاهرة أو الموضوع المبحوث أو مشكلة البحث ، تشكل من حيث الاختيار عاملا محوريا فى موضوعية أو عدم موضوعية المعلومات أو الحقائق أو المعرفة الناتجة عنها ، وعليه فلابد أن يكون الموضوع المبحوث واضحا تماما فى ذهن الباحث ونابعاً عن قناعته واختياره أو رغبته فى البحث على الأقل ، علاوة على ضرورة أن يكون الموضوع المبحوث فى نطاق تمكن الباحث — أى تحت سيطرته — من حيث طبيعة تخصصه ومهاراته والإمكانيات المختلفة المتاحة لديه علاوة على الوقت المخصص للبحث .

وعلى الباحث المقيم أن يتعرف على الكيفية التى صيغت بها مشكلة البحث ومدى تحديد نطاق دراسة المشكلة فى ضوء علاقة المشكلة المطروحة للبحث بغيرها من المشكلات.

(٤) محكات المنهج المستخدم :

وأساس التقييم هنا .. هو مدى كفاءة المنهج المستخدم فى دراسة الظاهرة المبحوثة ، مع الأخذ فى الاعتبار أن المنهج المستخدم فى الدراسة هو الذى يحدد نوع الأدوات اللازمة لجمع البيانات حول الظاهرة المبحوثة .

لذلك فلابد أن ينهض تقييم المنهج على أساس مدى ملاءمته مع طبيعة المشكلة المدروسة ومع البيانات التى تم التوصل إليها من جهة أخرى ، علاوة على التعرف على مدى الصدق والثبات الذى وفرته تلك الأدوات للبيانات المجموعة .

(٥) محكات المعرفة المتحصل عليها :

المعرفة هى الهدف النهائى لكل البحوث العلمية ، والمعرفة التى نعنيها هنا .. هى المعرفة المنظمة أو المعرفة القادرة على التفسير ومن ثم على التنبؤ .

وعملية التقييم تستهدف الكشف عن .. هل المعلومات التى تم التوصل إليها بعيدة عن الأحكام الأخلاقية أو القيمية أو العقائدية ، وهل التنبؤات أو الاستنتاجات مبنية على واقع الظاهرة المبحوثة ، وهل تم الوصف الدقيق لمختلف الخصائص المتعلقة بالظاهرة التى تم بحثها فى إطار من علاقاتها التساندية بغيرها من الظواهر المجتمعة ، وهل تم الوصف والتحليل بهدف الوصول إلى الحقائق العامة أم لا ؟ ! .

(٦) محكات فنية وتقنية :

والغرض منها التعرف على مدى الاتباع الصحيح لفنون البحث العلمى وتقنياته وخاصة ما اتصل منها بكيفية اختيار العينة واستخدام المصادر وكتابة المراجع ، والاستفادة

من الدراسات السابقة . . ، وطريقة عرض تقرير البحث وشكله . . والكيفية التى تمت بها كتابة ملخص البحث .. إلخ .

●

الأسس التقييمية للبحوث العلمية :

سنورد هنا تفصيلا للمحكات التقييمية المشار إليها قبلا ،وخاصة أن تلك المحكات كما سبق القول هى التى تشكل المحاور الأساسية التى تنهض عليها عملية التقييم .

وعموما فإن الأسس التقييمية للبحوث العلمية تأخذ خطين.. الأول منها يحاول التأكد من مدى اتباع البحث لخطوات البحث العلمى من حيث.. كيفية اختيار المشكلة والطريقة المتبعة فى تحديد المفاهيم واستنباط الفروض، ثم كيفية اختيار واستخدام المناهج والأدوات الخاصة بجمع البيانات ، ثم كيف تمت معالجة البيانات والتعامل معها إحصائيا ، ثم ماهى نتائج البحث ومستخلصاته وطابعه العام ، وصولا إلى الكيفية التى تمت بها كتابة تقرير البحث .

أما الخط الثانى لتقييم البحوث العلمية . فهو خط يهتم أكثر بالتفصيلات ، بمعنى أن يتم أثناء التقييم تحليل مختلف الخطوات والإجراءات والمعلومات التى ارتكز عليها البحث أو انتهى إليها (٤) .

الخط الأول .. اتجاه تقريرى فى تقييم البحوث العلمية ، والخط الثانى اتجاه تحليلى فى تقييم البحوث العلمية ، ونحن نرى أن كلا من الخطين ضرورى ولا تعارض بينهما وسنحاول هنا أن نوضح الأسس التقييمية للبحوث العلمية مرتكزين على الخطين معا (٥) :

●

عنـــوان البحث :

لاشك أن عنوان البحث هو المؤشر الأول للموضوع المبحوث ، وكثير من عناوين البحوث أو الكتب قد تشد الانتباه نحو قراءتها وقد تكون منفرة ، ومن هنا فلابد أن تتوافر للعنوان الضمانات الآتية :

١ – أن يصاغ بطريقة واضحة ومعبرة عن المشكلة المبحوثة وبأقل كم ممكن من العبارات غير الفضفاضة أو غير الرنانة .

٢ ـ أن ترتب كلمات العنوان بحيث تحتل الكلمات الأساسية مكانها فى صدر العنوان ، وبحيث تعبر كل واحدة منها عن فكرة أساسية فيه .

٣ ـ أن تمتد تلك الضمانات للعناوين الفرعية أو الداخلية للبحث المقيم .

٤ ـ أن يكون هناك اتساق بين ما هو مكتوب داخل أجزاء البحث وبين العنوان الذى يظلله ، وبحيث لا تكون العناوين فى واد والمضامين فى واد آخر .

●

مقـــدمة البحث :

مقدمة البحث هى أول ما يصادفه القارىء بعد العنوان ، والمفروض أن تساعد المقدمة فى تقديم البحث للقارىء بصورة متكاملة ، بمعنى أن المقدمة يجب أن توضح المجال العام للبحث ، والأهداف الأساسية التى يسعى إليها ، والمشكلات الفرعية التى عالجها من خلال تناوله للمشكلة الأساسية ، ثم ما هى المفاهيم والمصطلحات والفروض التى انطلقت منها الدراسة .

هذا ومن الضرورى أن تتضمن المقدمة وصفا لمجهودات الباحث وما لقيه من صعوبات ، وشكرا لكل من قدم له عونا لاسيما أساتذته وزملاءه والعاملين فى الميدان :

وتقييم المقدمة يجب أن يتناول كل النقاط السابقة حتى تكون المقدمة :

١ ـ معبرة عن مشكلة البحث وما يتفرع عنها من مشكلات فرعية تعبيرا منطقيا ومقبولا .

٢ ـ موضحة للمجالات العامة والمختلفة للبحث .

٣ ـ مفسرة للمفاهيم والمصطلحات التى يتضمنها البحث .

٤ ـ موضحة للفروض التى انطلق منها البحث والوضع الذى انتهت إليه بعد الدراسة .

٥ ـ مبرزة للمناهج والأدوات التى ارتكز عليها البحث .

٦ ـ مستعرضة لأهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة .

●

الدراسات السابقة :

للدراسات السابقة دور حيوى بالنسبة للبحوث العلمية ، وأى دراسة تخلو من الاستعراض النقدى لما سبقها من دراسات تعد من وجهة النظر المنهجية دراسة ناقصة .

لذلك فلابد لكل بحث من أن يتضمن – قدر الإمكان – سردا لماسبقه من بحوث سواء تلك التي تمت في ذات الموضوع المبحوث أو بالقرب منه ، وبحيث نتأكد عند تقييمنا لأى بحث ليس فقط من وجود تلك الدراسات ، وإنما من اتباعه للقواعد التالية بشأنها :

١ – هل ما ذكر من دراسات .. هي كل الدراسات السابقة في الموضوع ، وهل تم عرضها بطريقة سليمة لاتخل بمحتوياتها الأساسية ؟ !.

٢ – هل تم تقييم تلك الدراسات أثناء عرضها سواء من حيث مناهج البحث أو الأدوات المستخدمة أو من حيث النتائج التي توصلت إليها ، أم تم الاكتفاء بالعرض التاريخي أو الوصفي لتلك الدراسات دون أن يكون للباحث وجهة نظر فيما يعرض ؟ !؟

٣ – هل كان الباحث واعيا بمشكلة بحثه هو أثناء عرضه للدراسات السابقة ، بمعنى هل استفاد من الحلول التي طرحتها تلك الدراسات في حل مشكلة بحثه ؟ ! .

٤ – مدى استفادة الباحث من الدراسات السابقة التي عرضها سواء على مستوى النظرية أو المنهج ؟ ! .

٥ – ما هو الأسلوب الذى عرضت به الدراسات السابقة ، ومدى تعبيره فعلا عن مضامين تلك الدراسات ، ومدى كفاية المختصرات التي أعدها الباحث في حسن التعبير عن المستخلصات النهائية للدراسة :

٦ – الشكل العام أو الإطار العام الذى تم الربط خلاله بين المشكلة المطروحة للبحث وبين ما تم عرضه من دراسات سابقة ، وكيفية إبراز نقاط الاتفاق أو الاختلاف المتوقعة ؛

●

فروض البحث :

تعتبر الفروض أكثر صور التعبير عن المشكلة العلمية خصوبة وإنتاجا ، لأن بيان المشكلة وتقريرها بوصفها فرضا ، يقلل من حجم عرضها ويختزله إلى عناصرها – أى عناصر المشكلة – الجوهرية في إطار نطاق موجز ، لذلك فالفرض يصف ظرفا أو حدثا مستقبلا وممكنا وفي مقدورنا اكتشافه .

هذا ويحتفظ الفرض بقيمته أو يفقدها إذا ما تحققت نتائجه المفترضة(٦) أو خذلها التحقق لذلك فإنه عند تقييم البحوث يجب التحقق من النقاط الآتية :

١ – على أى أساس تم استنباط الفروض ؟ !

٢ — هل تجيب الفروض على كل أسئلة البحث المطروحة ؟ !

٣ — هل هى الفروض الوحيدة القادرة على تفسير الحقائق المتعلقة بالمشكلة المطروحة؟ !

٤ — هل تمت صياغة الفروض والتعبير عنها وفقاً لقواعد المنهجية ؟!

٥ — هل أمكن اختبار تلك الفروض إمبيريقيا * ؟ !

٦ — ما هو مدى اتفاق الفروض أو اختلافها مع النظريات أو القوانين الثابتة حول المشكلة المطروحة ؟ !

٧ — ما هى القوانين أو النظريات أو المعطيات الجديدة بصفة عامة التى أسهمت فى تكوينها فروض البحث محل التقييم ؟ !

●

مفهومات البحث ومصطلحاته :

المفهومات عبارة عن تجريد للأحداث أو وصف مختصر لوقائع كثيرة ، وتستهدف المفهومات تبسيط التفكير عن طريق الاشارة إلى فئات من الوقائع برمز عام ، وكذلك المصطلحات تعتبر ضربا من الاختزال إلا أنها تقوم بمهمة تكثيف الوقائع والفروض العلمية وبلورتها من حولها لتتلاقى عندها خيوطها المتباعدة (٧) .

لذلك فإنه من خلال تقييم البحث لابد من التحقق مما يأتى :

١ — هل المصطلحات والمفاهيم المستخدمة فى البحث قد تم تحليلها بشكل كاف ، وهل تم التعبير عنها بعبارات واضحة بعيدة عن البلاغة أو الغموض ؟ !

٢ — هل تم التأكد من الأصول التى أخذت عنها بعض المفاهيم والمصطلحات قبل استخدامها فى البحث وذلك عن طريق الرجوع الى بعض الثقاة مثلا أو القواميس أو دوائر المعارف ؟ !

٣ — هل روعى خلال البحث استخدام المفاهيم والمصطلحات بنفس المعانى المحددة لها سلفا أو التى كان يقصدها الباحث ، وما هى درجة ثبات ذلك الاستخدام ؟ !

٤ — هل كانت مفهومات البحث ومصطلحاته واضحة لدى كافة المتعاملين مع البحث ، وهل أدى استخدامها إلى إيجاد لغة مشتركة بينهم ؟ !

---

* يقصد بالاختبار الإمبريقى هنا : الاختبار العملى أو الميدانى .

٥ – هل ذكر الباحث في تقريره طبيعة المفهومات والمصطلحات المتضمنة في بحثه وهل كانت كلماته حولها تم عن تضمينها « أي المصطلحات والمفاهيم » لمعان معينة ، وهل تم التعبير عن ذلك كله في مكان بارز في صلب التقرير ؟ !

●

المجالات المختلفة للبحث :

لكل بحث مجال مكانى وزمانى وبشرى ، فهل تمت مراعاة تلك المجالات خلال البحث المقيم ؟ !

وعلى كل فان تقييم المجالات المختلفة للبحث يتم وفقا للأسس الآتية :

١ – فيما يتصل بالمجال البشرى للبحث ، فما هي الأسس التي تم بناء عليها تحديد مجتمع البحث ، وما هي مدى ملاءمة ذلك المجتمع للمشكلة المبحوثة ؟!

٢ – فيما يتعلق بالمجال المكاني للبحث ، فما هي الأسس التي حدت بالباحث إلى اختيار البيئة التي أجرى خلالها دراسته ، ثم ما هو مدى صدق تلك البيئة في إفراز المشكلة المطروحة واحتوائها ؟ !

٣ – فيما يتعلق بالمجال الزمنى للبحث ، فهل الوقت الذى حدده الباحث لإجراء دراسته يعتبر وقتا ملائما وكافيا ؟ وهل تم فعلا إنجاز البحث في المدة التي حددت له سلفا ؟ !

●

نمط البحث وغاياته :

لكل بحث نمط ينتمى إليه ، وغايات يسعى إلى تحقيقها ، ودون الدخول في تفصيلات كثيرة عن أنماط البحوث العلمية والغايات التي تسعى إليها (٨) ، نقول أن البحث قد يكون بحثا نظريا يسعى الباحث خلاله إلى آفاقه البحثية طليقا متحررا من كل وأى التزام يشده إلى إطار أو هدف معين سوى ذاتيته الحرة التي تشكل أساس اختياره للموضوع وتحدد المدى الذى يمكن له كباحث أن يسير فيه .

كما قد يكون البحث بحثا عمليا موجها للمساهمة في حل إحدى المشكلات المجتمعية ، وبحيث يقيم ذلك البحث على ضوء ما حققه من إنجازات أدت إلى المساهمة في حل تلك

المشكلة ، وهذا النمط من البحث قد يكون من ذلك النوع الذى يخضع لذاتية الباحث فى الاختيار الحر الطليق لموضوعه ، وقد يكون بحثا وفق برنامج ما .

ومن الطبيعى أن يفصح الباحث عن ذلك كله خلال مقدمته أو خلال تحديده للأسباب التى دعته لاختيار مشكلة البحث .

المهم أن تقييم نمط البحث وهدفه يتم وفقا للاعتبارات الآتية :

١ - ما هى الدوافع التى تم بناء عليها اختيار مشكلة البحث .. هل هى دوافع ذاتية أو مجتمعية ؟ !

٢ - هل المشكلة المطروحة للبحث بالشكل الذى تم معالجتها من خلاله محققة لغايات الباحث وأهدافه المعلنة أم لا ؟ !

٣ - ما هى القيمة الحقيقية للموضوع المبحوث ، وما هى الإنجازات العلمية النظرية أو العملية المجتمعية التى قدمتها الدراسة ؟ !

●

مناهج البحث وأدواته :

كل مشكلة مطروحة للبحث تستدعى لمعالجتها منهجا أو مناهج خاصة ، وهذه بالتالى تفرض أدوات معينة لجمع البيانات ، وهذه كلها أمور يفصح عنها الباحث خلال خطته البحثية علاوة على بروزها عند دراسة المشكلة .

لذلك فتقييم البحث من هذا المنطلق لابد أن يرتكز على النقاط الآتية :

١ - هل يتضمن تقرير البحث وصفا للمناهج والأدوات المستخدمة ودواعى استخدامها أو مبررات تفضيلها على غيرها من المناهج والأدوات ؟ !

٢ - هل هذه المناهج والأدوات المستخدمة هى الأكثر صلاحية للاستخدام فى هذا المجال أم كانت هناك أخرى أكثر صلاحية منها ، ثم ما هو مدى ملاءمتها لمختلف أوضاع المشكلة التى تم بحثها ؟ !

٣ - هل أدى استخدام تلك المناهج والأدوات إلى تقديم إجابة كافية أو حل مرض للمشكلة البحث ، بمعنى هل اختبرت تلك المناهج والأدوات .. ما ادعى الباحث قدرتها على اختباره أم لا ؟ !

٤ ــ هل تم اختبار أدوات البحث قبل تعميمها من خلال دراسة استطلاعية أو ما أشبه ، ثم ما هى نتائج ذلك على بقية مراحل البحث وعلى الأدوات المستخدمة ذاتها ؟ !

●

جمع البيانات ومعالجتها :

البيانات تعتبر هدفا أساسيا للبحث فى شتى مراحله ، أو هى المحصلة النهائية للبحوث العلمية وخاصة إذا ما اعتبرنا تحليل تلك البيانات واستخلاص الحقائق منها إن هى إلا عملية مكملة أو عملية تتوقف أولا وأخيرا على وجود البيانات أصلا .

ومن هنا تحظى البيانات بأهمية خاصة عند التقييم الذى يجب أن ينهض على الاعتبارات الآتية :

١ ــ هل البيانات المجموعة من حيث الكم والكيف هى البيانات المثلى أو الكافية لحل المشكلة المطروحة للبحث ؟ !

٢ ــ هل البيانات المعروضة هى كلها بالضرورة لازمة وصالحة للتعامل معها إحصائيا لخدمة أهداف البحث ؟ !

٣ ــ هل الظروف التى صاحبت جمع البيانات قد وفرت لها الموضوعية اللازمة لضمان صدقها وثباتها فى مواجهة المشكلة المطروحة ؟ !

٤ ــ هل تمت معالجة البيانات إحصائيا بطريقة سليمة وبالدرجة التى تسمح بالإجابة على التساؤلات المطروحة من خلال الفروض وصولا إلى التفسير الملائم للظاهرة المبحوثة؟!

٥ ــ هل فنون الإحصاء المستخدمة خلال عرض البيانات كالجداول والرسوم والأشكال ومعاملات الارتباط ، هل هذه الفنون استخدمت فعلا وفقا للأصول أو تم تحريفها وعدم اتباع القواعد خلالها إما جهلا أو للانحراف بالنتائج نحو غايات أخرى ؟ !

٦ ــ هل حلل الباحث البيانات التى تم جمعها تحليلا موضوعيا بهدف اختبار مدى صدق كل نتيجة مع الفرض الأصلى الذى نبعت عنه ؟ !

٧ ــ هل انتهى الباحث إلى تعميمات دون أن يكون لها ما يؤيدها من واقع البيانات المجموعة ، ثم ما هو مدى الدقة أو الكفاءة التى تتسم بها تعميمات البحث بصفة عامة ؟ !

٨ ــ هل ما انتهى إليه الباحث من تحليلات أو تفسيرات للظاهرة المبحوثة يعتبر كافيا ومنطقيا أم لايزال فى حاجة إلى شروح لتزداد درجة وضوحه لدى القراء ؟ !

٩ ــ هل ذاتية الباحث قد لعبت دورها فى انتقاء الأدلة التى تؤيد فروضه أو هل خلط الباحث الآراء والاستدلالات بالحقائق لأسباب شعورية أولا شعورية ؟ !

١٠ ــ هل البيانات المجموعة والمحللة والمفسرة تبدو منطقية ومقبولة أم تعتورها نقاط ضعف معينة وما مدى تأثير ذلك على ما انتهى إليه الباحث من نتائج ؟ !

●

ملخص البحث ونتائجه :

يمكن أن يتم تقييم ملخص البحث والنتائج التى توصل إليها من خلال الاعتبارات التالية :

١ ــ هل الملخص الذى قدمه الباحث متسق أولا مع محتويات تقريره فى تسلسل وتساند منطقى ، وهل تضمن الملخص فعلا خلاصة البحث وعرض النتائج التى تم التوصل إليها فى إيجاز دقيق ؟ !

٢ ــ هل النتائج التى تم التوصل إليها قائمة على أدلة كافية ومنطقية ، وهل تم عرضها خلال الملخص بالصورة التى تجعلها قابلة للتطبيق ؟ !

٣ ــ ما هى طبيعة العلاقة بين البيانات المتوافرة والنتائج المستخلصة ، وهل يمكن التحقق من صحة تلك النتائج عن طريق باحثين آخرين ؟ !

٤ ــ ما هو كم ومدى تدخل العوامل الذاتية للباحث لاسيما آراءه الشخصية فى الملخصات أو النتائج المعروضة ؟ !

٥ ــ هل يحوى الملخص الأدلة التى توضح كيفية تطبيق النتائج التى تم التوصل إليها ، أو تلك التى تثبت فروضة أو تنفيها ؟ !

٦ ــ هل ما توصل إليه الباحث من نتائج يجيب فعلا على أسئلة البحث المطروحة أو يثير مشكلات أخرى تحتاج لحلول ؟ !

●

مصادر البحث وملاحقه :

ويتم تقييم استخدامات الباحث للمصادر وكيفية ذكره لها من خلال النقاط الآتية :

١ — هل اتبع الباحث عند استخدامه للمراجع الطريقة المنهجية سواء وهو يأخذ عنها أو يثبتها فى هوامش البحث ؟ !

٢ — هل أحاط الباحث خلال بحثه بمعظم المصادر لاسيما الحديثة أو المعاصرة منها أم استعان بالمصادر التاريخية والقديمة ؟ !

٣ — هل المصادر التى استعان بها الباحث فعلا هى المصادر الأكثر كفاءة وقدرة على الإسهام فى حل مشكلة البحث المطروحة ؟ !

٤ — هل ملاحق البحث قد تضمنت كل البيانات المساعدة على زيادة فهم القراء للمشكلة المطروحة وكيفية معالجتها أم تضمنت حشوا لا لزوم له ؟ !

٥ — هل تم تنسيق الملاحق وترتيبها بطريقة تيسر الاستفادة من بياناتها ؟ !

●

ترتيب تقرير البحث وشكله :

شكل تقرير البحث وترتيب محتوياته يخضع كذلك لعدة مواصفات عند التقييم يمكن إيجازها فى النقاط الآتية :

١ — ما هى الأبواب والفصول التى قسم الباحث تقريره إليها وما هو مدى اتساق عناوين تلك الأبواب والفصول مع ما تحتويه من مضامين ؟ !

٢ — هل تم ترتيب تلك الأبواب والفصول ترتيباً منطقياً بصورة تبرز الجهد المبذول خلال البحث من جهة ، وتتفق من جهة أخرى مع رغبات الهيئة المشرفة على البحث والباحث أو مع ما يرضاه الأستاذ المشرف ؟ !

٣ — هل تمت صياغة التقرير بلغة سهلة وسليمة ، وبعبارات منتظمة خالية من التعقيد أو الغموض أو المعانى الاحتمالية ؟ !

٤ — هل تمت معالجة كل القضايا الأساسية وبصورة كافيه ، ثم هل تم عرض الموضوعات الجانبية بطريقة منطقية أو مبالغ فيها ؟ !

٥ – هل تم ترقيم صفحات التقرير وضبط الهوامش والمسافات وإعداد الجداول والرسوم والأشكال بطريقة سليمة وموضحة للغرض منها ؟ !

٦ – هل غلاف التقرير بلون مناسب* وموضح عليه عنوان البحث واسم الباحث والهيئة المشرفة عليه والدرجة العلمية المقدم لنيلها « إن وجدت » والتاريخ المقدم فيه البحث وهل روعى فى حجم الغلاف أن يكون فى حدود « الكوارتو أى ٢٢ سم × ٢٨ سم تقريباً » ؟ !

٧ – هل كعب البحث من النوع المناسب الذى يسمح بالكتابة عليه ؟ ! ؛ وهل تمت كتابة البيانات الأساسية للبحث على ذلك الكعب من أعلى الى أسفل ؟ !

***

---

* يفضل أن يكون لون غلاف البحث هو اللون الأسود وخاصة إذا ما كان متضمنا لرسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير أو دكتوراه الدرجة الثالثة » أو درجة دكتوراه الفلسفة أو الآداب « دكتوراه الدولة » .

المصادر والشروح

(١) للاستزادة حول الموضوعية أنظر :

دكتور صلاح الفوال – منهجية العلوم الاجتماعية – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٢ ص ص ٨٩ – ١٠٩ .

(٢) للاستزادة انظر :

المصدر السابق ص ٩ ، ص ص ٤٣ – ٤٤ ، ص ص ٤٧ – ٦٣ :

(٣) للاستزادة انظر :

المصدر السابق ص ص ١١ – ١٢ .

(٤) انظر نموذجا للخط الأول فى :

دكتور جمال زكى والسيد يس – مصدر سابق ص ص ٤٦٩ – ٤٧١ :

وانظر كذلك نموذجا للخط الثانى فى :

فان دالين – مصدر سابق – الفصل السادس عشر :

(٥) انظر :

دكتور صلاح الفوال – محاضرات فى المنهجية – السداسى السابع – جامعة عنابه – معهد العلوم الاجتماعية – ١٩٨٠ « محاضرات منشورة » :

(٦) للاستزادة حول الفروض انظر :

دكتور صلاح الفوال – منهجية العلوم الاجتماعية – مصدر سابق – ص ص ٥٠ – ٥٥ ؛

(٧) للاستزادة انظر :

المصدر السابق ص ٤٩ ، وانظر ايضاً :

دكتور صلاح قنصوه ـ فلسفة العلم ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨١ ص ١٩٠ .

(٨) يمكن لمن أراد الاستزادة أن يعود إلى :

دكتور صلاح الفوال ـ منهجية العلوم الاجتماعية ـ مرجع سابق ص ص ٢١٧ ـ ٢٤٠ .



ملاحق الكتاب

- نموذج لاستخدام الاستمارة فى البحوث العلمية
- جداول تحليل المضمون
- نماذج لجداول الأعداد العشوائية

ملحق رقم (١)
نموذج لاستخدام الاستمارة فى البحوث العلمية

جمهورية مصر العربية
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية
استمارة بحث

تكامل المهاجرين مع النمط الحضرى
للقاهرة الكبرى *

الاسم :
العنوان : رقم المنزل : الشارع : الحى : الدور : رقم الشقة :
مكان الميلاد :
السن عند الهجرة :
مدة الإقامة فى القاهرة :
الحالة الزواجية :
تاريخ المقابلة :
الباحث :
المراجع :

---

* تم إعداد التقرير النهائى للبحث عام ١٩٨٠ وكتبه كل من الدكتورتين ناديه حليم ووداد سليمان الخبيرتين بالمركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية .

أولا ــ بيانات أساسية :

١ ــ عندك كام سنه ؟ (يكتب السن) ( )

٢ ــ وعندك كام عيل ؟

ذكور ( ) إناث ( ) مجموع ( )

٣ ــ وأنت متعلم لحد فين ؟

أمى ( ) يقرأ ويكتب ( ) ابتدائى ( )

إعدادى ( ) ثانوى ( ) عالى ( )

٤ ــ ومراتك متعلمة لحد فين ؟

أمية ( ) تقرأ وتكتب ( ) ابتدائى ( )

إعدادى ( ) ثانوى ( ) عالى ( )

٥ ــ ولادك متعلمين لحد فين ؟

يملأ الجدول الآتى :

---

* يلاحظ أن لغة الاستمارة هى العامية المصرية وذلك حتى يسهل فهمها من قبل المبحوثين وبالتالى تكون إجاباتهم على الأسئلة معبرة وصادقة قدر الإمكان .

ترتيب الأولاد	النوع	السن	أمى	يقرأ ويكتب	ابتدائى	إعدادى	ثانوى	عالى	الاستمرار فى التعليم
الأول									
الثانى									
الثالث									
الرابع									
الخامس									
السادس									
السابع									
الثامن									

ثانيا – الظروف المصاحبة للهجرة :

٦ – ولما جيت تعيش فى مصر * كنت متزوج ولا مش متزوج ؟

غير متزوج (   ) متزوج (   )

(فى حالة غير متزوج يسأل ٧ – فى حالة متزوج يسأل ٨)

٧ – وبعدين لما اتجوزت أخدت واحدة من البلد ولا من مصر ؟

من القرية (   )

من مصر (   )

من مكان آخر (   )

٨ – وأول ماجيت جبت مراتك معاك ولاسبتها فى البلد ؟

هجرة الزوجه مع زوجها (   )

ترك الزوجة فى القرية فى الفترة الأولى (   )

ترك الزوجة فى القرية حتى الآن (   )

للجميع

٩ – يعنى مراتك اللى هيه معاك دلوقت أصلها منين ؟

من داخل القاهرة الكبرى (   )

من أبى سنيطه ** (   )

من أى مكان آخر (   )

---

* يقصد بـ « مصر » هنا – القاهرة – حيث يطلق على القاهرة باللغة العامية أو الدارجة لأبناء الريف المصرى – لفظ « مصر » باعتباره مرادفا للفظ « القاهرة » .

** إحدى قرى مركز الباجور محافظة المنوفية فى جمهورية مصر العربية حيث تم اختيار أبنائها كعينة للبحث .

١٠ — ياترى انت كنت متجوز قبل الجوازه دى ولا لأ ؟

نعم ( ) لا ( )

(فى حالة الإجابة بنعم يسأل ١١ — وفى حالة الإجابة بلأ يسأل ١٣)

١١ — طيب ومراتك دكهه على ذمتك دلوقت ولا لأ ؟

على ذمته ( ) ليست على ذمته ( )

(فى حالة أنها على ذمته يسأل ١٢ وفى حالة الأخرى يسأل ١٣)

١٢ — ومراتك الأولى دى قاعدة فى البلد ولا فى مصر ؟

فى البلد * ( ) فى مصر ( )

١٣ — (للجميع) وإيه اللى خلاك تيجى تعيش فى مصر ؟

(يكتب بالتفصيل)

١٤ — وانت كنت بتشتغل إيه فى البلد قبل ما تيجى ؟ (تكتب المهنه كما يذكرها المبحوث)

عامل زراعى	( )	١
مستأجر أرض زراعية	( )	٢
مالك أراضى زراعية	( )	٣
حرفى	( )	٤
عامل خدمات	( )	٥
موظف	( )	٦
عاطل	( )	٧
طالب	( )	٨

(فى حالة الإجابة برقم (٢) أو (٣) يسأل ١٥ فيما عدا ذلك يسأل ١٧)

---

* يقصد بـ « البلد » القرية الأصلية للمبحوث وهى أبو سنيطة .

١٥ — والأرض اللى كنت بتزرعها دى كانت أد أيه ؟

أقل من فدان	( )
من فدان إلى ٥	( )
أكثر من ٥ فدادين .	( )
لا يوجد	( )

١٦ — والأرض دى عملت فيها إيه لما جيت ؟

بعتها	( )
أجرتها	( )
بزرعها بالمشاركة	( )
لا يوجد	( )

١٧ — ووالدك بيشتغل إيه ؟ (أو كان بيشتغل إيه ؟)

عامل زراعى	( )
مستأجر أرض	( )
مالك أرض	( )
حرفى	( )
عامل خدمات	( )
موظف	( )

١٨ — وفيه حد من أهلكم جا يعيش فى مصر قبل كده ؟

نعم (   )   لا (   )

فى حالة الإجابة بنعم يسأل ١٩)

١٩ — وهم ساعدوك أول ماجيت فى مصر ؟ ساعدوك فى إيه)

لا	( )
قعدت عندهم فى الأول	( )
ساعدونى ألاقى شغل	( )
إدونى فلوس *	( )
أخرى تذكر	( )

* يقصد بـ « الفلوس » النقود أو المال .

ثالثا ـ التكامل الاقتصادى للمهاجر :

٢٠ ـ وانت لقيت شغل على طول ؟

خلال شهر ( )

خلال ٦ أشهر ( )

خلال سنه ( )

أكثر من سنه ( )

طالب ( )

٢١ ـ وأول ماشتغلت كان عملك إيه ؟ (تكتب المهنة بالتفصيل كما يذكرها المبحوث)

بائع متجول	( )	1
عامل خدمات فى غير الحكومة	( )	2
عامل خدمات فى الحكومة	( )	3
عامل مصنع	( )	4
حرفى	( )	5
تاجر	( )	6
موظف	( )	7
صاحب ورشه	( )	8
طالب	( )	9

٢٢ ـ أ ـ (يسأل فى حالة ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٧)

يعنى شغلك الأولانى ده كان بعقد (أو بتعيين)

أو من غير عقد (أو من غير تعيين) ؟

بعقد (أو تعيين) ( ) من غير عقد (أو من غير تعيين) ( )

ب ـ (يسأل فى حالة ٦ ـ ٨)

يعنى الناس اللى بيشتغلوا معاك بيشتغلوا بعقد أو من غير عقد ؟

بعقد ( ) من غير عقد ( )

٢٣ ـ وانت داوقت فى نفس العمل ولا غيرت ؟

نفس العمل ( ) غيرت ( )

٢٤ — يعنى دلوقت بتشتغل إيه ؟ (يسأل المبحوث هذا السؤال إذا غير عمله وفيما غير ذلك يضع الباحث العلامة بناء على السؤال رقم (٢١)

بائع متجول	( )	1
عامل خدمات فى غير الحكومة	( )	2
عامل خدمات فى الحكومة	( )	3
عامل فى مصنع	( )	4
حرفى	( )	5
تاجر	( )	6
موظف	( )	7
صاحب ورشه	( )	8
طالب	( )	9
على المعاش	( )	10

٢٥ — أ — يسأل فى حالة ١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٧)

وعملك الحالى ده بعقد (أو تعيين) أو من غير عقد (أو من غير تعيين) ؟

بعقد أو تعيين ( ) من غير عقد أو من غير تعيين ( )

ب — (يسأل فى حالة ٦ — ٨)

يعنى الناس اللى بيشتغلوا معاك بيشتغلوا بعقد أو من غير عقد ؟

بعقد ( ) من غير عقد ( )

٢٦ — ودخلك كام تقريباً من شغلك ؟ (يكتب المبلغ بالشهر) ( )

٢٧ — ولك دخل تانى من غير شغلك ؟ من إيه ؟ وبيجيب لك أد إيه ؟

مصدر الدخل	المبلغ الشهرى بالجنيه
أرض زراعية	
منزل ملك مؤجر	
مشروع تجارى	
عمل إضافى	
أخرى	
لا يوجد	
المجموع	

٢٨ — وياترى مراتك بتشتغل ؟

نعم ( ) لا ( )

فى حالة الإجابة بنعم يسأل ٢٩ — فى حالة الإجابة بلا يسأل (٣٢)

٢٩ — بتشتغل إيه ؟

(يكتب بالتفصيل)

٣٠ — يعنى هى بتشتغل بعقد (أو تعيين) أو من غير عقد (أو من غير تعيين) ؟

بعقد (أو تعيين) ( ) من غير عقد (من غير تعيين) ( )

٣١ — ودخلها من عملها كام فى الشهر تقريباً ؟ ( ) جنيه

٣٢ — المجموع الكلى لدخل الأسرة فى الشهر :

(يحسب من الأسئلة ٢٦ — ٢٧ — ٣١) ( )

٣٣ — وانت حاسس إن حالتك المادية أحسن ولا أوحش من لو كنت لسه عايش فى البلد ؟

أحسن ( )

أوحش ( )

زى ما هى ( )

رابعا — التكامل الاجتماعى :

٣٤ — وانت انضميت للجمعية بتاعة أبى سنيطة إمتى ؟

فى بداية الهجرة ( )

خلال السنة الأولى ( )

خلال سنتين أو أكثر ( )

بعد الهجرة ( )

منذ إنشاء الجمعية * (   )

٣٥ – وليه انضميت للجمعية ؟

(يكتب بالتفصيل)

٣٦ – وإيه أهم الخدمات اللى بتقدمها الجمعية ؟

(يكتب بالتفصيل)

٣٧ – إيه فى رأيك اللى ممكن تقدمه الجمعية أكثر من كده ؟

(يكتب بالتفصيل)

٣٨ – وتفتكر إنه كل أهالى أبى سنيطة اللى قاعدين فى مصر مشتركين فى الجمعية ؟

نعم	( )	1
الأغلبية	( )	2
لا	( )	3
لا أعرف	( )	4

(فى حالة الإجابة برقم ٢ أو ٣ يسأل ٣٩ – فى حالة الإجابة برقم ١ أو ٤ يسأل ٤٠)

٣٩ – واللى مش مشتركين فى رأيك ماشتركوش ليه ؟

(يكتب بالتفصيل)

* من عادة أهل الريف المصرى المهاجرين إلى المدن تكوين جمعيات أو روابط تجمعهم وتقدم لهم الخدمات فى العديد من المناسبات خصوصا فى حالات نقل الموتى من المهاجرين إلى موطنهم الأصلى .

٤٠ — (يسأل للجميع) ويا ترى أنت بتروح أوقات تزور البلد ؟ كل أد إيه ؟

لا يذهب ( ) 0

أقل من مرة فى السنه ( ) 1

مرة كل سنه أو أكثر ( ) 2

مرة كل شهر أو أكثر ( ) 3

٤١ — وبتبعت فلوس لأقاربك اللى فى البلد ؟

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٤٢ — ولما بيجى حد من قرايبك اللى فى البلد يقضى حاجه فى مصر ، بينام عندك فى البيت ؟

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٤٣ — ولو جاء أى حد من بلدياتك (غير الأقارب) يقضى حاجه فى مصر ، بينام عندك؟

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٤٤ — ويا ترى فى حد من قرايبك أو بلدياتك جاء يعيش فى مصر وقعد عندك أول ماوصل؟

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٤٥ — والحته اللى انت ساكن فيها دى ، فيها ناس كتير من بلدك ؟

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٤٦ — والناس اللى بتصاحبهم فى مصر بلدياتك ولا مش شرط ؟

أ — مش شرط ( ) 0

بلدياتى ( ) 1

ب — بلدياتى ( ) 0

مش شرط ( ) 1

٤٧ — ولو فيه ناس بلدياتك فى مكان عملك ، تفضل تختار منهم أصحابك ولا مش شرط ؟

أ — مش شرط ( ) 0

أفضل ( ) 1

ب — أفضل ( ) 0

مش شرط ( ) 1

٤٨ — وفيه ناس أصاحبهم بلدياتك هنا فى مصر وبتجاملهم فى الأعياد ؟ (يعنى بتزورهم)

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٤٩ — وفيه ناس من بلدياتك هنا فى مصر وبتهاديهم فى المناسبات (زواج — وفاة الخ)

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٥٠ — وفيه ناس أصلهم من مصر بتزورهم فى الأعياد ؟

يعنى مثلا جيران ، زملاء ، أصحاب

لا ( ) 0

جيران ( )

زملاء ( ) 1

أصحاب ( )

٥١ — وفيه ناس أصلهم من مصر بتجاملهم فى المناسبات ؟

(زواج — وفاة الخ ..)

لا ( ) 0

جيران ( )

زملاء ( ) 1

أصحاب ( )

٥٢ — وياترى لك أولاد بيروحوا المدرسة أو راحوا المدرسة هنا فى مصر ؟

(أو الجامعة)

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٥٣ — ولما حد منكم بيعيى * بتأخدوه المستشفى (المستوصف) ؟

لا ( ) 0

طبيب خاص ( )

مستشفى ( ) 1

مستوصف ( )

٥٤ — وياترى إنت بتدى صوتك فى الانتخابات ؟

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٥٥ — ومقر الانتخابات فى مصر ولا فى البلد ؟

فى مصر ( ) 0

فى البلد ( ) 1

---

* أى يمرض :

٥٦ – ويا ترى أنت مشترك فى :

أ – نقابه لا ( ) 0 نعم ( ) 1

ب – حزب لا ( ) 0 نعم ( ) 1

ج – طريقه صوفيه لا ( ) 0 نعم ( ) 1

د – جمعية ادخار لا ( ) 0 نعم ( ) 1

ه – نادى لا ( ) 0 نعم ( ) 1

ى – مركز ثقافى لا ( ) 0 نعم ( ) 1

و – أى منظمة أخرى لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٥٧ – مدى الاشتراك فى التنظيمات الحضرية :

(يحسبها الباحث من السؤال السابق)

صفر ( ) ١ ( ) ٢ ( )

٣ ( ) ٤ ( ) ٥ ( )

٦ ( ) ٧ ( )

٥٨ – مدى الاتصال بمؤسسات الخدمات (تحسب من السؤالين ٥٢ – ٥٣)

صفر ( ) ١ ( ) ٢ ( )

٥٩ – مدى العلاقات الاجتماعية الحضرية على مستوى فردى (يحسب من الأسئلة ٩ – ٤٦ ب – ٤٧ ب – ٥٠ – ٥١).

صفر ( ) ١ ( ) ٢ ( )

٣ ( ) ٤ ( ) ٥ ( )

٦٠ – ومدى العلاقات الاجتماعية الحضرية (فردى وجماعى)

(يحسب من الأسئلة ٥٧ – ٥٨ – ٥٩)

ويأخذ هذا المقياس من صفر إلى ١٥ درجة ( )

علاقات ضعيفة (من صفر إلى ٧ درجات) ( )

علاقات قوية (من ٨ إلى ١٥ درجة) ( )

٦١ – مدى العلاقات الاجتماعية مع أهل القرية المقيمين فيها :

(يحسب من الأسئلة ٤٠ – ٤١ – ٤٢ – ٤٣ – ٥٥)

ويأخذ هذا المقياس (من صفر ٧ درجات) ( )

علاقات ضعيفة (من صفر إلى ٣ درجات) ( )

علاقات قوية (من ٤ إلى ٧ درجات) ( )

٦٢ ــ مدى العلاقات الاجتماعية بين أهل القرية المقيمين فى المدينة :
(يحسب من الأسئلة ٤٤ ــ ٤٥ ــ ٤٦ ــ ٤٦ أ ــ ٤٧ ــ ٤٧ أ ــ ٣٨ ــ ٤٩)
ويأخذ هذا المقياس من صفر إلى ٦ درجات) ( )
علاقات ضعيفة (من صفر إلى درجتين) ( )
علاقات قوية (من ٣ إلى ٦ درجات) ( )

٦٣ ــ مدى العلاقات الاجتماعية مع أهل القرية (سواء المقيم منهم فى القرية أو المدينة) يحسب هذا المقياس من السؤالين ٦١ ، ٦٢ ويأخذ المقياس (من صفر إلى ١٣ درجة) .
علاقات ضعيفة (من صفر إلى ٦ درجات) ( )
علاقات قوية (من ٧ إلى ١٣ درجة) ( )

●

خامسا ــ التكامل الثقافى :

٦٤ ــ وياترى أنت بتروح السينما ؟
نعم ( ) لا ( )
٦٥ ــ وبتقرا الجرنال ؟
نعم ( ) لا ( )
٦٦ ــ وبتسمع الراديو ؟
نعم ( ) لا ( )
٦٧ ــ وبتتفرج على التليفزيون ؟
نعم ( ) لا ( )
٦٨ ــ طيب ياترى أنت سمعت عن القانون الجديد بتاع الزواج والطلاق ؟
نعم ( ) لا ( )
٦٩ ــ وإيه رأيك أنه فى حالة الطلاق تفضل الشقة للست ؟
غير موافق ( ) 0
موافق ( ) 1
٧٠ ــ وفى رأيك لما الست تخرج لازم تلبس أسود وطرحه ؟
تلبس أسود ( ) 0
تلبس ملون ( ) 1

٧١ — وتفتكر أنه الست أحسن لما تخرج تشتغل ولا تقعد فى البيت ؟

تقعد فى البيت ( ) 0

تشتغل ( ) 1

٧٢ — طيب والبنات أحسن لهم يتعلموا زيهم زى الولاد ولا مش ضرورى ؟

مش ضرورى ( ) 0

أحسن يتعلموا ( ) 1

٧٣ — لو جاء عريس كويس لبنتك وهى مش راضيه بيه تجوزها له ولا لأ ؟

نعم ( ) 0 لا ( ) 1

٧٤ — وأحسن الواحد يخطب من البلد ولا مش مهم ؟

يخطب من البلد ( ) 0

مش مهم ( ) 1

٧٥ — وأنت رأيك أنه البنت ممكن تخرج مع خطيبها قبل الجواز ولا لأ ؟

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٧٦ — وتفضل أنه كتب الكتاب يبقى على طول ولا أحسن يكون فيه فترة خطوبة ؟

على طول ( ) 0

فترة خطوبه ( ) 1

٧٧ — وفى رأيك البنت أحسن لما تتجوز حد من قرايبها ولا مش مهم ؟

الأقارب أحسن ( ) 0

مش مهم ( ) 1

٧٨ — وانت رأيك أيه فى تنظيم الأسرة ؟

غير موافق ( ) 0

موافق ( ) 1

٧٩ — وتفتكر الست لازم تاخد إذن من زوجها لما تيجى تخرج ولا مش مهم ؟

لازم تأخذ إذن من زوجها ( ) 0

مش مهم ( ) 1

٨٠ ـ مدى الاتساق فى القيم (النسق القيمى الخاص بالاتجاه نحو المرأة)

(يحسب من الأسئلة ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩)

ويأخذ هذا المقياس من صفر إلى ١١ درجة ( )

وجود اتساق بين القيم على أساس ريفى (صفر ـ ١ ـ ٢ ـ ٣) ( )

عدم وجود اتساق (٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨) ( )

وجود اتساق على أساس حضرى (٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١) ( )

٨١ ـ والست بتاعتك لما بتخرج بتلبس أسود ولا ملون ؟

أسود ( ) 0

ملون ( ) 1

٨٢ ـ وهيه بتشتغل ولا قاعدة فى البيت ؟

قاعدة فى البيت ( ) 0

بتشتغل بره ( ) 1

٨٣ ـ وياترى حصل أنكم استخدمتم حاجة لتنظيم النسل ؟

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٨٤ ـ ولك أبناء راحوا المدرسة ؟

لا ( ) 0 نعم ( ) 1

٨٥ ـ وانت متجوز من البلد ولا مش من البلد ؟

من البلد ( ) 0

مش من البلد ( ) 1

٨٦ ـ ومراتك قريبتك ولا مش قريبتك ؟

قريبتى ( ) 0

مش قريبتى ( ) 1

٨٧ ـ مدى الاتساق بين القيم والسلوك * ؟

تقارن الأسئلة	متسقه على أساس ريفى	غير متسقه	متسقه على أساس حضرى
٨١،٧٠	0 ( )	1 ( )	2 ( )
٨٢،٧١	0 ( )	1 ( )	2 ( )
٨٤،٧٢	0 ( )	1 ( )	2 ( )
٨٥،٧٤	0 ( )	1 ( )	2 ( )
٨٦،٧٧	0 ( )	1 ( )	2 ( )
٨٣،٧٨	0 ( )	1 ( )	2 ( )

٨٨ ـ المقياس الكلى لاتساق القيم والسلوك .

من (صفر إلى ١٢ درجة) (   )

اتساق على أساس ريفى (صفر ـ ١ ـ ٢ ـ ٣) (   )

عدم اتساق (٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨) (   )

اتساق على أساس حضرى (٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢) (   )

٨٩ ـ واو ربنا فتحها عليك وجالك قرشين كويسين (يعنى زى الفين جنيه) تعمل بيهم إيه ؟

أشترى حتة أرض فى البلد (   )

أحسن السكن (شراء عزال * تجديد الخ) (   )

أعمل مشروع تجارى (   )

أشترى أسهم (   )

أحج (   )

أتبرع للجوامع وللفقراء (   )

أخرى تذكر (   )

٩٠ ـ فيه ناس بيقولوا لما يموتوا يحبوا يندفنوا فى بلدهم . إيه رأيك فى الكلام ده ؟

موافق (   )   غير موافق (   )

---

* العزال هنا لفظ يعنى الأثاث المنزلى .

ملحق رقم (٢)

نموذج للجداول المستخدمة فى تحليل المضمون من واقع البحوث العلمية

جمهورية مصر العربية
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

جداول تحليل المضمون لبحث
« الرأى العام المصرى فى الستينات والسبعينات »
من واقع باب « بريد القراء » فى صحف الأخبار والأهرام والجمهورية :

الجـــريدة :
التاريخ :
رقم الاستمارة :
اسم الباحث :

جدول رقم (١)

رقم الرسالة	نمط التحرير	القضـــايا											
		اقتصادية	سياسية	خدمات	اجتماعية	تعليمية	ثقافية	فنية	رياضة وشباب	عسكرية	صحية	قانونية وقضائية	دينية
	شكوى												
	رأى												
	تعليق على ما نشر												
	ردود ومتابعة												

• كتب تقرير البحث الدكتورة نادية سالم رئيسة وحدة بحوث الرأى العام بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عام ١٩٧٩ :

جدول رقم ( )

أنماط الإخراج							
رقم الرسالة	الصفحة	الموقع فى الصفحة	المساحة	الصور		العنوان	
				يوجد	لا يوجد	عنوان رئيسى	عنوان فرعى

جدول رقم ( )

رقم الرسالة	غير محدد			الجنس		المهنة	مدن			أقاليم	ريف	هيئات	جماعات
	المهنة	السكن	الجنس	رجل	امرأة		مناطق شعبية	مناطق غير شعبية	غير محدد المنطقة				

ملاحظات :

التحليل الكيفى :

ويتضمن نفس القضايا السابقة فى جدول رقم « ١ » ولكن بحصر القضايا الفرعية لها .

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

أولا : الشكاوى

(ا) تصنيف الشكوى تبعاً للموضوع فى الستينيات :

جدول رقم ( )

الجريدة	نوعية الشكوى ٪								المجموع
	خدمات	تعليمية	اقتصادية	اجتماعية	صحية	سياسية	رياضية	فنية	
الأهرام	٣٧	١٨	١٦	١٢	٨	٦	١	٢	١٠٠
الأخبار	٢٤	١٤	١٩	١٩	٥	٥	٩	٥	١٠٠
الجمهورية	١٠	١٠	٥٦	١٥	٥	٢	—	٢	١٠٠

(ب)

تصنيف الشكوى تبعاً للموضوع

فى السبعينات

جدول رقم (   )

الجريدة	نوعية الشكوى ٪										المجموع
	الخدمات	رياضة وشباب	اقتصادية	عسكرية	تعليمية	قانونية	اجتماعية	صحية	سياسية	فنية	دينية	
الأهرام	٣٨	١	٢٢	–	٢١	–	١٠	١	٣	٣	١	١٠٠
الأخبار	٢٧	٢	٢٠	٣	١٤	٢	١٥	١٠	٤	٢	١	١٠٠
الجمهورية	٣٢	٢	٢٤	١	٨	٣	١٧	٧	٣	٢	١	١٠٠

(ج)

تصنيف تفصيلى للشكاوى

فى الستينات والسبعينات

جـــدول رقـــم (   )

الخدمات

الشكوى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات	السبعينات	الستينات	السبعينات	الستينات	السبعينات
	٪	٪	٪	٪	٪	٪
الإسكان	٢٠	١٦	٢٥	٢٢	—	١٥
المواصلات	٢٠	٣٧	٥٠	٣٣	٥٠	١٥
البريد	٢٠	—	—	—	—	—
التموين	٢٠	٣٩	—	٣٧	—	٢٥
المياه	—	—	٢٥	٥	٥٠	١٥
التليفونات	٢٠	٣	—	١	—	—
طفح المجارى	—	٣	—	١	...	١٥
إهمال النظافة	—	٢	—	١	—	١٥
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جـدول رقم (   )

الشكاوى الاقتصادية

الشكوى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪
الروتين	٢٠	٢٥	٢٥	٢١	٣٩	١٠
المرتبات والأجور	٣٠	—	—	١٨	٢٢	١٠
مشاكل الخريجين	٢٠	—	٢٥	٤	٩	—
المحافظة على المال العام	١٠	—	—	—	—	—
الفصل التعسفى	١٠	١	٢٥	—	—	١٠
القوانين الاشتراكية	١٠	—	—	—	٩	—
الانفتاح الاقتصادى	—	٣٣	—	١٧	—	١٢
الزراعة	—	٢٥	٢٥	٨	—	٢١
الصناعة	—	١٣	—	—	—	١٢
اختلاسات وسرقات	—	٢٠	—	١٤	—	١٠
العاملون فى البلاد العربية	—	١	—	—	—	١٥
الرسوب الوظيفى	—	—	—	١٤	١٩	—
السياحة	—	—	—	٤	—	—
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

• الرسوب الوظيفى . . يقصد به أحد قوانين إصلاح حال الموظفين العاملين بجمهورية مصر العربية .

جدول رقم ( )

الشكاوى الاجتماعية

الشكوى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪
شكاوى خاصة	٨٣	٢٧	—	٢	٨٣	٥٧
شكاوى عامة	١٧	٧٣	—	٩٨	١٧	٤٣
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جدول رقم ( )

عرض نتائج الشكاوى العامة

الشكوى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪
التأمينات الاجتماعية	—	٢٣	٥٠	٥	—	٢٥
إعانات وزارة الشئون	—	—	٥٠	٤	—	١٩
المرأة	—	١٧	—	١٤	١٠٠	١٥
موجات إجرامية	—	٢٣	—	١٠	—	١٥
المعاشات	—	٢٣	—	٣٨	—	١٣
الرشوة والمحسوبية	—	١٠	—	٥	—	١٣
الدعارة والقمار	—	٢	—	—	—	—
المتسولون	—	٢	—	—	—	—
قانون الخدمة العامة	—	—	—	١٩	—	—
زواج المصريات من عرب	—	—	—	٥	—	—
المجموع	—	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جدول رقم (   )

الشكاوى التعليمية

الشكوى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪
المدرسون وأساتذة الجامعات	—	٢١	٣٣,٥	١٦	٧٥	٢٠
المدارس القومية والخاصة	٢٢	—	٣٣,٥	—	—	٢٠
البحث العلمي	٣٣,٥	—	—	١١	—	٢٠
الطلبة	٣٣,٥	٤٢	—	٦٣	٢٥	٢٠
التعليم الفني	—	١٦	—	٥	—	—
الدروس الخصوصية	—	١٠	—	٥	—	—
التعليم الابتدائي	١١	١١	٣٣	—	—	٢٠
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جدول رقم (   )

الشكاوى الصحية

الشكوى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	السقينات ٪	السبعينات ٪
العلاج على حساب الدولة	٧٥	—	—	٣٥	٥٠	٣٣,٥
مشاكل الأطباء	٢٥	—	—	—	—	—
سوء أحوال المستشفيات	—	٢٥	—	٤٥	٥٠	٣٣,٥
اختفاء الأدوية	—	٥٠	—	—	—	—
غش الأدوية	—	٢٥	—	—	—	—
هجرة الأطباء	—	—	—	٢٥	—	٣٣
الوقاية من الأمراض	—	—	—	—	—	—
المجموع	١٠٠	١٠٠	—	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جدول رقم (   )

الشكاوى السياسية

الشكوى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪
سياسة داخلية	٦٧	—	—	٨٣	—	٧٥
سياسة عربية	٣٣	—	—	١٧	—	٢٥
سياسة خارجية	—	—	—	—	—	—
المجموع	١٠٠	—	—	١٠٠	—	١٠٠

جدول رقم (   )

الشكاوى الفنية

الشكوى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪
وسائل الإعلام	—	٨٣	—	—	—	٧٥
السينما	—	١٧	١٠٠	—	—	٢٥
المجموع	—	١٠٠	١٠٠	—	—	١٠٠

جدول رقم (   )

عرض النتائج التفصيلية للشكاوى الفنية

الشكوى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪
وسائل الإعلام :						
تأثير الأفلام على الشباب	—	٣٥	—	—	—	٦٠
إهمال النواحي الدينية	—	٣٢,٥	—	—	—	٤٠
ضعف مستوى المذيعين	—	٣٢,٥	—	—	—	—
السينما :						
الأفلام الهابطة	—	٥٠	١٠٠	—	—	٥٠
الرقابة على الأفلام	—	٥٠	—	—	—	٥٠
المجموع	—	٢٠٠	١٠٠	—	—	٢٠٠

ثانيا : الآراء فى باب « بريد القراء »

جدول رقم (   )

الجريدة	آراء								المجموع
	خدمات ٪	اقتصادية ٪	اجتماعية ٪	سياسية ٪	فنية ٪	دينية ٪	رياضة وشباب ٪	صحية ٪	
الأهرام	٢٦	٢٤	١٥	١٦	—	٣	—	١٦	١٠٠
الأخبار	—	—	٢٥	—	٧٥	—	—	—	١٠٠
الجمهورية	٢٥	—	—	٥٠	—	٢٥	—	—	١٠٠

جدول رقم (   )

الجريدة	آراء									المجموع
	خدمات ٪	اقتصادية ٪	اجتماعية ٪	سياسية ٪	فنية ٪	دينية ٪	رياضة وشباب ٪	صحية ٪	تعليمية ٪	
الأهرام	١٩	٣٧	٩	١٣	١٠	٧	٣	٢	—	١٠٠
الأخبار	٢٠	٢٤	١٣	١٩	٧	٣	١	٧	٦	١٠٠
الجمهورية	٢٧	١٦	١٢	٩	١٤	٩	٤	٤	٥	١٠٠

جدول رقم ( )

الآراء عن الخدمات

الرأى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات	السبعينات	الستينات	السبعينات	الستينات	السبعينات
	٪	٪	٪	٪	٪	٪
المواصلات	٦٠	٢٥	—	١٧	٤٠	١٧
التموين	٢٠	٢٥	—	٤٦	٣٠	٤٢
لاسعاف والنجدة	١٠	—	—	٥	—	—
الشرطة	١٠	—	—	—	—	—
الاسكان	—	٢٥	—	١٧	٣٠	١٢
إهمال النظافة	—	١٠	—	—	—	—
الميـاه	—	١٠	—	٧	—	١٥
التليفونات	—	٥	—	—	—	—
البريد	—	—	—	٨	—	—
طفح المجارى	—	—	—	—	—	١٤
المجموع	١٠٠	١٠٠	—	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جدول رقم (   )

الآراء الاقتصادية

الرأى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪
الصناعة	٢١	٢٥	—	—	—	١٣
القوانين الاشتراكية	٢١	—	—	—	—	—
الروتين	١٨	١٠	—	١٢	—	١٥
تنشيط السياحة	٢٥	٢٠	—	—	—	—
الازدواج الوظيفى	١٥	—	—	٤	—	—
الخريجون	١٠	—	—	—	—	—
الانفتاح الاقتصادى	—	٢٠	—	٢٨	—	٣٢
الرسوب الوظيفى	—	١٠	—	—	—	—
المحافظة على المال العام	—	٥	—	٦	—	—
اختلاسات وسرقات	—	—	—	٢٨	—	١٠
الزراعة	—	—	—	٢٢	—	٢٠
العاملون بالبلاد العربية	—	—	—	—	—	١٠
المجموع	١٠٠	١٠٠	—	١٠٠	—	١٠٠

جدول رقم (   )

الآراء السياسية

الرأى	الأهـرام		الأخبـار		الجمهـورية	
	الستينات	السبعينات	الستينات	السبعينات	الستينات	السبعينات
	٪	٪	—	٪	٪	٪
آراء عن السياسة الداخليـة	٥١	٧٠	—	٧٨	—	٧٨
آراء عن السياسة الخارجيـة	—	٣٠	—	٣	٢٥	١١
آراء عن الدول العربيـة	٤٩	—	—	١٩	٧٥	١١
المجمـوع	١٠٠	١٠٠	—	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جدول رقم (   )

الآراء الاجتماعية

الرأى	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪	الستينات ٪	السبعينات ٪
مشاركة المرأة فى الحياة السياسية	٣٥	—	٥٠	—	—	—
تنظيم الأسرة	٣٥	١٠	٥٠	—	—	—
المعاشات	٣٠	—	—	—	—	١٣
قوانين التأمينات الاجتماعية	—	٦٠	—	—	—	٢٨
قانون الخدمة العامة	—	٢٠	—	٤٢	—	١٠
المنسولون	—	١٠	—	—	—	—
موجة إجرامية	—	—	—	٣٣	—	٢٢
زواج المصريات من عرب	—	—	—	١٥	—	—
الهجرة من الريف إلى المدينة	—	—	—	١٠	—	—
إعانات وزارة الشئون	—	—	—	—	—	١٠
الرشوة والمحسوبية	—	—	—	—	—	١٢
الدعارة والقمار	—	—	—	—	—	٥
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	—	١٠٠

ثالثاً : الردود والمتابعة

(ردود ومتابعة) فى باب بريد القراء فى السبعينات :

جدول رقم (   )

ردود ومتابعة	الأهرام		الأخبار		الجمهورية	
	المسئول ٪	المحرر ٪	المسئول ٪	المحرر ٪	المسئول ٪	المحرر ٪
عسكرية	٦	—	—	—	—	—
خدمات	٢٨	—	٢٧	—	٢٠	١٤
تعليمية	٦	—	٢	—	٥	—
اجتماعية	٦	—	٤	—	٢٣	—
رياضة وشباب	٢٤	—	—	—	١	—
دينية	٦	—	٢	—	—	—
اقتصادية	٢٨	—	٣٦	—	٢٣	١٤
سياسية	٦	—	١٣	—	٧	١٤
فنية	—	—	٤	—	٢	١٤
صحية	—	—	١١	—	١١	٣٠
قانونية	—	—	١	—	١	١٤
المجموع	١٠٠	—	١٠٠	—	١٠٠	١٠٠

رابعاً — نوعية مرسلي الرسائل :

النتائج الخاصة بنوعية مرسلي الرسائل

جدول رقم ( )

الأهرام

المتغير		الستينات ٪	السبعينات ٪
الجنس	رجل	٩٢	٩٣
	امرأة	٨	٧
التحضر	مدن	٥٦	٧٤
	أقاليم	٣٣	٢٣
	ريف	١١	٣
المدن	مناطق شعبية	٦٠	٤٣
	مناطق غير شعبية	٤٠	٥٧
المهنة	مستويات إدارية متوسطة وعليا	٥٦	٥٦
	مهنيون	٢٥	٣٨
	طلبة	١٠	١٠
	عمال	٢	١
	فلاحون	٢	١
	تجار	٥	٤
التحديد	محدد	٤٨	٦٢
	غير محدد	٥٢	٣٨

جدول رقم (   )

الأخبـــــار

المتغـــــــير		الستينات %	السبعينات %
الجنس	رجـــــــــل	٩٧	٩٥
	امـــــــرأة	٣	٥
التحضر	مــــــــدن	٧٧	٥٥
	أقالــــــــيم	٢١	٣٤
	ريـــــــف	٢	١١
المـــدن	مناطق شعبية	٤١	٥٧
	مناطق غير شعبية	٥٩	٤٣
المهنـــة	مستويات إدارية متوسطة وعليا	٧٣	٥٠
	مهنيـــــون	١٠	٣١
	طلبـــــــة	٨	٦
	عمــــــال	٢	٤
	فلاحـــــــون	٢	٤
	تجـــــــار	٢	٥
التحديد	محــــــــدد	٣٨	٥١
	غير محـــــدد	٦٢	٤٩

جدول رقم ( )

الجمهـــورية

المتغـــــــير		الستينات ٪	السبعينات ٪
الجنس	رجـــــــل	٩١	٩٢
	امـــــــرأة	٩	٨
التحضر	مـــــــدن	٦٠	٤٧
	أقالــــــيم	٣٥	٢٨
	ريـــــــف	٥	٢٥
المـــدن	مناطق شعبية	٣٥	٦١
	مناطق غير شعبية	٦٥	٣٩
المهنــة	مستويات إدارية متوسطة وعايا	٦٢	٥٩
	مهنيـــــون	١٧	٢٦
	طلبــــــة	٩	٥
	عمــــال	١٠	٢
	فلاحـــون	--	٤
	تجــــار	٢	٤
التحديد	محـــــدد	٤٧	٥٠
	غير محـــدد	٥٣	٥٠

نماذج من التحليل الكيفي للآراء الواردة في باب
« بريد القراء » في الصحف المصرية

رقم التحليل	التاريخ	نمط التحرير	الرسالة
٢	٧٦/٧/١٩	شكوى	شكوى مواطن يطلب تسوية حالته وتطبيق قانون الاصلاح الوظيفي عليه .
٣	٧٦/٧/١٩	ردود ومتابعة	رد من مدير مكتب وزيرة التأمينات حول شكوى مواطنة من بطء حصولها على نفقتها .
٤	٧٦/٧/١٩	شكوى	شكوى أهالي بني سويف من عدم وصول الارسال التليفزيوني إليهم ، لا على القناة الأولى ولا الثانية
٥	٧٦/٧/١٩	شكوى	شكوى من سوء حال رغيف الخبز في بعض مخابز مصر الجديدة والهرم .
٦	٧٦/٧/١٩	رأى	رأى حول ضرورة اهتمام اذاعة القرآن الكريم بالخدمات الإذاعية الأخرى كالدراما الإسلامية
١	٧٦/٧/٢٧	رأى	رأى حول تصدع أرضية نفق كوبرى الجيزة .
٢	٧٢/٧/٢٧	تعليق على ما نشر	تعليق حول ما نشره محافظ الجيزة بأنه يتحدى أى شخص لا تصله المياه .
١	٧٦/٨/٤	رأى	رأى حول أن مجلس الشعب في دورته الحالية قد أدى واجبه وأشاع الديمقراطية في أوسع معانيها وإشارة إلى دور الناخبين في انتخابات مجلس الشعب الجديدة ومدى وعيهم وإدراكهم لاختيار العضو الكفء الصالح .
٢	٧٦/٨/٤	رأى	رأى حول انتشار المتسولين في المواصلات والطرقات
٣	٧٦/٨/٤	شكوى	شكوى من سوء حال الطريق بين دفنو وأطسا فيوم الذى تم رصفه منذ حوالى عام ونصف .

رقم التحليل	التاريخ	نمط التحرير	الرسالة
٤	٧٦/٨/٤	رأى	رأى يطالب وزارة الخارجية بتغيير الشعار الموجود على واجهة مبناها ، والذى يحمل اسم الجمهورية العربية المتحدة .
١	٧٦/٨/١٢	رأى	رأى عن اضاءة شوارع محافظة الجيزة أثناء النهار
٢	٧٦/٨/١٢	شكوى	شكوى من عدم تنفيذ قرارات رفع الحد الأدنى للمعاش وجواز خروج العامل بعد عشر سنوات خدمة للمعاش .
٣	٧٦/٨/١٢	شكوى	شكوى من الإهمال والفوضى فى ميدان التحرير
١	٧٦/٨/٢٠	ردود ومتابعة	رد من رئاسة مجلس الوزراء أن ممدوح سالم * اهتم فوراً بما نشر عن المواطنة التى صدمتها سيارة نقل وأن الدولة ستتحمل نفقات علاجها .
٢	٧٦/٨/٢٠	شكوى	شكوى والدة شهيد تطلب تسوية معاش ابنها المهندس الشهيد .
٣	٧٦/٨/٢٠	رأى	رأى يطالب برجم الشباب الملحدين مراعاة لظروفهم ودوافعهم .
١	٧٦/٨/٢٨	رأى	رأى من طبيب يطالب ألا يدخل علماء الدين انتخابات مجلس الشعب وأن يتفرغوا لرسالتهم .
٢	٧٦/٨/٢٨	ردود ومتابعة	رد من رئيس مجلس ادارة شركة مصر للكبريت يعلق على ما سبق نشره بالباب ويذكر بأن الإنتاج طرح أخيراً بكميات وفيرة :

* السيد / ممدوح سالم هو أحد رؤساء الوزارة السابقين فى مصر فى السبعينات :

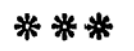
رقم التحليل	التاريخ	نمط التحرير	الرسالة
١	٧٦/٩/٥	رأى	رأى من مدرس ثانوى يقترح إيقاف دورى كرة القدم خلال شهر رمضان لأنه شهر العبادة كما أن عدداً كبيراً من لاعبى الكرة يفطرون نهار رمضان بحجة الاشتراك فى المباريات .
٢	٧٦/٩/٥	شكوى	شكوى من الحفر المستمر فى الشوارع .
٣	٧٦/٩/٥	رأى	طبيب يطالب بعودة المعدية التى تربط مدينة القنطرة شرقها بغربها .
٤	٧٦/٩/٥	شكوى	شكوى من نقص عربات الأتوبيس فى القاهرة .
٥	٧٦/٩/٥	رأى	رأى يطالب بعدم إذاعة الأفلام العاطفية فى التليفزيون فى شهر رمضان .
١	٧٦/٩/١٣	تعليق على ما نشر	تعليق على ما نشر عن بيع مجوهرات أسرة محمد على فى مزاد عالمى .
٢	٧٦/٩/١٣	شكوى	شكوى مواطن عن جريمة اختلاس بالهيئة التى يعمل بها .
٣	٧٦/٩/١٣	رأى	رأى يقترح على محافظ الاسكندرية الضرب بيد من حديد على الذين يشوهون واجهات المنازل .
١	٧٦/٩/٢١	رأى	رأى حول التسول فى الشوارع والمقاهى والمتاجر.
٢	٧٦/٩/٢١	تعليق على ما نشر	تعليق على ما نشر عن التقارير السرية المجحفة .
٣	٧٦/٩/٢١	رد من مسئول	رد من مسئول على شكوى من عدم توافر المبيدات من شركة المبيدات ويذكر أن المبيدات متوفرة فى الأسواق

رقم التحليل	التاريخ	نمط التحرير	الرسالة
٤	٧٦/٩/٢١	رأى	رأى يطالب الإذاعة بإذاعة ابتهالات النقشبندى مع اقتراب شهر رمضان .
١	٧٦/٩/٢٩	رأى	رأى حول اهتمام الصحف ببطولة لاعب من نادى الزمالك لتمثيلية تليفزيونية .
٢	٧٦/٩/٢٩	شكوى	شكوى المدرسين العائدين من العمل بالخارج من حرمانهم من الترقى لوظائف أعلى .
٣	٧٦/٩/٢٩	رأى	رأى من مواطن حول التسول .
٤	٧٦/٩/٢٩	شكوى	شكوى ولى أمر طالب كفيف حصل على ٦٨٪ ولم يقبل بالإعدادى .
٥	٧٦/٩/٢٩	رأى	رأى يطالب بالاهتمام بالأزهر الشريف .
٦	٧٦/٩/٢٩	رأى	رأى من طالب ينتقد نظام الامتحانات بالجامعات وأنه نظام غير عادل .
١	٧٦/١٠/٧	تعليق على ما نشر	تعليق على ما نشر بالأهرام حول إلغاء التقارير السرية* .
٢	٧٦/١٠/٧	شكوى	شكوى من رفع تعريفة السفر فى أتوبيس المنصورة
٣	٧٦/١٠/٧	رأى	رأى يطالب بتشجير كل مصر .
١	٧٦/١٠/١٥	رأى	رأى من مواطن بمنع صرف المهدئات إلا بناء على تذكرة طبية ومن يخالف ذلك تفرض عليه غرامة أو تغلق الصيدلية .

* التقارير السرية ، هى إحدى صور قياس كفاءة العاملين فى الحكومة والقطاع العام بجمهورية مصر العربية .

رقم التحليل	التاريخ	نمط التحرير	الرسالة
٢	٧٦/١٠/١٥	تعليق على ما نشر	تعليق على ما نشر من رأى للدكتور عثمان سرور أستاذ جراحة الأعصاب يناشد فيه المسئولين إعادة بناء مستشفى القصر العينى القديم بعد أن أخلى خوفاً من تداعيه على المرضى والعاملين به .
١	٧٦/١٠/٢٣	تعليق على ما نشر	تعليق على ما نشر بالأهرام عن أنه سيتم عمل كادر وظيفى جديد يطلق علاوات الموظفين ويؤدى إلى عدم تجميد المرتبات .
٢	٧٦/١٠/٢٣	رأى	رأى يقترح إجراء دراسات تتعلق برفع بعض المعاناة عن العاملين فى الدولة على أساس صرف المرتب وفقاً لشهور السنة الهجرية وبالتالى يستفيدون من ١١ يوماً زيادة .
٣	٧٦/١٠/٢٣	شكوى	شكوى خريجى المعهد العالى التجارى فى المنصورة من عدم فتح باب القبول لعمل معادلة لبكالوريوس المعهد العالى التجارى ببكالوريوس كلية التجارة .
٤	٧٦/١٠/٢٣	رأى	رأى يطالب بتصفية النفوس من الكراهية والحقد بين المرشحين وأتباعهم من آثار المعركة الانتخابية.
٥	٧٦/١٠/٢٣	شكوى	شكوى طالبة بالثانوية العامة من عدم تسلم كتب التاريخ والفلسفة والمنطق والقراءة والنحو والمستوى الخاص حتى الآن .

رقم التحليل	التاريخ	نمط التحرير	الرسالة
٦	٧٦/١٠/٢٣	رأى	رأى يقترح على أكاديمية الفنون أن تمنح كل عام جائزة جدارة لكل موظف وكادح وصاحب معاش لأنهم استطاعوا مواجهة غلاء المعيشة .
٧	٧٦/١٠/٢٣	تعليق على ما نشر	تعليق على ما نشر بالباب حول تشويه مرشحى الانتخابات للحوائط باليفط والدعايات الانتخابية.
٨	٧٦/١٠/٢٣	رأى	رأى حول عدم قيام وزارة الصحة وجهاز تنظيم الأسرة بواجبهما فى توفير وسائل منع الحمل وارتفاع أسعارها .
١	٧٦/١٠/٣١	رأى	رأى يطالب بإذاعة أغانى أم كلثوم العاطفية والوطنية .
٢	٧٦/١٠/٣١	رأى	رأى حول نظام الحكم المحلى والاتجاه نحو اللامركزية .



ملحـــق رقم (٣)

نماذج لجداول الاعداد العشوائية

نموذج جدول (١) للأعداد العشوائية

٦٠٥٩	٦٢٥٨	٧٧٦٣	٤٢٧٣	٧٣٤٦	٥٣٢٩	١٧٤٦	٨١٧١	٥٧٠٤	١٦١٦
٠٥٥٠	٠٤٨١	٨٥٧٠	٤٢٧١	٨٠٣٨	٦٣٩٠	٦١٠٨	٧٧٣٣	٨٩٥٢	٩٨٦٣
٩١٢٩	٨٩٩٧	٢٥١٩	٢٤٢٣	٥٨٢٩	٩٢٧٥	٥١٩٦	٠٢٥٤	٠٩٣٥	٠١٠٣
٨٣٥٩	٥٥٠٦	٢٤٣٨	٠٦٩١	١٧١١	٨٩٣٤	٥٢٩٦	٤٩٢٢	١٦٣٤	٢٩٠٧
٤٨٥٣	٨٤٥٨	٤٠٣٧	٣٧٢٣	٨٣٦٥	١١٣٨	٢٤٦٤	٧٠٩٩	٨٠٥٤	٧٢٦١
٠٨٨٦	٦٠٣٨	٤٠١٣	٢٦٣٤	٥٢٢٩	٩٨٥٤	٠٠٤٥	٧٩٣٧	٤١٨٢	٧١١١
٧٥٩٤	٣٩٩٥	٣٢٠٦	٧٨٥٧	٩٠٦٣	٦١٩٠	١١١٨	٧٦٨٢	٦٦١٨	٦١٠٥
٤٨٢٧	٥١٠٥	٤٢٤٨	٥٧٥٨	٢٦٩١	٣٣١٦	٩٧٥٣	٠٠٤٩	٤٢٣٤	٨١٨٩
٧٢٨١	٨٠٩٨	٣٧٩٧	٥٨٨١	٠٦٩٦	٥٤١١	٢٦٩٦	٢٢١٦	٩٠٨٤	١٠٢٤
٢٠٩٧	٧٧٣٦	٢٤٨٧	٢٣٥٨	٥٦٥٧	١٩٥٤	٥٨٣٩	٠١٣٢	٣٣٤٣	٤٣٨
٤٢٨٣	٨٤٤٤	٦٩٢٤	٩١٠٨	٥٩٠٣	١٣٤٥	٢٨٢٢	٨٧٠٤	١٧٨٩	٣٥٤١
٩٦٦٠	٤٩٣٨	٣١٨٥	١١٦٤	٠٥٦١	٧٥١٩	٧٧٦٤	٩٨٧٣	٣٦٨٧	٠٧٨٩
٩٠٩٥	٨٣٥٩	٠٧٤٠	٢٦١٩	١١٩٠	٢٥٦٩	٩٥٤٧	١٩٦٨	١٥٥٨	٢٧٥٩
٢٩٠٧	٤٩٠٠	٠٥٢٤	٣٩٣٥	٣٧٦٠	١٦٢٩	٨٦٨١	٢٧٣٥	٤٥٥٢	٩٥١٨
٧٢٩٠	٧٤٠١	١٢٦٧	٣١٠٤	٧٠٥٠	٠٥١٠	٣٦٥٨	٨١٨٤	٧٢٧٢	١٢٩٥
٣٥٢٣	٠٦٦٨	٥٢٥٠	٣٩٥٥	٩٢١٨	٢٨٨٩	٦٤٨٧	٨٠٠٠	٨٤٥٣	٩٧٩٧
٨٦٣٣	٩٥٧٣	٨٠٩٢	٣٦٤٩	٥٤٥٠	٤١٢١	٠٦٦٢	١٣٩	٣٥٠٥	٢١٣٧
٠٢٨٢	٩٦٣٣	١٦٤٦	١٥٥١	٦٠٣١	٥٥٢٧	٨٤١٤	٧١٥٨	٩٤٧١	٤٨٣٥
٤٤٤٦	٣٤٩٦	٣٢٦٨	٤٨٢٢	٤٠١٧	٤٣٢٥	٣٣٣١	٢٦٢٦	٥١٣٤	٩٩٠٠
٠٨٧٧	٠٧١٩	٩٤٤٦	١٧٥١	٠٣٧٣	٩٩٨٩	٢٨٤٤	١٦٨٧	٥٦١٦	٥٦٠٩
٦١٥٩	٣٧٠٨	٠٨٤٦	٥٦٧٦	٢٩٤٨	٣٢٨٧	٧٠٧٩	٠٣٨٠	٩٦٨١	٧٩٦٨
٦٧٧٠	١٨٠١	٦٧١٩	٢٩٤٩	٥٨٦٧	٠٨٥٦	٢٧٢٤	٢٠٧٠	٤٦٣١	٠٤٣٢
١٣٠٩	٠٨٧٩	١٨٧٨	٠٠٣٢	٨٦٧٤	٧٨٥٥	٥٥٧٢	٥٨٥٤	٧٦٠٧	٥٣٧٣
٨٩٤٠	٢٦٣٩	٧٤٥٨	٥٩٥٥	٨٧١١	٧٤٠٦	٤٩٤٦	٣١٩٤	٨٦٦٦	٦٦٩٧
٨٤٩٥	٦٦٤٢	٩٠٧٤	١٣٧١	٠٠٧١	٢٤٤١	٦٧٦٢	٣٨٩٢	٣٩٢٦	٣٠٢٩

تابع نموذج (١) للاعداد العشوائية

٣٦٠٣	٥٣١٨	٦١٣٣	١٣٦٦	٤٩٢٢	٥٦٦٧	٤٩٧٨	٨٠٢٧	٠١٩٨	٠٩٦٨
٩٧٦١	٣٥١٧	٤٤٥٩	٦٨٨٨	٧٩٣٧	٣٢٣٣	٢٠٤٢	٨١٣٨	٩٢٣٢	٦١٧٣
٩٦٧٩	٥٩٨٩	٥٧٨٧	٤٨٨٩	٠٨٢٥	١٦٥٤	٥٢٠٤	٥٣٤٢	٣٧٣٣	٨٢٣٥
٧٤٦٧	٤٥٢٩	٥٢٦٦	٦٧٩٧	٣٨٤٣	٥٧٩١	٦٦٥٨	٥٥١٩	٧٧٧٢	٣٩٢٠
٦٥٨٩	٢٥٢٠	٣٧٣٣	٣٥٤٤	٢٠٤٩	٩٤٥٢	٣٧٤٠	٨٢٣٨	٧١٠٥	٥١٩٠
٤٢٠٣	٨٩٦٦	٦٣٣٠	٥٣٥١	٨٨٤٥	٧٧٧٠	٢٩٥	١٧٢٥	٥٣٧٩	٩٧٤٩
٣٣٣١	٩٣١٣	٧٥٣٦	٦٨٥٨	٨٦٧٤	٥٦٨٩	٢٩٧١	٢٥٨٢	٩١٣٨	٧٣١٨
٦١١٧	٢٨٠٥	٥٢٨٨	٥٤٧٠	٦٢٢٥	٦٧٩٢	٠١١٧	٢٥٨٩	٣٤٩٧	١٧٧٩
٢٦١٨	٢١٣٥	٧٠٣٥	٧٠٠٦	٤٩٠٥	٩٥٠٧	٥٩٥٦	١٧٦٧	٢٦٨٦	٩٧٣٧
٠١٥١	٠٤٤٠	٣٣٣٩	٦٧٠٢	٧٠٣٤	٠٩٤٩	٦٥٨٧	٠٧٤٠	٦٣٠٠	٥٦٠٦
٠٢٧٤	٨٧٤١	٩٨٣١	٤٤١٤	٢٦٨٠	٣٨١١	١٠٠٥	٥٠٧٤	٣٩٢٤	٤٣٨٣
٩٥٥٢	٤٦٩٠	٨١٩٦	٠٢٢٨	٠٥٥٣	٤٧١٣	٠٢٢٨	٠٨٥٩	٩١٢٧	٦٣١٩
٦٢١٠	٢٦٣٧	٧٣٥٤	٥٠٤٥	٦٤٨٧	٨٢٤٧	٧٦٥٧	٩٨٩٧	٦٠٤١	٢٣٨٧
٨٥٤٠	٧٨٧٦	٣٢٩٨	٩٨٩٩	٧٢١٩	٠٣٢٨	٨٧٦٧	٣٦٠٣	٤٧٣٤	٠٧٠٤
٨٢١٩	٣٢٦٩	٣٠٢١	٤٣٤٣	٢٩٠٩	٠٦٨١	٧٣٥٠	٠٩٨٩	٦٧٦٢	٩٨٦١
٥٢٩٩	٤٥٩٣	٦٨١٨	٤٢١٢	٠١٦٦	٠٠٩٠	٢٠٥٥	٤٢١٨	٥٠٢١	٣٦٨٦
٩٥٣٧	٩٤٨٨	١٠٨٣	٩٨٢٦	٦٩٩٩	٠٩٢٩	٧٩٦٣	٠٩٠٩	٩٢٩٥	٧٠٦٤
٨١٦٤	٦٩٤٧	٣٥٣١	٦٧٦٩	٤٤٧٥	٧١٧٩	٣٨٠١	٣١٨٦	٩١٦١	٤١٧١
٩٢٦٥	٠٠٧٨	٧٧٣٩	٧٣٤١	٢١٢٨	٢٧٣٢	٢٩٠٧	٨٨٥٠	٣٢٣٦	٢٣٤٨
٠٨٩١	٣٧٤٥	٦٣٢٩	٨١٢٠	٥٦١٦	٠٠٨٦	٨٧٠٣	٠٠٢٨	٩٩٨١	١٣٣٢
٢٧٢٠	٩٠٠٩	٤٧٩٢	٨١٦٠	٩٦٣٢	٧٢٥٣	٣٩٧١	٠٢٤٥	١٦٥٩	٣٤٥١
٨٨١٤	٥٢٦١	٠٩٦٠	٠٧٩٧	٦٥٥٥	٩٩١٢	٦٠٧١	٢٣١٢	٣٦١٣	٢٠٢٣
٨٨٣٤	٩٩٩٣	١٢٦٦	٩٩٣٧	٩٤٨١	٥٤٩٦	١٦٧٠	٥٨١٠	١٠٣٣	٧٦٦٨
٥٤٢٦	٧١٣٨	٧٥٢٥	٥٩١٩	٩٢٥٠	٦٧٥٥	٨٥٠٧	٠٠٣٠	١٠٩٨	٨٠٨٢
١٥٦٧	٧٨٢	٨٨٦٤	٢٦٧٦	٣٧٨٣	٥٧٢٨	٥٢٥١	٤٩١٩	٤١٧٣	٤٢٣٥

تابع نموذج (١) للاعداد العشوائية .

٥٢١٤	٤٩٠٢	١٩٣١	٢٨١٥	٥١٠١	١٩٠٩	٩٧٩٤	٥٢٤٣	٢٢٢١	١٧٦٦
٨٩٥٦	٣١٤١	٣٧٨٧	٢٨١٦	٦٢٤٨	٠١٨٤	٤٦٠٦	٠٤٣٩	٩٤٠٠	٧٦٢١
٦٥٩٤	٠٥٩٣	٠٦٦٨	٣١٧٢	٧٣١٧	٦٥٣٤	٠٠٦٥	٧٥٧٨	٢٣٩٧	١٣٠٤
١٣٠٨	١٥٧٥	٠٢٨٣	٤٨٢٦	٥٣٧٧	٦٢٩٦	٥٦٥٢	٢٨٢٦	١٢١٥	٧٥٥٣
٠٣١٨	٣٣٥٧	١٦٧١	٦٠٢٧	١٥١٨	٣٩٣٢	٣٧٠١	٠٥٨٦	٢٥١٤	٣٥٤١

١٠٠٤	٠٠٩٥	٨٥٠٤	٣٢٨٠	١٩٠١	٨٥٠٣	٢٩٢٩	٨٠٠٤	٢١٥٢	١٤٧٦
٢٣٩٤	٩٧٢٨	٦٠٤٣	٤٢٢٥	٢٦٤٨	٤٨١٣	٣٤٦٨	٣٩٢٢	٧٤٨٥	٠٢٢٥
٣٥٦٣	٤٢٩٠	٩٠٧٤	٢٣١٧	٤٨١٧	٨٣٣٦	٧٦٢٢	٠٠٨٩	٦١٥٥	١٣١٧
٤٢٨٦	٠٣٣٦	٤٥٣٣	٦٠٧٧	٧٢٩٢	١٠٧٦	٢٢٥٥	١١٠٠	٣٧٦٠	٤٧٧٣
٦٧٢٦	٩٢٨٧	٠٩٩٦	٨٥٣٧	٨٢٦١	٣٩٠١	٧٠٠٥	١٢٦٦	١٧٣٩	٩٩٣٤

٨٥٦٦	٨٣٢٠	١٧٣١	١٠٢٠	٧٩٩١	٩٧١٨	١٢٧٣	٤٤٥٤	٧٣٢٩	١٢٦٧
٦٠٨٨	٦٥٨٨	٥١٧٠	٨٦١٣	٨٤٥٣	١٤٢٩	٤٣٠٣	١١٢٧	٨٩٥٧	٠٦٣٤
٦٤٦٥	٩٤٤٨	٦٤٩١	٩٣٥٨	٢٦٤٤	٠٦٥٥	٦٤٨٧	١٧٨٦	٨٤٧٧	٢٩١٥
٤٧٧٩	٦٧١٥	٧٤٤٥	٣١٩٩	٧٠٩٥	٩٨٠٣	٤١٢١	٩١٥١	٩٧٩٣	٤٩٥٦
٩٦٨٩	٢٠٢٥	٥٨٣٩	٠٥٩٥	٦٠٦٦	٧٠٠٧	٧٠٩٦	٥٨٧٥	٦٠٢٨	٥٠٧٧

٥٠٨٠	٧٨٦٥	٥٦٣٤	٢٦٤٣	٣٣٤٤	٥١٠٦	٣١٠٨	٣٣١٢	٣٢٤٨	٠٠٣١
٨٣٣١	٥٤٩٤	٨٩٢٢	٢٢٠٣	٦٣٣٥	٠٧٨١	٩٢٦٩	٥٥٩٨	٤٥٥٧	٠٠٦٧
٣٤١٠	٩٥٤٠	٧٦٧١	٣٦١٣	٤٣٥٧	٠٢٢٧	٣٤٥٠	١٥٤٥	٤٨٣٤	٢٤٠٠
٦٤٥٦	٥٤٢٩	٢٤٥٨	٦٢٨٥	٥١٣٢	٣٨٧٣	٦٨٣	٦٤١٦	٦٠٢٧	٧٧٥٢
٤٠٤٥	١٩٠١	١٦٩٤	٢٦٢٩	١٣٥٣	٨١٢٦	٥١٢٤	١٠٠٠	٩٣٩٣	٣٦٢٩

٣٦٥٠	٦٢٧٥	٦٩٩٩	٩١٦٩	٧٠١٢	١٧٧٨	٣٢٦١	٤٩٧٨	٠٣٩٦	٩٠٨٢
٨٣٣٦	٧٠٣٢	٥٠٥٥	٧٦١٧	٢٥٠٥	٤٣٢٥	٨٦٤٧	٦٧٢٧	٢١١٩	٢١١٢
٩٠٧٣	٨٦٧٥	٣٩٤٤	٣٠٥٩	٠٠٦٥	١٣٩٣	٤٥٨٥	٦٦٥٣	٩٠٣٨	٧٧٥٨
٤٤٢١	٠٥٢٤	٨٨٩٥	١٠٤٨	٠١٧٢	٤١٤٢	١٢٧٠	٨٣٧٨	٥١٩٧	٩٢٣٧
٢٦١٨	٠٨٤٧	٧٢٧١	٦٧٧٠	٢٦٤٧	٠٧٩٥	٤٩٣٢	١٣٠٢	٤٨٤٤	٢٨٩٣

***

نموذج (ب) للاعداد العشوائية

٧٠ ٢١ ٩٠ ٠١ ٩٠	٥١ ٧٤ ٩٦ ٤٧ ٦٧	٣٠ ٨٠ ٨٥ ٢٦ ٢٨	٤٥ ٠٩ ٧٣ ٢٧ ٨١
٦٣ ٣٨ ٠٢ ٤٦ ٩٣	٨٦ ٢٠ ٠٨ ١٢ ٨٠	٦٣ ٩٥ ٠٣ ١٦ ٠٤	٨٣ ٩٥ ٢٤ ١٥ ٠٧
١٩ ٣٩ ٤٥ ٤٤ ٣٧	١٢ ٣٦ ٣٥ ٦٧ ٦٦	٣٨ ٩٩ ٥٨ ٤٩ ٦٦	٨٣ ٩٨ ٢٢ ٠٣ ٣٢
٢٥ ٨٢ ٢٥ ٦٢ ٩٤	٩٧ ٤٦ ٣٧ ٠٨ ٤٢	٤٣ ٧٧ ٨٦ ٦٠ ٢٧	٠٨ ٤٤ ٣٢ ٩٠ ٠٦
٢٩ ٨٤ ٦٦ ٢٦ ٠٦	١١ ١٤ ٠٣ ٢٧ ٩٥	٠٧ ٧٨ ٤٧ ٨٥ ٧٥	٧٥ ٩٦ ٦١ ٢٥ ٩٤
٨٣ ٥٠ ٣٢ ٩٣ ٠٢	٠٠ ٩٠ ٣٧ ٦٥ ٥٧	٩١ ٥٦ ٤٠ ٧١ ٣٩	٠٨ ٨٢ ٩٣ ١٠ ٩٢
٤١ ٤١ ٧٢ ٠٣ ٦٩	٠٨ ٠٦ ٤٢ ٩١ ٢٠	٣٨ ٩٦ ٨٩ ٦٧ ٣٨	٣٨ ٢٠ ٤١ ٦٨ ٠٨
٥٨ ٢٩ ١٤ ٥٤ ١٩	٠٦ ٩١ ٤٩ ٦٢ ٧٤	٣٨ ٥٥ ٣٥ ٩٣ ٩٧	٣٢ ٦٣ ٤٨ ٨٦ ٣١
٣٦ ٢١ ٨٨ ١٤ ٢٦	١٤ ٥٨ ٥٢ ٤٣ ٢٤	٤٧ ١٧ ٢٢ ٨٧ ٨٦	٤٢ ٠٥ ٨٠ ٣٨ ٠٩
٦٦ ٩٢ ١٧ ٧٤ ٣٤	٥٧ ٤٤ ٩٤ ٦٠ ١٣	٣٨ ٩٥ ٥٧ ٨٩ ٧٥	٧٦ ٧٠ ٤٠ ٤٨ ٤٠
١٥ ٤٨ ٥٦ ٣٣ ٨٣	٣٩ ٠٤ ٢٦ ٠٢ ٨٥	٥٧ ٢٨ ٢٩ ٢١ ٨٠	٩٠ ٠٠ ٤٣ ٨٥ ٣٩
٨١ ٨٣ ٣١ ٥٩ ٠٨	٣٦ ١٣ ٢٨ ٧٤ ٠٠	١١ ٨٧ ٣٢ ٤٥ ٥٣	٨١ ٧٨ ٤٩ ٩٨ ٣٤
٣٤ ٧٩ ٣٥ ٠٦ ٧٩	٠٣ ٨٢ ٤٣ ٠٠ ٣٢	٨٩ ٥٣ ٨٠ ٩٥ ٨٢	١٥ ٩٤ ٦٩ ٣٧ ٦٩
٧٤ ١٢ ٩٤ ٤٤ ٤٦	٦٨ ٣٠ ٥٧ ١١ ٠٧	٨١ ٥٧ ٠٢ ٦١ ٦٤	٠١ ٩٦ ٠٥ ٨٩ ٩٩
٨٧ ٠٧ ٨٠ ٣٥ ٥٢	٨٥ ٢٣ ٢٩ ٨١ ٤٩	٧٨ ٠٦ ٣٥ ٢٠ ٠٥	٩١ ٢٢ ٤٩ ٦٧ ٩٤
٦٥ ٥٧ ٠٧ ٨٥ ٦٦	٠١ ١٠ ٦٠ ٩٩ ٠٥	١١ ١٦ ٥٤ ٠٢ ٠٨	١٧ ٨٠ ٤٧ ٧٥ ٠٩
٤٦ ٥٤ ٠٠ ٤٠ ٠٥	٢٧ ٤٤ ٨٦ ٥٩ ٧٨	٩٦ ٥٦ ٦٦ ٢٠ ١٠	٢٢ ٢٨ ٥٩ ٤٣ ٢٣
٤٦ ٩٤ ٦٦ ٩٦ ٥٧	٤٤ ٣١ ٥٨ ١٤ ٧٧	١٩ ٤٩ ٤٦ ٩٥ ١٨	٧٦ ٩٧ ٩٤ ٣٩ ٩٣
٢٥ ٣٠ ٦٥ ٢٨ ١٦	٥١ ٧٦ ٤٤ ٧٢ ٧٢	١٨ ٤١ ٤٣ ٥٨ ٤٠	٩٨ ٨١ ٤٩ ٢١ ٩٧
٠٦ ٧٩ ٥٦ ٥٢ ٥١	٥٢ ٣٢ ٤٠ ٠٦ ٢٦	٥٤ ٢٣ ٥٤ ٣٦ ٥٥	٩٤ ١٨ ٣١ ٦١ ١٢
٣٣ ٩٧ ٤٣ ٢١ ٤٤	٠٦ ٦٦ ٩٤ ١٥ ٤١	٧٩ ٤٩ ٥٥ ٨١ ٩٨	٨٩ ٦٣ ٩٠ ٣٧ ٤١
٦٠ ٠٩ ٤٨ ٧٧ ٨٦	٠٧ ١٨ ٦٤ ٨٠ ٩٣	٢٣ ٠٢ ٦٢ ٩١ ٣٥	٦٤ ٢٨ ٦٩ ٥٤ ٧٣
٤٩ ٤١ ٩٥ ٩٠ ١٥	٨٩ ٩٤ ٧٩ ٨٤ ٥١	٤٣ ٩٧ ٠١ ٥٢ ٨٢	٢٨ ١٠ ٧٦ ٤٢ ٢٩
٦٧ ٣١ ٠٤ ٨٤ ٣٣	٦٤ ٧٢ ٩١ ٢٥ ٨٢	٣٦ ٧١ ٣٤ ٦٧ ٣٩	٢٣ ٦٧ ٣٢ ٠٥ ٦٣
٤٢ ٩٣ ٧٦ ٢٥ ٠٧	٢٤ ٢٤ ٢٦ ٢٧ ٠٣	١٢ ٤٠ ٠٧ ٦٦ ٤٦	٤١ ٠٨ ٣٢ ٦٠ ٠٤

تابع نموذج (ب) للاعداد العشوائية

٥٤ ١٩ ٢٩ ٩١ ٧٢	٧٣ ٦٥ ٢٠ ٨٨ ٣٦	١٠ ٥١ ١٩ ٧٦ ٤٢	٩٧ ٨٢ ١٠ ٥٠ ٨٤
١٧ ٩١ ٠٣ ٥٠ ٤٢	٤٩ ٨٣ ١٢ ١٨ ٣٣	٦٤ ٩٤ ٤٣ ١٨ ٥٦	٥٨ ٩٢ ٩٥ ٢٢ ٣١
٣٥ ٧٩ ٩٧ ٩٤ ٩٣	٢٧ ١٧ ٧٥ ٠٧ ٣٤	٠٠ ٩٤ ٥٩ ٧٢ ٥٨	٩٧ ٦٨ ٦٤ ٥١ ٨٩
٠٠ ٦٧ ٢٦ ٣١ ٩٦	٧١ ٥٦ ٤٤ ٩٧ ٣٧	٥٦ ٤٣ ٤٦ ٤٣ ٨٠	٢٦ ٩٠ ٣٣ ٧٨ ٠٤
٢٤ ١١ ٠٣ ٠٤ ٧٢	٧٥ ٢٧ ١١ ٧٨ ٢٦	٣٨ ٤٦ ١٤ ٣٩ ٦٦	٤٠ ٣٥ ٥٣ ٠٧ ٠٥

٢٨ ٦٨ ١٥ ٥٢ ٤٣	١٦ ٢٩ ٦٦ ٨٨ ٤٢	٠٥ ٧٧ ١٧ ٤٦ ٣٦	٥٥ ٠٠ ٥١ ٨١ ٢٤
١٤ ٩٦ ٦٧ ٦٢ ٣٧	٨٩ ٤٠ ٠٦ ٣٢ ٥١	٥٤ ٥٣ ٧٧ ٢٠ ٧١	٣٧ ٣٨ ٠١ ١٢ ٣٦
٩١ ١٠ ٦٠ ٧٣ ٨١	٥٩ ٦٦ ٦٦ ٥٤ ٨٠	٠٧ ٤٩ ٩٨ ١٨ ٦٨	٢٢ ٤٧ ٦٠ ٥١ ٩٣
٩٣ ٦٢ ٥٢ ٦٥ ٨٠	٩٢ ٠٩ ٦٥ ٦٩ ٩٧	٢٨ ٦٥ ٩١ ١٦ ٨٦	٦٨ ١٩ ١٣ ٥٠ ٤٢
٣١ ٥١ ٥٤ ٢٤ ٥٨	٤٩ ٠٢ ٠١ ١٨ ٧٧	٠٠ ٨١ ١٣ ٩٨ ٣٦	٣٣ ٠٩ ٧٩ ٣٨ ٨٧

٦٥ ٧٠ ١١ ٩١ ٦٧	٥٨ ١٩ ٤٧ ٠٩ ٣٦	٠٨ ٤٨ ٥٥ ٧٦ ٥٣	٧٤ ٦٤ ١٢ ٠٨ ٤٧
٦٧ ٧٥ ٥٨ ٠٦ ٠٣	٩١ ٥٦ ٨٦ ٩٨ ٨٥	٧٩ ٨٥ ٤٩ ٧٨ ١٧	٠٤ ٠٧ ٣٨ ٨٨ ٤٩
١٧ ٩٩ ٧٨ ٩٨ ٠٤	٨٣ ٨٥ ٦٦ ١٠ ٩٥	٩٩ ٦٩ ٩٦ ٠٦ ٩٥	٥٦ ٠٣ ٧٩ ٢٦ ٦٠
٧٠ ٥٥ ٢٦ ٠٢ ٣٤	٣٧ ٦١ ١٣ ٣٩ ٧٩	١٦ ٠٧ ٤٥ ٠١ ٩٣	٤٢ ٠٠ ٥٨ ٨٨ ٣٨
٠٣ ٨٨ ٥٩ ٧١ ٣٨	٢٧ ١٥ ٦٨ ٩٦ ٨٣	٤٠ ٥٨ ٩٨ ٧٩ ٣٧	١٩ ٨٦ ٢٢ ١٥ ٤٩

٣٩ ١٠ ٠٣ ٦٨ ١٧	٧١ ١٢ ٣٥ ١٩ ٤٦	٣٨ ٣٠ ٠٣ ٤٩ ٦٤	٤٩ ٥١ ١٥ ٦٠ ٤٤
٩٧ ٦٥ ٧٩ ٧٢ ٨٣	٧٥ ١٩ ٤٩ ١٠ ٨٤	٠٩ ٦٥ ٦٤ ٢٠ ٦٩	٥٦ ٦٤ ٠١ ٣٧ ٥٧
٠٢ ٥٩ ٨٦ ٠٠ ٣٧	٩١ ١٠ ٢٠ ٨٦ ٦٥	٦٤ ١١ ٧٥ ٦١ ١٩	١١ ٩١ ٨٤ ٧٢ ٤٤
٤٠ ٢٩ ٩٣ ٤٢ ٨٣	٦٥ ٣٧ ٤٤ ٠٤ ٠٠	٣١ ١٠ ٣٣ ٢٤ ٣٠	٣٦ ٠٤ ٩٩ ٦٨ ٣٦
٥٩ ٩٧ ٤٥ ١٣ ٨٥	٠١ ٣٩ ٤٨ ٤٧ ٥٩	٥٠ ١٧ ٢٥ ٠٩ ٥٨	٧٢ ١٤ ٤٤ ٦٦ ٥١

١٤ ١٧ ٤٨ ٩٥ ٥٨	٩٧ ٧٦ ٦٤ ٤٧ ١٧	٧٦ ١٧ ٩٥ ٩٨ ٨٣	٦٢ ٧١ ٢٥ ٩٨ ٩٢
٣١ ٥٥ ٤٧ ٠٤ ٠٧	٢٤ ٧٨ ٤٤ ٤٧ ٣٢	٦٥ ٦٦ ١٦ ٢٩ ٤٤	٩٣ ١٦ ١٠ ١٧ ٣٠
٢٢ ٩٥ ٥٠ ٨٣ ٩٧	٥٥ ٧٦ ٤١ ٩٣ ٧٣	٨٦ ١٥ ٤١ ٨٨ ٥٩	٣٧ ٧٥ ٨٧ ٦٦ ٧٥
٥١ ٨٦ ٠٦ ٥٦ ٩٧	٩١ ٠٣ ٥٢ ٦٨ ٠٣	٩٥ ٣٦ ١٣ ٧٤ ٩٥	٠٦ ٠٨ ٨٨ ٤١ ٧٦
٠١ ٩٦ ٥٠ ٣٠ ٤٢	٥٩ ٠٩ ٢٥ ٨٦ ٣٣	٠١ ١٢ ١٤ ٨٠ ٣١	٥٨ ٠٤ ٠٦ ٥٨ ٧٠

تابع نموذج (ب) للاعداد العشوائية

٣١ ٢٣ ٤٢ ٢٣ ٨٦	٨٣ ١٠ ٨١ ٤٠ ١١	٣٦ ٢٢ ٠٢ ٤٠ ٤٦	١٢ ٠١ ٢٧ ٦٦ ٧٦
٤٤ ٦١ ٩٦ ٣٨ ٤٨	٩٥ ٥٧ ٣١ ٧٥ ٣٦	٣٤ ٩٩ ٣٠ ٢٠ ٥٨	٩٧ ٨٤ ٥٤ ٦٦ ٥٨
٩٦ ٩٩ ٦٩ ٨٢ ٩٧	٥٢ ٩٩ ٠٢ ٠٢ ٣٩	٧١ ١٩ ٣٤ ٦٣ ٤٠	٤٤ ٥٩ ٥٥ ١٦ ٦٣
٣٥ ٨٦ ١٩ ٠٣ ٢١	٩٤ ٠٧ ٣٧ ٧٦ ٠٠	١٩ ٥٤ ١٦ ٧٩ ٤٥	٠٢ ٩٠ ٩٧ ١٧ ٠٤
٩٥ ٦٢ ٧٦ ٤١ ٤٨	٠١ ٧١ ٤٩ ٥٩ ٧٨	٤٥ ٣٩ ٣٧ ٦٦ ٨٥	٩٣ ٤٨ ٥٢ ٠٤ ٧٣
٣٢ ٢٥ ٦١ ٨٦ ٢٦	٥٠ ٧٠ ٩٤ ٠٣ ٣٢	٧٨ ٧٨ ٩٨ ٩٨ ٣١	٤٧ ٧٤ ٥٥ ٠٠ ٩١
٩٦ ٥٩ ٤٦ ١٨ ٦٨	٥١ ٥٨ ٥٧ ١٧ ٢٦	٧٩ ٨٩ ٥٧ ٤٢ ٧١	٠٦ ٢٤ ٤٦ ٦٦ ٧٠
٢٨ ٥١ ٤٥ ٥٦ ٥٥	٧٦ ٠٨ ٤٥ ٩٠ ٠٦	٦٧ ٤٤ ٩٣ ٠٩ ٣٨	٦٨ ٥٥ ٥٥ ١٧ ٠٣
٥٧ ٧٤ ٤٥ ٨٣ ٩٨	٢٢ ٨٢ ٨٠ ٢٦ ٢٥	٢٧ ٠٢ ٧٩ ١٦ ٩٠	٧٥ ٧١ ٥٧ ٧١ ٨٧
١٥ ٢٧ ٩٣ ٤٨ ٢٥	٠٠ ٥٣ ٣٦ ٥٠ ٠٩	٠٩ ٤٤ ٤٠ ١١ ٤٠	٩٣ ٠١ ١٦ ٥٤ ٦٠
٠٨ ٥٩ ٤٥ ٢٤ ٦٥	٦٣ ٣٠ ٦٠ ٣٢ ٨٨	٢١ ٧٦ ٦٩ ٦٦ ٠٣	٦٤ ٨٧ ٦٥ ٠٦ ٢٥
٥٧ ٨٦ ٧٨ ٦٢ ١٤	١٣ ٩٩ ٨٦ ٨٢ ٦٣	٦٥ ٢٨ ٣٧ ٢٦ ٩٣	٩٨ ٠٥ ٧٩ ٩٤ ٥٥
١٥ ٨٤ ٥٣ ١٣ ٣٨	٦٣ ٦٩ ٠٠ ٦٣ ٩٦	٩٠ ٧٤ ٩٥ ٤٣ ٣٩	٠٥ ٢٧ ٤٢ ٧٠ ٩٧
٠٩ ٤٤ ٨٧ ٩٨ ٦٧	٥٢ ١٨ ٣٩ ٠٥ ٢٢	٨٦ ٥٩ ٤١ ٠٧ ٤٦	١٥ ٢٣ ٢٩ ٣٥ ٠٤
٧٣ ٣٣ ٥٧ ٤٩ ٢٦	٣٥ ٩٤ ٠١ ٨٨ ١٦	٨١ ٠٦ ٦٤ ٥٣ ٢٠	٦٩ ٢٨ ٨٩ ٠٧ ٦٣
٢٦ ٤٣ ٥٨ ٧٧ ٩٦	٥١ ٢٢ ٩٩ ٧٥ ٢٤	٧٥ ٢٩ ١٠ ٦٢ ٨٢	٣٠ ١٨ ١٧ ٢١ ٤٠
٨٢ ٢٤ ٧٨ ١٠ ٥٤	٢٢ ١٩ ٠٧ ٦١ ٧١	٨٩ ٥١ ٤١ ٥٢ ٣٧	٥٦ ٨٠ ٨٦ ٣٩ ٣٧
٠٢ ٥٩ ١٠ ٠١ ٩٧	٩٦ ٥٩ ٧٤ ٥٥ ٤١	٧٣ ٢٠ ٥٤ ٤٠ ٣٥	٤٥ ٩٥ ٥٨ ٨٥ ٣٧
٣٤ ٠١ ٢٧ ٠٥ ٤٥	٦٣ ٦٦ ٦٦ ٩١ ٠١	٠٢ ٤٨ ٩٠ ٠٣ ٩١	٢٧ ٢٩ ٣٦ ٦٨ ٤٤
١١ ٠٣ ٣٠ ٤٠ ٤٤	١٨ ٠٤ ٧٦ ٥٣ ٦٢	٤٠ ٣٢ ٣٢ ١٠ ٥٩	٤٢ ٢٠ ١٠ ٧٦ ٠٠
٥٢ ١٣ ٢٤ ١٨ ٢٧	١٩ ٥٦ ٢٠ ٧٩ ٤٦	٦٠ ٠٥ ٨٠ ٩٧ ٥٠	٢٩ ٦٥ ٤٧ ٨١ ٦٤
٥٦ ٩٤ ٤٢ ٤٧ ١٣	٩٧ ١١ ٠٢ ٧٢ ٧٧	٠١ ٣٣ ٠٤ ٢٧ ٥٧	٩٦ ٨٢ ٥١ ٦١ ٢٤
٦٧ ٣٨ ٧١ ١٧ ١٣	٤٧ ٩٧ ٤٩ ٩٠ ١١	٥٩ ٣٧ ١٠ ٣٨ ٣٦	٦٥ ٤٢ ٧٩ ٩٠ ٤٢
٠٨ ٥٦ ٦٠ ٨٥ ١٢	٠٨ ٩١ ٣٤ ٥٣ ٧٩	٧٠ ٩٥ ٣٢ ٠٤ ٦٠	٤٧ ١٧ ٦١ ٠٥ ٨٢
٣٦ ٢٨ ٠٥ ٦٦ ٨٠	٥٤ ٢٦ ٧٣ ١٥ ٠٠	٠١ ١٩ ٣٣ ٧٥ ٤٦	٩٦ ١٤ ٨٣ ٥٦ ٨٧

تابع نموذج (ب) للاعداد العشوائية

٣٢ ٥٢ ٤٠ ٥٣ ٣٨	٢٢ ٩٨ ٧٢ ٥٣ ٧٠	٥٣ ١٤ ٢١ ٦١ ٣٠	٠٠ ٦٠ ٨٤ ٩٢ ٣٧
٠٨ ٩٥ ٧٥ ٩٧ ١٩	٤٨ ٧٩ ٨٤ ٦٩ ٠٦	٠١ ٤٦ ٧١ ٦١ ٠٧	٣٥ ١٢ ٧٤ ٢١ ١٥
٤٢ ١٥ ١٤ ١٤ ٤٢	٨١ ٩٤ ٩٧ ٨١ ٣٤	٦٣ ٧٧ ٥٦ ٨٠ ٢٢	٥٤ ١٥ ٧٥ ٠٢ ٠١
٤٩ ٠٢ ٥٣ ٠٢ ٠٠	٥٩ ٣٣ ٤٢ ٠٣ ١٠	٠٨ ١٢ ٦٦ ٢٥ ٩٧	١٩ ٦٢ ٤٧ ١٩ ٨٨
٧٦ ٥٦ ٩٤ ٣٧ ٣٠	٧٣ ٩٠ ٥٧ ٨٨ ٣٤	١٧ ٤٤ ٦٦ ٤٢ ١٨	٦٩ ٧٧ ١٦ ٧٢ ٧٣
٠٢ ٤٦ ٢٠ ٩٨ ٤٧	٨٧ ١٠ ٠٨ ٦٤ ١٨	٣٨ ١١ ٠٧ ١٤ ٢٦	٠٦ ٧٦ ٦٤ ٦١ ٢٧
٢٩ ٨٦ ٥٦ ٢١ ٣٧	٨١ ٩٠ ٨٩ ٦٠ ٥١	٣٣ ١٥ ٨٤ ٦٧ ٧٠	٤٠ ٠٠ ٤٢ ٢٠ ٣٥
٩٦ ٢٩ ٥٥ ٣٩ ٦٨	٦٣ ٤٠ ٠٣ ٧٧ ٤٨	١٧ ٥٢ ٩٩ ٩٥ ٨٩	٢٦ ٧٩ ٤٢ ٦٧ ٦٥
١٨ ٦٨ ١٤ ٧٥ ١٨	٢١ ٢٣ ٠٦ ٣١ ٦٧	٧٠ ٥٠ ٨٥ ٥٢ ٧٥	٥٢ ٨٣ ١٧ ٧٥ ٣٦
٩٤ ٦٥ ١٨ ٧٩ ٦٨	٢٠ ٣٠ ٥٠ ١٨ ٨٨	٠٥ ١٦ ٨٧ ٣٣ ٤٤	٥٣ ٧٨ ٢٣ ٩٣ ٦٣
٤١ ٧١ ٩٨ ٤٢ ٥٩	٦٩ ٠٤ ١٩ ٧٥ ٣٠	٨٦ ٧٨ ٦٤ ٣٦ ٥٣	٥٤ ٢٠ ٥٢ ٨٥ ٨٤
٩٩ ٠٨ ٧٦ ١٠ ١٧	٢٨ ٦٥ ٩٧ ٧٢ ٣١	٣٩ ٣٩ ٣٨ ٧١ ٠٣	٤٩ ٨٣ ٣١ ٧٩ ٣٤
٠٨ ٢١ ٦٩ ٣٩ ٣٠	٧١ ٩٢ ٨٥ ٤٧ ٤٥	١١ ٥٩ ٩٥ ٤٠ ٤٢	٤٦ ٩٤ ١٣ ١٥ ٣٧
١٦ ٦٤ ٨٩ ١٥ ٦٦	١٣ ٦٧ ٠٢ ٠٩ ٨٥	٠٢ ٣٦ ٥٤ ٥٢ ٦٢	٣٢ ٠١ ٩١ ٦٠ ٧٧
٢٣ ٠٦ ٧٩ ٨١ ٢٧	٧٥ ٣٨ ٦٠ ٠٤ ٤٦	٩٩ ١٧ ٠١ ٠٨ ٢٦	٨١ ٩٤ ٨١ ٣٨ ٠٩
٣٢ ٦٢ ٢٣ ٠١ ٠٤	٨٩ ٠٩ ٧٠ ١٦ ٠٣	٣٨ ٧٢ ٥٧ ٦٧ ٥٣	٤٧ ١١ ١٢ ١٩ ٣١
٤٥ ٨٤ ٩٢ ٥٦ ٧٩	٦٠ ١٣ ٢٣ ٩٢ ٩٦	٢٣ ٦٩ ٦٠ ٩٠ ٢٩	٥٣ ٧٤ ٥٢ ٣٣ ٨٨
٤٥ ٧٣ ٧٦ ٢٩ ٣٦	٦٣ ٨٢ ٣٨ ٧٤ ٤٤	٠٤ ٣٣ ٦٨ ٧٨ ٣٦	٦٩ ٧٨ ٩٠ ٧١ ٤٢
٠٢ ٨٢ ٣١ ٩١ ٧٩	٠٤ ٥٨ ٣٢ ٢٤ ٠٥	٣٢ ٨٧ ٧٥ ٥٢ ٠٤	٣٨ ٢٧ ٣٦ ٢٥ ٣٠
٣٣ ٤٤ ٩٧ ٩٠ ١٧	٢٧ ٩٤ ٨٤ ٣٨ ١٧	٠١ ٦٠ ٩٠ ٣٩ ٣٥	٣٨ ٨٠ ٨٤ ٩٤ ٢٤
١٢ ٥٦ ٧٣ ٩٦ ٦٥	٦٥ ٧٩ ١٢ ٣١ ٥١	٨٤ ٨٨ ٣٧ ٠٩ ٨٥	٢٧ ٩٠ ٥٩ ٨٩ ٣٣
٥٥ ٠١ ٤٤ ٩٧ ٣٦	٥٤ ٣٠ ١٦ ٦٢ ٢٩	١٨ ٠٥ ٧١ ٢١ ٤٤	٨٣ ٣٤ ٠٠ ١٢ ٧٨
٦٤ ٦٠ ٥٣ ٠٦ ٩٥	١١ ٥٢ ٢١ ٧٦ ٢٥	٩٠ ٤٣ ٤٦ ٩٤ ٤٥	٥٧ ٠٥ ٤٩ ٠٦ ٤٨
٣٦ ٢٦ ٣٩ ٢٩ ٧٠	٤٥ ٧٢ ٦٠ ٣٠ ١٦	٨٩ ٠٠ ٧٤ ٤٠ ١٨	٩٠ ٤٠ ٢٠ ٣٤ ٥٦
٢٧ ٢٦ ٧٤ ٨٤ ٤٠	٨٣ ٩٩ ١٧ ١٧ ٤٨	٤١ ٤٧ ٩٤ ٢٠ ٤٣	٢٩ ١٦ ٨٩ ٦٨ ٤١

❋❋❋

الفهرس التحليلى للكتاب

الفصل الثالث :

المشكلات والحقائق والنظريات فى البحوث العلمية ٤٧ ـ ٦٠

مقـــدمة (٤٩) .

المشكلات فى البحوث العلمية (٤٩) .

كيف يتم تحديد المشكلة المطروحة للبحث ؟ (٥٠) . :

رأى جود (٥٠) ، رأى هويتنى (٥١) ، رأى فوسكت (٥١) ، رأى يفردج (٥١) .

آراء أخرى (٥٣) :

تخصص الباحث ، الدراسات المتصلة بالمشكلة ، القراءات العامة ، احساس الباحث بالمشكلة ، المشكلات والأزمات المجتمعية ، وفرة البيانات ، طرافة الموضوع وجدته .

الحقائق فى البحوث العلمية (٥٤) . :

النظريات والبحوث العلمية (٥٤) .

محكات اختيار مشكلة البحث (٥٥) . :

الاهتمام بالمشكلة ، امتلاك القدرة على دراستها ، توفر الأدوات اللازمة لبحثها ، امتلاك الوقت والمال ، القدرة على الحصول على البيانات ، اتفاق المشكلة مع أهداف الجهة المشرفة على البحث ، مدى المساعدات المقدمة لحل المشكلة ، علاقة المشكلة بالتقدم النظرى ، هل يمكن استثمار نتائج البحث ، الصلة بين الموضوع المبحوث وموضوعات البحوث الآنية الأخرى ، ما هى سمات البحث المميزة ، مدى الثبات والصدق المتوقع بالنسبة لأدوات البحث ونتائجه ، هل موضوع البحث محدد بدرجة تسمح بمعالجته علميا ، ما هو تأثير دراسة المشكلة على إثارة الوعى حولها .

المصادر والشروح (٥٩ ـ ٦٠) .

الفصل الرابع :

الفروض كحلول احتمالية لمشكلات البحوث العلمية ٦١ — ٧٢

مقدمـــة (٦٣) .

استخدامات الفروض فى البحوث العلمية (٦٣) :

الفروض تمكن من تحديد المشكلات ، الفروض تحدد العلاقة بين الموضوع المبحوث والحقائق المتصلة به ، الفروض تحدد الشروط التصميمية للبحوث العلمية ، الفروض تقدم التفسيرات المحتملة للمشكلة المطروحة ، الفروض تقدم الاطار المناسب لمعطيات البحث ، الفروض تعد مصدر إلهام لبحوث جديدة .

كيف تستنبط الفروض فى البحوث العلمية (٦٥) . :

التراث المعرفى ، قدرات الباحث التخيلية ، الاستنباط والقياس ، المناقشات والحوار كمصدر للفروض .

الضوابط المنهجية للفروض فى البحوث العلمية (٦٨) :

قدرة الفرض على تقديم تفسير معقول للمشكلة المطروحة ، إمكانية التحقق من التفسيرات التى تقدمها الفروض ، التواؤم بين الفروض وحقائق المشكلة ، التناسق فى بناء الفروض من حيث الشكل والمضمون .

المصادر (٧٢) .

الفئات التى تتصل بموضوع الاتصال ، الفئات التى تتصل بشكل الاتصال ونوعه :

خطوات تحليل المضمون (١٤١) :

تحديد مواد الاتصال المبحوثة ، تحديد وحدات العينات المبحوثة ، تحديد فئات التحليل ، تصنيف محتويات الاتصال ، تحليل البيانات المصنفة والتأكد من ثبات تحليلها .

مميزات وعيوب استخدام تحليل المضمون (١٤٢) :

ضوابط استخدام تحليل المضمون (١٤٢) .

المصادر والشروح (١٤٤ — ١٤٥) .

البـاب الثـالث

* * *

كتب صدرت للمؤلف

* منشورات « مكتبة القاهرة الحديثة » بالقاهرة :

١ ـ الخدمة الاجتماعية والميثاق ـ ١٩٦٣ « نفد » بالاشتراك مع الدكتور أحمد كمال أحمد :

٢ ـ البداوة العربية والتنمية ـ ١٩٦٧ « نفد » .

٣ ـ تنمية المجتمعات الصحراوية ـ أسس نظرية « نفد » :

٤ ـ تنمية المجتمعات الصحراوية ـ تطبيقات ميدانية « نفد » .

* منشورات « دار النهضة العربية » بالقاهرة وبيروت :

١ ـ علم الاجتماع البدوى ـ ١٩٧٤ « نفد » .

* منشورات « دار الفكر العربى » بالقاهرة بالاشتراك مع « دار الكتاب الحديث » بالكويت :

١ ـ سوسيولوجيا الحضارات القديمة ـ ١٩٨٢ :

٢ ـ المقدمة لعلم الاجتماع العربى والإسلامى ـ ١٩٨٢ .

٣ ـ معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر ـ ١٩٨٢ .

٤ ـ علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج ـ ١٩٨٢ .

* منشورات « عالم الكتب » بالقاهرة والرياض :

١ ـ علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية ـ ١٩٨٢ .

٢ ـ منهجية العلوم الاجتماعية ـ ١٩٨٢ .

* منشورات « مكتبة غريب » بالقاهرة بالاشتراك مع « وكالة المطبوعات » بالكويت :

١ ـ دراسة علم الاجتماع البدوى ـ ١٩٨٣ .

٢ ـ مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية ـ ١٩٨٣ :

٣ ـ البناء الاجتماعى ـ ١٩٨٣ :

٤ ـ سوسيولوجيا التخلف والنمو ـ ١٩٨٣ :

كتب للمؤلف تحت الطبع

* منشورات « مكتبة غريب » بالقاهرة ، و « وكالة المطبوعات » بالكويت :

١ ـ سوسيولوجيا العالم العربي .

٢ ـ النظريات فى علم الاجتماع .

٣ ـ الفكر السوسيولوجى الخلدونى بين النظرية والمنهج .

٤ ـ علم الاجتماع الإسلامى .

رقم الايداع ٤١٣٤ / ٨٢
الترقيم الدولي ٢ — ٠١١ — ١٧٢ — ٩٧٧

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى)
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) تليفون : ٢٢٠٧٩

الناشر

مكتبة غريب

١و٣ شارع كامل صدقى (الفجالة)
تليفون : ٩٠٢١٠٧

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) ـ تليفون : ٢٢٠٧٩